

الرقم الدولي: 2321-7928

بدأ صدورها في 2012م

مجلة الهند

مجلة فصلية محكمة

المجلد: 8 العدد: 2

أبريل-يونيو 2019م

العدد الخاص

بسيرة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله تعالى

(الجزء الرابع)

مدير التحرير

د. أورك زيب الأعظمي

المشارك في التحرير

د. هيفاء شاكري

نائب مدير التحرير

د. محمد معتصم الأعظمي

تصدر عن

مولانا آزاد أنيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

عنوان البريد:

مولانا آزاد أنيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية رقم البريد: 731235

الهيئة الاستشارية

د. مثنى حارث الضاري (العراق)	د. سناء شعلان (الأردن)
د. صالح البلوشي (عمان)	السيد محمد دأنش الأعظمي (البحرين)

هيئة التحكيم

د. فيضان الله الفاروقي (الهند)	د. بشري زندان (مصر)
د. حسن يشو (قطر)	د. صاحب عالم الأعظمي (الهند)

هيئة التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي (مدير التحرير)	د. هيفاء شاكري (المشارك في التحرير)
د. محمد معتصم الأعظمي (نائب مدير التحرير)	د. محمد عمران علي ملا (عضو)

عنوان البريد الإلكتروني:

(1) aurang11zeb@yahoo.co.in

(2) azebazmi@gmail.com

موقع المجلة: www.azazmi.com

الاشتراك السنوي:

1000 روبية (للطلاب) 1500 روبية (للأساتذة والمكاتب)

قواعد النشر في المجلة

بالنسبة للبحوث التي ترسل للنشر في المجلة، يرجى مراعاة القواعد الآتية:

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغة العربية، إذا توافرت فيها الشروط التالية:
 - أ. أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه.
 - ب. أن يلتزم بالمنهج والأدوات والوسائل العلمية والمعتبرة في مجاله.
 - ج. أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
 - د. أن يتسم بالسلامة اللغوية.
 - هـ. الأفضل أن يتناول البحث موضوعاً جديداً ذا صلة بالعلوم العربية والإسلامية ومساهمة الهند في مختلف العلوم والفنون والآداب وما إليها.
 2. ألا يزيد البحث عن خمسين صفحة، والرجاء من الباحثين استخدام (Sakkal Majalla) على حجم 14.
 3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدّم لأي جهة أخرى من أجل النشر.
 4. يرفق بالبحث ملخص له في حدود صفحة.
 5. أن يقر صاحب البحث بأن بحثه عمل أصيل له.
 6. تخضع البحوث إلى تحكيم لجان علمية أكاديمية متخصصة وفق المعايير المعتبرة.
 7. تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تناسب مع أسلوبها في النشر.
- تعبّر الآراء العلمية المنشورة عن آراء كاتبها، واجتهاداتهم الشخصية

في هذا العدد

الصفحة

7	- د. أرنك زيب الأعظمي	الافتتاحية
		مقالات وبحوث:
9	- الشيخ نجم الدين الإصلاحي ترجمة: د. أرنك زيب الأعظمي	الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي
25	- الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ترجمة: د. أبو آدم فريد بن عبد الحفيظ الهندي	الإمام عبد الحميد الفراهي: حياته وأثره
35	- د. حسن يشو	الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه دراسة نظرية تحليلية تطبيقية
112	- الشيخ محمد عمر أسلم الإصلاحي ترجمة: مشتاق عالم	منهج الإمام الفراهي لتأويل الآيات
131	- البروفيسور محمد راشد الندوي ترجمة: د. محفوظ الرحمن	نظرية نظام القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي
148	- د. أنصار أحمد	الفراهي وعلم غريب القرآن
160	- د. قمر إقبال	نظرية المحاكاة والصدق لأرسطو والعلامة الفراهي (في ضوء كتابه "جمهرة البلاغة")

169	-أ.د. أبو سفيان الإصلاحي ترجمة: أبو سعد الأعظمي	تفسير سورة التين للفراهي- دراسة وتحليل
181	-أ.د. أبو سفيان الإصلاحي ترجمة: د. زرنكار	مفردات القرآن- دراسة تحليلية
207	-أشهد رفيق الندوي ترجمة: أبو سعد الأعظمي	منهج تفسير القرآن الكريم عند الإمام ابن تيمية والإمام عبد الحميد الفراهي، دراسة مقارنة
228	-د. أياز أحمد الإصلاحي ترجمة: محمد شفاء الرحمن	نظرية نظم القرآن للشيخ أمين أحسن الإصلاحي والإمام عبد الحميد الفراهي
285	-الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي ترجمة: د. هيفاء شاكري	النظرية التعليمية للإمام عبد الحميد الفراهي
298	-سيد شكيل أحمد أنور ترجمة: د. محمد فضل الله شريف	نظريات الفراهي التعليمية وتجسيدها في مدينة حيدرآباد
310	-المعلم عبد الحميد الفراهي تخريج وترتيب: د. أورنك زيب الأعظمي	في ملكوت الله
348	جمع وتحقيق: -د. أورنك زيب الأعظمي	ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي المكتب بأبي أحمد الأنصاري
407	-الإمام عبد الحميد الفراهي	حكمة بعض الشرائع المتعلقة بفرائض الزوجين
413	-أبو سعد الأعظمي	تعليقات في تفسير القرآن الكريم للإمام الفراهي، دراسة تحليلية

431	- الشيخ ضياء الدين الإصلاحي ترجمة: د. رضوان أحمد	"التكميل في أصول التأويل"، دراسة تحليلية
453	- د. محمد رضي الإسلام الندوي ترجمة: د. محمد أجمل	خدمات الإمام عبد الحميد الفراهي في علوم القرآن (في ضوء كتابات الشيخ ضياء الدين الإصلاحي)
481	- الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي ترجمة: د. محمد معتصم الأعظمي	نظرة على الاعتراضات على بعض آراء الإمام عبد الحميد الفراهي
508	- الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي ترجمة: د. محمد معتصم الأعظمي	الانتقاد على "تاريخ مناسك الحج"
515	- د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي	الدائرة الحميدية
523	- البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي ترجمة: أبو سعد الأعظمي	ببلوغرافيا كتب ورسائل الإمام عبد الحميد الفراهي
		قصائد ومنظومات:
664	- د. أورك زيب الأعظمي	في ذكرى الإمام عبد الحميد الفراهي

الافتتاحية

بين أيديكم الجزء الرابع للعدد الخاص بسيرة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي (1863-1930 م) ونحمد الله على أنه أعاننا وسهّل لنا الأمور لبيان مآثر شخصية إسلامية وقفت حياتها لخدمة القرآن وعلومه، نحمده تعالى على توفيقنا لهذه الخدمة. هذا العدد، كسوابقه، يحتوي على أكثر من عشرين مقالًا وبحثًا علميًا منها مقالات تحيط بمختلف أدوار حياة الإمام وأطوارها كما فيه مقالات تبين أفكاره ونظرياته المختلفة عن تفسير القرآن وأصول تأويله ومستوى تعيين بلاغته ومحكم نظامه المعجز، وكذا يحوي مقالات تقارنه بغيره من المفسرين وتسلط الضوء على نظريته التعليمية التي ظهرت في صورة مدرسة قرآنية (مدرسة الإصلاح) وتعرف بالمعهد العظيم الذي يهتم بنشر أفكاره وأعماله. ومعظم هذه المقالات كتبها كبار علماء الهند وخارجها.

ومن ميزات هذا الجزء أنه يشتمل على تحقيق ديوانه العربي وكتابه الفريد "في ملكوت الله" وكتابته عن فرائض الزوجين. وكل هذه الأعمال لم تبلغ العالم العربي فلا نجد العرب يتحدثون عنها إلا إشارات وحتى نجد الهنود يبحثون عنها في مكتبة وأخرى وذلك لأن العاملين الأولين قد طبعا قبل سنوات ثم نفدا قبل أن يبلغا العرب كما أنّ الكتابة الأخيرة عن فرائض الزوجين التي أرسل بها الفراهي إلى أستاذه العلامة شبلي، لم تنشر إلا في مجموعة خطاباته ورسائله فلم يتعرف العرب عليها. ننشر كل هذه الأعمال راجين أنّ العرب سيدرسونها ويحلّلون محتوياتها لأنها تبين جانبين خفيين من جوانب حياة الفراهي ألا وهما نبوغه في القريض العربي وإلمامه التام بالأمور السياسية. وبهذه المناسبة نقدّم الشكر إلى البروفيسور الطاف أحمد الأعظمي صاحب تفسير "ميزان القرآن" (بالتردوية)

الذي سمح لنا أن نستفيد من تعليقاته على كل من كتاب "في ملكوت الله" وترجمته الأردوية التي قام بها.

ذيلنا هذه المقالات بمقالتين عن الاعتراضات التي أوردها العلماء على آراء وأفكار الإمام الفراهي فردّ عليها أستاذنا الإصلاحي نسيم ظهير الغازي حفظه الله. وسننشر مقالات أخرى تردّ على الاعتراضات التي أوردها العلماء الهنود والعرب، وهذه الاعتراضات إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على إقبال العلماء على أعمال الفراهي ودراساتهم لها دراسة تحليلية.

ومن ميزات هذا الجزء أنه يحوي بين دفتيه ببلوغرافيا الأعمال التي أثرها الفراهي والتي كتبها الآخرون عن سيرته وأعماله في لغة من اللغات. وهذه البلوغرافيا كما تدل على تهافت العلماء على أعمال الفراهي وقبولهم لها فكذلك تعين كل من يريد البحث والتحقيق على موضوع من المواضيع المتعلقة بحياة وأعمال الفراهي. نرجو من الكتاب العرب والذين لم يتعرفوا على ما ألّف عن الفراهي باللغة الأردوية (التي هي أكثر اللغات احتواءً على المواد المنشورة عن الفراهي) نرجو منهم أن يهتدوا إلى جوانب جديدة عن حياة وأعمال الفراهي ويتشجّعوا على ما عملوا أو يعملون أو يريدون العمل على أي موضوع متعلق به.

هذا، وأنهينا هذه المقالات والبحوث بقصيدة عربية قرضناها على ذكرى الإمام الفراهي، ونرجو أنّ العرب سيدلون بأرائهم عنها، وقد سبق أن نشرنا قصائد عديدة كتبت بالعربية عن حياته وأعماله.

نشكر الله عزّ وجلّ على أن وقّقنا لنشر وترويج أفكار الإمام الفراهي الذي يليق بأن يعدّ من أكبر علماء الإسلام وأبرز مفسّريه.

د. أورك زيب الأعظمي

الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي

- الشيخ نجم الدين الإصلاح¹

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي²

ترجمة الفراهي المفصلة وتحصيل العلوم الجديدة: بعدما فرغ الإمام الفراهي من نيل العلوم العربية حصل على شهادة الليسانس في عمر بلغ 20 سنة ولقي السير سيد أحمد خان في علي كره فكتب السير سيد المرحوم إلى العميد الإنجليزي التوصية بـ "أني أرسل إليكم طالباً لا يضاهيه أستاذ من كليتك دع أن يكون طالباً فيها"، وكان العلامة شبلي مقيماً بها تلك الأيام فقال (العلامة شبلي): افتخر بأن حميد الفراهي قد تعلّم عليّ اللغة العربية والفارسية. وقد كان السير سيد المرحوم معجباً للغاية ببراعة الإمام الفراهي في العلوم وموهبته العلمية وأعطاه نسخة خطية أكلتها الدود لأحد كتب الإمام الغزالي وقال له لامتحانه: قم بتحقيقها. فلم يعتن بها الفراهي لأيام ثم بدأ العمل بعدما أصّر عليه السير سيد إصراراً وأنهاه في يوم ففوضها إليه فقعد السير سيد حيران وسأله: كيف استطعت بهذا؟ فأجاب الإمام الفراهي: في ضوء سياق العبارة ولغة الغزالي وأسلوبه ونظرياته، فإن وجدت النسخة الأم فما تجد أي فرق بينها وبين ما قمت بها سوى بعض الكلمات، وأما المعاني فلا تجد فيهما أي فرق.

كانت علي كره وأصحابها يطرون كتاب الدكتور أرنولد "Preaching of Islam" (تبليغ الإسلام) ولكن الفراهي يرى أنّ هذا الكتاب ألف لينزع روح الجهاد من بين المسلمين، وأيقظهم باستعراضه المفصل له. وبعد علي كره توظّف في مدرسة

¹ تلميذ الإمام عبد الحميد الفراهي وكاتب ومترجم مؤلفات عديدة.

² مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المللية الإسلامية، نيودلهي

الإسلام بكراتشي ولما سافر اللورد كرزن إلى سواحل العرب وخليج فارس في 1900م لإقامة العلامة السياسية مع رؤساء العرب فاختر الإمام الفراهي كترجمان له ولكنه لم يكن راضيًا عن ذلك إلا أنّ أصدقائه وكباره أجبروه على ذلك وكان هذا خطأ سياسيًا كما يعتبره الشيخ أمين أحسن الإصلاحي مما لا يسوغ هذا الموقع للحديث عنه.

وخلال قيامه بعلي كره تعلّم الإمام الفراهي اللغة العبرية من الأستاذ الألماني الشهير يوسف هارفيز الذي تعلّم عليه العربية، كذا اختير الإمام الفراهي لترجمة تفسير السير سيد أحمد خان ولكن كيف لتقي ومتبع للأسلاف كمثال الإمام الفراهي أن يقبل هذا الفجور فقال بصراحة: إني لا أودّ أن أساهم في نشر هذه المعصية". وكان عميدًا في الله آباد ومن ثم ارتحل إلى حيدرآباد ليكون عميدًا لدارها للعلوم، ولقد تحققت فكرته نهائيًا في شكل الجامعة العثمانية. واستفاد منه قدر المستطاع السيد أبو الأعلى المودودي والشيخ مناظر أحسن الغيلاني وغيرهما في مجال العلوم القرآنية، ولما استقال الأستاذ من حيدرآباد لزم داره وركّز عنايته على دار المصنفين بأعظم كره ومدرسة الإصلاح بسرائ مير حتى أنفاسه الأخيرة فكان رئيس دار المصنفين كما كان مدير مدرسة الإصلاح العام.

تدريس القرآن في مدرسة الإصلاح وثلاث مراحل للمدرسة: ولو أنّ حجر أساس مدرسة الإصلاح وضعه الشيخ السيد أصغر حسين من ديوبند في 1908م ولكن الشيخ محمد شفيع السيدهاري والشيخ عبد الأحد المرحوم المنجريتوي الديوبندي من مؤسسيها الحقيقيين، ولقد مرّت المدرسة بثلاث مراحل: أولها من 1908م إلى 1914م ويكأنها مرحلة كونها كتابًا ولعل أولى جلساتها العظيمة عقدت في 1909م أو في 1910م وحضر هذه الجلسة كبار علماء الهند بمن فيهم العلامة شبلي النعماني والعلامة عبيد الله السندهي والعلامة ثناء الله الأمرتسري فتحدثوا عن تقدّم المدرسة وتطويرها من كتاب إلى مدرسة إسلامية كما خطر ببالهم أن

يجعلوها فرعاً لدار العلوم بديوبند وكادوا أن يتفقوا على الفكرة الأخيرة إذ خالفها معلّمي العلامة السندهي وقال للعلامة شبلي: سيدي: لا تجعل مدرستنا جزءاً من أي مدرسة كبرى ولا تدعها أن تصبح كذلك ولتجعلها مدرسة تكون بارزة في فضلها العلمي والأدبي والعملية وأن تخلق ثورة وأن تحيي تقاليد السلف التي قد جنّها الجمود والتعطّل، فتنبه العلامة شبلي ثم اتفقت الهيئة الاستشارية على أنها لا تكون فرعاً لأي مدرسة. وكان الإمام الفراهي آنذاك مقيماً في حيدرآباد فكتب إليه العلامة شبلي مراراً وتكراراً أن لا يغفل عن هذه المدرسة. وهذه الرسائل كلها مصونة في "مكاتيب شبلي" (مجموعة رسائل شبلي في مجلدين).

وفي 1914م قرر العلامة شبلي النعماني أن يكون الشيخ شبلي الندوي المتكلم مديراً لهذه المدرسة وعميداً لها فأثمرت موهبة هذا الأستاذ الشفوق وحسن نيته في تقدّم هذه المدرسة يومياً حتى أصبحت هي تعدّ من كبار مدارس الهند الإسلامية. ثم في 1922م و1923م تولّى الأستاذ الإمام الفراهي مهام المدرسة التعليمية وبقي على هذا المنصب حتى وفاته في 1930م فكان يقيم بالمدرسة ثلاثة أيام في كل أسبوع، ويدرس القرآن بعد كل صلاة الفجر. كانت هذه ثورة روحية وعلمية وعملية للمدرسة، وكانت هذه المرحلة أزهر مراحل المدرسة الروحية والعلمية.

وأما المرحلة الثالثة فهي تنتهي على 1845م و1946م وأما التفاصيل الأخرى فنقدّمها فيما بعد.

وكانت طريقة تدريس الإمام الفراهي للقرآن الكريم والنقاش حوله أنه كان يدخل حجرته بعد صلاة الفجر فوراً وكثيراً ما كان يجلس خارج حجرته في ظلة جهة الشمال وكان يجلس حوله أبرز أساتذة المدرسة ومنهم معلّمي الشيخ شبلي الندوي المتكلم وشيخ الحديث عبد الأحد المرحوم الديوبندي وشيخ التفسير سعيد أحمد الندوي وشيخ الأدب عبد الصمد الندوي والشيخ شبلي النندانوي الديوبندي زميل الشيخ شبير أحمد العثماني في الدرس وكان يحضره طلبة المدرسة في

الصفوف النهائية وكان كاتب هذه المقالة يتلو القرآن الكريم، ومما أنعم الله عليّ أني قد تلوت القرآن الكريم من أوله إلى آخره أمام إمام عصره في التفسير وسعدت باستماع مقالاته والاستفادة من نكاته العلمية العديدة وهذه نعمة لم يتمتع منها رجل في قرن من القرون، وصدق الشاعر الأردوي الكبير مير تقي مير:

سمجہ گرداں ہی میر ہم تو رہے دستِ کوتاہ تا سب تو نہ گیا
ترجمة: إنما نحن كُتّا من المستبحين بحمدك ولكن أيدينا القاصرة لم تبلغ الكأس.

فكان الحضور جميعًا يحمل القرآن ويستمع إلى دروسه وكثيرًا ما كان الإمام الفراهي يحمل القرآن وإذا سأل أحد الإمام خلال الدرس وظنّ سؤاله مهمًا فكان الإمام يفرح ظانًا أن السائل له شغف في تدبر القرآن فكان يردّ عليه بالبراهين ويقنعه. وإن كان السؤال تافهًا فكان يلفظ الصعداء قائلاً: تقدّم. فكان العديد من أمثالنا يلزم الصمت ويحاول أن لا ينكشف سرّ قصر باعنا العلمي. وفي بعض الأيام لم يكن يقول شيئًا ولا اجتراء أحد على السؤال إلا أنه لو اختلف الإمام الفراهي عن غيره من المفسرين فكان يبرهن اختلافه ويحل المعضلة وكنا نظنّ أنه بحر لا ساحل له في حلّ معضلات القرآن. وكان يبدو الإمام الرازي والبيضاوي وابن تيمية أمامه دونه كما كان يمدح فهمهم للقرآن ولم يكن يصبر على سوء فهم أحد للقرآن. وفي آخر أيام حياته حينما كان يتحدث عن قصر باع الفلاسفة المستشرقين أثناء دروس القرآن التي قد ضبطتها أنا والشيخ أمين أحسن الإصلاحي وعرضتها للإمام وهي حقائق ومعارف قرآنية لم تمسها إنس ولا جان ولا نرجو أنهم سيمسونها وسنقدّم بعض دروسها بمناسبة أخرى إن شاء الله. وفي هذه العجالة نوّد أن ننشد شعر الشاه ولي الله الدهلوي باسم الإمام الفراهي بتصرف قليل:

فراهی می شناسم این گهرِ دزدانِ حکمت را فلاطون آه گر می دید یونانے کہ من دارم

ترجمة: أيها الفراهي، أنا أعرف هؤلاء السارقين للآلئ الحكمة، يا حبذا لو رأى أفلاطون يوناننا التي نمتلكها.

وإذا اختلف الإمام الفراهي، خلال تدريس القرآن، عن ترجمة أي مترجم للقرآن فكان يطلب ترجمة الشاه عبد القادر للقرآن الكريم ويقول إن الشاه عبد القادر قد فهم القرآن حقًا وكان يطري تفسيره "موضح القرآن" كما كان يشير إلى قدم لغة ترجمته والإبهام الموجود فيها وكان يقول: إن هذه الترجمة طبق الأصل ولم يكن يرضى عن ترجمة الدبتي نذير أحمد لأسباب.

ولقد قرأ كافة التفاسير كما قرأ تفسير العلامة البقاعي في سفره للحج ولكنه كان يفضل تفسير ابن جرير الطبري والتفسير الكبير للرازي ولقد علّق على التفسير الأخير في مواضع عديدة منه وهذه التعليقات مفيدة للغاية، وكان من لطائفه أن الإمام الرازي يمهر في هدم المبنى ولكنه ليس بماهر في بنائه أي أنه يفند آراء المقابل ببراهينه القوية ولكن القول الذي يرجّحه لا يكون قويًا، وكان يقول عن نفسه: إني أعرف البناء أكثر من الهدم".

وهذا من الواقع أن الأمر الذي كان يخالفه الإمام الفراهي وهو متعلق بالقرآن كان يثبت نظريته بدلائل وبراهين عديدة لن يمكن لأحد أن يدحضها طول حياته، وكان يقول إن أسلوب الأخ الفاضل شبلي والإمام الغزالي جيد جدًا فهما يوسّعان في أمر تافه توسيعًا يرضي القراء وأما أنا فلا أقدر على التوسيع إلا أن الله يسّر لي كيف أوجز الكلام الطويل في كلمات قلائل. وقال بإحدى مناسبات دروسه: إن السيف بيد أبي الكلام ولكن بتره بيدي، ليتنا اجتمعنا.

وما كان يقدمه من التحقيقات خلال دروسه عن الأسباب في تحريف الإنجيل وضلال النصارى لا يقدر عليها إلا هو، وكان يعرض نكات عن مفردات القرآن ومشكلاته وأساليبه مؤيدًا إياها بكلام العرب لا نجدها سوى في مؤلفاته رحمه الله، وليس هذا مما قلته على حب له ويقين به بل تشهد به كتبه ورسائله. وأما

كان الإمام الفراهي مجمع البحرين للقديم والجديد من العلوم وكان التقوى وخشية الله زاده، أما أنا فلم أمارس أحدًا سوى العلامة حسين أحمد المدني والإمام الفراهي ولقد فهمت السلف من خلال هاتين الشخصيتين فكانت حياتهما مثل كتاب مفتوح تشهدها من بعيد فكان يفرسها القاضي والداني، العالم والجاهل ويفدي بساطتها نفسه. وطبقة العلماء الهنود التي كانت تبرز كباحث ومولع بالتفكير والتحقيق ومتبع لفكرة خاصة لم تزل تراجع الفراهي في مشكلات القرآن وتستفيد من تبحره في العلوم والفنون ونخص بالذكر منهم العلامة شبلي النعماني والعلامة عبيد الله السندهي والمولانا أبو الكلام آزاد والعلامة سيد سليمان الندوي والشيخ مناظر أحسن الغيلاني والشيخ عبد الرحمن النغرامي

والبروفيسور عبد الباري الندوي والشيخ عبد الصمد الرحمانى والشيخ عبد المجيد الحريري والشيخ أبو الجلال الندوي.

لما رجع الأديب الشهير تقي الدين الهلالي إلى الأزهر ورأى الفراهي هناك لأيام معدودات فنسي علماء الأزهر ولذا لما سأله الشيخ الحريري البنارسي عن الفراهي: كيف وجدت مولانا الفراهي؟ فقال له العلامة الهلالي: وجدته إمام العربية". وبقي يمدحه لوقت طويل.

ولا شك أنّ عددًا كبيرًا من العلماء والباحثين قد استفادوا من أستاذنا الإمام الفراهي ولكننا لا نعرف أسماءهم، وكان من بين تلامذته الأجواد الدكتور محمد علي شاه الحيدرآبادي الذي قد صانت صفحات مجلة "الإصلاح" استفساراته وهي قيّمة للغاية.

وبعد ما برع في فن النحو والعربية جعل الفراهي القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ أصلًا يودّ أن يصلح في ضوءهما كافة العلوم والفنون فكتب "جمهرة البلاغة" لهذا الهدف وأوضح للعلماء أن علم البلاغة الرائج الذي نجده في كتب السكاكي والجرجاني قد أخذ من اليونان وأنه لا يقدر أن يمدّ في فهم القرآن ولا أن يثبت ميزانًا له فقام الإمام الفراهي بوضع الأصول آخذًا من كلام العرب، التي تجدر بأن تكون ميزانًا لفهم بلاغة القرآن، وكذا كان الإمام الفراهي مولعًا بأصول الفقه فقد قرأ بامعان أمهات كتب الفقه أمثال شرح أصول البزودي وأحكام الأمدي وأحكام القرآن للجصاص والمستصفى للغزالي وفواتح الرحموت وتأسيس النظر ورسالة الشافعي وكتاب الأم للشافعي وذكر بعض الآراء على رسالة الإمام الشافعي بعنوان "قال الفراهي" بعد "أفاد الإمام" مما يدل على تأثر الإمام الفراهي بالفقه ونظريته الفقهية. وقد كان الإمام الفراهي يعتبر مؤطًا للإمام محمد أصلًا للفقه الحنفي وكان يقول بتحفيظ الجامع الصغير للإمام مالك ويقول: إن هذين الكتابين كأصلين للفقه الحنفي، وكذا كان يعتبر مؤطًا للإمام مالك أساسًا للفقه

المالكي وأصلاً للصحيحين مما لم يفهمه المعاصرون وقالوا إن الإمام الفراهي لم يعترف بفضل كتاب في الحديث سوى موطأ الإمام مالك. هذا بهتان عظيم.

في 1929م طلب مني نسخة سنن ابن ماجه له مطبوعة من مصر فأعطيته فلم يقرأها فقط بل كتب بقلم الرصاص الروايات التي تم جرحها وهي ضعيفة، ولكن آراءه عن قبول الروايات وردها مبعثرة في كتبه ورسائله، وأما الاستشهاد بالأحاديث النبوية فهو مذهبه المعروف ولقد عثرت على شهادة مكتوبة استفدت منها ثم أعطيتها للشيخ صدر الدين الإصلاحي ولا أدري هل هي مصنوعة لديه أم ذهب بها الفتنة المودودية، وسيعكس الجزء الثاني لكتابي "دلائل السنن والآثار" على أفكار الإمام الفراهي عن السنن والأحاديث.

لقد سمعته يقول إنه يمكن أن تحل مشكلات الحديث في مدرستنا لو ظفرنا بالعلامة عبيد الله السندي أو الشيخ حسين أحمد المدني ولو حدث كذلك لزال الصد الكبير الذي يقع في سبيلنا إلى الحديث النبوي الشريف ولما ذهب طلبتنا ضحايا التقليد الأعمى في اتباع الروايات. ووا أسفا! أن أمنيته هذه دفنت معه. يقول الإمام الفراهي إنه بما لم يدركوا الفرق بين الحديث وفقه الحديث فقد تم التركيز على فقه الحديث نظراً لمذهب فقهي وحصر فهم الحديث على روايات الأحكام ولكن الحديث ذاته يحتاج إلى البحث والتحقيق حتى في زمننا ولذا فقد شكوا في القرآن وصاحبه وسير الأنبياء الآخرين وأقوالهم والحال أنه بإمكاننا أن نقبل أو نرد الأحاديث في ضوء أصول الحديث التي وضعها المحدثون ويستخدمها علماء المدارس ضد مذهبهم الفقهي. كان الإمام الفراهي يحترم الأحاديث كمثال احترام السلف لها فكان يقول: إنما ذكره المحدثون عن الرواة كلها انطباعاتهم أو مشاهداتهم بل تجاربهم والتي هي من نوع المنصوص ونجد في القرآن تلميحات عنها فهل بإمكان أحد أن يستخرج من بيانات الفراهي هذه أنه كان ينكر الأحاديث (نعوذ بالله).

كان الإمام الفراهي يودّ أنه بعد حفظ جيد لفقه إمام من أئمة الفقه ينبغي للطلبة أن يلقوا النظر على غيره من المذاهب الفقهية، وهكذا يمكن أن يحدث فيهم سعة النظر والمصانعة الفكرية ويمكن أن يسكنوا معاً على عادة السلف ويعضّد بعضهم بعضاً فقد كتب بأصابعه في منهاج المدرسة التعليقي (راجع: مجلة الإصلاح، أغسطس، 1936م):

(ألف) شدة العناية بالقرآن والحديث والفقه والأدب العربي.

(ب) التركيز على سعة الاطلاع وإمعان النظر لا على الكتب المحدودة الخاصة سوى القرآن والحديث.

(ت) طهارة الأخلاق أي اتباع الشرائع وروحية الإسلام.

(ث) اليسر في الكتب الدراسية مع المواهب العلمية العليا.

(ج) القناعة على الرغم من رغبة عيش الطلبة.

شرح: البنّان (أ) و(ب) أساسيان، والبنّان (ت) نتيجة العملية، والبنّان (ث) و(ج) وسيلتان لهما، وأما أهميتها فلنعرفها نظراً لترتيبها.

وبالجملة فقد كان الإمام الفراهي يرى أن تكون هذه المدرسة مركزاً لمختلف المذاهب الفقهية لأهل السنة والجماعة، فيوجد بها حنفي ومخلص للحديث، ويعلم بها الندوي والديوبندي والإصلاحي معاً، وإذا أردت أن تسمّي هذه الأشياء بفكرة حميدة فلتسمّ فلا تجعل فكرة أستاذي لغزاً يصعب حله فقد كان الأستاذ الإمام يعتني كل العناية بفهم وتفهم القرآن وكان يودّ أن يدرّس بها القرآن بالبحث والنظر والتحقيق ثم يدرّس بها الأحاديث والفقه فيربّي بها العلماء الذين يتصفون بما اتصف به السلف الصالح وينم من كل جزء من أجزاء بدنهم وحياتهم كتاب الله العزيز، الفكرة التي اعتكف عليها طول حياته وخصّ لذلك بعض طلبة مدرسة الإصلاح.

وفاة الإمام الفراهي: كان الإمام الفراهي من الكتّاب الذين ولدوا للقرآن الكريم فقد كان كتاب الله العزيز عمل ليله ونهاره، وما قام به من البحوث والتحقيقات مستخرجاً من هذا المنهل الصافي قد بهتت العالم. ولقد كان الإمام بارعاً بمختلف اللغات بجانب براعته في العلوم القديمة والجديدة ولكنما قرأه من كتب لغة قرأها للقرآن الذي جعله أساساً فقام بتطبيق نظرياته عليه فلم يجعل القرآن تابعاً لأفكاره ونظرياته. قضى معظم حياته في هذا الهدف. ولقد أصابه وجع الرأس الذي تبعه مرض المثانة فذهب إلى ماثورا ليقوم بمعالجته فأجريت الجراحة ولكنها لم تنجح فتوفي في 19/ جمادى الثانية 1349 هـ المصادف لـ 11/ نوفمبر 1930 م فأصبح المكان فارغاً ونخاف أن يبقى فارغاً إلى أن تقوم الساعة. إنا لله وإنا إليه راجعون. رحمة الله عليه وعلى أتباعه إلى يوم القيامة. عاش حميداً ومات شهيداً.

كتبه ورسائله: كثيراً ما كان الأستاذ الإمام يكتب بالعربية وكل ما كتب عن القرآن كتبه حين انشراح صدره بما كتب، ولقد ألّف تفسير السور المختلفة حينما ظهر له في تفاسير القرآن أنهم عدلوا عن صحيح تأويل القرآن أو ضعفوه فوضعوه وراء ظهورهم وقد كان يقول الإمام خلال إلقاء الدروس أن العديد من الأقوال الصحيحة ذكرها المفسرون بـ "قيل" أو "يقال" فأقلوا من مفهومها والحال أن تلك الأقوال هي الصحيحة. لقد أوتي الأستاذ الإمام ذهنًا وفكرًا ممتازًا عن الآخرين وعلى هذا فحيثما وقف قلمه البديع في كتاباته العربية أو الأردوية لم يكمله الآخرون ولا زادوا عليه وحتى عجز عن ذلك تلامذته الذين قضوا أعمارهم في الاستفادة منه فما تراه من الفراغ في تفسير سورة الإخلاص وغيره من التفاسير بقي فارغاً حتى الآن ولا يستطيع أحد منا أن يملأه. وفيما يلي فهرس لكتبه ورسائله مما طبع وما لم يطبع:

1. فاتحة نظام القرآن: هذا الكتاب في أصول التفسير ويضمنه تفسير البسملة وسورة الفاتحة.

2. مفردات القرآن: اختلف فيه عن غيره من المفسرين وأهل اللغة.
3. الإمعان في أقسام القرآن.
4. الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.
5. جمهرة البلاغة.
6. أسباق النحو (الجزء الأول)
7. أسباق النحو (الجزء الثاني)
8. ديوان حميد فارسي
9. خردنامه
10. رسالة بالإنجليزية في رد الشفاعة والكفارة.
11. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.
12. تفسير سورة البقرة وجزء من تفسير سورة آل عمران.
13. دلائل النظام: دلائل على ربط ونظام القرآن.
14. أساليب القرآن.
15. أصول التأويل.
16. القائد إلى عيون العقائد.
17. كتاب الحكمة.
18. ملكوت الله.
19. كتاب الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.
20. ديوان أبي أحمد الأنصاري (بالعربية)
21. الرائع في أصول الشرائع.
22. إحكام الأصول بأحكام الرسول.
23. كتاب العقل والنقل.
24. الإكليل في شرح الإنجيل.

25. أسباب النزول.
26. تاريخ القرآن.
27. أوصاف القرآن.
28. فقه القرآن.
29. رسالة في إصلاح الناس.
30. الأزمان والأديان.
31. فلسفة البلاغة.
32. سليقة العروض.
33. النحو الجديد.
34. القسطاس.
35. حجج القرآن.
36. تعليقاته على القرآن الكريم.

لو لم يكتب الأستاذ الإمام شيئاً عن القرآن سوى هذه التعليقات لكفت حلّ مشكلات القرآن كلها ودرسه وتدرّسه وفهمه وتفهمه ولكشفت عما أغلق منه ولثبتت هذه التعليقات سراجاً لمن أراد تكميل تفسير "نظام القرآن" من تلامذته الخواص. والحمد لله على أن هذه التعليقات مصونة حتى الآن وهي تستطيع بأن نبين في ضوءها أفكار الإمام الفراهي بدلاً مما يفعله الآخرون وقد أخفوها على الناس إلى الآن، وهي كذلك تقدر على كشف النقاب عن العديد من الجماعات الضالة، وهذا من سوء الحظ وشدة الأسف أن هذه التعليقات قد وقعت عليها أيدي من لا يعرفها وهي تسقط في هوة الدمار يوماً بعد يوم، وكل ناسخ ينقل منها حسبما يفهمها فهو يخطئ كثيراً ونخاف أن تكون هي سبباً لوقوع الأخطاء الفاحشة لأجل سوء فهمها. والحال أن الحافظ حفيظ الله قد وهب خمسين ألف روية لهذا الهدف الخاص عن طريق إقامة "الدائرة الحميدية" المبلغ الذي قد

وخطر ببال الإمام الفراهي أن يترجم القرآن إلى اللغة الأردنية فقام بترجمة الجزء الثلاثين سوى بعض السور والتي قام الشيخ أختار أحسن الإصلاحي بإعادة النظر فيها بإمعان بالغ بإضافة ترجمات بعض السور التي كان الأستاذ الإمام يودّ أن يترجمها وهذه الترجمة تحت الطبع ولكن لا نعرف متى تخرج إلى النور. ولا أدري ترجمة أي مترجم للقرآن أثبتوها مقابل السور التي لم يوفق الإمام لترجمتها. إني أرى أن توضع فيها ترجمة الشاه عبد القادر رحمه الله أو ترجمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى. وعلى كل حال فتعليقاته على القرآن شيء مهم وقد كتبها إما على نسخته للقرآن التي كان يقرأ فيها والتفاسير التي قرأها مثل تفسير ابن جرير وتفسير الرازي والبيضاوي وأبي سعود وغيرها.

المجلد: 8 — العدد: 2 — 21 أبريل - يونيو 2019

كان الإمام الفراهي يتبع السلف الصالح في عقيدته أي عقيدة أهل السنة والجماعة ولم يكن ينال من عزتهم والحال أنّ جلّ مؤلفاته بحث وتحقيق واجتهاد وهو ينتقدهم ولكن لا يسبهم ولا ينال من عزتهم سوى قوله "أخطأ رحمه الله" بينما كتابات ابن حزم وابن الجوزي وابن تيمية والذهبي مليئة بالسب والشتم ضد خصومهم مما لا يصبر عليه حليم ولا يؤيده الأدب الإسلامي، ولقد بقي لدينا كتابة للإمام الفراهي يمكن لنا أن نقدّر في ضوءها عواطفه وانطباعاته فيقول الإمام الفراهي وليتدبر أهل الذوق:

"لا ريب أن الشك تحته شيئان يبني عليهما البحث والتحقيق وهما الجهل وبغضه. فعندما يفهم الإنسان تفاهة علمه التقليدي فهو يرى ذلك العلم جهلاً فلا يعتبر علمه علماً وعندما غلب عليه هذه الحالة فهو طبعاً ترغب في العلم فينبغي لطالب الحق أن يضع أمام عينيه الحرية والعناية بأراء السلف ثم يتقدم ---- لاسيما في القضايا التي تكون خطيرة وإلا فلا يمكن لطالب الحق أن يستفيد من السلف وتجعله الحرية أسفل مما يخاف التقليد".

هذه كانت أفكار الإمام الفراهي عن السلف الصالحين فيقطع الله دابر من لا يصبر على اعتبار الإمام الفراهي حنفيًا ويعدّونه عارًا عليه، ولكنه عز ورفعة أن نضاهيه بابن تيمية وغيره من أئمة الإسلام. إنا لله!!

نعم، اعتبره مجتهدًا في كافة العلوم وإمامًا فيها مبالغة وأما القول بأنه لم يكن يعرفه علوم الفقه فهو نيل من عزته. لا شك أنه كان إمامًا لعلوم القرآن ومن خواص الأمة، وهذا واقع علمي وتاريخي جرى من السلف إلى الخلف أنّ عقيدة الأستاذ تنحل في تلامذته فتعملون عليها فمثلاً أنما ورثه تلامذة الأئمة الأربعة من العلم سيذكرون بأسماء "الحنفي" و"المالكي" و"الشافعي" و"الحنبلي" إلى يوم القيامة وعلى الرغم من كونهم مجتهدين وأئمة في مذهبيهم كانوا عاملين على مذهب أئمتهم ولو أنهم خالفوا بعض نظرياتهم وآراءهم ولكنهم كانوا منذ البداية إلى النهاية

أحنافاً فالعلامة شبلي المرحوم الذي هو أول مهندس لقصر الفراهي يعرف كل منا مبالغته في الحنفية ويشهد بها كتاباه "ظل الغمام في قراءة خلف الإمام" و"سيرة النعمان"، وكذا كان العلامة محمد فاروق التشريياكوتي وفاضل اللكناوي من أساتذة العلامة شبلي والإمام الفراهي كانا من الأحناف. ولقد استفاد الإمام الفراهي استفادة جيدة من أستاذه فقط ألا وهما العلامة شبلي النعماني والعلامة فيض الحسن السهارنفوري. كان الأخير تلميذ العلامة فضل حق الخيرابادي الذي تلمذ على الشاه عبد العزيز الدهلوي فكان المذهب الفقهي من الشاه عبد الرحيم الدهلوي إلى الشاه إسحاق الدهلوي ومنهم تلامذتهم حنفياً فالواقع أن الإمام الفراهي كان يعمل على الحنفية ولكنه لم يكن غالباً فيها ولقد سمعت مراراً وتكراراً ثناءه على دقة نظر الإمام أبي حنيفة وتفقهه في الدين كما سمعت أشياء لو ذكرتها هنا لسخطت طبقة في الهند. وإشارته إلى تفرد وتحقق مذهب الإمام أبي حنيفة الفقهي وتبرئته الإمام من اتهام شنيع عليه دليل على أنه كان حنفياً مثل ابن همام والشاه ولي الله والشيخ الفرنجي محلي وغيرهم من كبار علماء الحنفية فقد عمل الأستاذ الإمام على المذهب الحنفي في اتباع أحكام الإسلام مثل الصلاة والصيام والحج والزكاة وجزيائهما، والانحراف عنه أمر ذو خطورة وسيلقي بالمرء في هوة الضلال. ولدينا شهادات مكتوبة على ما نقول فكيف يمكن لنا أن نمحو تعليقاته على رسالة الإمام الشافعي وهل ليس لتعليقاته على شرحي مؤطأ الإمام مالك أي أهمية في هذا الأمر وأي شهادة على آراءه الفقهية؟!

آراء الإمام الفراهي السياسية: وما أعدّه علماء الهند المجتهدون من خطة العمل خلال انحطاط السلطنة المغولية قد عمل عليها بانتظام في الهند بعد ثورة 1957م واتبعت طريقة السلف الصالحين بكل أمانة بامتزاج من العلم الصحيح والعمل الصالح فقد جعلت معاهد ديوبند وسهارنفور ومراداباد ودلهي العلمية روح الحرية أساساً واشتغلت في إعلاء كلمة الله وبدء العمل عليها في محاربي المساجد وزوايا الخانقاهات والمواضع الأخرى وقام علماء ذلك العصر وتلامذتهم

الراسخون في العلم والمولعون بالتضحية وانتشروا في ربوع الهند وما وراء النهر بعبيدين عن الإشاعة والعصبية الدينية. والإمام الفراهي لموهبته وبصيرته وتربيته لم ينحرف عن الأصل ولم يمس روح الجهاد بالسوء وبقي ساعياً لإثارة الثورة عن طريق القرآن كي يظهر الإسلام على الدين كله ويرجع المجتمع البشري إلى تعاليم الأنبياء ويظهر العالم الإسلامي من الدنس الخلقي والضلال الديني. وهذا أول واجب على عالم للدين.

كان للفراهي قلب يشعر بألم الأمة كما كان يشعر الصحابة بألم أتباع الأمة المحمدية وكان يسعى طول حياته أن يفوز برجال يقدرّون على حمل عواطفه تجاه الأمة الإسلامية فيقوموا بما بعث به الرسول الأُمّي ﷺ وإذا كان لأحد من القراء أيّ شك فيما أقول أو لمحة من المبالغة كمبالغة تلميذ في أستاذه فليراجع ديوانه العربي وليقرأ قصيدته عن طرابلس، التي قيّضت لأجلها الحكومة البريطانية عيناً لها على الفراهي ليتخطف تلك القصيدة ولكنها انفلتت من خطفته وبلغتنا بسلامة، ونشكر كذلك الشيخ اختر أحسن الذي قام بجمع هذا الديوان في حياته وإلا فلا يمكن لأحد سوى الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أن يقرأها بصحة، وأما ملأ الفراغ الذي تركه الإمام الفراهي أو إقامة العوج الذي وقع فيه فهذا مما لم يقدر عليه أحدٌ والآن حينما توفي الشيخ اختر أحسن الإصلاحي لا نرجو ذلك من أحد.¹

¹ هذه ترجمة ثلاث حلقات للمقالة (ديسمبر 1959م ويناير وفبراير 1960م) وأما الحلقات الأخرى فلم نجد لها. (المترجم)

الإمام عبد الحميد الفراهي: حياته وأثاره

- الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي¹

ترجمة من الأردوية: د. أبو آدم فريد بن عبد الحفيظ الهندي²

ولد مفسر القرآن حميد الدين (عبد الحميد) بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج الدين الفراهي في قرية "بهرهما" بمديرية أعظم كره (ولاية أترابرايش، الهند) في شهر جمادى الآخرة 1280 للهجرة الموافق لعام 1862 الميلادي. تعدّ أسرته من الأسر النبيلة في محافظة أعظم كره، التي قد امتازت بثقافتها وعظمتها في ديارها. كان الشيخ حميد الدين ابن عمّ العلامة شبلي النعماني وكان اسمه الحقيقي حميد الدين ولكنه كان يعتبر هذا الاسم العربي (الذي هو لقب من الألقاب) ما لا يليق به فكان يكتب اسمه في مؤلفاته عبد الحميد بدلاً من حميد الدين.

حصل الفراهي على العلوم الابتدائية في منزله فحفظ القرآن الكريم أولاً ثم تعلم اللغة الفارسية على الشيخ مهدي حسين التشاروي. ومن المعلوم أن اللغة الفارسية وآدابها كانت أهم جزء من أجزاء ثقافة الطبقة النبيلة (التي تسمّى في الهند طبقة الأشراف) في تلك الفترة، ولقد تبخّر الإمام الفراهي في هذه اللغة في وقت قصير ببطانته وذكاه الفطري حتى جعل يقرض الشعر بهذه اللغة. ولقد وهب ذوقاً فطرياً للشعر فرغب فيه شديداً حتى بدأ يكتب الشعر فيها كمثل الشعراء الأساتذة.

وبعد دراسة اللغة الفارسية بدأ يتعلم اللغة العربية وآدابها على العلامة شبلي النعماني فتعلم عليه العلوم المتوسطة ثم توجه نحو مدينة لكناؤ وانضم إلى حلقة الشيخ عبد الحي أستاذ مدرسة فرنغي محل وتعلم عليه بعض الكتب العربية، وفي

¹ أستاذ الحديث السابق لدار العلوم بديوبند ومدير تحرير مجلتها الشهرية السابق

² محرر، السفارة اللبنانية في الهند

نفس الوقت حضر جلسات أستاذ الفارسية الشهير وشاعرها المجيد الخواجه عزيز الدين عزيز اللكنائي حتى تعلق به تعلقاً وطيداً وعقد معه أواصر الود. ثم قام برحلة علمية إلى مدينة لاهور (حالياً في باكستان) وتلمذ على الأديب الشهير العلامة فيض الحسن السهارنفوري¹ الذي كان أستاذ العربية في كلية أورينتال بمدينة لاهور وكان يفقد نظيره في علوم العربية في ذلك العصر في شبه القارة الهندية كلها فاستفاد منه الإمام الفراهي استفادة علمية كاملة وعلمه العلامة السهارنفوري العلوم والآداب المختلفة (خاصة العربية والفارسية) برغبة ومحبة. ولقي بها الإمام الشيخ وحيد الدين سليم الباني بتي، فأصبحا صديقين حميمين وبقيت هذه الصداقة الوطيدة إلى حين وفاته. وبفضل هذه الصداقة وصل الشيخ وحيد الدين بالجامعة العثمانية بحيدر آباد. وبالجمله فقد فرغ الإمام الفراهي من دراساته العربية في العشرين من عمره في عام 1300 للهجرة المصادف لعام 1884 الميلادي ونبغ في العربية وآدابها إلى حد فقد نظيره في تلك الفترة كما يشهد بذلك ديوانه العربي.

وبعدما انتهى من تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية التحق الإمام بكلية علي كره لتعلم اللغة الإنجليزية في عشرين من عمره. ولقد تبخر الإمام بالفارسية والعربية عند التحاقه بالكلية تبخراً يمكننا تقديره من أن السير سيد أحمد خان شيخ الكلية كتب بنفسه رسالة توصية إلى عميد الكلية الإنكليز قال فيها: إني أبعث إليكم طالباً يمهر بالفارسية والعربية إلى حد لا يوجد له مثيل في أساتذتكم دغ أن يصارعه أحد من طلابكم". ولنعلم أن العلامة شبلي النعماني كان من أساتذتها والذي كان فريد عصره في معرفة العربية والفارسية.

¹ كان العلامة فيض الحسن السهارنفوري تلميذ العلامة فضل حق الخير آبادي. وكان العلامة الخير آبادي أستاذ المعقولات والأدب العربي كليهما. وإن العلامة فيض الحسن كان أديباً بارزاً لم تنجب الهند إمام الأدب مثله في مئة سنة الماضية. تلقى الحديث على الشيخ أحمد بن سعيد الدهلوي. وقضى جل حياته في التدريس والتأليف. توفي في 12 / جمادى الأولى 1304 للهجرة (نزهة الخواطر، ص 366 وحيات شبلي، ص 80)

وفي زمن تعلّمه في علي كره طلب السير سيد أحمد خان من الإمام الفراهي أن يترجم بعض أجزاء السيرة النبوية من كتاب طبقات ابن سعد إلى الفارسية ثم أدخلها في مقررات الكلية الدراسية. وحين الإقامة بعلي كره ركّز الإمام عنايته على تعلّم الفلسفة الجديدة بجانب تعلّم اللغة الإنجليزية والعلوم الأخرى إلا أنه نال شهادة البكالوريوس من جامعة إله آباد (ولاية أترابرايش) ثم في 1311 للهجرة/1895 الميلادي أراد أن يؤدّي اختبار الماجستير في العربية ولكن بسوء الحظ لم يتحقق حلمه هذا بسبب بعض أمراضه.

وفي عام 1313 للهجرة الموافق للعام 1897 الميلادي أنهى الإمام سلسلة دراسته وعيّن مدرّساً في مدرسة الإسلام بكراتشي (حاليًا في باكستان). وهي من أقدم المدارس الإنكليزية للمسلمين ولها شهرة كبيرة في مدينة السند فمكث بها الإمام حتى 1324هـ/1906م وخلال قيامه (1321هـ/1903م) بهذه المدرسة طبع ديوانه الفارسي كما انتهى من تأليف كتابه الآخر "جمهرة البلاغة". وفي نفس الفترة (حوالي 1322 للهجرة المصادف للعام 1904 الميلادي) عندما قام اللورد كرزن برحلة بحرية سياسية للخليج الفارسي وجمع شيوخ السواحل وأمراءها العرب للقاء معه، اختير الإمام الفراهي كمتّرجم لهم. وبالإضافة إلى ذلك في عام 1324 للهجرة المصادف لـ 1906 الميلادي أعلنت الحكومة الإنكليزية بإعطاء مبلغ كبير خاص بأستاذ العربية لكلية علي كره بشرط أن يكون الأستاذ من أصل أوربي فانتخب الفاضل الألماني يوسف هارويز كأستاذ العربية كما اختير الإمام الفراهي كأستاذ مساعد له في قسم العربية. فرجع الإمام من لاهور إلى علي كره حيث أكمل عليه الفاضل هارويز تعليمه العربي كما تلقّى عليه الإمام اللغة العبرية وفي نفس الفترة في علي كره ألّف الإمام كتابه القيم "أقسام القرآن"؛ ثم زاد فيه وطبعه بعنوان "إمعان في أقسام القرآن" من علي كره. وبجانب نشر "أقسام القرآن" نُشر تفسيره لسورة المسد وسورة القيامة في سنة 1906م/1324هـ اللذان قوّهما العلماء والباحثون خير تقييم.

وبعدما قضى سنتين كأستاذ مساعد في كلية علي كره عين الفراهي أستاذ العربية في جامعة إله آباد في 1326 للهجرة الموافق لـ 1908 للميلاد. وبجانب تدريس العربية في الكلية كان الفراهي يقضي أوقاته المتبقية في تأليف الكتب وتصنيفها فنشر تفسيره لسورة التحريم كما شرع في ترجمة نصائح سليمان عليه السلام بالشعر الفارسي الخالص من شوب العربية وتلك من اللغة العبرية. بقي الإمام في جامعة إله آباد حتى عام 1332هـ/ 1913م ثم في بداية 1333 للهجرة الموافق لـ 1914 للميلاد انتقل منها إلى دار العلوم بحيدر آباد كعميدها. وكان هدف دار العلوم أن تكون جامعة عربية حيث تُدرس العلوم العصرية وفق الضرورة ولكن الإمام الفراهي قد غيّر خطة هذه الدار فاقترح أن تُدرس العلوم العربية باللغة الأردوية المحلية وأن لا تستخدم العربية إلا في تدريس مبادئ الدين فقبل الراس مسعود والنواب السير حيدر نواز جنغ هذا الاقتراح ولكن لم يقبلوا تدريس مبادئ الدين لكل من الطلاب، الأمر الأخير قد نُقِر الإمام من هنا. فمن عام 1336 للهجرة الموافق لـ 1917 للميلاد بدأ عمل إصلاح كتب المنهج التعليمي في الجامعة العثمانية بحيدر آباد، وجعل الإمام الفراهي عضواً لهذه الهيئة التعليمية وكان يدلي بمشورات جيدة في وضع المصطلحات حتى جاء موعد افتتاحها في 1338هـ/ 1919م. ولقد جعل النواب صدر يار جنغ الشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني الذي قد وصل إلى حيدرآباد على منصب "صدر الصدور"¹ كرئيس دار العلوم. يكتب الشيرواني في إحدى رسائله أن الإمام الفراهي

¹ إن النواب صدر يار جنغ الشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني من أعلام الهند المشاهير. ولد في 28 / شعبان المعظم 1283 للهجرة في مديرية بيكنفور، محافظة علي كره. تعلم العربية وأدائها من الشيخ عبد الحي القائم غنعي والشيخ لطف الله العلي كره وقرأ الحديث على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري في مدينة بوفال وكذلك تلمذ في الحديث على الشيخ عبد الرحمن بن محمد الباني بتي وهو كان ماهراً في اللغة الإنجليزية بجانب براعته في العلوم الدينية. وبجانب الخصائص العلمية التي يتميز بها كان عابداً ومتقياً وبائع الشيخ الشاه فضل الرحمن كنج المراد آبادي. وهو أيضاً مؤلف عدة كتب مهمة. توفي في 7 / ذي القعدة 1370 للهجرة في مدينة علي كره ودفن في دياره. (نزهة الخواطر، ص 101-105)

كان من مؤسسي الجامعة العثمانية ولكنه انفصل منها بسبب بعض الوجوه التي تخفى علينا وخاصة عندما كانت الجامعة العثمانية تشكل هيئة الجامعة، استقال الفراهي عن هذه الدار وغادر حيدر آباد ووصل إلى داره في قرية "پهريها" (بأعظم كره) حيث كان يقوم في بعض الأحيان بمسؤولية الزراعة التي كان قد ورثها عن آبائه كما كان يدرّس بعض الطلاب ولكن كان يقضي معظم أوقاته في ذكر الله وأداء الصلاة وقراءة القرآن الكريم وتدبره. وفي غضون هذه الفترة ارتبط الفراهي بمدرسة الإصلاح بسرائ مير وجعل يرغب في مشاريع تطويرها وتنميتها فكان يقضي ثلاثة أيام في هذه المدرسة في كل أسبوع ويقدم محاضرة علمية على أساتذتها وطلبة السنة النهائية وكذلك كان يلقي المقيمين على المدرسة نظريته التعليمية والإصلاحية. وكذا اختار بعض العلماء فرباهم تربية علمية خاصة لكي يتبنوا أفكاره ونظرياته العلمية والإصلاحية ثم يواصلوا تلك المهمة إلى الأمام. وكذلك رغب في أنشطة دار المصنفين وجعل يحضر جميع جلسات لجنه التنفيذ التي كان الفراهي رئيسها منذ البداية ثم يعين المؤلفين وكتّابها ويرشدهم إلى ما فيه الخير.

ومن الملاحظ أن صحة الإمام كانت جيدة جدًا لأنه كان متعودًا على الرياضة البدنية التي كان أثرها ظاهرًا على صحته ولكنه قد لزمه مرضان؛ الأول الصداق الذي كان يعاني منه كثيرًا والثاني وقف البول الذي أصيب به عدة مرات ففي المرة النهائية ذهب إلى ماثورا لإجراء العملية الجراحية وكان في مستشفاهما أحد أطباء دياره ولكن لم تنجح العملية فذهب ضحيتها الإمام في 19 من جمادى الثاني 1349 للهجرة / 11 نوفمبر 1030 للميلاد ودفن بها في مقبرة المساكين.

ولقد كان الإمام فلسفيًا ومتكلمًا وأديبًا فريدًا وشاعرًا مجيدًا للفرسية والعربية، ولكن هذه المواهب كانت على هامش مواهبه فقد كان الإمام عالمًا للقرآن كبيرًا في الواقع وألقى عصاه لدى كل آية وسورة من القرآن. بدأ الإمام هذا العمل المبارك حينما كان طالبًا في كلية علي كره ولم يزل يتفكر في القرآن ويتدبره حتى لفظ أنفاسه

الأخيرة، وعلاوة على تلك كان الإمام يتحلّى بالقيم الخلقية العليا فكان ينازع معارفه: هل علمه أكثر أم تقواه؟ والواقع أنه كان من الصعب التمييز بين علمه وتقواه.

ولقد كان الإمام تعوّد على الصدق والصبر منذ صغره فكان يواخي العدل والإنصاف في المعاملات حتى كان خصامه يعتمدون عليه في هذه الصفات. فقد اشتهر أن خصام والده قد جعلوه حكماً في إحدى قضايا عقاره التي كانت تجري في المحكمة زمن الإنكليز فراجع الإمام في القضية فحكم الإمام ضدّ والده ولذا انتقل أكبر جزء من عقاره إلى الخصم، والذي كان من المتوقع نقله إلى الإمام ذاته. وعلى الرغم من انحداره من أسرة ثرية وفوزه براتب جيّد، كان الفراهي يعيش عيشة بسيطة ويرتدي ملابس عادية ولم يكن يتكلف في المأكل والمشرب وينفق أكبر جزء من راتبه على شراء الكتب وتجليدها الجميل أو على المستحقين ولا سيما على معونة الطلاب المساكين والنبلاء البائسين ومبلغ النفقة الأخيرة كان أكبر من الأخرى.

وهو كان يحب الخلوة كثيراً ولم يكن يحب لقاء الناس ويفضّل أن يجلس مع طلابه والعلماء وما كان يتحدّث إلا قليلاً وكان حديثه عن العلم فقط فلم يكن الهجاء والغيبة واللوم تجد طريقها إليه، وكان يستيقظ في الساعة الثانية والنصف أو الساعة الثالثة في الليل ويسوّي سريره وفراشه بنفسه لكي لا يتكبّد تلاميذه وخدمه هذه المشقة وبعدئذ كان يؤدي صلاة التهجد ثم ينشغل بعد فراغه من الصلاة بالكتابة إن وجد نفسه صحيحة وصالحة للعمل، ولم يكن يكتب بالنهار إلا قليلاً. والمهم والمميز في حياة الإمام الفراهي هو الأثر الذي كان يقع على أصحابه الذين كانوا يحضرون جلساته. فإن يحضر أحد جلساته نسي الدنيا ومفاتها. فكان العلامة شبلي النعماني يقول عن الإمام: إن من يجالس الفراهي ينفر عن الدنيا وما فيها. ولم يكن الإمام مؤلفاً على عادة مؤلفي وكتّاب عصرنا فلم يكن يحب الكتابة لأجل الكتابة بل كان يكتب عندما يجد شيئاً جديداً حين البحث والتحقيق. ويبلغ عدد

مؤلفاته حوالي ثلاثة وثلاثين كتابًا، ومعظمها مصونة مخطوطة في الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح بسرائ مير. ومن المخطوطات ما هي مكتملة وما هي غير مكتملة، نذكر فيما يلي فهرسًا لهذه المؤلفات والرسائل:

1. فاتحة نظام القرآن: هذه المجموعة تحوي مقدمة تفسيره "نظام القرآن" التي تحدّث فيها عن أصوله للتفسير وفيها تفسير البسملة وسورة الفاتحة.
2. إمعان في أقسام القرآن: هذه الرسالة تبتدئ بحقيقة القسم ومبادئه ثم يبيّن الأقسام التي قام بها الله في القرآن المجيد. ولو أنّ هذا الكتاب لا يكبر في الحجم ولكنه يتفوّق على الآلاف من الكتب لاحتواء مباحثه.
3. الرأي الصحيح في من هو الذبيح: هذه الرسالة تناقش حقيقة الذبح ودرجته في الإسلام ثم أثبت بدلائل التوراة والقرآن بالتفصيل أن الولد الذي أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه كان هو إسماعيل عليه السلام لا إسحق عليه السلام كما يدعي اليهود.
4. تفسير سورة الذاريات
5. تفسير سورة التحريم
6. تفسير سورة القيامة
7. تفسير سورة المرسلات
8. تفسير سورة عبس
9. تفسير سورة الشمس
10. تفسير سورة التين
11. تفسير سورة العصر
12. تفسير سورة الفيل
13. تفسير سورة الكوثر
14. تفسير سورة الكافرون

15. تفسير سورة المسد
16. تفسير سورة الإخلاص
17. دلائل النظام: يعزّد الفراهي في هذه الرسالة دعواه أن القرآن فيه نظم محكم واستدلّ عليها بدلائل قوية ثم بيّن الأصول لحل مشكلات النظم عن طريق الأمثلة القرآنية.
18. أساليب القرآن: هذا الكتاب ينطق عن كثير من أساليب القرآن التي تختص بالعربية والقرآن فقط. أوضح الإمام هذه الأساليب في ضوء كلام العرب والقرآن الكريم.
19. مفردات القرآن: بيّن الإمام في هذه الرسالة بعض ألفاظ القرآن الصعبة واختلف في تحقيقها عن المفسرين الآخرين وأصحاب اللغة.
20. أصول التأويل: ناقش الإمام في هذه الرسالة تلك الأصول التي يجب وضعها أمام المفسّر خلال تأويل القرآن والتي قد اتبعها الإمام في تفسيره القيم "تفسير نظام القرآن".
21. القائد إلى عيون العقائد: في هذه الرسالة أوضح الإمام مبادئ الدين من التوحيد والرسالة والمعاد في ضوء آيات القرآن.
22. جمهرة البلاغة: أثبت الإمام في هذا الكتاب أن علم البلاغة مأخوذ من الإغريق ثم أثبت أن هذا الفن لا يكفي لفهم وتحديد بلاغة القرآن ثم وضع أصول البلاغة في ضوء كلام العرب الفصيح التي يمكن بها فهم وتعيين بلاغة القرآن.
23. أسباق النحو الجزء الأول والثاني: في هذه الرسالة ذكر الإمام قواعد النحو والصرف بأسلوب سهل.
24. تحفة الإعراب: في هذه الرسالة ذكر قواعد النحو العربي بأسلوب شعري رصين.
25. أمثال آصف الحكيم: هذا كتاب دراسي مفيد للقراء المبتدئين في المدارس العربية.
26. خرد نامه: هذه ترجمة فارسية خالصة لأمثال سليمان عليه السلام، لم تُستعمل فيها أية ألفاظ عربية.

27. ديوان حميد: ديوان الإمام العربي.
28. نوائي بهلوي: ديوان الإمام الفارسي.
29. رسالة في رد الشفاعة والكفارة (باللغة الإنجليزية).
30. ملكوت الله: ناقش فيها الإمام تلك القوانين التي تتعلق بتطور الأقوام وازدهارهم وفتح الحق وهزيمة الباطل في القرآن ثم أوضح السياسة الإسلامية في ضوء تلك القوانين.
- قد نُشرت هذه الكتب العربية أصلاً وترجمة من الدائرة الحميدية وقيّمها العلماء والباحثون تقييماً. وله مؤلفات ورسائل لم تنشر بعد وهي كما يلي:
31. حجج القرآن: في هذه الرسالة نوقش أولاً المنطق ونقائص الفلسفة القديمة والفلسفة الجديدة ثم ذكرت أصول الفلسفة القرآنية وبَيّنت درجتها العقلية.
32. كتاب الحكمة: تناقش هذه الرسالة حكمة القرآن وطرق استنباطها.
33. كتاب الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ: ذكر فيها الإمام نظريته عن الناسخ والمنسوخ في القرآن.
34. أسباب النزول: بيّن فيها الإمام نظريته عن شأن نزول الآيات القرآنية.
35. الإكليل في شرح الإنجيل: في هذا الكتاب شرح ألفاظ الإنجيل التي حرفها النصارى.
36. رسالة في إصلاح الناس: في هذه الرسالة ذكر الإمام نظريته عن إصلاح المسلمين.
37. الأثران والأديان: في هذه الرسالة كشف عن رموز الأشهر والأيام والأوقات الخاصة في الدين.
38. الرائع في أصول الشرائع
39. إحكام الأصول بأحكام الرسول
40. كتاب العقل وما فوق العقل
41. تاريخ القرآن
42. أوصاف القرآن

43. فقه القرآن

44. فلسفة القرآن

45. سليقة العروض

46. النحو الجديد

ولو أن مؤلفاته غير المطبوعة معظمها غير مكتملة ولكن بإمكاننا أن نقوم بأعمال جلية بناء على المباحث التي تحويها هذه الكتب والرسائل.

وكما ركّز الإمام الفراهي جلّ مؤلفاته ورسائله على القرآن وعلومه فقام بخدمات علمية جلية في هذا المجال كذلك ربّى جيلاً علمياً قرآنياً واصل عمله المبارك هذا ومن أبرزهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي والشيخ اختر أحسن الإصلاحي والشيخ محمد سعيد الندوي والشيخ نجم الدين الإصلاحي والشيخ محمد شبلي الندوي والشيخ عبد الصمد الندوي الذين نالوا شهرة كبيرة في الأوساط العلمية وروجوا أفكار ونظريات الإمام الفراهي في الهند وخارجها.

الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه

دراسة نظرية تحليلية تطبيقية

﴿3﴾

-د. حسن يشو¹

الفصل الثامن عشر: "جمهرة البلاغة" ومحاولة التجديد فيها

تمهيد:

إن كتاب "جمهرة البلاغة"² للإمام الفراهي من الكتب النفيسة التي تحمل إضافة علمية في مجال اللغة العربية وعلومها، وفي مجال القرآن الكريم والعلوم الخادمة له، فالكتاب قمينٌ بالدراسة والتحليل؛ لأهميته، ومكانته العلمية، على الرغم من أنّ صاحبه من الأعاجم، لكنه كان يمتلك رؤية ثاقبة في علوم القرآن وصميم العربية، ولقد انتقد نظرية المحاكاة، وما درج عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، وجعل البلاغة وعلومها في خدمة القرآن الكريم، وهذا ما جعلنا نتعرض لموضوعه في هذا الكتاب. تُرى فما هي قيمة "جوهرة البلاغة" العلمية؟ وأين تكمن إضافاته النوعية؟ ذلك ما نجيب عنه من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: مدخل في نشأة البلاغة وتطورها إلى عهد الإمام الفراهي:

عُني القدماء عناية فائقة بالبلاغة العربية، وكانت تلك العناية مبكرة، ظهرت بذورها الأولى في كتاب سيبويه، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء.

¹ أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة قطر

² وقد تناول هذا الموضوع عند الفراهي "سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي" الدكتور صالح سعيد الزهراني، وعُلق على كتاب "جمهرة البلاغة" الدكتور أحمد مطلوب، عضو المجمع العلمي العراقي، وأمينه العام، بغداد.

وأعطت تلك البذور نبأً طيباً، ظهر في قواعد الشعر لثعلب، والبديع لابن المعتز الذي يُعدّ رائداً في التأليف البلاغي.

وتوالى التأليفُ في البلاغة، وظهرت كتب كثيرة منها: نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، والعمدة لابن رشيق، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، والجامع الكبير لضياء الدين بن الأثير، والبرهان، والتبيان لابن الزمكاني، ونهاية الإيجاز لفخر الدين الرازي، وبديع القرآن وتحرير التحبير للمصري.

وكانت هذه الكتبُ تتخذ عدة طرق في التصنيف، وكانت المسححة الأدبية تلونها بألوان زاهية، وإشراف ناصعة، تحبب البلاغة، وتجعل الدارسين يُقدّمون عليها. ولم تبق البلاغة حرة في التقسيم والعرض، فقد ظهر في القرن السادس للهجرة في خوارزم عالم هو السكاكي (ت 626هـ) الذي ألف كتاب "مفتاح العلوم" وخصّ القسم الثالث منه بالبلاغة التي قسّمها إلى ثلاثة فنون هي:

- 1- علم المعاني.
 - 2- وعلم البيان.
 - 3- ووجوه يُؤتى بها لتحسين الكلام؛ وهي التي أطلق عليها بدر الدين بن مالك (686هـ) في كتابه "المصباح" اسم "البديع".
- وسيطر المنهج السكاكي على دراسة البلاغة، وأول من تأثر به بدر الدين بن مالك، ثم تلاه الخطيب القزويني (739هـ) في كتابيه:

- 1- "التلخيص".
 - 2- و"الإيضاح".
- وتوالى الشروح والتلخيصات، وكان سعد الدين التفتازاني، والسبكي، وابن يعقوب المغربي، وغيرهم من أعلامها.

وحيثما أطلَّ القرنُ العشرونَ الميلادي نَهَدَ بعض المؤلفين ووضعوا كتبًا بلاغية لم تخرج عما اختطَّه السكاكي في "مفتاح العلوم". وحاول المتأخرون أن يضعوا منهجًا جديدًا، ولكن لم تتضح السبيل، ولم يأتوا بما يجعل البلاغة قريبة إلى النفوس على الرغم مما قام به المرحوم أمين الخولي صاحب "فن القول" من رسم منهج جديد لم يطبق حتى اليوم.

وكثرت الدراسات، وتنوّعت الاجتهادات حتى إذا وصلت الأسلوبية بمعناها الغربي تمسك بها بعضهم، ودعا إلى هجر البلاغة العربية والأخذ بالأسلوبية التي هي الوريث الشرعي للبلاغة كما يقول الدكتور عبد السلام المسدي ومَن شايعه من المهوورين الذين انتهوا إلى تقسيم كتبهم الأسلوبية إلى مستويات ثلاثة هي:

1- المستوى الصوتي.

2- والمستوى التركيبي.

3- والمستوى الدلالي.

وما هذا إلا التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية التي حصرها السكاكي في ثلاثة علوم هي:

1- علم المعاني.

2- وعلم البيان.

3- وعلم البديع.

ولا يزال الباحثون والدارسون يُجربون، ولا يزال بعضهم يُنادي بالبلاغة الجديدة التي نادى بها الغربيون في الثلث الأخير من القرن العشرين، ولم تثمر تلك المناداة حتى اليوم بما يطمئن إليه الدرس البلاغي وتهش له النفوس.

ولم يقف أمر البلاغة عند هذا الحد، بل أسهم قوم في البحث خدمةً للقرآن الكريم في غير أرض العرب، ومنهم عبد الحميد الفراهي الذي دعا إلى الأخذ ببلاغة العرب لا بلاغة العجم، في كتابه "جمهرة البلاغة".

المبحث الثاني: سجود العرب لروائع الشعر والبيان:

قال الأعشى (يَهْجُو عُلْقَمَةَ بَنَ عُلَاثَةَ)

تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءَ بُطُونِكُمْ
وجاراتكم غرثى يَبِيتَنَ خَمَائِصًا¹
وَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنَّهُ أَهْجَى بَيْتٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.
وَلَمَّا سَمِعَ عُلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ هَذَا الْبَيْتَ بَكَى وَقَالَ:
اللَّهُمَّ اخْزِهِ، وَاجْزِهِ عَنِّي، إِنْ كَانَ كَاذِبًا.

قال لبيد:

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنَّهَا
زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا²
سَمِعَ الْفَرَزْدَقُ هَذَا الْبَيْتَ فَسَجَدَ، فَقِيلَ: مَا هَذَا يَا أَبَا فِرَاسٍ؟
فَقَالَ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ سَجْدَةَ الْقُرْآنِ، وَأَنَا أَعْرِفُ سَجْدَةَ الشَّعْرِ.
قال الفراهي: كانت العرب تسجد لله تعالى، إِذَا رَأَتْ آيَةً، تَدُلُّ عَلَى حُكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.
كما قال.....³

¹ المشتى: من الشتاء. الغرثى والخميص: الجائعة الضامرة البطن، وزعم الرواة أن علقمة بكى حين سمع هذا البيت، وقال: قاتله الله! نحن كذلك؟. انظر: الحماسة المغربية: 362 1/2، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، طبع دار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1991م. وفي الديوان: "ملء"، بدلًا من "ملء"، وجوى بدلًا من "غرثى" انظر ديوان الأعشى، ص100، طبعة دار صادر، بيروت.
² جلا: كشف، لازم ومتعد، فإذا كان متعديًا فمفعوله محذوف تقديره "وجلست السيول التراب". الطلول: ما شُخص من آثار الدار. زبر: جمع زبور، وهو الكتاب. متونها: أوساطها وظهورها، ولكنه أراد كلها، ولم يخص المتنون. تجد متونها أقلامها: تعيد عليها الكتابة بعد أن درست. انظر: ديوان لبيد، ص165.

³ بياض في الأصل.

قال لبيد:

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا¹
لَمَّا بَلَغَ لَبِيدٌ فِي إِشَادٍ قَصِيدَتِهِ هَذَا الْبَيْتَ مِنْهَا سَجَدَ لَهُ الشُّعْرَاءُ.²

المبحث الثالث: المقاييس الجمالية للخطبة البليغة:

أورد الجاحظ بعض المقاييس الجمالية للخطبة البليغة، وهو يعرض لمفاهيم البلاغة عند سائر الأمم، ولا سيما "الصحيفة الهندية"؛ وقد جاء فيها: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق. ويكون في قواه التصرف في كل طبقة، ولا يدقق في المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً، أو فيلسوفاً عليمًا، ومن قد تعود حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ. وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفيح، وعلى وجه الاستطراف والتطريف. قال: ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحال له وفقاً، ويكون الاسم لا فاضلاً ولا مفضولاً، ولا مقصراً، ولا مشتركاً، ولا مضمناً، ويكون مع ذلك ذاكرة لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفحه لمصادره، في وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظه مونقاً، ولهول تلك المقامات معاوذاً. ومدار الأمر على إفيهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أدواته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصدًا؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها، أمنها فأودعها تهاون

¹ انظر: ديوان لبيد، ص 165.² جمهرة البلاغة، ص 204 - 205.

الأمين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقداراً من الوهن، ولكل وهن مقداراً من الجهل.¹

بناء على هذا يمكن اختزال المقاييس الجمالية للخطبة البليغة، فيما يأتي:

- 1- رباطة الجأش.
- 2- مطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال.
- 3- الاحتفاء بالقول المطبوع.
- 4- التواءم بين اللفظ والمعنى.
- 5- وحدة الخطبة.
- 6- القدرة على تطويع اللغة للأفكار.
- 7- الإفهام.

المبحث الرابع: الغاية من البلاغة تحقيق الصدق:

وعندما نقف أمام "سياسة البلاغة" عند عبد الحميد الفراهي نجد أن "وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة" تمثل أركان البناء البلاغي عنده، والوضوح، والإيجاء، والحيل الأسلوبية تهدف إلى تحقيق غاية كبرى هي: "الصدق"، فالبلاغة هي "حسن في المعنى وتحسين في المبني" ولا يسمى القول بلاغة حتى يجتمع له هذان المقومان الجماليان.

لقد سجل الفراهي على علماء العربية بعض الأخطاء والهفوات، وتكلم على بعض خصائص العربية التي لم يذكرها أحد غيره، وكانت له ملاحظات واستدراكات في علوم النحو والبلاغة وغيرها، كما كانت له نظرات صائبة في ما ينبغي أن تكون عليه علوم اللغة والشريعة.. هكذا فعل القرآن بالفراهي، وهكذا يفعل بكل مسلم غيور، فأين موقف الفراهي هذا من مواقف كثير من العرب

¹ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ط 4، بدون تاريخ: 91/ 92.

المعاصرين الذين ينتسبون إلى العروبة اسمًا، ولكن يولون وجوههم شطر الغرب، فيستقبلون قبلته، ويدورون في فلكه، بعد أن أداروا ظهورهم للعربية والقرآن، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.¹

المبحث الخامس: جمهرة البلاغة وقيمتها العلمية:²

خلف الإمام الفراهي عدة كتب في علوم القرآن وتفسيره، وكان منها كتابه النفيس: "جمهرة البلاغة" الذي قال عنه الإصلاحي:³ "جمهرة البلاغة الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة. ويرى الإمام الفراهي أنّ فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية فجار عن قصد السبيل. وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته، ودعا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم وكلام العرب الأفاضل".⁴

¹ جمهرة البلاغة بتحقيق أحمد حسن فرحات-التقديم، ص 27.

² إن كتاب "جمهرة البلاغة" طبع سنة 1340 هـ في (أعظم كره) بالهند ونفدت نسخته قبل أن يصل إلى البلاد العربية، وهي تحت الطبع الآن بتحقيق زميلي الشيخين العزيزين (الوالد وما ولد): أحمد حسن فرحات (الأب)، ومحمد إقبال فرحات (الابن)؛ وقد جاء عمل المحققين وافيًا؛ حيث أكدا على منهجيتهم في التحقيق فقالوا: لقد قمنا بقراءة الكتاب أكثر من مرة، وقد تبين لنا صعوبته، والحاجة إلى تيسيره للقارئ. فعمدنا إلى الخطوات الآتية:

- 1- أعدنا النظر في تفكير الكتاب، بحيث تكون كل فقرة خاصة بفكرة واحدة، أو قول واحد.
- 2- ضبطنا الكلمات بالشكل شبه الكامل، مع العناية بعلاقات الترقيم، مساعدة للقارئ.
- 3- نقلنا الآيات القرآنية من المصحف الشريف، لضمان عدم الخطأ المطبعي في كتابتها.
- 4- خرجنا الأحاديث النبوية من مظانها في كتب السنة.
- 5- عزونا الأبيات الشعرية إلى مظانها من دواوين الشعر.
- 6- أضفنا إلى الحواشي من التعليقات، ما رأيناه ضروريًا، ومساعدًا على فهم النص.
- 7- تصرفنا في تعديل بعض الكلمات، بما يجعلها أوضح للقارئ -وسنذكر ذلك في جدول خاص ملحق بآخر الكتاب -ليقينا أن المؤلف، لو أتيح له إعادة النظر في الكتاب لفعل ذلك.

³ محقق مفردات الفراهي.

⁴ انظر كتابه السابق، ص 26.

وقد أعجب بهذا الكتاب أيضًا الشيخ شبلي النعماني ولخصّ بعض مباحثه المهمة ولا سيما نظرية المحاكاة، ونشرها في (مجلة الندوة) التي كان يصدرها باللغة الأردنية. وقد نشر الكتاب بعد وفاة مؤلفه، قال الدكتور الإصلاحي: "ونفذ قبل أن يصل إلى البلاد العربية ليأخذ مكانه من البحث والنقاش، فهو فريد في تأريخ البلاغة العربية".¹

قال الدكتور أحمد مطلوب في ختام دراسته لهذا الكتاب: "... هذه جولة في كتاب فريد من نوعه، ألفه مسلم في المشرق الإسلامي، ولم يصل إلى البلاد العربية، ليكون صورة من صور الدرس البلاغي في القرن العشرين للميلاد".

وتكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب في أنه رؤية ناقدة للبلاغة العربية في ثقافتها مع الثقافة اليونانية، حيث أدت تلك الثقافة إلى زرع عدد من الرؤى الجمالية التي لا تتمثل خصوصية البيان العربي، ولا تقف على كمال بلاغته، وبخاصة في كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

كما أن الكتاب "بحث في سياسة الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصية البلاغة العربية، وفلسفتها للفن، وكيف نشأت تلك الفلسفة؟ وما الذي أدى بها إلى الانحراف عن ذلك المسار، من خلال "قراءة شاعرية" تقف على أدق "قوانين الخطاب الأدبي" في التراث البلاغي والنقدي عند العرب.²

المبحث السادس: مقدمة الجمهرة:

بدأ الفراهي كتابه بمقدمة موجزة قال فيها: "سُبْحَانَ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلَائِقِ، فَجَعَلَهُ الْعَيَّ النَّاطِقَ، كَمَا فَضَّلَ مُحَمَّدًا عَلَى سَائِرِ بَنِي آدَمَ، فَأَعْطَاهُ أَلْبَغَ الْكَلِمِ. فَلَنَشْكُرَنَّ رَبَّنَا الرَّحْمَنَ، بِدَايَةِ عَلَى أَنْ عَلَّمَنَا الْبَيَانَ، وَنِهَايَةِ عَلَى أَنْ نَزَّلَ عَلَيْنَا

¹ انظر كتابه السابق، ص 26.

² انظر مقال سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي الدكتور صالح سعيد الزهراني.

الْقُرْآنَ. وَلَا شُكْرَ لِمَنْ جَهَلَ بِالنِّعْمَةِ فَضَيَّعَهَا، أَوْ حَوَّلَهَا فَأَخْطَأَ مَوْضِعَهَا. فَوَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ أَسْرَارَ الْبَيَانِ وَفَضَائِلَهُ، كَمَا وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ وَدَلَائِلَهُ؛ لِنَسْتَكْمِلَ مِنْ فِطْرَتِنَا غُنْصُومَهَا، وَنَسْتَسْقِيَ مِنْ عُيُونِ الْوَحْيِ كَوْثَرَهَا. وَهَذَا أَنَا أَشْرَعُ فِي الْمَقْصُودِ"¹.

هذا كل ما ورد في مقدمة الكتاب؛ إذ إن عباراته قليلة لكنها غزيرة وثرية من حيث الدلالات والمعاني؛ والإمام الفراهي لاحظت في معظم كتاباته الإضافة النوعية مع تحاشي الحشو في الكلام رحمه الله رحمة واسعة!

ثم قال في تضاعيف الكتاب: "إنَّ البيان كالظل والأثر للنطق الذي هو مَقْوَمٌ للإنسان، كما أنَّ النطق ظل من الوحي الأعلى وكلمة الله العليا. فالبحث عن أوليات علم البيان يجلبنا إلى الحكمة الإلهية"².

فلذلك بنى فكرة الكتاب على أن تكون البلاغة في خدمة القرآن الكريم وعلومه. فقال رحمه الله: "كما أنَّ علماء الإسلام، أَقْبَلُوا عَلَى هَذَا الْفَنِّ، لِأَجْلِ الْكَشْفِ عَنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، فَلَوْ أَنَّهُمْ اسْتَقْصَوْا كَلَامَ الْعَرَبِ، وَاقْتَفَوْا آثَارَ الْمَحَاسِنِ فِيهِ، وَقَيَّدُوا بِالْحُدُودِ، وَنَظَّمُوهَا فِي تَرْتِيبٍ حَتَّى يَصِيرَ لَهُمْ مِيزَانٌ وَمَحَكٌّ لِمَعْرِفَةِ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ، ثُمَّ نَظَرُوا فِي بَرَاةِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ الْمُعْجَزِ، لَكَانُوا أَقْرَبَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ".

المبحث السابع: القسم العمومي في الجمهرة:

لقد قسم رحمه الله الكتاب إلى قسمين: القسم العمومي والقسم الخاص. فأما القسم العمومي فهو المنطوي على أصول البلاغة عند الفراهي: وهي: مطابقة الكلام بالمعنى، والوضوح، ونفي الفضول، وحسن الترتيب، والمقابلة، والتشبيه، والتمثيل من جهة الوضوح، وتنقيح اللفظ من المطابقة، وهذه من الموضوعات التي

¹ جمهرة البلاغة، ص 1.

² المصدر نفسه، ص 1.

بحثها البلاغيون المتقدمون. ثم تكلم على الاعتدال، ومطابقة الكلام بالمعنى، وسداجة الكلام، والترتيب، والمقابلة، وتمييز المعاني وفرق درجاتها، وتنقيح الألفاظ، والإيجاز، وأصول الإيجاز والإطناب، والإيجاز والإطناب، وادخار الألفاظ والأساليب، ومنبع الكلام، وواسطة العقد. وبذلك ينتهي القسم الأول من الكتاب.

المبحث الثامن: القسم الخاص في الجمهرة:

لم يُوضِّح الفراهي رحمه الله سبب تسمية القسم الثاني بالخصوصي مع العلم أنه بدأ بدلالة الفصل، وقد يُظن أنه سيتحدث عنه كما يتحدث البلاغيون، ولكنه نحا منحى أقرب إلى الذوق والأدب. يقول: "إن سردت الكلام سرّاً ذهبت غافلاً عن بعض المعاني، بل ربما بدلت المعنى مثلاً إن لم تقف على كلمة المرسلين في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِرُ الْفَرَسُ الْمُرْسَلِينَ﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُنْتَدُونَ ﴿١﴾ [سورة يس: 20-21] غفلت عن قوة الدليل، وأكدت على الأمر كأنك قلت: اتَّبِعُوا اتَّبِعُوا، فهذا مع الغفلة يرد المعنى من الأمرين إلى أمر واحد".¹

لم يتحدث الفراهي في هذا المبحث عن الفصل ومواقعه، وإنما ذكر الآيتين الكريميتين اللتين وقع الفصل بينهما حينما أعاد - سبحانه وتعالى - الفصل (اتَّبِعُوا). والجديد في مبحث الفصل والوصل أن الفراهي ربطه بالخيال، يقول: "ثم الفصل يجعل الخيال جسراً بين معنيين، فإن وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما".²

وعقد مبحثاً بعنوان "حظ السامع"³ وهو رعاية جانب السامع، ومن هذا اللون: الاستفهام لينتبه السامع، والسكوت ليسترخ، وبعض الحذف ليصير السامع متكلماً في نفسه فيعمل عقله، ومنهات الرغبة والنفرة، والالتفات لينتبه بما أحس

¹ المصدر نفسه، ص 62.

² المصدر نفسه، ص 62.

³ المصدر نفسه، ص 63.

من تجديد، والتمثيل ليشاهد محسوسًا، فينتبه من رقدته، وكل تبدل من الحركات، والالتفات وهيجان الضحك والحزن. فهذه مع فوائده الأخر أسباب لانتباه السامع. وتعرض لمباحث الحذف ومواقعه، وإدراج الدليل، والترتيب في النسق، والمقابلة، والاستثناء، وانتهاز الفرصة، والمجاز، والكناية، والتشبيه، ودلالة المجاز في الثرمة، ولسان الغيب، والإشارة والتعريض. وهذه من فنون البلاغة التي وجدت سبيلها إلى التأليف، وإن جاء بعضها متأخرًا في مسيرة البلاغة العربية.

وختم الكتاب بمباحث متفرقة هي: صرف الكلام عن سنته، والجملة المعترضة، ووجوه الخطأ في التمييز بين حسن الكلام وقبيحه، وروح البلاغة وسرها، وكمال البلاغة والإعجاز، ومناط كلام العرب، وأخلاق العرب (قوى العرب العقلية والكلامية) وارتجال العرب، وصوت الخطب، ومذهب العرب في نقد الكلام، وباب من التمرين في النقد، وباب نقد الكلام، والفواصل والقوافي، وبعض هذا ما لم تبثه البلاغة العربية.

المبحث التاسع: موقفه من بلاغة العجم:

لقد انتقد الإمام الفراهي البلاغيين الذين ذهبوا مذهب العجم، ولو أنهم "استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه، وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته- أي إعجاز القرآن- ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم فإِنَّهم أثرت فيهم علوم العجم كما خالطهم سجايهم إلا الأولين منهم كالجاحظ فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز، ولم يبعد هذا إلا لقلّة ممارسته بكلام العرب الخالص. فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة واعترف بفضيلهم على المولدين وقال: "بقول الجاحظ: لم أجد في خطب السلف الطيب، والأعراب الأقحاح ألفاظًا منحولة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعًا رديًا، ولا قولًا مستكرهًا، وأكثر ما نجد ذلك في خطب

المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التحيز والتفكر". فلما تركوا منهج كلام العرب صار أهم شيء عندهم البديع ومطمح نظرهم التشبيه، وعند الأول أولهما منكر، والثاني غير مهم لذاته¹.

المبحث العاشر: موقفه من بلاغة العرب:

ذلك هو موقفه مما سَمَّاه (بلاغة العجم)، تُرى فما موقفه من بلاغة العرب؟ أولاً، فما مصدر حبه للعرب؟ يقول الفراهي فيهم وفي صفة كلامهم: "وكانت العرب على غاية قصوى في تأثرهم بالكلام، وهذا لقوة قلوبهم، وشدة تأثير أقوالهم، فكأن كلامهم يحمل روحاً منهم، وكأن السامع يتأثر له من وجهين:

1- من قوة المتكلم.

2- ومن اعتيادهم التأثير.

وقد قيل: القول إذا خرج من القلب وقع في القلب.

وسذاجتهم وصدقهم، نفت عنهم الخواطر وتشتت البال. وصرف القول عن نهجه الصادق. فكان قولهم وسمعهم من القوة والإصابة كضربة سيف مرهف. ولولا أن كلامهم جماعٌ هَمَّتْهم، ما ارتجلوا قصائد طويلة دامغة، وكانوا أصدق الناس وأنطقهم". يقول رحمه الله: "فاعلم أنه ليس أن العرب أعطوا البلاغة، ولم يعطوا تمييزاً بين محاسن الكلام ومساويه، وانتباهاً لمواضع الجودة والرداءة فيه، فإنهم كانوا يُباهون ببراعة الكلام، ويحكّمون بينهم مَنْ كان أبصرهم بنقده".

ثم يقول: "إن سبيلهم في نقد الكلام لم يكن كسبيل صاحب (أسرار البلاغة) وهو القدوة للذين جاءوا من بعده فاتَّبَعُوا خطواته فكان سبيله سداً بينهم وبين العرب. فلو التزموا كلام العرب ولم يلتفتوا إلى أصول مَهْدَها المبعدون، لكان خيراً

¹ المصدر نفسه، ص 3.

لهم، وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق، وإن لم يكونوا من طريق الصناعة".¹

العرب كما وهبهم الله البلاغة، منحهم القدرة على "سياسة البلاغة". "حتى بلغ أمر البلاغة فيهم منزلة نظام المعاشرة، فكان خطيبهم يأخذ بزمام القوم فيقودهم إلى حيث شاء، ويقوم شاعرهم فيرفع قومه من الأرض إلى السماء، فأجدر بقوم هذا شأنهم أن يجري ذوقهم في هذه الصناعة على سنة وأصول معلومة، وإلا كيف يقضي فيهم حكمهم، أم كيف يدعن لحكمه أرباب العقل فيهم".²

لأن العرب "أذكي الأمم وأسرعهم إحساسًا، وأشدّهم عاطفة كانوا أولى بالشعر من النثر - نثرهم أبعد من نثر الأمم - أهملوا فيه كل ما يناسب الشعر حتى القافية. وربّ خطبة جاءت منهم نظمًا فليس للعجبي أن يفهم نثرهم من غير أن ينظر فيه كأنه نظم مع كلّ ما يختص بنظم العرب خلا الوزن. وليس له أن يمدحه أو يذمه إلا بعد هذه المراعاة. ثم ليس نظمهم كنظم سائر الأمم، ربّ أمة نظمهم كنثر حقيقي كما أن نثر العرب كنظم حقيقي".

المبحث الحادي عشر: نقده لعبد القاهر البغدادي:

قال رحمه الله منتقدًا صاحب "دلائل الإعجاز": "والعجب كل العجب كيف غلب الوهم على صاحب (دلائل الإعجاز) فزعم أنّ المتكلم لا يعنيه إلا المعنى، ولا همّ له في الألفاظ من جهة جواهرها، وخالف جمهور العلماء".³

وتكلم على الوضاحة من جهة اختيار المعاني، وقال: "إنّ العرب كما أنّهم اختاروا للمعاني من الألفاظ ما يكون أحسن تصويرًا لها، فكذلك أنّهم اختاروا لها من المعاني ما يكون أرفق لتوضيحها ورّفّع إبهامها".⁴

¹ المصدر نفسه، ص 4.

² المصدر نفسه

³ المصدر نفسه، ص 31.

⁴ المصدر نفسه، ص 32.

وانتهى إلى أنّ التشبيه "إيضاح، وإعجاب، وتقدير، وتأثير"،¹ وجرّهُ الكلامُ على التشبيه إلى نقد عبد القاهر فقال: "إنّ المؤلّدين زعموا أنّ الندرة والبعد في التشبيه من محاسنه، وقد أسهب الجرجاني - رحمه الله - في إثبات ذلك، وجمع التشبيهات الرديئة، وإنّا نُورد عليك منها لكي تعمل فيها ذوقك وتبين سخافتها".²

المبحث الثاني عشر: نقده لنظرية المحاكاة:

إنّ الفراهي يرجع المحاكاة إلى النطق؛ لأنّ "الإنسان في فطرته ناطق"؛ ولذلك "فإنّ النطق هو الفصل المقوّم له لا المحاكاة كما زعم أرسطو".³ وكان قد قال في أول الكتاب: "إنّ البيان كالظل والأثر للنطق الذي هو مُقوّم للإنسان"⁴ والنطق "مُوَدّع في فطرته - أي الطفل - وكل قوة تلتبس الوسيلة للعمل".

ويمضي الإمام الفراهي في إيضاح ذلك مؤكّداً فهمه ورأيه في المحاكاة، وربط البيان بالنطق الذي هو "زهرة تخرج من كمال الفهم وصلاح البنية"،⁵ ولو "لم يكن النطق في الإنسان لما استطاع المحاكاة"، وقوة النطق هي العلة الفاعلية وأما "المعاني ثم الألفاظ فهما المادة، فالنطق يأخذ المعاني ويُلَبّسها ألفاظاً سواء مما ابتدعها، أو مما تعلمها الإنسان بوسيلة المحاكاة". ثم قال: "علمت أنّ حسن الكلام ليس في محض كونه محاكاةً بل في إبلاغ المعاني من المتكلم، وإنّ غايته ليست إطراب السامع بل كونه سفيراً صادقاً للعقل، وإنّ التلذّذ بها ليس لكون المحاكاة داخلة في عنصر الإنسان، بل لأنّ فيه استعمالاً رفع قواه، وأنّ ليست المحاكاة بل النطق من خصائص الإنسان، وأنّ الصدق يلزم المخبر فإنّ خالطه الكذب أحبطه عن درجته، وأنّ سوء المعنى يمحو عنه اسم البلاغة، فإذا علمت

¹ المصدر نفسه، ص 46.

² المصدر نفسه، ص 47.

³ المصدر نفسه، ص 8.

⁴ المصدر نفسه، ص 1.

⁵ المصدر نفسه، ص 9.

هذه الأمور اتّضح لك الفرقُ بين مذهب أرسطو ومذهبنا، واتّضح لك في هذا الرأي من الائتلاف والمناسبة بين أجزائه مع شرف المكان".¹

المبحث الثالث عشر: استراتيجية الإبداع:

فإن "استراتيجية الإبداع" حسب الإمام الفراهي تقوم على أسس أربعة:

- 3- العلم: حيث يكون المتكلم عارفاً باللغة التي يتحدث بها، ومدركاً لكثير من أساليبها.
- 4- القدرة: حيث يستطيع تطويع اللغة لتجاربه الفنية والجمالية.
- 5- الحكمة والتدبير: حيث يعرف المتكلم جيد المعاني من رديئها حتى لا يقول إلا صدقاً.
- 6- النّفس الخاص: حيث يستطيع المتكلم أن يكون متفرداً في كلامه، فلا يقلّد غيره، وإنما يعتمد على عقله حتى لا يشتبه كلامه بكلام غيره، كما لا يشتبه صوته بصوت غيره.²

المبحث الرابع عشر: انتهاز فرصة الكلام:

إذا كان المبدع يعتمد إلى السكوت عن أشياء بغية استثارة المتلقي ليتحدث عن المسكوت عنه، فإنّ المبدع قد يذكر أشياء يكون في ذكرها ثراءً للنص، وخصوبة لدلالته، ومدة لتساؤل المتلقي عن دلالة الحضور كما تساءل عن دلالة الغياب في الحذف.

والبراعة تكون في طريقة "الذكر"، واستراتيجية المبدع في إيراد الكلام، وهذا ما عرض له الفراهي تحت "باب في انتهاز الفرصة" حيث يعرف المبدع كيف يزرع في النصّ بعض الكلمات أو العبارات أو الجمل ليحملها بدلالات خاصة لا تتحقق في سواها وهو ما يسميه علماء العربيّة "الجملة المعترضة"، فشأن هذه المعترضة

¹ المصدر نفسه، ص 13.

² المصدر نفسه، ص 83.

ليس بهين، فإن لها مواقع خفية لا يظن لها إلا الذي المتوقّد فمتى ما وجد لها فرصة انتهز لها حتى إنه إن فاتته الفرصة ثم تذكرها ندم على فواتها".

المبحث الخامس عشر: روح البلاغة وسرّها:

يقول رحمه الله: "فاعلم أنّ الخطابة لما كان مقصدها العمل، والبغت عليه، فلا بدّ أن تكون مشتملة على الأمور المؤثرة في النفوس، وباعثة لها على عمل يشقّ عليها. فأول الأمر أن لا يكون الخطيب متهماً بالكذب، ولا بضعف الرأي، ولا بضعف الاعتقاد فيما يدعو إليه، ولا بضعف القوة، وقلة الجراءة.

وبعبارة أخرى: أن يكون ممّن تميل إلى قوله القلوب، وتؤثر فيهم شدة اهتمامه، وسبقه إلى ما يدعو الناس إليه. ويعتقدون أن اتباعه يجلب الخير والسعادة، لكونه صائب الرأي بصيراً بتدبير الأمور، جريئاً على اقتحام المكار، قوياً على نيل المآرب. فإذا كان هو كذلك، لا بدّ أن يجري الكلام على سنن الفطرية، فيكون مملوءاً من كلّ عاطفة صادقة قوية مهيجة من الجِدِّ، والتأسّف، والغضب، والرحمة. والقول بالحق والصواب، وفصل الخطاب - في تصوير النافع والضارّ المطلق عليهم كأهمّ يرونها عياناً، ألا ترى النبي ﷺ إذا قام خطيباً، كانت تحمرّ عيناه، كأنه منذر بين يدي عذاب شديد".¹

المبحث السادس عشر: دلالة الحذف عند الفراهي:

يرى الإمام الفراهي رحمه الله "أن الحذف في كلام العرب يجعل كلامهم شبيهاً بالوثبات، والقرآن كمطر السحاب من وجوه مختلفة وهذه الوثبة من بعض وجوه المطر. قال امرؤ القيس في صفة السحاب ومطره:

¹ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه مُنذر جيش، يقول: "صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ" أخرجه مسلم في صحيحه برقم (1441). انظر جمهرة البلاغة، ص 197 - 198.

لها وثبات كوثب الأطباء فواد خطاء وواد مطر
فالكلام الذي لا حذف فيه، لا محل فيه للعقل والنظر، وهو كدبيب النمل،
والعرب لا تستجيده، ولا تتأثر به، لذكائهم وسرعة فهمهم، وتنفرهم عن الفضول
وإن كان ضروريًا عند غيرهم".¹

ويتحدث الفراهي عن حقيقة الحذف وبعض مقاصده؛ فيقول:

ومن أساليبهم الحذف؛ وهو إسقاط الفضول عن القول، والفضول ما يفهم
الكلام بدونه ويتأثر منه السامع. فإن الغرض من الحديث ليس إلا الإفهام
والتأثير. فكلما زاد على هذين أذهل وأبعد وأثقل. ولما كان المستمعون على مراتب
متفاوتة من الذكاء والتأثر، فقد اختلفت الألسنة في مقدار الحذف فيها:

أما العرب: فلذكائهم، وتوقد أذهانهم، فقد كان أنجح الأقوال عندهم ما قل
وكفى، فإن الكلام إذا لم يهذب عما لا فائدة فيه ولا يغني شيئاً سقط عندهم،
ومجته أسماعهم. وذلك لاعتقادهم أن المسهب في الكلام إما أنه أحمق أو يحرق
المستمع، وعلى هذا كان أمر الحذف في كلامهم من بعض سجايهم، وكأنهم طبعوا
عليه، فلذلك تراهم يخالفون السنة الأمم بأمور:

- لم يشكوا كلامهم إلا لأجل العجم.
- جردوا الكلام عن الروابط: كالإضافة، والخبر، والتمييز، والظرفية، وغيرها.
- وهذه درجة عالية من ارتقاء اللسان والبحث المشبع عليه في باب على حدة.
- وأخلصوا الكلام عما دلت عليه القرينة من الفعل، والجواب للشرط،
والقسم، واستقصاء ذلك في النحو.
- أسقطوا من القصة والحجة أجزاء وقضايا لا يكاد يحذفها غيرهم؛ فلذلك
صعب على العجم درك حديثهم، كما لا يدرك حسير القوم شأو حديثهم
والبحث عنه في باب الإيجاز وفيه فوائد جمة.

¹ دلائل النظام، ص 65-68 بتصرف يسير.

- أسقطوا في كلامهم المركب من هيآت الحروف أكثرها، فسبقوا كل أمة بخطهم البديع التركيب.¹

إن مولانا الفراهي يعدّ الحذف من خصائص لسان العرب وخطهم فيقول بمزيد من التوضيح والإيضاحات:

منها كثرة الحذف - اعتمادًا على فهم السامع - فإنهم لذلك هم كانوا يعدون الإطناب عيبًا حتى إن لسان العرب قد بني على الإيجاز خلاف سائر اللغات. فأنواع الكلم مصوغة من المواد، وليست مركبة من السوابق واللواحق، مثلًا كلمة فاعل ليس مثل "كارنده" الفارسي، و"ميكرو" الإنجليزي. وما في العرب من الحروف الزوائد في مثل يفعل، ومفعّل، وفاعلة، وفاعلون. فليس في شيء من السوابق واللواحق. إنما هو من أنحاء أوضاع الزوائد؛ فإنها توضع في أمكنة مختلفة.

الإبداع الأدبي قائم على "الاستقراء الناقص"، فالمبدع ينتقي أحداثًا أو أشخاصًا انتقاءً خاصًا يقوم على التماسك والانسجام، ويشكل وحدة كلية للنص، ومنذ أرسطو والنقاد يؤكدون على وحدة البناء اللغوي وتماسكه.

ومع هذا الانتقاء والتكثيف يعتمد المبدع إلى ترك فراغات في النص يقوم المتلقي بملئها، وبملء هذه الفراغات يشارك المتلقي المبدع في صياغة النص، ويشترك معه في التجربة الفنية، وفي هذه المشاركة الفاعلة تكمن لذّة القراءة.

والبلاغة العربيّة في سياستها للنص الأدبي أفسحت للمتلقي الواعي مجالًا رحبًا في صناعة النص، فليس معنى المعنى والحذف والتأويل والالتفات والمخاتلة الأسلوبية في بعض الفنون البديعية إلا جزءًا يسيرًا من المساحة التي تركتها البلاغة العربيّة للمتلقي ليؤدي دوره الفاعل في القراءة الفاعلة، أو ما يسميها تودوروف القراءة الشاعرية.

¹ أساليب القرآن، ص 25 - 26، بتصرف يسير.

والحذف في سياسة الفراهي للبلاغة ذو أساليب متعددة، ومنازع مختلفة، تارة يكون "بوصل الطرفين في القصة" والغرض ليس إلا صرف الذهن عن أمور لا يعلق به الغرض، ولكيلا يضيع قوة الذهن، ويتفرق همته؛ ومن ذلك ما ورد في قصة مؤمن آل فرعون في سورة "يس" قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْتَبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۖ أَنْتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْلُكُمُ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝﴾ [سورة يس: 20-21] فتكثيف أحداث القصص تم عن طريق الحذف الذي حقق قيمًا بلاغية عظيمة تتمثل في وصل أطراف القصة، وحذف ما يستكره ذكره من أقوال الكافرين وأفعالهم، وتناسي ما فيه الشغب والسرعة؛ لأن حذفه أبلغ وأدل على ما في حقيقة الحادثة من كفيّة في القول والفعل والسرعة.

ويكون بجمع حالات في سياق واحد، حيث تتصل وتتوالى كما في وصف الخيل في أول سورة العاديات: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبَحًا ۖ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدَحًا ۖ فَأَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا ۖ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۖ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝﴾ [سورة العاديات: 1-6].

وكما في قول ابن زبابة الحماسي:

يا لهف زبابة للحارث الصـ صابح فالغانم فالأيـ
حيث جمع المجيئة والفوز والرجوع.

وتارة يكون لاتصال النتيجة بالسبب كوصل أنعام الله تعالى بعد الاستغفار من الذنب "دلالة على سرعة رحمة الله تعالى وأن الكرم لا يحتمل" التأخير كما ورد في استغفار نوح عليه السلام في سورة هود قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [سورة هود: 47-48] فانظر كيف ضم السلام والبركات بدعائه.

وتارة يكون بالتقديم والتأخير في عرض الزمن لأجل التصوير الدقيق للحادثة، كما ورد في قصة نوح عليه السلام حين نادى ابنه للركوب معه في السفينة فأبى، فأغرقه الموج، ودعا ربه فعاتبه الله فاستغفر نوح ربه فغفر له "كل ذلك جاء متأخراً بعد تمام الواقعة ولا شك أن سؤال نوح في ابنه كان قبل غرقه، وقبل استواء الفلك على الجودي. فلو وضع هذه الأمور في محلها الزماني لتباعدت أجزاء التصوير ولم يتضح، حتى إنك لو شئت مثلته على القرطاس.

وأخرى يكون "بإدراج الدليل" لإثارة المتلقي، ومخاطبة النفس الإنسانية بما تحب؛ "لأن المخاطب إذا أحسن بأنك تريد إثبات شيء أخذته التُّفَرَّة، ولكنه إذا جاء مطوياً أثر في قلبه" كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَقَوْمٌ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۖ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۝﴾ [سورة يس: 20-21] فنبه على أنهم يدعونكم من غير غرض لهم. وعدم الغرض لا يكفي للاتباع لمن ضل نفسه ولكنهم مهتدون، فهذا بيان الدليل ليس إلا بطريق الاحتجاج على سبيل الاستمالة ألا ترى كيف خاطبهم بكلام المودة فقال: ﴿يَتَقَوْمٌ﴾ والقيمة البلاغية للحذف عند الفراهي تكمن في أنه "يجعل الخيال جسراً بين معنيين فإن وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما، فكل فصل زيادة في المعنى كأن الكلام وشاح مفصل بشذر من اليواقيت بين اللآلي...". وهذا الحذف يحدث أثراً في النفس الإنسانية عبّر عنه الفخر الرازي (بالدغدغة النفسية).

وإذا كان الحذف يحتاج إلى "تقدير" للمحذوف، وهو الذي يسميه الفراهي "جسراً بين معنيين" مظنته الاختلاف، فإن الوقوف على حقيقة الأمر المقدر يصعب إدراكه وقد يؤدي إلى الزلل وبخاصة في تفسير القرآن الكريم، فالقرآن له نظام من لم يستطع إدراك نظامه وقع في المحذور.

وبناء القناطر وتجسير فجوات النص التي يتركها المبدع في "الخطاب الأدبي" تجعل من المتلقي منتجاً للنص وليس مستهلكاً له، ولهذا فالمتلقي هو الذي يمنح النص وجوده وصيرورته، أو يحكم عليه بالفناء، ولهذا دائماً يعمد المبدع إلى مراقبة

المتلقي، ومراعاته، وربما مداعبته بزرع بعض الحيل الأسلوبية المخاتلة التي تستفز المتلقي، وتستثير قواه النفسية للبحث في أعماق النص، والكشف عن أسرارها "فمنها الاستفهام لينتبه السامع، ومنها السكون ليستريح، ومنها بعض الحذف ليصير السامع متكلمًا في نفسه فيعمل عقله ومنها منبهات الرغبة والنفرة، ومنها الالتفات لينتبه بما أحسن من تجديد ومنها التمثيل ليشاهد محسوسًا فينتبه من رقدته، ومنها كلّ تبدل من الحركات والالتفات ومهيجات الضحك والحزن فهذه الأمور مع فوائدها الآخر أسباب لانتباه السامع..".

المبحث السابع عشر: ميزة الخط العربي:

يقول في تعاريج حديثه عن الحذف: قد علمنا أن اللسان حمولة الخيال، وكذلك الخط حمولة اللسان، وقد علمنا ما في الخيال من السرعة، ثم ما في اللسان. فمهما كان اللسان أبطأ كان قيّدًا وثقلًا على الخيال، وهكذا الخط إذا كان بطيئًا كان قيّدًا على الكلام النفسي، فيتبدل الخيال، فلذلك كلما كان اللسان والخط أوجز كان أحسن وأعون: ولذلك في هذا الزمان احتاجوا إلى الخط السريع؛ لضبط الخطب. والعرب بسرعة فكرهم لم يرضوا بالخط البطيء الذي لم يترق منه قوم إلى الآن. والمتعود بالخط العربي يحقر سائر الخطوط، ويحسبه خط الجهلاء والحمقاء، لا أثر عليه من الصنعة والعقل، فالفكر الذي وضع لهم لسانًا مهذبًا عن الفضول أعطاهم خطأ على غاية من الصنعة وجودة التركيب. وكما أن خطهم يساعد الكاتب فيلقى خياله بسرعة التخيل والكلام النفسي، كذلك هذا الخط يساعد المتعلم، وذلك لأن الألفاظ فيه صورة واحدة، ترتسم بلحظة واحدة في الخيال، وتبقى كصور الأشخاص، وأنت تعلم أن البصر لشدة تمرنه يقدر على حفظ الصور أكثر من سائر الحواس. (فإنك لا تزال ترى حتى في النوم ولا تسمع ولا تشم ولا تطعم ولا تمس إلا بعض الأوقات)، فإذا رأيت ألفاظًا مثلًا: شمس، قمر، نجم، أسد، نخل، رجل، فكأنما رأيت صور أشخاص. وأما سائر الخطوط من خطوط النصارى

والهنود ففيها كل حرف صورة على حدتها، وفي كل كلمة تحتاج إلى حفظ الصور المختلطة الطويلة العريضة، وزاد على ذلك رسم الحركات: ثم في الخط الأروبي الحركات ربما تربو على الحروف، مثل: فائظ فإنه عندهم: ف-ي-ج-ص-ط، أعني Figt، فالخط الذي وضعته العرب أسهل لتعلم الألسنة. ولذلك ترى الفرس والترك والأفغان وأكثر الأمم المسلمة مع حفظهم ألسنتهم تركت خطوطها..¹

المبحث الثامن عشر: وجوه الخطأ في التمييز بين حسن الكلام وقبيحه:

يقول الفراهي رحمه الله: التَّمْيِيزُ بَيْنَ حَسَنِ الْكَلَامِ وَقَبِيحِهِ، سَهْلٌ مِنْ طَرِيقِ الدَّوْقِ - قَبْلَ اسْتِعْمَالِ الْقَوَاعِدِ الْمُسْتَنْبَطَةِ -، فَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يَسْأَلُونَ الدَّوْقَ، وَيَكْثُرُ الْخَطَأُ لِخَطِّهِمْ فِي تَعْيِينِ وُجُوهِ الْحُسْنِ.

وَالْخَلَلُ فِيمَا جَعَلُوهُ أَسَاسًا لِهَذَا الْعِلْمِ مِنْ وُجُوهِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَيْهِ مِنْ مَنْظَرِ الْمَنْطِقِ وَالنَّحْوِ، فَطَلَبُوا حُسْنَ الْكَلَامِ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ الْإِتْرَامِيَّةِ، وَأَجْزَاءِ الْكَلَامِ، فَجَعَلُوا لَهُ أَبْوَابًا مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَالْمُسْنَدِ، وَالْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ، وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ، وَالْوَصْلِ وَالْفَصْلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَاضْطَرُّوا إِلَى تَكَرُّرِ الْقَوْلِ.

وَلَكِنَّ لِلْبَلَاغَةِ مَنْظَرًا خَاصًّا، تَنْظُرُ مِنْهُ إِلَيْهَا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْحُسْنَ إِلَى مَا لَيْسَ بِأَصْلٍ، فَعَكَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَفَاتَهُم مَنَاطُ الْحُسْنِ، بَلْ رُبَّمَا سَلَكَوا طَرِيقًا مُبْعَدًا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَى صُورَةِ الْكَلَامِ وَلِبَاسِهِ، وَذَهَلُوا أَنَّ أَصْلَ الْحُسْنِ فِي حَقِيقَةِ الْمَعْنَى وَمُنْشِئِهِ، فَاکْتَفَوْا بِالْدُّونِ، وَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ النَّظَرُ فِي مَحَاسِنِ أَعَالِي الْكَلَامِ.²

¹ انظر أساليب القرآن، ص 4-5.

² جمهرة البلاغة، ص 196-197 (نسخة فرحات).

المبحث التاسع عشر: مناهج محاسن كلام العرب:

يقول الفراهي رحمه الله: "جُلُّ محاسنِ كَلَامِ الْعَرَبِ يُوجَدُ:

• فِي صِحَّةِ التَّأَثُّرِ.

• وَوَضَاحَةِ التَّصْوِيرِ.

• وَإِصَابَةِ التَّغْيِيرِ.

وهذه الأمورُ تَنْطَوِي أَبْوَابًا مِنَ الْأَسَالِيبِ.

وَأَمَّا حُسْنُ التَّشْبِيهِ، وَالِاسْتِعَارَةُ، فَلَا يُغْنِي شَيْئًا، إِنْ لَمْ يُوجَدْ فِيهِ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ.

وَمِنْ صِحَّةِ التَّأَثُّرِ: السُّكُوتُ، فَإِنَّ مَنْ أَخْطَأَ تَأَثُّرَهُ، لَمْ يَنْفَعْ كَلَامُهُ، وَإِنْ زَخِرْفَهُ بِكُلِّ بَدِيعٍ.

فَمَحَاسِنُ الْكَلَامِ، فَرَعٌ عَلَى حُسْنِ الْكَلَامِ فِي نَفْسِ وَجُودِهِ. وَالْكَلامُ لَا يُجَرِّدُ عَنْ

مَوْقِعِهِ، وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُعْلَمُ مَوْقِعُهُ، فَإِنْ كَانَ كَلَامًا صَحِيحًا، دَلَّنَا عَلَى

مَوْقِعِهِ، - كَمَا أَنَّكَ تَقِيسُ مِنَ اللَّيَاسِ طُولَ اللَّابِسِ وَضَخَامَتَهُ".¹

المبحث العشرون: كم من فصيح كالبيغاء:

قال رحمه الله: "... لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ الصَّنَاعَةَ فِي الْأَلْفَاظِ وَتَجْهِيْزَهَا، عِيَالٌ عَلَى

الْمَعْنَى، فَلْيَكُنْ هُمُ الْمَرْءِ الَّذِي يُحَاوِلُ تَكْمِيلَ النُّطْقِ وَالْبَلَاغَةِ، أَنْ يُكَمِّلَ عَقْلَهُ وَفِكْرَهُ

وَتَمْيِيزَهُ.

فَكَمْ مِنْ فَصِيحٍ، لَيْسَ إِلَّا كَالْبُلْبُلِ وَالْبَبْغَاءِ، يُعْجِبُكَ صَوْتُهُ، وَلَا شَيْءَ تَحْتَهُ، وَهَذَا

هُوَ دَاءُ عُضَالٍ، وَضَلَالٌ بَعِيدٌ، وَأَكْبَرُ مِثَالِهِ أَكْثَرُ كَلَامِ الْحَرِيرِيِّ، فَإِنْ تَرَجَّمْتَهُ رَأَيْتَ

سَخَافَةً جُلٍّ مَقَامَاتِهِ.

وَإِذْ جَعَلَ النَّاسُ هَذَا الْمَذْهَبَ نُصَبَ عُيُونِهِمْ، بَعُدُوا عَنْ أَصْلِ الْبَلَاغَةِ. حَتَّى اجْتَرَأَ

بَعْضُ الْحَمَقَاءِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ أَحْسَنُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَيْنَ الْجِنْفَةُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ؟"²

¹ جمهرة البلاغة، ص 199-200.

² جمهرة البلاغة، ص 126 (نسخة فرحات وهي تحت الطبع).

المبحث الواحد والعشرون: المقابلة وأسباب الدلالة فيما:

قال: ... نَعُدُّ أَسْبَابَ الدَّلَالَةِ فِيهَا، وَلَا نَلْتَفِتُ؛ فَمِنْهَا:

- 1- الوُضُوحُ: فَإِنَّ الشَّيْءَ كَمَا عَلِمْتَ، بِضِدِّهِ يَنْبَيُّ.
- 2- والسَّعَةُ: فَإِنَّ فِي جَمْعِ الضَّهْنِ حَيَازَةً وَإِحَاطَةً، كَقَوْلِهِم: الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ، وَالْدَارُغُ وَالْحَاسِرُ، وَالسَّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ، وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرُ.
- 3- والاعتِدَالُ التَّامُّ-بِنَفِي الطَّرْفَيْنِ-كَمَا تَقُولُ: لَا حَارٌّ وَلَا بَارِدٌ، وَلَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ.
- 4- الدَّلَالَةُ عَلَى مَا خَفِيَ فِي الْمُتَقَابِلَيْنِ-عَلَى سَبِيلِ التَّعَاكُصِ-كَمَا مَرَّ فِي بَابِ الْحَذْفِ.¹

المبحث الثاني والعشرون: كمالُ البلاغة والإعجاز:

يرى الإمام الفراهي أن كمال البلاغة والإعجاز يكون من الجهات الآتية:²

- 1 - من جِهَةِ الْعِلْمِ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ عَارِفًا بِاللِّسَانِ وَأَسَالِيهِ.
 - 2 - ومن جِهَةِ الْقُدْرَةِ أَنْ يَسْلُسَ لَهُ الْقَوْلُ، بِمَا أَرَادَ بَيَانَهُ، فَلَا يُغْنِي شَيْئًا، بِإِظْهَارِ مَا فِي صَدْرِهِ، حَتَّى يَكُونَ الْقَوْلُ مُطَابِقًا بِالمعاني.
 - 3 - من جِهَةِ الْعِلْمِ وَالتَّأَثُّرِ أَنْ لَا يَهْمُ بِمَا لَا يُوَافِقُ الْمَحَلَّ وَالْحَاجَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّدْبِيرَ-الَّذِي هُوَ أَعْلَى غَايَةِ النُّطْقِ-.
- وَكَلَامُ الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ رُبَّمَا يَكُونُ فِي أَدْوَنِ مَنَزِلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ:

فَرُهِيرٌ أَحْسَنَهُمْ قَوْلًا، وَامْرُؤُ الْقَيْسِ أَسْوَأُهُمْ.

وهذه الأمور الثلاثة ليس لها محلٌّ من الإعجاز.

¹ المصدر نفسه، ص 141.

² المصدر نفسه، ص 156 - 157.

4 - الأثر الرابع في الكلام: لهجة المتكلم، وصورة المعاني التي يُفصح عنها.

فإنَّ الكلامَ كما يَحْمِلُ العُلُومَ والعَوَاطِفَ، فكذلك يَحْمِلُ لَهْجَةَ المُتَكَلِّمِ كَأَنَّ المُتَكَلِّمَ، يَرى في كَلَامِهِ إذا نَشَأَ الكَلَامُ من غير التَّقْلِيدِ، فَإِنَّهُ ليس كَلَامَهُ - وهذا خارجٌ عن بَحْثِنَا -.

المبحث الثالث والعشرون: أساليب القرآن عند الفراهي:

الأصل أن الإمام الفراهي سمى كتابه "كتاب الأساليب" وشرع في جمع مادته على عادته، وكان يريده قاعدة لأساليب كلام العرب؛ فقال: "هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصاً بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب، غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلاً على رسول¹" حتى صار بعنوان "أساليب القرآن" وهو اللائق به؛ لأن كل كتابات الفراهي انصبت في تمهيد السبيل لفهم القرآن وتدبره واستخراج أسرارهِ ومعانيهِ العميقة.

وقد ذكر الفراهي أهمية الكتاب والمقصود من تأليف تأصيلاً للفهم الصحيح ونسفاً للتأويل السيء؛ قال: "كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمة ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها، فإن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه بفتح باباً عظيماً لسوء التأويل، مثلاً قالوا: "لا" بما تأتي زائدة، فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، فإنه يجعل النفي إثباتاً، فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب، فنستدل على معانيها ولا نحولها عن مواضعها الخاصة، ومن هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى إقامة الحجة على هذه الدلالات، فإن ذلك جزء من معاني الكلام، والجاهل به

¹ أساليب القرآن، ص 6. وهذا ما صرح به تلميذه شرف الدين الإصلاحي في قوله: "تنكشف بمطالعة القرآن الكريم، وأدب زمان نزول القرآن، أصول الحذف والإيجاز العديدة، رتبها أستاذنا مولانا الفراهي وجمعها في كتاب له كتاب الأساليب" انظر مقدمة تدبر القرآن، 23/1.

كالجاهل ببعض المعاني لكلمة مشتركة، فلا يؤولها إلا إلى ما علم من معانيه وربما يكون المراد غيره".¹

المبحث الرابع والعشرون: موازنة بين الفراهي والزركشي:

إن الإمام الزركشي (794هـ) كان له قصب السبق في إثارة موضوعات علوم القرآن بما فيها أساليبه في كتابه النفيس "البرهان في علوم القرآن"، وقد اعتنى فيه بالنواحي البلاغية وأساليب القرآن الكريم، ويمكن المقارنة بينه وبين أساليب القرآن عند الفراهي وفق العناصر الآتية:²

1- إن كتاب الفراهي عبارة عن رسالة وجيزة تتحدث عن عموم أساليب العرب، ويقصد إحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها، كما صرح بذلك الفراهي رحمه الله في بداية كتابه حيث قال: "كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمة ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها".³ أما كتاب الزركشي فهو بمثابة الأمهات للكتب المؤلفة في الدراسات القرآنية، ومن ميزاته البارزة: الجمع والاستيعاب والشمول، مع أجود الترتيب والتبويب، وهو في أربع مجلدات ضخمة يجمع ما قاله الأئمة الأعلام في هذا الفن سواء كانوا مفسرين أم محدثين أم أصوليين أم لغويين أم بلاغيين، فيبدو الزركشي في كتابه كأنه يتوخى من خلال كتابه التعرض لجميع المباحث القرآنية واستيعابها بعقلية موسوعية. أما الفراهي فقد اقتصر على مبحث قرآني محدود، وناحية مخصوصة من الكلام الإلهي.

¹ أساليب القرآن، ص 155.

² انظر الإمام الفراهي وجهوده في التفسير، ص 204-205، (مع تصرف يسير).

³ أساليب القرآن، ص 155.

2- تصدى كلا الكتابين للمباحث القرآنية والأساليب البيانية من أسلوب الخطاب والالتفات، ومواقع الحذف والعود على البدء، والوصل والفصل والتذييل، إلا إذا أمعنا النظر بين الكتابين نجد أن الفراهي أقدر من الزركشي على تفسير مكنونات صدره وإثبات رأيه بكثير، كما أن الفراهي يمتاز أيضاً عن الزركشي في الإتيان بنكت شريفة ولطائف دقيقة، والتي لم أجدها عند الزركشي في "البرهان"، انظر في هذا المقال: "مبحث القرآن والوصل"، والفرق بينهما في كتابه الأساليب، وهو يدل على عقلية الفراهي المبتكرة، وطبيعته المخترعة المتوقدة، أما الزركشي فهو يقتصر على الاهتمام بنقل الآراء عن الآخرين أكثر من الاهتمام بالاختراع والابتكار.

3- نجد ذكر مبحث الالتفات في الكتابين كليهما بغاية من الإسهاب والتفصيل فقد توسع المؤلفان كلاهما في بسط الحديث عن الالتفات وتقديم الأمثلة والأدلة من كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم، إلا أن الفراهي يتفوق على الزركشي بذكر الفوائد والحكم الخفية من معي الالتفات في القرآن الكريم، يقول الفراهي وهو يذكر فوائد الالتفات: "اعلم أن الالتفات في القرآن كثير جداً في كلام العرب، ومن فوائده العامة:

- انتباه السامع تصغيراً له وإعراضاً عنه.
- ومنها صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم.
- ومنها التعريض بمن يتوقع منه الإنكار أو الكراهية.
- والالتفات من مخاطب إلى مخاطب.
- والالتفات لتنويع المعنى.
- والالتفات لإرادة التوبيخ".¹

¹ المصدر نفسه، ص 170.

المبحث الخامس والعشرون: خصائص الكتاب وميزته:

تبدو في كتاب "جمهرة البلاغة" نزعة الفراهي واتجاهاته واضحة كل الوضوح، وتمثل فيما يأتي:¹

- 1- الاعتزاز بالعرب؛ لأنهم من أذكي الأمم كما يرى.
 - 2- الاهتمام باللغة العربية ذات الخصائص التي تميزها عن اللغات الأخرى ولا سيما لغة اليونان التي استقى منها أرسطاطاليس مفهوم الشعر والمحاكاة.
 - 3- تمسكه ببلاغة العرب والعزوف عن بلاغة العجم.
 - 4- العناية بالأسلوب العربي البليغ.
 - 5- الاطلاع على أهم كتب البلاغة العربية، وعلى كتب أرسطاطاليس، والشعر العربي.
- هذا، وإن من أهم ما تجلّى في الكتاب:

- 1- تقسيم مباحث البلاغة إلى قسمين: القسم العمومي والقسم الخاص، وهو تقسيم جديد لم تألفه البلاغة العربية في تاريخها الطويل.
- 2- ربط البلاغة بالنقد، واتخاذها مقياساً في الأحكام النقدية.
- 3- وضوح النزعة الأدبية في العرض والتحليل.
- 4- إبداء الآراء الخاصة في القضايا المختلفة، ومن ذلك: نقض نظرية المحاكاة لأرسطو، ونقد عبد القاهر الجرجاني، والتميز بين بلاغة العرب وبلاغة العجم، والفرق بين الشعر والخطابة، وغير ذلك من الآراء المبثوثة في مباحث الكتاب.
- 5- إلحاق بعض المباحث العامة المتصلة بالنقد.
- 6- وضوح أسلوب الكتاب في العرض والتحليل.

¹ انظر التعليق على كتاب "جمهرة البلاغة" الدكتور أحمد مطلوب، عضو المجمع العلمي العراقي، وأمينه العام، بغداد.

ومن هنا تأتي أهمية الكتاب، وتأمل ما ورد فيه من مباحث وآراء، يرفد الدرس البلاغي والنقدي، ويُضيف ما فيه النفع وإنارة السبيل يوم تلبس البلاغة العربية ثوبها الجديد.

الفصل التاسع عشر: أقسام القرآن ودلالاتها عند الفراهي

تمهيد:

لقد اعتنى الإمام الفراهي بأقسام القرآن ولم يسلم بكل المعلومات المتداولة في تعاريج علوم القرآن ومقدمات المفسرين، وإنما أفرده لأهميته في رسالتين إحداهما "أقسام القرآن": وهي رسالة صغيرة، والثانية هي كتابه: "إمعان في أقسام القرآن"، وهو البحث الأوسع الذي صبّ فيه أفكاره! تُرى فما هي أهم محطاته في محاور أقسام القرآن؟ وما هي تأويلاته لدلالاتها في القرآن الكريم؟ وما أهم الشبهات الملفقة بين يدي الموضوع؟ وكيف عالجها وحلّها الإمام الفراهي؟ هذا ما يجيب عنه هذا الفصل من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: ماهية "أقسام القرآن" وقيّمته العلمية:

أسلفت أن الإمام الفراهي قد أفرد موضوع أقسام القرآن في مؤلفين جليلين: "أقسام القرآن"، و"إمعان في أقسام القرآن"؛ وهذه قائمة المباحث في كتابه "أقسام القرآن":

- 1- أصل القسم هو الإشهاد.
- 2- القسم بغير الله هو الإشهاد بلسان الحال.
- 3- القرآن دل على هذا الأمر.
- 4- القسم في القرآن تعبير عن الآية الدالة.
- 5- هذا الرأي ملمح للمفسرين من قبل.
- 6- الفرق بين القسم وما يشبهه به مما لا يليق بالله.

7- لا حرج في غموض جهة الإشهاد.

وأما قائمة المباحث في "الإمعان" فهي:

- 1- تاريخ القسم وحاجة اناس إليه وطرقه المختلفة، والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر.
- 2- بيان العلاقة بين القسم والمقسم به من حيث اللزوم وعدمه، وعلى وجوه الإكرام والتقديس، والاستدلال للمقسم به مع الشواهد.
- 3- شرح دلالات القسم الاستدلالي.
- 4- توضيح أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن.
- 5- ذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها.
- 6- التفريق بين ما يحسن وما لا يحسن من القسم.
- 7- قراءات في الإنجيل عن القسم وتوجيه تلك القراءات.

فقد رد الفراهي في "الإمعان" على الشبهات كما سيأتي، وبَيَّن فيه أن القسم إذا كان مجرداً عن المقسم به لأنه ليس من لوازمه؛ فإنما يراد به تأكيد قول وإظهار عزم وصريمة. ثم إذا أقسم بشيء فإن المقصود هو الإشهاد، حتى في الإيمان الدينية، وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به لا من جهة أصل معنى القسم. وربما يكون القسم لمحض الاستدلال. وأما أقسام القرآن فليست إلا للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة، وهذا ما يلوح بجلاء في تفسير الفراهي للسور التي تنطوي على أقسام.

هذا وإن الشيخ سليمان الندوي قد أثنى على الكتابين في أقسام القرآن فقال: "بعد الفراغ من تأليف "أقسام القرآن"، شرع الفراهي في تأليف "الإمعان في أقسام القرآن"؛ ويتجلى في ذلك دقته وبراعته العلمية وعبقريته في البحث والتحليل، فسبق به الأولين، وتطفل على مائدته الآخرون".

وأما كتاب "الإمعان"؛ فإنه تفرغ فيه لرد الشبهات الباطلة الواردة عليه، ومنها شبهة أن القسم يقتضي شرف المقسم به وعظمته وقد نسفها الإمام الفراهي نسفاً بمنجنيق الدليل كما سيأتي.

قال أبو الحسن الندوي: "جاءت هذه الرسالة - على قصر قامتها وكبر قيمتها - تنوب عن المكتبة القرآنية في موضوع أقسام القرآن بصفة خاصة مع احتوائها على لطائف مفتقة للفريجة ومنيرة ومثيرة لإمعان الدراسة في القرآن والتدبر من جديد".¹

وقال الندوي كاشفاً عن أهمية ما كتبه الفراهي في الموضوع، ومنهجه فيه، وعن مزاياه: "وقد جمع هذا الكتاب بين التدبر العميق في دراسة القرآن والتشبع بروحه، والاطلاع الواسع على أساليب البيان والبلاغة، والتعبير عن مكنونات الضمير في لغات مختلفة، والاطلاع على تعبيرات الصحف السماوية والأساليب الدينية البيانية مع دراسة مقارنة للديانات، واطلاع واسع وتذوق للكلام العربي والشعر الجاهلي، فجاء هذا الكتاب - على صغر حجمه - يجمع بين إزاحة بعض الحجب التي طرأت على هذا الصنف من الإعجاز القرآني وبين مادة ثرية من الأصول الأدبية، ونكت مستمدة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي، ولا يتأتى ذلك إلا لمن جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، وبين التذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، والتشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وبين سلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".²

¹ انظر إمعان في أقسام القرآن، ص 11.

² المصدر نفسه، ص 12.

المبحث الثاني: "إمعان في أقسام القرآن" ورد الشبهات:

لا شك أن الإمام الفراهي كان مولعاً بالدراسات القرآنية حتى النخاع، وكان عاشقاً للقرآن الكريم، ومما يؤكد على ذلك توليه كل المعارك الفكرية للذود عن حياضه، وكان منها موضوع "أقسام القرآن" الذي أفرد فيه كتاب "الإمعان"؛ إذ تعرض فيه للشبهات حوله وردّها. وهذا عرض للشبهات الثلاث:

وقد اختزلت الشبهات في ثلاث رئيسة:

1- القسم نفسه لا يليق بجلالة الله ربنا ﷻ؛ بدعوى أن الذي يحلف على قوله يمين نفسه، ويضعها موضع مَنْ لا معوّل على حديثه، وقد جاء في القرآن: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [سورة القلم: 10]، فجعل الحلف من الخلال المذمومة!

2- القسم في القرآن جاء على أمور مهمة، كالمعاد والتوحيد والرسالة. وزعموا أن لا فائدة فيها للقسم، لا للمنكر بها؛ فإنه يطلب الدليل والبرهان، والقسم ليس فيه شيء منه، ولا للمؤمن؛ فإنه قد آمن بها.

3- القسم يكون بالذي عظم وجلّ. وقد قال النبي ﷺ: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت".¹ فنهى عن القسم بغير الله. فكيف يليق بجلالة ربنا ﷻ أن يقسم بال مخلوق لا سيما بأشياء مثل التين والزيتون وغيرهما؟

مع العلم أن هذه الشبهات رد عليها الأقدمون مثل فخر الدين الرازي وابن القيم ولكنها لم تشف غليل الإمام الفراهي فتولى الرد بنفسه؛ فجاء كتابه على نسق واحد، تكتشف ردوده من خلال العناصر التي رتبها في الكتاب، وبيان دلالات القسم، وأسباب خفاء مقاصدها لدى العلماء. مع ذكر أهمية القسم وحاجة الناس إليه فقال: "إن الإنسان ربما يحتاج إلى تأكيد خبر أو وعد منه، حين يريد

¹ أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، برقم (6475)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار برقم (47) و(74).

أن يعتمد عليه المخاطب وتطمئن به نفسه، ولا سيما في الأمور العظيمة كالمعاهدة بين قوم وقوم أو بين ملك ورعيته أو بين أفراد الناس؛ ليكونوا على ثقة بعضهم ببعض، فيعلموا الموافق من المخالف والولي من العدو. وهذه الحاجة التمدنية دعتهم إلى طرق وكلمات خاصة يعبرون بها عن هذا التأكيد. فكان ذلك أصل قسمهم. فربما عبروا عنه بأخذ اليمين كما علمنا من أحوال الروم والعرب والعبرانيين. فإذا أخذ بعضهم يمين بعض عند المعاهدة أفصحوا بعزمهم وتأكيده. كأنهم قالوا، أننا قد وصلنا أمرنا ورهنا به أيماننا. ولذلك سمو القسم يمينًا، وربما صرحوا بهذا المعنى كما قال جساس:

سأؤدي حق جاري ويدي رهـن فعالي

ومن هنا تضمن القسم معنى الكفالة والضمانة¹.

المبحث الثالث: الأقسام دلالات وليست لتعظيم المقسم به:

ساق الإمام الفراهي ردود الرازي² وابن القيم³ على الشبهات لكنه انتهج نهجًا خاصًا به؛ فقال: "لا يخفى عليك مما سبق من أقوال العلماء رحمهم الله أن

¹ إمعان في أقسام القرآن، ص 15.

² قال الرازي في تفسير الذاريات: "وقد عرفت أن المقصود من القسم التنبيه على جلاله المقسم به". وعلى هذا الأصل قال في تفسير سورة التين: "اعلم أن الإشكال هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بهما؟ فلأجل هذا السؤال حصل فيه قولان" ثم ذكر فوائدهما إن كان المراد منهما هذه الأثمار، وذكر شرافتهما إن كان المراد منهما مسجدين أو بلدين.

وقد علمت أن التمسك بهذا الجواب مع كونه بادي الخلل لا يزيل الشبهة الثالثة، فإن هذه الأشياء التي أقسم بها في القرآن، ومنها: العاديات ضبجًا، والجواري الكنس، والليل، والصبح، والتين والزيتون، ليست من الجلالة بمكان يقسم بها خالقها وربها إن كان القسم لأجل شرافتها. ³ لم يضع العلامة ابن القيم كتابه على شكل المجادلة، فيذكر الشبهات ويجيب عنها، لكنه بحث عن حكمة القسم في القرآن، وبين فيه ما يزيل الوهم ويحسم جرائيم الاعتراض، وركن إلى الجواب الذي استحسنته. ولكنه مثل الرازي لم يتمسك به كل التمسك، فذبذب بين أمرين. وهو في كتابه ربما يشرع في تفسير السور التي فيها القسم، ويخرج من قول إلى قول.

أحسنهم قولاً من يقول إن هذه الأقسام دلالات. ولكن الغمة التي لم تنجل عنهم، والمضيق الذي لم يخرجوا منه هو ظنهم بكون القسم مشتقاً على تعظيم المقسم به لا محالة. وذلك هو الظن الباطل الذي صار حجاباً على فهم أقسام القرآن، ومنشأً للشبهات. فنبطله أولاً حتى يتبين أن أصل القسم ليس في شيء من التعظيم، وإنما يفهم من بعض أقسامه. ثم نبين أن أقسام القرآن بالملحقات ليست إلا آيات دالة، وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية، وليس من القسم بصفات الله كما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله.

ثم نرجع إلى الفرق بين مواقع القسم المحمود وغير المحمود حتى يتبين أن النهي المطلق غير صحيح.¹

ولما تبين أن الأقسام وضعت للاستشهاد والاستدلال كما في كلام العرب والعجم؛ فإن في هذا ردّاً للشبهات الملفقة آنفاً؛ فقال الفراهي: "بعدما تبين لك أن القسم أصله الاستشهاد، وأنه لا يراد من التعظيم، إلا إذا كان بالله تعالى وبشعائره، وعلمت أنه ربما يكون لمحض الاستدلال، لا يخفى عليك أن أقسام القرآن التي بنى عليها المعارض الشبهتين الأخيرتين ليست إلا للاستدلال والإشهاد بالآيات الدالة".²

المبحث الرابع: لماذا خفيت مقاصد الأقسام في القرآن؟

لماذا خفي على كثير من علماء القرآن والمفسرين أسرار القسم في القرآن ومقاصده؛ ولعل الإمام الفراهي علل أسباب الخفاء في العناصر الآتية:³

وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور. وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته.

¹ انظر إمعان في أقسام القرآن، ص 36. وبعد أن ساق أمثلة من الشعر الجاهلي؛ أعقبها قائلاً: "فقد رأيت في هذه الأمثلة أنهم أشهدوا بالقدور، والمدينة، والسماء والريح، والأرض، والأيام، والبلد، والخيول، والفوارس. وليس المراد إلا أنك لو سألتهم ونطقن لشهدن على دعوانا".

² إمعان في أقسام القرآن، ص 45.

³ المصدر نفسه، ص 49 وما بعدها (بتصرف يسير).

- 1- أنه في بعض المواقع كان المقسم به في نفسه شريقًا، مثل القرآن والطور ومكة، أو الشمس والقمر والنجوم، أو العصر والليل والنهار، فلم يحتاجوا إلى جعل الإقسام به استدلالًا. وقد ظنوا أن القسم بالشريف العظيم عام شائع. فإذا وجدوا المقسم به ذا احتمالات أخذوا منها ما يشبه بالشرافة. وبهذا السبب منعوا عن التعرّيج إلى السميت الصحيح. وذهبوا من القسم في مذهب عام، كما أن الماء يجري إلى الخفض إن لم يصرفه صارف.
- 2- أن الحكماء نجعتهم الأمور الكلية. فلا يعجبهم رأي ينخرم بعض جوانبه. ووجه الدلالة في الأقسام مع ظهوره في بعض الأمثلة كان خفيًا في بعضها. ولما لم يتبين لهم وجه الدلالة فيه زعموا أن هذه الكلية لا تصح هاهنا.
- 3- وهو مدار الأولين، أنهم لما وجدوا القسم بالله تعالى وشعائره شائعًا غلب على ظنهم أن ذلك أصله. فإذا وجدوا القسم بغيره جعلوه مجازًا. ثم رأوا أن المجاز لا يصار إليه إلا إذا تعذرت الحقيقة.
- 4- شهرة بعض أمور ذات وجوه على وجه خاص، مثل قصة هلاك فرعون وقومه. فإن المشهور أنهم أهلكوا بمحض الماء، ولا يرون فيه دخلًا للريح. وحقيقة الأمر أنه كان من عجائب تصاريدها بأمر ربها. وهكذا الأمر في طوفان نوح عليه السلام، كما بيناه في تفسير سورة الذاريات. فأينما كانت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه منوطة ببعض الوجوه، خفي وجه الاستدلال على من خفي عليه ذلك الوجه. ولما لم يكن تفصيل هذا القصص من مهمات العقائد والأحكام لم يلتفت إليها علماؤنا رحمهم الله تعالى.
- 5- وهو يشبه ما قبله، أن علماءنا رحمهم الله تعالى شغلهم العلوم العقلية والنقلية المشهورة عن علوم هي أكبر منها نفعًا في التفسير، وذلك هو علم لسان أوحى به إلينا وإلى من قبلنا، وتاريخ هذه الأمم السامية، وعلومهم وأدابهم. وإذا هي لا تختص بمسألة القسم لا نبسط القول فيها.

المبحث الخامس: ما في الأقسام من بلاغة ولطائف:

وبعد أن تأول الإمام الفراهي مقاصد الأقسام على خلاف المؤلف عند المفسرين؛ فإنه يبدع باستكشاف بعض النكات البلاغية واللطائف العريضة بين يدي الأقسام في القرآن؛ يقول رحمه الله: "ثم في أسلوب القسم معان مفيدة للاستدلال مما يفتح عليه من البلاغة أبواباً، ويليقي عليه من المحاسن جلباباً"¹. ويمكن جرد أهمها فيما يأتي:²

1- هو إظهار التأكيد والجد في القول، كما ترى في قول المرسلين من النصارى حيث جاء في القرآن: ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَيْنَا يَكُنْ لِمُرْسَلِينَ﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ [سورة يس: 16-17]، أو كما ترى في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١١﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ﴿١٤﴾ [سورة الطارق: 11-14]، وقد علموا أن الحر المهبذب إذا أقسم على أمر فقد بالغ في إظهار الجد منه، ونفى عن نفسه الهزل.

2- كون القسم إنشاء؛ وذلك يهيم طريق الإنكار على الخصم. فإنه إن شاء أنكر جواب القسم؛ لكونه خبرًا، ولكن لا يسمح له أن ينكر نفس القسم، لكونه إنشاء. كما أنه لا يتوجه إلى إنكار الصفة مع أنهما في الحقيقة من الأخبار.

3- إيجاز هذا الأسلوب للاستدلال: فإن اللفظ إذا قل يترأى المعنى متجرداً عن حجبهِ، فيزيده تنويراً وتأثيراً، كأنه أرهف حده، وقرب بعده. وهذا مما يجعل الاستعارة أحياناً أبلغ من التشبيه. ولا حاجة إلى توضيح حسن الإيجاز فإنه ميسر في كتب البلاغة.

4- وضع الدليل في غير صورته؛ لكيلا يبادر المنكر إلى المخاصمة. وذلك غير معنى الإنشاء الذي مر آنفًا في الوجه الثاني، فإنه يسد باب الإنكار. وهذا إنما يذهل عن الخصام؛ لكونه غير الإنشاء تجده باقيًا في صورة الخبر أيضًا.

¹المصدر نفسه، ص 52.

² المصدر نفسه، ص 52، وما بعدها (بتصرف).

نوجزها في العناصر الآتية:¹

1- إن الفراهي حين تناول هذا الموضوع ليتحدث عن قضية القسم فكان له هدف محدد سعى إلى تحقيقه؛ وهو إزالة الشبهات الناشئة في أذهان القراء عند تلاوة الآيات القرآنية المتضمنة للقسم، كما يظهر من بيان الفراهي في بداية الكتاب حيث قال: "لما كان المقصد الأعظم من هذا البحث إزالة الشبهات؛ أردت أن أذكرها أولاً؛ ليكون الناظر من قبل على بصيرة بمساق الكلام فيتضح له شكل نظامه وغرض سهامه". بينما لم تكن للسيوطي فكرة خاصة وهدف معين لتعرضه لهذا البحث، لذلك نجد الفراهي يتوسع في القول، ويرخي عنان القلم ليفيظ بالأدلة العلمية والشواهد القرآنية والشعرية إثباتاً لرأيه وتحقيقاً للكتب.

2- إن السيوطي نقل آراء العلماء وأصحاب التفسير في كتاب "الإتقان" كما كانت عاداته في سردها دون التمهيص والتنقيح، فكأن مقصوده فيه سرد الأقوال والآراء ولا يعتني بالنقد والنقاش. أما الفراهي فلا يكتفي بذكر أقوال العلماء، بل يضعها على المحك ويميز بين الصحيح والسقيم، كما ذكر ما أجاب به العلامة فخر الدين الرازي وابن الجوزي، ومع ذلك ناقشهما نقاشاً علمياً أصولياً، وبعد أن قام بعملية تحليل الآراء وغرلة الشواهد ذكر الجواب على سبيل الإجمال فقال: "ولكن الغمة التي لم تنجل عنهم والضيق الذي لم يخرجوا منه هو ظنهم بكون القسم مشتملاً على تعظيم المقسم به لا محالة، وذلك هو الظن الباطل الذي صار حجاباً على فهم أقسام القرآن ومنشأً للشبهات، فنبتله أولاً حتى يتبين أن أصل القسم ليس في شيء من التعظيم، إنما يفهم من بعض أقسامه" ثم بيّن أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة، وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية، وليس من القسم بصفات الله كما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله.

¹ انظر الإمام الفراهي وجهوده في التفسير، ص 188 - 190.

- المجلد: 8 — العدد: 2 — 73 — اپریل - یونیو 2019

الفصل العشرون: حجج القرآن

تمهيد:

إن للإمام الفراهي كتابًا بعنوان "حجج القرآن" وهو من أبحاثه العلمية ذات الصلة بالقرآن الكريم وعلومه، وقد برع فيه من حيث الحجاج والاستدلال، وأثار فيه موضوعات منطقية وفلسفية، وناقشها ثم نقضها، واستخدم هذا العلم بحجج القرآن في تقرير مسائل في العقيدة وفهم القرآن الكريم؛ وهو ما نتناول بعضه في هذا الفصل عبر المباحث الآتية:¹

المبحث الأول: مقدمة الكتاب:

جاء في مقدمة الكتاب كلامه الضافي: "الحمد لله الذي خلق الخلق ليعمهم برحمته، وخص الإنسان بالفكر والنظر ليسبغ عليهم أتم نعمته. فبعث فيهم النبيين ليخرجهم من غوائل الجهل وغمته إلى معادل العلم وعصمته، حتى أرسل خاتم النبيين سيدنا محمد النبي الأمي بكمال الدين وتتمته، ومعظم الهدى وجمته. إذ بعثه كافة للناس مبلغًا لآياته ومزكيًا لمن دخل في أمته، ومعلمًا لما نزل إليهم من شرائعه المطهرة وحكمته، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: 164]. فمن تبعه فقد فاز من العلم والإيقان بسهمته. ومن أعرض عنه تعرض للشك وظلمته، وتخبط الشيطان ولمته.

فصل اللهم على جميع أنبيائك المرسلين لا سيما على هذا النبي الكريم وبارك وسلّم على صحبه وذوي لحمته. واهدنا بالنور الذي أنزلت معه إلى صراطك المستقيم وأمته. فإنه لا حول ولا قوة إلا بك ففوضت أمري إليك برمته.

¹ كل ما نورده مقتبس من كتابه: "حجج القرآن" في النسخة الإلكترونية التي بين يدي.

أما بعد! فهذا كتاب من مقدمة نظام القرآن أفردته لذكر أعظم ركن من كتاب الله وأول أمر من نعت هذا النبي ﷺ وآخره، وهي أربعة: تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة كما سبق. فقدم تلاوة الآيات، وختمها بالحكمة. فهاتان كالبذر والثمر، وما بينهما طريق الوصول وأعلامها. فالأولى مقرونة بالأخرى إلا أن يزيغ السالك عن الطريق فيضل عن الغاية كما صرح به في غير موضع "...

المبحث الثاني: محتوى الكتاب:

إن محتوى كتاب "حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة" ينقسم إلى مقدمة وثلاث مقالات.

أما المقدمة فقد ذكر فيها أهمية الموضوع والحاجة إليه كما يأتي.

ثم في المقالة الأولى انتقد المنطق والفلسفة والكلام في ثلاثة أبواب.

والمقالة الثانية في تأسيس العلم وهي أيضًا منقسمة إلى ثلاثة أبواب:

1- الميزان وقد سمّاه المنطق الأعلى.

2- الحكمة البازغة.

3- طريق احتجاج القرآن.

أما المقالة الثالثة فهي تتعلق بحجج القرآن؛ وهي أيضًا تشتمل على ثلاثة أبواب:

باب في أدلة الربوبية، وباب في أدلة المعاد، وباب في أدلة الرسالة.

المبحث الثالث: حاجتنا إلى هذا العلم والأسباب العائقة:

تبدو الحاجة إلى هذا العلم من جهات كثيرة منها:

1- من جهة كونه أساسًا ومفتاحًا.

2- من جهة أنه خطاب إلى أعلى ما في فطرة الإنسان من العلم والرشد.

3- ومن جهة أنه الفارق بين الدين الحق الذي بني على الحكمة والهدى، والذي

بني على محض التقليد والعمى.

وأما الحاجة إلى هذا العلم فليست للتنبيه على شيء قليل مغمور مستور. فإن القرآن مفعم بما يخاطب به العقول لا سيما في بداية أمره والسوابق من سوره، كما لا يخفى على كل من يقرأ هذا الكتاب الحكيم بأدنى تأمل. ولا لبعد وتعقيد في دلائله، فإنها أقرب إلى الفطرة. وقد صرح به كثيرًا مثلاً في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 49]. وقد سمى الله تعالى هذا الكتاب الهدى والفرقان والحكمة والبرهان والحق والتبيان والروح والنور والشفاء لما في الصدور وأمثالها مما يطول استقصاؤه، وهو مبسوط في موضعه.

وإذ كان الأمر كذلك فلم نحتج إلى تأسيس هذا العلم إلا لما هو من العوارض الخارجة. فكما أن الحاجة إلى الدواء تكون لأجل المرض فكذلك احتياجنا إلى هذا العلم إنما لما استحوز على الناس من الأسباب العائقة عن درك ما جاء به القرآن من الدلائل الواضحة. فلنذكر هذه الأسباب لتعلم عمومها وشدتها فيتضح لك مقدار الحاجة إلى العلم الذي يدفعها. فهذه الأسباب على الجملة سبعة:

- 1- أن أكثر الذين معظم همهم التدين والاشتغال بالكتاب والسنة يظنون أن طريق العقل مباين للتعليم الإلهي.
- 2- ما تعلق بالذين معظم همهم المعقول من المنطق والفلسفة، فإنهم قد ابتلوا بعقليات سافلة زائغة عن طريق الفطرة والهدى مفضية إلى محض الحيرة وصريح العمى كما لا يخفى على من نظر في خزعبات المتفلسفين العاشين عن نور الوحي والكتاب.
- 3- إنه قد تعلق بهم من أباطيل المنطق ظن خاص منعهم عن معرفة ما في دلائل القرآن من الرسوخ. وذلك ظنهم بأن القضايا الأخلاقية مظنونيات ولا تقوم بها البرهان، ولم يتفطنوا أنه يهدم الدين كله مع أنه يهدم جانباً عظيماً من حكمتهم وهو الحكمة العملية. فلو لم يكن في المنطق من الضلالة إلا هذا القول الباطل والسم القاتل لكان أولى بأن ينقدوا أمره ويتقوا شره.

4- وهو من قبيل الثالث ما تسلط على المولعين بالهيات الفلاسفة مع إيمانهم بالنبوات من الوهم بأن مسائل التوحيد والربوبية إنما يبرهن عليها بطريق الفلسفة، وأما الأنبياء فلم يأتوا إلا بالإقنايعات. وهذا التوهم صرفهم عن فهم ما أنزل الله من الحكمة البازغة ولم يعرفوا قدره العظيم. وفشا هذا الرأي حتى غلب على المتكلمين ممن آمنوا بالوحي والمرسلين، فصار جل همهم إثبات هذه المسائل على طريق الفلاسفة ولم يعلموا أن الفلاسفة إنما أخذوها من تعليم الأنبياء حسب اعترافهم مع تخليط من عند أنفسهم.

5- أنه لما كانت الغفلة عما هو فوق هذه الحياة الدنيا غالبية على أكثر العقول لشدة انهماكهم في مشاغل هذه المحسوسة الحاضرة وعلومها كما قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة يوسف: 105]. فمع أن دلائل القرآن قريبة من الفطر بل منبهة على الفكر وأصول النظر تراهم لا يتفكرون، ولذلك قد أكثر القرآن من الحث على التدبر والتفكر مثلاً قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: 24]. وهذا كثير جداً.

6- إنه غلب على أكثر الناس الظن بأن القرآن إنما خوطب به الأميون البسطاء فلا يكون موضعاً للتدبر وإمعان النظر.¹

¹ ويرد الإمام الفراهي على ذلك من وجهين:

الأول: إنهم لم يعلموا أن العرب كانوا في أعلى درجة الذكاء لا سيما في بلاغة الكلام وإيجاز الخطاب بل قد بني لسانهم على ذلك. ولذلك كانوا مولعين بجوامع الكلم والخطاب المحكم، وكانت أسماعهم تمج الهنر والبسيط وكانوا يظنون أنه لا يخاطب به إلا الأغبياء. فأنزل الله تعالى القرآن على أسلوب كلامهم كما أنزل على أفصح لسانهم. والقول البليغ الجامع الموجز لا يطلع على تمام معانيه من غير تدبر، فجعلهم بحال العرب وأسلوب كلامهم صرفهم عن التدبر في القرآن.

والثاني: إنهم لم يعلموا أن من أعظم غاية القرآن تربية العقول وتعليم الحكمة كما صرح به في مواضع كثيرة، فلذلك خاصة أكثر من لطائف الأدلة ليتعلموا التفكير والاستنباط. ولذلك كثيراً ما يكتفي بالتنبيه على الدلائل والحث على استنباطها، بل قد ينبه على الأصول الفطرية التي يبني عليها

7- إنه غلب على أكثر الناس الظن بأن القرآن كثير الاقتضاب والانتقال من معنى إلى معنى من غير مناسبة بينهما.¹

المبحث الرابع: طريق استدلال القرآن:

استدلنا من الظاهر على الباطن ومن البادي على الخافي ومن الفرع على الأصل. فإن كان الباطن أصلاً وأساساً لقد كان الظاهر سبباً للعلم ووسيلة إلى المعرفة وذريعة إلى اليقين، وذلك هو طريق القرآن. وهو العبرة بالآيات الدالة على حقائق خفية بينات في صدور الذين أوتوا العلم الذين يستدلون بالمشهود على الغيب، فهم على بصيرة، وذلك هو الصراط المستقيم. فإن الظاهر متصل بالباطن بطرف منه. ومن نظر في أطرافه وجوانبه اهتدى إلى أصله ومبدئه. وأما الملحدون فيحيدون عن هذا الطريق السوي وينكصون على أعقابهم أو يقفون كالأعمى فلا يرون ما وراء الظاهر. فهم القالفون بالقشر من اللب وبالصدف من الجوهر.

عذر العلماء لعدم التفاتهم إلى أدلة القرآن. إنهم كلموا الناس على قدر عقولهم، وهم اليوم مهالكون على الفلاسفة. وعرض الدلائل البسيطة مع صحتها لا يعجبهم ويمدهم طغياناً بأن المسلمين جاهلون بما عندهم. فردوا عليهم بأسلحتهم وعملوا على ما قيل: لا تلقوا الدر بين أيدي الخنازير. وقد تفتن بضعف طريقتهم أهل النظر البالغون مثل الرازي وابن رشد والغزالي وابن تيمية، ووجهوا الناس إلى أدلة القرآن.

اعلم أن القرآن يحتج على الناس بشهاداتهم الفطرية وربما يحتج على فريق بمسلماتهم الخاصة. وبالجمل فلا يطالب المخاطب إلا ما قد سلمه. ولا حجة أبلغ ولا أدمغ من هذه. أما الشهادات الفطرية فإن الإنسان يشهد بلسان حاله على أمور وإنما ينكر بنفس تلك الأمور على طريق المكابرة. فالقرآن ينبه على شهادة

الاستدلال كما هو مبسوط في موضعه. فلما كان القرآن على هذه الصفة من الغور واللطافة خفي كثير من دلائله على من يتوهمه خطاباً عاماً. ولذلك احتجنا إلى بسط الأدلة بذكر ما انطوت عليه من المقدمات المقدره التي إنما يطلع عليها الأذكاء الممارسون بالخطابات البليغة المحكمة.
¹ انظر حجج القرآن، ص 18-28.

فطرته، فإن الله تعالى جعل في الإنسان نفسه شهاداً له على نفسه، فيناديه وهم يجيبون من بين جنبيه، كما قال: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [سورة القيامة: 14-15]. وهذه الشهادة:

(1) إيقانه بالخارج.

(2) وبنفسه.

(3) وإرادته.

(4) واختياره.

(5) ولومه.

(6) وتميزه بين البر والفجور وسائر ما ذكرنا من مجارى اليقين الفطري. وإنما أشهده ربه باضطرار الفطرة. فلو لا فطر على الإقرار لما أتم عليه الحجة. وعلى هذا احتجاج القرآن يسمي فطرياً واضطرارياً. فأما الأمور التي يشهد عليها بلسان الحال فنذكره ههنا جملة على طريق الإيجاز.

1- إيمانه بالغيب. فإنه قد آمن بالمشهود الحاضر، وفي كل ذلك إنما آمن بما غاب عن حواسه، وهو فيه مستدل من الأثر على المؤثر ومن الصفة على الموصوف الذي ليس هو نفسه. وبعبارة أخرى هو يسلم نفس الاستدلال وأصوله.

2- إيمانه بصحة حواسه. فإنه لو لم يؤمن بها لما استدل بها على شيء خارج عنه ولا على أمر داخل فيه من اللذة والألم. وإذا بقي جامداً خامداً لا يتحرك بل لا يتفكر.

3- إيمانه بصحة عقله. فإن ذلك منطو في استدلاله من المؤثر الداخل أو الخارج جاءه من غرف الحواس.

4- إيمانه بصحة قلبه. فإن ذلك منطو في تميزه بين الشر والخير، والضار والنافع. فإنه مجرى جميع إرادته وحركاته. فلو لا ذلك لم يفعل ولم يتحرك، ولكنه دائماً يفعل ويجتهد. فكما آمن بصحة عقله فكذلك آمن بصحة فؤاده.

5- إيمانه بأصول الترجيح والاختيار عقلاً وقلباً. ومجراه إقراره بالأحسن والأقبح. وبعبارة أخرى هو مؤقن بالاختيار لنفسه في العمل. فإن ذلك منطوق في جميع إرادته وأفعاله وتركه.

6- إيمانه بالعدل والحق. فإنه منطوق في إنكاره حقاً لم يثبت عليه. فإن ذلك منطوق في جده وغضبه وخصامه ومعاشرته مع غيره ومطالباته. واعلم أن أصل مكابرتة هو اتباع شهواته الدنية الدانية وتغافله عن الآيات المنبهة على الأعلى الأجل ما هو خير وأبقى، فيناقض حكم عقله وقلبه بأصل الترجيح.

7- إيمانه بالفاطر. فإنه منطوق في إيمانه بما ذكرنا.

المبحث الخامس: ثلاثة أصول:

1- الحق لا يبطل بباطل ولا العلم بجهل. قد أيقنا بأن لنا خالقاً ومنعماً وله علينا حق، وهو أن نشكره ونعظمه. فإن أشركنا به من لم نعلم له حقاً فأبطلنا حقاً بباطل وعلماً بجهل. وهدانا إلى هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [سورة لقمان: 15]، و[سورة العنكبوت: 8]. فذكر الدليل على ترك الشرك كونه غير مبني على علم. وفي هذا الكلام أيضاً دل على أصل ثان، وهو:

2- إنه لا يبطل الفرع الأصل، فإنه تعالى قال قبل ذلك: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِنَّكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: 14]. فإن جاهداك الوالدان على الشرك لا تهدم الأصل بهذا الفرع. ثم دل على أصل ثالث وهو:

3- إنه لا يبطل الحق من الباطل إلا بقدر ما هو باطل فلا عدوان. فلم يأمرنا بنبد حق الوالدين بالكلية بل أمرنا بقوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان: 15].

المبحث السادس: فطرة النفس هي حرية العقل والعمل:

إن العقل السليم والعلم اليقين هما يهريان إلى الرشد إذا اتبعتهما الإرادة والعمل. وذلك هو طريق الفطرة للإرادة، فإن الإرادة لا بد أن تصرف إلى ما هو الخير

وأحسن وأبقى. فإذا جعلنا الإرادة منقادًا للعقل والعلم تركناها على فطرتها واستقامة أمرها وذلك حريتها. فإن من تبين له الرشد ثم أخذ بخلافه فقد ناقض فطرته وأكره نفسه وساقها إلى غير طوعها الأعلى. وهذه الفطرة والإطاعة هي الرشد والدين. قال تعالى في أمر التوحيد: ﴿فَظَرَّتْ أَلِلَّهَ أَلِيَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: 30].

المبحث السابع: الفرق بين العقل الكلي والعقول الجزئية:

وكذلك بين العلوم الكلية والجزئية فإن قال قائل قد علمنا أن دين الفطرة موافق بالعقل السليم، ولكن كيف العلم بسلامته، فإننا نرى العقول متفاوتة ومظنة للفساد والزيغ وبالنتيجة آراءنا مختلفة حتى أن الذين يدعون اتباع العقل لم يسلموا عن التخالف بل هم أشد الناس اختلافًا وأبعدهم اعتسافًا. وأمر الدين عظيم، وقد أصاب أهل التقليد إذ لم يعملوا عقولهم الجزئية في دينهم واعتمدوا على من ظنوه أعقلهم أو على رأي اتفق فيه الجمهور. فاطمأنوا به فاستراحوا عن شبق النفس وشقاق العقل. قلنا إن هؤلاء المقلدين أيضًا ضلوا كما ضل المفتونون بالعقل بل هم أشد الناس عنادًا وأكثرهم إفسادًا. ثم إنهم لم يتركوا أعمال العقل إذ اعتمدوا على من ظنوه أعقل، ولا خرجوا من سلطانه إذ أطاعوا من أطاعوه ظنًا برجاحة عقله. وهذا يثبت أن الإنسان بفطرته تابع لعقله سواء أخطأ أم أصاب ودعا أو أجاب. وإذ لا محيص من إطاعة العقل وهو فطرة الإنسان ونرى اختلاف الناس في آرائهم وأهوائهم لا بد من النظر في نهجه السوي الذي لو عمل عليه لهدى إلى سلامة فطرته. فالعقل هو الميزان الفاروق بين الحق والباطل، ولكن لاستعماله طريقًا وأصولًا. فنذكر أصول هذا الميزان وقد جاء بها القرآن.

الأول: أن الحق الجلي الواضح لا بد من اتباعه إيمانًا وعقلًا. وقال تعالى: ﴿فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس: 32].

الثاني: أن الظن إذا خالف الحق الصريح يترك. قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [سورة يونس: 36]، و[سورة النجم: 28].

الثالث: أن الظن الذي دلت عليه الشواهد يتبع إذا لم يخالفه ما كان أجلى وأقوى منه، وذلك حيث يسكت صريح العقل وكانت القضية من النظريات.

الرابع: أنه لا مناقضة بين حقين.

المبحث الثامن: العقل هو الفارق بين الإسلام والكفر:

اعلم أن سبيلنا سبيل العقل فلا نؤمن إلا بما يتقبله محض العقل ويطمئن به بالهدى الفطري. وإنما جاء الوحي والرسول موافقاً له كالنور للبصر. وصرحت به الكتب المقدسة كثيراً والقرآن أكثرها تصريحاً. فهذا هو الأصل الأول لكتابنا. ثم الأصل الثاني وهو كالتفصيل للأول أن المؤمن يتبع العقل في جميع أحكامه، والكافر يتبعه فيما يوافق هواه وظنه كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [سورة النجم: 23]. فيعيشوا عن هديه.

وقد ضرب الله مثلاً لهديه ونوره والذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، فقال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 19-20].

فهو النفس لهذه الحياة الدنيا يثبطها عن القصد إلى أعلى الخير، وظنونها الباطلة تحجبها عن النظر في محض الحق ولم أر كالظن والهوى عدواً للحق والتقوى. فالظن يزين الباطل في صورة الحق، والهوى يغطي الشر بحلاوة الخير. فهما عثرتان في طريقي العلم والعمل. وأخبر الله تعالى في كتابه الحكيم عمن اتبع الظن وأقبل على الدنيا وأعرض عن أصل الخير ومحض الحق، فقال عز من

قائل: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٣٨) فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة النجم: 28 - 30]. أي لا يطلبون العلم الذي يحتاج إليه من يهمله الحياة العليا التي هي خير وأبقى، ونفصل ذلك.

المبحث التاسع: حجة عامة وخاصة في القرآن:

المتأمل في حجج القرآن إذا مرَّ على حجة أن يعلم موقف الخصم وحينئذ يظهر عليه هل كانت الحجة عامة أم كانت خاصة ومفحمة للخصم المخاطب وإن لم يفحم خصمًا آخر، كما قال:

وربما يجمع القرآن حجة عامة وخاصة كما قال في إثبات الرسالة وهذا القرآن: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ فَجَعَلُونَهُ قِرَاطِينَ تُبَدِّلُونَهَا فَتَحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأنعام: 91].

فالظاهر أن الخطاب ههنا إلى اليهود ولكن بدأ الكلام بدليل عام، فبين أن الإنكار بإنزال الوحي من الله استخفاف بقدره العظيم وهو الهداية والتربية والحكمة. ثم استدل على صدق هذا القرآن بأنه يعلمكم ما لم تعلموه مع ما أنزل عليكم من النور والهدى. فإن كان ذلك منزلاً من الله فهذا القرآن الذي زاد عليه أولى بأن يكون من الله.

المبحث العاشر: الأصول الفطرية:

والأصول الفطرية التي هي مجاري اليقين وهي المبادئ لجميع العلوم والأعمال. قد سبق أن القرآن جعل بناء الحجة على اليقين الضروري الفطري الذي لا يسع العقل أن يعصيه، وهو ينبوع جميع علومه وأعماله ونظيره واستدلّاه. وهو مودع في غور فطرة النفس مكنون كاللب وراء القشور والروح وراء الستور. ولكن يجري منه الجدول، فنقدم الكلام فيما هو أقرب حتى تستعد للنظر فيما هو ألطف وأدق.

فاعلم أن لليقين الفطري مجاري إلى المدركات، وذلك إلهامات. لولاها لم يكن لنا علم ولا بداهة ولا نظر ولا استدلال، بل لولا هي لم تكن لنا حياة فكيف بفكر وإرادة وفعل وعمل. فننظر في حقيقة هذا اليقين وما تضمن من الأصول:

1- هو "أن لكل أثر مؤثراً". وبيان ذلك أن لنا ولكل ذي حياة يقيناً بوجود في الخارج، ولا يظهر ذلك إلا بعد علم حسي به. ومحض الإحساس لا يعطيك يقيناً بالموجود في الخارج، فلا بد أنك تستدل بنوع من الاستدلال الفطري من الأثر على المؤثر.

2- "أن النفس ذات غير صفاتها". وبيان ذلك أن إذعان النفس بالخارج مبني على إذعانها بكونها غير الخارج، فلا بد أن النفس قد ميزت بين الحاس العالم وبين المحسوس المعلوم وإلا جعلت المحسوس متحدًا، بها فلم تدعن بكونه خارجًا عنها.

3- هو "أن الصفات لا بد لها من ذات تحملها" وهذا داخل في ما ذكرنا في الإلهام الثاني من تمييز النفس بين ذاتها وصفاتها. فكما أنها موقنة بوجودها وجودًا حاملاً، فكذلك هي موقنة بوجود صفاتها وجودًا قائماً بها.

4- "أن النفس ذات إرادة واختيار وفعل". وبيان ذلك أن النفس كما هي ذات علم وإدراك فكذلك هي ذات لذة وألم، ورغبة ونفرة، واختيار وإرادة، وفعل وتصرف. فإنها تميل إلى شيء وتكف عن آخر، وتحكم بكون أمر حسناً وآخر قبيحاً، ولا يكون ذلك إلا بأنها تميز بين المرغوب والمكروه وبين الفعل والترك. ولولا يقين لها بالاختيار والتصرف لما أرادت فعلاً ولا جهدت لشيء. وكما أن يقينها في باب العلم ملهم، فكذلك يقينها في باب الفعل والإرادة ملهم فطري.

5- وهو منطوق في الرابع وذلك "أن هناك منفعلاً غير النفس". فإنها لو لا أيقنت بذلك لم تبسط يداً ولم تقبض على شيء ففعلها مبني على يقينها بانفعال غيرها، وأول جريانه في استعمال قواها الفطرية والحسية وآلاتها الجسمانية. فإذا حركت يداً ومدتهما إلى محسوس أو قبضت على شيء، وكررت هذا الفعل تيقنت بتصرفها فيما هو خارج عنها، فتيقنت بكون الخارج المحسوس منفعلاً لها ومتأثراً لعملها.

- 6- "التمييز بين المدرك واللامدرك". النفس تميز ذاتها عما ليس مثلها، فإنها تجدها متصفة بصفات الإدراك والإرادة والحب والكره وتجد صفات آخر تدركها. ولا تجد نفسها حاملة لها فتوقن بأن حاملها غير مماثل لها. وإذا أيقنت بأن لكل صفة حاملاً فتوقن بوجود متصف بتلك الصفات. ومن ههنا لم تزل موقنة بالأجسام، ولولا ذلك لم توقن بالخارج المحسوس ولم تجعله موضع تصرفه وعمله.
- 7- "التمييز بين الخير والشر، والبر والإثم، والقسط والظلم". كما أن النفس تحكم بالموجود المدرك واللامدرك، والحامل والمحمول، وكما تحكم بمرغوب ومكروه فكذلك تحكم بالفرق بين مرغوباتها ومكروهاتها. فلا تجعل كل مرغوب فيه خيرًا وبرًا ولا تجعل كل مكروه شرًا وإثمًا. وبذلك تجدها بين جاذبتين: عالية وسافلة، وتحس بمناقضة واختلاف في ميلها. ومع ذلك تعلم العلو من السفلى والطيب من الخبيث فتمدح وتذم، وتعظم وتلوم، وتفرح وتستحي، وتغار وتحب.

المبحث الحادي عشر: كيف نفهم الأمثال؟

إن المثل حسب الإمام الفراهي هو نوع من التشبيه ويخص المثل أن يكون للتعليم، وبذلك هو ضرب من الحكمة. فإنه إنما يضرب لإحضار الشيء عند الذهن في صورة شيء آخر يماثله ويشاركه في حكم هو أظهر في ذلك الشيء الآخر. وذلك ليتبين للذهن الحكم الذي يعطيه للشيء الأول إذا تصوره، فإنه إذا لم يتصوره أو تصوره خلاف ما هو عليه لم يحكم عليه بالحق وربما حكم عليه بالباطل. ومن ههنا لا بد أن يكون المثل لتصوير الشيء بحيث يدل على حقيقة الشيء، وذلك هو طريق من يهدي إلى الحق. وأما المغالطون فيصرون الشيء على خلاف حقيقة يأخذهم بعض الظاهر التي لا أثر لها في حقيقة الشيء. وهذا هو الغالب في التشبيهات الشعرية، وبذلك يلبسون على السامع ليحملوهم على حكم يوافق هواهم.

وعلى كل حال:

- 1- فلا بد أن يكون المثل واضحاً في التصوير.
- 2- وأن يكون الحكم واضحاً في المشبه به.
- 3- ثم في المثل الحق لابد أن يكون الحكم في نفسه ثابتاً للمشبه. ولكن خفياً عند من لم يتصوره كما هو، فإذا صور له بالحق ظهر ذلك الحكم. وإظهار الحكم هو غاية المثل، وضرب المثل لغیر غاية لغو في الكلام ولغاية فاسدة إضلال. ثم بعد ذلك أمر زائد يزيد المثل بلاغة، وهو تفصيل المشبه به وذلك لغرضين:
الأول: تطويل الذكر لكي يتمكن التصوير في ذهن السامع.

والثاني: تكميل التصوير لكي يتبادر الذهن إلى الحكم إما بمحض كون المشبه متصفاً بوصف المشبه به أو بشدة ذلك.

ثم فوق ذلك أمر آخر وهو أن تكون تفاصيل المشبه به المذكورة في المثل مطابقة بتفاصيل المشبه التي لم تذكر. وفي ذلك يحتاج إلى تفكير لمعرفة وجه التطبيق، وبه يكون حظ العاقل من المثل المفصل المطابق أكثر من حظ العامي، بل تتفاوت فيه العقلاء. فمنهم من يقنع بوجه ما من المطابقة لعدم اطلاعه على وجه المطابقة التي هي أتم.

ثم في النمط الأعلى من هذا القسم الأخير يقصد التنبيه على أحوال المشبه الخفية الحقيقية. ولما كان هذا القسم الأعلى محتاجاً إلى مزيد الفكر والتدبر تفاوتت فيه الأفهام شديداً. وهذه حالة كل أمر غامض من مكنونات العلم والحكمة. فإن العقول درجات، وفي أعمال العقل ترويضه وزيادة قوته.

المبحث الثاني عشر: قاعدة تصحح النظر في الأمثال:

لقد أنزل الله كتابه متضمنه بوجوه لا تحصى من الحكمة وتعليمها ليتدبروه فيزدادوا فهماً وعلماً ولذلك صار انتفاع الناس به على حسب عقولهم وفكرهم. وربما ينقص انتفاع العقلاء به لخطأ في طريق فكرهم. ولذلك فاسد العقل يضل به لا سيما في فهم الأمثال، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ

اللَّهُ يَهْدِي مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾
[سورة البقرة: 26]. ولا بد أن نبين قاعدة تصحح النظر في الأمثال.

المقصود الآن وإن كان بيان طريق النظر في أمثال القرآن ولكن ههنا قاعدة كلية تجري في الأمثال وغيره، وهي قاعدة مشهورة ولكن متروكة في العمل، وهي تأويل القرآن بنفس القرآن. فإن فيه حقًا محضًا ليس فيه خلط من الباطل. كما قال نابغة الجعدي يصف النبي ﷺ:

ويتلو كتابًا كالمجرة نيرًا¹

فمن ضم به شيئًا مما أخذ من العقول الناقصة ربما يحمله على غير مراده. ولذلك كان نصيب الصحابة من القرآن أوفر من نصيب المتأخرين من العلماء الذين أخذوا العلوم من الأمم، لا سيما علوم المشركين مما تكلموا فيه من المنطق والفلسفة وغيرهما. فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يتعلموا شيئًا من طرق هؤلاء، فكانوا على صفاء الفطرة. فكل ما تعلموه تعلموه من القرآن، وبحسب قوتهم النظرية عرفوا ما عرفوه من علومه وكانوا يسألون بعضهم بعضًا عن مكنونات أمثاله كما روي في الصحيح.

ولا يوضح لك شدة احتياج العلماء إلى التمسك بهذا الأصل الراسخ مثل اطلاعك على تخليط الذين هم من أكابر العلماء.²

¹ تمام البيت:

أتيت رسول الله إذ قام بالهدى ويتلو كتابًا كالمجرة نيرًا
انظر جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد القرشي، 774/2، المملكة السعودية العربية، 1981م.

² فالآن نذكر لك مثالًا واضحًا من تأويل الغزالي رحمه الله لهذا المثل خاصة وبذلك لا أكون خارجًا عن موضوعنا. وأنت تعلم أن الغزالي رحمه الله تعالى كان على غاية قصوى في الذكاء والمعاونة للعقليات مع غلوه في الزهد وحيه للحق وحميته للدين وخوضه على غوامض القرآن. وصنف في ذلك خاصة كتابًا سماه جواهر القرآن، والقرآن كله أغلى وأعلى من الجواهر.

المبحث الرابع عشر: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾:

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الملك: 22]. وهذا وجه آخر لبيان ضلالة الكافر. فإن من أكب على وجهه ومشى لم يمتد بصره، فلم يعلم إلى ماذا تسوقه قدماه؟ ولم يعلم هل صراطه معوج أم مستقيم؟ ثم لإكبابه كان أولى بالعثرات، فكيف يكون هذا مثل من هو بصير وسوي؟ فاختار الطريق المستقيم واطمأن بأنه يبلغ مطلوبه وأمن العثار. وتصوير الكافر بالإكباب في غاية المطابقة بحقيقة أمره فإنه مطلوبه هي هذه الحياة الدنيا.

المبحث الخامس عشر: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾:

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [سورة الأعراف: 176]. وما أحسن موقع لفظ "هوى"، فإنه السقوط إلى الأسفل. وقد أكثر القرآن من ذكر هذين الفريقين: أهل العلم والبصيرة والنور، وأهل الجهل والعمى والظلمة.

المبحث السادس عشر: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور: 35].

وبالجملة فهنا أربعة أمور:

- 1- العلم الحق.
- 2- العمل الصالح.
- 3- الجهل المظلم.

4- العمل الباطل السيئ وبكل من العلم والعمل نهاية، إما الفوز وإما الخسران. فعلى هذه المناسبة ضرب الله في هذه الآيات ثلاثة أمثال، وإنما اكتفى بالثلاثة دون الأربعة لحكمة.

الأول مثل النور، وضربه للإيمان، وأدرج فيه ذكر أعمال المؤمنين.

والثاني مثل السراب، وضربه لأعمال الكافرين.

والثالث مثل الظلمات، وضربه للكفر.

وإنما صرح بالمشبه والمشبه به في المثل الثاني، فجعل الوسط مصرحاً ليدل بالمقابلة على ما قبله وبعده من المثليين. فإن التقابل بين العلم والعمل في غاية الوضوح كما هو بين النور والظلمة، وكما هو بين الإيمان والكفر. فجعل في غاية الوضوح لمن يتأمل ما هو المراد من هذه الأمثلة. ثم زاد على ذلك قوله في المثل الأول: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [سورة النور: 35]. فدل على أن المراد بالنور هو نور الإيمان، وقد كثر في القرآن نظائر هذا المعنى.

فإن قيل إن ابتداء الكلام يصرح بأن المثل الأول إنما هو لله تعالى، قلنا ليس الأمر كما زعمت فإن مبدأ الكلام هو قبل المثل، وإنما يبتدأ المثل بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [سورة النور: 35]. وهذا صريح في أن المثل إنما ضرب لنوره تعالى لا لنفسه. ثم ذكر المكان في المشبه به، وهو قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [سورة النور: 36] صريح في كون المراد بالمصباح هو مصباح المساجد التي فيها رجال مسبحون ولا معنى لجعل هذا المصباح مثلاً لذات الله تعالى. فإن قيل فما معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة النور: 35]، قلنا هذا يتضح بعد فهم المثل الذي ضرب لنوره. فهذا مثل النور الذي في قلوب المؤمنين، وهكذا فهمه الصحابة.

فانظر كيف ضرب الله مثلاً لنور الإيمان حيث شبهه الله تعالى:

- 1- بمصباح.
- 2- في زجاجة.
- 3- يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية.
- 4- يكاد زيتها يضيء من غير نار. ووصف الزجاجاة بقوله ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [سورة النور: 35].
- 5- وذكر موضع المصباح في مشكاة.
- 6- وموضع المشكاة في بيوت رفعت لذكر الله. فإن في بيوت الله رجالاً:

- 1- مسبحين لله.
 - 2- المعرضين عن غفلات الدنيا.
 - 3- الدائمين في ذكر الله.
 - 4- المقيمين الصلاة.
 - 5- المؤتئين الزكاة.
 - 6- الخائفين يوم القيامة.
- فانظر كيف جمع الأنوار من وجوه ظاهرة وباطنة. فإن في الزيتونة البركة وطيب المنبت، وفي الزيت غاية اللطافة والمناسبة بالنور، وفي المصباح أول ظهور النور، وفي الزجاجاة اتحاد بالمصباح كأنها هو. ولذلك قيل لها ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [سورة النور: 35]. وفي المشكاة انعكاس النور من القريب. وأما أنوار موضع المشكاة وأصحابه فلا تخفى مما سبق.
- المبحث السابع عشر: ما يعين على فهم هذه الأمثال:

- 1- لا يخفى في المثل الأول أن أصل النور فيه واحد ولكن كلما استضاء به سَيَّ نورًا، ولذلك سَيَّ القمر نورًا حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾

تعالى: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْثَبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغَ لَلْأَكَلَيْنِ﴾ [سورة المؤمنون:

20]. وهذه الأرض في وسط المسكونة كما هو ظاهر، فليست شرقية ولا غربية.

5- إنما ضرب للمؤمنين مثل واحد وذكر أعمالهم من التسبيح ودوام ذكرهم الله

وإعراضهم عن همزات الدنيا وغير ذلك تبعاً لإيمانهم، ليدل على غاية

الاتصال بين إخلاص الإيمان وإصلاح العمل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] ﴿٢﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال:

4-2]. فأعمال المؤمنين هي مظاهر عين إيمانهم، فهما في غاية الاتصال. وأما

الكفر وأعمال الكافرين مع بطلان كليهما لا وفاق بينهما. وبيان ذلك أن المؤمن

له غاية واحدة وهي التقرب إلى الرب الذي آمن به، فكل عمله لهذه الغاية. فهو

يمشي على صراط مستقيم، وحينئذ لا مخالفة بين علمه وعمله. وأما الكافر

فعمله لدنياه وإلهه في أعماله هو هواه، فإنه إنما يعمل لاقتناء حاجاته

الدنياوية فمطلوبه في الدنيا فقط. وهو قلما يخطئ في ذلك، فإن عقله يهديه

إلى مصالحه الحاضرة. وأما اعتقاده فظنون وأوهام يتبع فيه ما وجد عليه

آباءه، وليس له من دينه سبيل مستقيم. ولذلك ربما يفعل ما فيه خلاف

لمصالحه الدنياوية بل خلاف عقله الفطري، فلم يحصل له من دينه

ومعتقداته طريق يطابق مصالحه. ومن علامة الباطل التناقض والتخالف،

فإنه أخذ الدين تقليدًا ويعمل للدنيا تحقيقًا حسب مصالحه الظاهرة إلا فيما

اضطره دينه الباطل، فلا يطابقان أبدًا. فهو لا بد على صراط معوج.

6- في مثل المؤمنين قدم الإيمان وأدرج الأعمال تحته، وهذا هو ترتيب سوي

وبيان صراط مستقيم. وفي مثل الكافرين ترى الأعمال متقدمة على العقائد.

ولا شك أن الكفر خلاف الفطرة فلا ينشأ إلا من الأعمال السيئة، بل الكفر

هو أصل العمل السيئ. فمن تغافل وتولى عن ذكر الرب تردى في الظلمات،

فأضله عمل قلبه وإرادته. ثم يزداد أثره بالانهماك في شهوات الدنيا فتكون ظلمة على ظلمة. فلذلك قدم العمل وبين بطلانه، ثم ترقى فبين آثاره على عقله. وإلى هذا يهدي قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: 14]. بارتكاب المعاصي أفسدوا قلوبهم وأعموا عقولهم.

المبحث الثامن عشر: أسباب إنكار المنكرين:

اعلم أن الحجة الصحيحة لا يلزمها أن يضطر المخاطب إلى التسليم، ولا كل ما أورث في المخاطب إيقاناً بصحة دعواك فهو برهان صحيح.¹

قد ذكر القرآن أسباب إنكار المنكرين إجمالاً وتفصيلاً، ولنذكر لك لتعلم أن الحجة لا تلجئ إلى اليقين ولو كانت واضحة بالغة لذي قلب سليم. وبحسب هذه العلل هم على طبقات:

- 1- من جادل بالشكوك والظنون وما تعلم واعتقد من قبل، فكان في أسر الألف والعادة.
- 2- من فهم صحة الحجة ولم يجد محيصاً عن تسليمها، ولكن اتهم الخصم ونسبه إلى سحر البيان وأن جوابها عند المتهم، فهو في أسر التقليد.
- 3- من بقي حيراناً مبهوئاً لا يتحرك كأنه قد دمع فغشي عليه، فهو أسر دناءة النفس من الجهل البالغ.
- 4- من عرف صحة الحجة وأيقن بالحق ولكن لم يقبله لموانع وهي ثلاث:
 - أ- الكبر والأنفة.
 - ب- الحسد والشحناء.
 - ج- حب الشهوات والدنيا.

¹ لم يعط الله الإنسان على طريق الإلجاء والاضطرار إلا أوائل النعم، ثم جعل الإنسان يكسب غيرها بجهده وإرادته، وذلك ليبتلية كيف يفعل. فإن استعمل أوائل النعم وعرف قدره ولم يضيعها أعطى مزيداً، وإن كفر بها أوشك أن يسلب ما قد أعطى من أوائل النعم وأعمها ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [سورة البقرة: 20].

5- من زعم أنه يطلب الحق وتوهم أن علامة الحق أن يكون ملجأ إلى اليقين، فإذا لم يجد اليقين زعم أن الحجة غير صحيحة.

6- من لم يلتفت ولم يرد أن يسمع لأحد أسباب ذكرناه في القسم الرابع، أو لبلادة وغباوة كالأنعام.

7- من فسد نظره وعقله لظلم وسيئة اقتربها فلم يتأثر للحق واشمأز عن قبوله.

المبحث التاسع عشر: من الآيات الأنفسية على النبوة:

من الآيات الأنفسية على النبوة شدة احتياج الإنسان إلى التربية وخلق على كمال الاستعداد لقبولها. فإنه يميل إلى التعلم ويشتاق إلى حكاية ما يرى ويسمع. ثم هو يصيح إلى الناصح المشفق ويفرق بين الحب والبغض ونظر الرضى والسخط، وينشأ على محبة المدح وكراهته الذم. فبالتعلم يأخذ كل ما به يصير إنساناً بالفعل. فالإنسان إن جرى على فطرته إذا وجد داعياً إلى صلاحه وحسن أخلاقه، وناصحاً مشفقاً متصفاً بجمال الخلق والخلق حثته فطرته ولبي قلبه من بين جنبه إلى قبول تلك الدعوة لما وجد المطابقة بينها وبين فطرته. فتلقاها على بصيرة ودليل من فطرته لا على التقليد بل التقليد، هو المانع في أكثر الأحوال.

المبحث العشرون: الإيمان يعطيه الرب تعالى لمن يعقل ويفهم:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة يونس: 100].

لا شك أن كل نعمة هي من عطية الرب تعالى والإيمان من أكبر النعم ولكن من النعم ما أعطاها الرب تعالى أولاً ومنها ما يعطيها بعد عمل ربط بها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد: 17]. فالاهتداء يكون بعد الهداية، فهداهم أولاً ثم من اهتدى به زاده بهدى زائد.

فهذا أصل راسخ، وبناء عليه أوضح الله تعالى آياته وأرسل الرسل ببينات من الهدى والفرقان. فمن عقل ونظر فيما حوله وفوقه وتحتة من آيات لا تحصى أو

عقل وسمع ما نَبَّه الرسل عليه وتحري الرشد أعطاه الله تعالى الإيمان. ومن تغافل وتعامى ربما يختم على قلبه، وحينئذ لم تنفعه هذه الآيات المشهودة ولا الإنذار من الرسل. فإن عدم قبول الحق بعد وضوحه جحدًا وعتوًا يجلب مقت الرب وينزل عليه الرجز فلا يرزق الإيمان.

وبالجملة فالإيمان هو فضل من الرب تعالى يعطيه لمن يشاء. ثم إنه تعالى يعطيه لمن يعقل ويفقه ما دل عليه الآيات المشهودة في الآفاق، والمتلوة على ألسن الرسل ودعاة الحق. ومن لا يعقل يغلق عليه باب الهداية، فإنه رد هدية ربه وكابر الحق. فثبت أن إنكار الحق بعد العلم له ضرر شديد، وقد بين الله ذلك في غير موضع من القرآن تحذيرًا عن اللجاج والمراء في مخالفة الحق. فهنا أربعة أمور لا بد من تذكرها:

- 1- الإيمان هو بإذن الله ومشيتته، فليس للعبد أن يؤمن إذا شاء. وهذا مثل التوبة، فالمسوف بها ربما يحرمها.
- 2- الإيمان يعطيه الرب تعالى لمن يعقل ويفقه ما يرى ويسمع فيقبله ويخبت له ويركن إليه.
- 3- العقل والمعرفة للحق إنما يعتبر إذا أثمر التلقي، فإن الإنكار بالحق بعد وضوحه لا يستحق اسم العقل. وهذا الاستعمال شائع في الكلام وفي القرآن للعقل ولغيره من قوى الإدراك.
- 4- من كابر الحق بعد الوضوح ونبذه وتغافل عن عقله وتصام عن سماعه نزل عليه عذاب القسوة والحماسة. فإذا وقع ذلك لم ينفعه من أسباب الهداية شيء، لا الدلائل العقلية ولا المعجزات الحسية. وقد بين القرآن هذه الأمور في مواضع لا تحصى، فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٣٥﴾ فَلَا تَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ [سورة يونس: 100].

المبحث الواحد والعشرون: الحجج الأفقية:

وهي التي يستدل بها على الإله الحق وصفاته الكاملة؛ وهي حسب الفراهي كل ما يشاهد الإنسان في الخارج من الأمور التي لا يشك فيها، وتضطر فطرة العقل أن تنسب هذه الأمور إلى ذات تكون مصدراً لها؛ وهي على سبعة وجوه:

- 1- الحسن الرائق في المخلوقات التي تحف الإنسان من كل جانب.
 - 2- المرافقة والموافقة الدالة على الحكمة والرحمة والربوبية والقدرة والعلم.
 - 3- وجود الضد من الضد.
 - 4- وجود المختلفات من المتحدات.
 - 5- مظاهر العظمة والجلال في المسخر المقهور التي تدل على أن الألوهية لا تنتسب إلى هؤلاء، وإنما المتصف بها من يكون أعلى وأجل.
 - 6- التدبير القاهر المحيط.
 - 7- كون الحق والعدل والخير غالباً على أضردها.¹
- المبحث الثاني والعشرون: ثلاثة أصول في إقامة الحجة:

يرى الإمام الفراهي أن ثمة ثلاثة أصول استنبطها من القرآن الكريم في مجال إقامة الحجة؛ وهي:

- 1- الحق لا يبطل بباطل والعلم بجهل؛ وأصله في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِـِىَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَآتِ بِسَبِيلٍ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان: 15].
- 2- لا يبطل الفرع الأصل، وأصله في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي غَمَمَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: 14].

¹ حجج القرآن، ص 148 - 152.

- 5- في القرآن أصول الاستدلال والنظر أقرب إلى العقل وأرسخ في القلب من أصول منطق اليونانيين، ودلائل أصح وأثبت من أدلة الفلاسفة والمتكلمين.¹ ويدعو إلى اعتماد حجج القرآن وطريقته في الاستدلال.
- 6- ويدعو إلى منابذة الأفكار القائمة على منهج الفلسفة اليونانية الغربية عن منطق القرآن.
- 7- وبالتالي الاعتماد على منهج القرآن في فهم تأويل القرآن من غير الرجوع إلى العلوم الغربية، واعتماد مذاهبهم الفلسفية.
- 8- الاستدلال الفطري مبني على اليقين بما لا سبيل إلى إنكاره؛ وذلك بأن الإنسان مجبول على تسليم ما غرر في طبعه.²
- 9- لو كان الإيمان جائراً بمحض التقليد لكان الوثنيون معذورين.³
- 10- نوقن بنوع من الإلهام الذي أعطى للنفوس كما أعطى لجميع الحواس وقوى أخرى.⁴
- 11- مرادنا بالحكمة هي معرفة العلم الفطري الذي يهدي إلى السعادة الأبدية والعمل به.⁵
- 12- إن العقل الإنساني يدرك حقيقة القرآن الكريم، وعليه أن يقبل نور الفرقان؛ ذلك لأن القلب السليم سلطان بين الجسم والعقل. معظم الأخطاء في كتب التفسير كانت نتيجة الثقة في الفلسفة اليونانية ومنطقها.

¹المصدر نفسه، ص 21.

²المصدر نفسه، ص 72.

³المصدر نفسه، ص 211. ويقول في موضع آخر: "لليقين الفطري مجار إلى المدركات وتلك الإلهامات، ولولاها لم يكن لنا علم ولا بداهة ولا نظر" المصدر نفسه، ص 93.

⁴المصدر نفسه، ص 94.

⁵المصدر نفسه، ص 226.

الفصل الواحد والعشرون: حكمة القرآن

تمهيد:

لقد ألف الإمام الفراهي كتابًا في الموضوع بعنوان "حكمة القرآن": وهو من تولى شرح معنى الحكمة ومواردها في القرآن الكريم في أكثر من مقام من كتبه الرائعة، وسبقت الإشارة إليها؛ ولا بأس أن نعرج هنا على كتابه هذا وفق الآتي:

المبحث الأول: حكمة القرآن من كتبه في علوم القرآن:

يقول الإمام الفراهي في كتاب مفردات القرآن: "فهذه خمسة كتب في فهم ظاهر القرآن،¹ وتليها سبعة كتب في علوم القرآن، وأولها كتاب الحكمة".² وأما كتبه السبعة في علوم القرآن فهي:

- 1- حكمة القرآن.
- 2- حجج القرآن.
- 3- القائد إلى عيون العقائد.
- 4- الرسوخ في الناسخ والمنسوخ.
- 5- الرائع في أصول الشرائع.
- 6- إحكام الأصول بأحكام الرسول.
- 7- أسباب النزول.

¹ ويقصد بالكتب الخمسة: مفردات القرآن، وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل، وتاريخ القرآن، ودلائل النظام.. والظاهر أن كلها مطبوعة ما عدا تاريخ القرآن، ونسأل الله تعالى أن يعرف النور قريبًا!

² ان مفردات القرآن، ص 92.

المبحث الثاني: نسخة "حكمة القرآن":

وقد طبعت نسخة من "حكمة القرآن" من قبل الدار الحميدية، وكانت الطبعة الأولى منها عام 2007م، وظهرت في 120 صفحة. وصدرت بكلمة الجهة الناشرة وهي كما ألعنا إلها الدائرة الحميدية في خمس صفحات؛ وقد تضمنت تعريفاً موجزاً عن الكتاب.

وان هذه النشرة الأولى للكتاب على أن الإمام الفراهي رحمه الله كتب منه فصولاً كثيرة ولم يقدر له إتمامه على غرار مشاريعه الكثيرة التي باتت مفتوحة دون إكمالها وقد انتقل لجوار ربه وهي خداج غير تمام.

المبحث الثالث: أصل الكتاب:

جاء في مقدمة كتاب الحكمة: "الناظر في مطالب الكتاب التي ذكرها المؤلف في بداية المسودة الأولى، وفي موضوع رسالة نظام الديانة الإسلامية، يستطيع أن يقدر قيمة الكتاب وعظم شأنه لو كتب له التمام، أما في وضعه الراهن فإنما هي مجموعة فصول متفرقة كثير منها ناقصة غير محررة، ولكن لما كان المؤلف رحمه الله قد خصه الله سبحانه بحظ وافر من علم كتابه الكريم، ونور قلبه بالحكمة، وجعله من العلماء العاملين الربانيين؛ اشتملت هذه الفصول على قواعد نفيسة وفوائد عزيزة، فرأينا أن نجتمعها كلها - على ما هي عليه - في هذا الكتاب الذي بين أيديكم؛ لينتفع به أهل العلم ولا سيما أولو الألباب..".

المبحث الرابع: موضوع الكتاب:

إن موضوع الكتاب هو "الحكمة" التي بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ لتعليمها للناس تمامًا كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٢٩﴾ [سورة البقرة: 129].

وإن الفراهي رحمه الله قد شرح الله صدره للطائف الكتاب العزيز، وهدهد تدبره بفضل الله تعالى إلى أن معنى الكتاب هو "الشرائع والأحكام"، ومعنى الحكمة أي "الحكم" وليس معناها "السنة" كما ذهب بعض أهل التأويل ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة.

المبحث الخامس: الحكمة والفلسفة:

تسمى الفلسفة بالحكمة والفيلسوف هو الحكيم، وقد أشار في كتابه إلى أن الفلسفة اليونانية التي أولع بها بعض العلماء كانت سداً منيعاً وحجاباً صفيقاً دون البحث عن الحكمة القرآنية واستنباطها.

وقد كتبت بعض الفصول التي لم يعثر عليها وهي تابعة لحكمة القرآن؛ فقال: "فصل في نظام الديانة؛ وهو جزء من كتاب حكمة القرآن".

المبحث السادس: محتويات الكتاب:

- 1- أشار رحمه الله إلى مكتبته المورقة ولا سيما كتبه في علوم القرآن التي حررها أنفأ؛ وذكر الروابط بينها.
- 2- مقدمة عن الحكمة.
- 3- شرح كلمات "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".
- 4- تعريف الحكمة عند السلف.
- 5- أسماء الحكمة ومنها: الإيمان، والعلم، والحق، والسكينة، والروح، والهدي، والبصيرة، والنور، والأمانة، واللب، والحظ العظيم، والخير الكثير.
- 6- الحكمة مضمون بها على غير أهلها.
- 7- كيف نعرف ما هي الحكمة؟
- 8- الحكمة أوضح المعارف.
- 9- الحكمة ضالة المؤمن وقل من وجدها.

10- مناقشة رأي الإمام الشافعي في معنى الحكمة في الآية: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: 129].

11- نظرة الحكيم كيف تكون؟

12- تعليم الحكمة لا يكون إلا بإثارة وإشارة.

13- الحكمة علم وعمل.

14- خصائص الحكمة وآثارها ومظاهرها وأسبابها.

15- لا يمكن تعليم الحكمة إلا بطول الصبغة وبالتدرج.

16- دلالة القرآن على عين الحكمة.

17- إزالة شبهة.. موضع التمثيل في الحكمة.

18- رقي الأمم بالحكمة (الجانب الأخلاقي).

19- الحكمة وعوالي العلوم.

المبحث السابع: النظام في الديانة الإسلامية من الحكمة!

لقد كان من مفردات كتاب "حكمة القرآن" النظام في الديانة الإسلامية؛ وهي فصول مستقلة وإن كانت تابعة لموضوع الحكمة كما تم بيانها في تقديم الكتاب من الدائرة الحميدية؛ وقد استهلكت حوالي (34) صفحة؛ ومحتويات موضوعاتها هي:

1- غاية الحياة ونهاية السعادة.

2- في أركان الديانات.

3- مواقف الديانات.

4- نظرة الحكيم في الديانات من ثلاثة مراصد.

5- في بيان نظام هذا الدين.

6- ترتيب العقائد والأحكام في أولية الشكر والصبر.

7- أصل الدين وفروعه.

8- التوفيق بين القرآن الحكيم والصراط المستقيم.

الفصل الثاني والعشرون: دلائل النظام

تمهيد:

إن دلائل النظام من أهم ما تركه الإمام الفراهي، لأنه المفصح عن اهتماماته، والمعرب عن مشروعه الذي قضى فيه عمراً طويلاً ولم يكمله؛ وهنا نعلق بما يسمح به المقام على كتاب "دلائل النظام" وقد سبق تفصيل بعض الموضوعات فيه كالنظام وعمود السورة ومحاوَر أخرى. نتناول الكتاب وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: كتاب: "دلائل النظام":

للإمام الفراهي كتاب نفيس بعنوان: "دلائل النظام" من أنفس ما انعقدت عليه خلاصه، وطبع ضمن المجموعة الأولى في علوم القرآن؛ وتشتمل على ثلاث رسائل:

- 1- دلائل النظام.
 - 2- أساليب القرآن.
 - 3- التكميل في أصول التأويل.
- وسبقت الإشارة إلى الكتب الثلاثة وتوظيفها في استكشاف أصول التأويل عند الإمام، والنظام وغيره.
- وقد نشرت الكتاب الدائرة الحميدية في طبعها الثالثة عام 2005 م بالهند.

المبحث الثاني: أهمية الكتاب:

- جاء الكتاب في حوالي (131) صفحة. وقد جاء في كلمة الجامع بدر الدين الإصلاحي المكتوبة في غرة محرم، 1388 هـ، في حوالي سبع صفحات قال فيها:
- لا نبالغ إذا قلنا إنه كتاب لم يصنف مثله من قبل.
- وأشار إلى أن المؤلف أثبت بهذا الكتاب أولاً أن للترتيب والنظام حظاً وافراً في كل مركب، لا سيما في الكلام البليغ وعلى رأسه كتاب الله تعالى، ثم صرح

بعد ذلك بأن القرآن كلام مرتب ومنظم من أوله إلى آخره على غاية حسن النظام والترتيب.

- ثم أوضح الوسائل التي تهدي إلى معرفة النظام، وأهمها التدبر في الكتاب العزيز، وأن لذلك التدبر أساساً أيضاً وهو الإيمان الصادق بالآخرة. فمن تدبر وهو مؤمن بالآخرة صدقاً وحقاً وكان عالماً بصحيح علوم اللسان فسيفتح الله له من حسن نظام كتابه ودقائق حكمته وإعجاز بلاغته ما يفتح.
- ثم مهد السبيل إلى طريق استنباط علم النظام وأصوله، ولا شك أنه قد أدى حقه وأوفى ذمته، حتى جعله فتقلاً على أصول راسخة، مستنبطة من أساليب القرآن وقواعد اللسان.
- ثم بين الجامع أن جماعة من العلماء المتقدمين قصدوا إلى هذا العلم وأشاروا إلى أن علم المناسبة علم شريف، ثم قارن بين جهودهم - ولهم فضل سبق - وبين جهد الإمام الفراهي رحمه الله حيث جعل الجدول بحرًا زاخرًا، كما وضع الفرق بين علم النظام وعلم المناسبة.¹
- ثم إن الإمام الفراهي لم يتيسر له إلا أن يرتب الفقرات العشر الأولى من هذا الكتاب، أما ما بقي فقد كان مبعوثاً في مخطوطاته، والجامع هو من قام بترتيبه.
- وإذا لم يكن أكثر هذا المجموع إلا إشارات التي يختزنها المصنفون لمصنفاتهم من غير تفصيل، فلا غرو إن كان فيه شيء من الإجمال والإبهام فحري بأهل الفكر أن يتفكروا فيه، فإن في التفكير رياضة.

المبحث الثالث: النظام لماذا؟

للإمام الفراهي كلمة تحت عنوان: النظام لماذا؟ قال فيها: المقصود من معرفة النظام ليس إلا التدبر؛ فإنه الإقليد له. - أي المفتاح له -.

¹ تعرض رحمه لهذا الفرق وقد أوردناه في محله من سفرنا هذا حين التفريق بين النظام والمناسبة! فلا داعي لإعادته ههنا.

ثم إن التدبر في الكتاب هو الوسيلة إلى الهدى والتقوى، فهما أصلان، فإن النفس بالهدى تستبصر وبالتقوى تتركى، والإيمان مع شعبه العلمية يدخل في الهدى، والشرائع والأخلاق والأحوال تدخل في التقوى. وقد بين الله ذلك في القرآن والتوراة والإنجيل. ثم يهتدي إلى النظام بأوائل التدبر، فيضطر إلى معرفة النظام، فإن أقل جملة من القرآن تستدعي تدبراً وتهدي إلى ما هو فوقه وثم فثم حتى إذا اتضح النظام كل الاتضاح تجلت محاسن السورة والحكمة التي هي تمام العلم والتقوى.

المبحث الرابع: النظام لمن؟

من خلال كتابه "دلائل النظام" أشار رحمه الله إلى أن معرفة النظام ضرورية للعلماء حتى يعلموا الناس حسب ما فهموا؛ فإنهم إن لم يفهموه واختلفوا فيه فكيف يرشدون الناس؟

وقد شرع رحمه الله في مقدمة مختصرة وضح فيها أنه يقصد بهذا الكتاب بيان ثلاثة أمور هي:

- 1- ما يدل على وجود النظام في القرآن ويثبته.
 - 2- ما يهدي إلى معرفة النظام وطريق استنباطه.
 - 3- إيراد أمثلة لترتيب المطالب وترتيب سورة سورة.
- وقد وضح رحمه الله موضوع الكتاب وهو معرفة النظم في معاني الآيات والصور، وهو يشير هنا إلى أنه لا شك عنده أن ترتيب السور توقيفي كما هو ترتيب الآيات في كل سورة وأشار رحمه الله إلى أنه فصل في ذلك في كتاب له بعنوان (تاريخ القرآن).

المبحث الخامس: أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام وردّها:

يمكن اختزال أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام في سببين:

- 1- عدم إدراك أهمية النظام وبالتالي الزهد فيه.
- 2- قول بعضهم إن القرآن أنزل للعمل به والاستهداء بنوره لا للاشتغال بلطائفه ونكات بلاغته.

وقد تولى الفراهي الرد بقوله: "إن هذا القائل لم يتصور ما نحن بصدد، فلطائف البلاغة ووجوه الإعجاز ليست مقصودة لذواتها، ولا هي غاية ما تفوز به، بل ليست معرفة نظام الكلام وروابط معاني الآيات طلبتنا- كل ذلك يأتيك عرضاً- إنما المقصود هو التدبر في معنى القرآن الذي سيق إليه بيانه، ومعرفة النظم إنما هي الوسيلة إليه، فهل تظن أنك في غنى عن ذلك؟ أن ليس لك حاجة إلى ما أنزل الله إليك من عيون الحكمة والنور والشفاء؟ وهل ترضى أن تجعل نفسك ممن يظن أن كتب الفقه قد تكفلت مما أمر الله ونهى، فلم تبق لنا حاجة إلى القرآن؟ أليس أن ظواهر الأحكام منوطة بالعقائد والنيات؟ ولكن إذا غلب الفساد، وفسدت العقائد... تبدد من الملة نظامها، وزاغ من الشريعة قوامها، واستحوذ سلطان البدع والأهواء، اشتد احتياجها إلى الحكمة الإلهية، ومعرفة طريق الشفاء، والخروج من فتن الشقاق في الدين، حين التبس الطريق، وأعجب كل ذي رأي برأيه، وضرب الجهل بجرانه، ورفض الاستهداء بالقرآن الحكيم الذي عرفه الله تعالى بالنور والشفاء، وعشوا عن الحكمة التي أودعها الله تعالى كتابه، فهل يطلع عليها من يمر به كالراكب السريع أو الريح العاصف؟ ولولا ذلك فلماذا أمرنا الله تعالى بالتدبر في كتابه والتفكر في آياته؟"¹

المبحث السادس: أهمية العمود:

سبق أن وقفنا مع عمود السورة لدى الإمام الفراهي لكنه في الدلائل أبدع فقال: "وأما العمود فهو جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسري فيه كالروح والسر، والكلام شرحه وتفصيله، وإنتاجه وتعليقه، وربما يحسن إخفاؤه فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر".

ثم قال أيضاً: "العمود كالحد المنطقي، لا يلع عليه بالصحة إلا بعد رجوع النظر في النظم وعلم روابط الجملات وإحاطة المطالب جملة، ثم إن وجدت العمود

¹ انظر دلائل النظام، ص 29 - 30.

المفروض، أوفق بالنظم وأقرب إلى زيادة التوضيح وحسن التنظيم، فقد أصبت، وإلا بلا بد من طلب عمود آخر".¹

المبحث السابع: لماذا جعلت بعض السور غاية في الإيجاز؟

لقد أشار رحمه الله إلى أهمية جعل بعض السور غاية في الإيجاز والقصر؛ كسورة العصر، وسورة الكوثر، وسورة الإخلاص، وما يقرب منها؛ وذلك لتحقيق وعد الله سبحانه بحفظ هذا الدين؛ حيث جعل الأصول الكلية الجامعة لهذا الدين على غاية الإيجاز والوضوح فيها، فإن لم يحفظ أفراد الأمة كتاب الله كاملاً لم يعجزهم حفظ هذه القصار، فيحفظ الله عليهم بهذه السور دينهم. فصرح رحمه الله في موضع آخر بقوله: "السور القصار ألد وأحلى، وأسهل وأجلى، فالقارئ ينتظرها كالمسافر إلى منزل طيب مربع بهيج، أو كما يوضع على المائدة أحلى الأطعمة في الآخر، أو كما أن المرء يترقى من الأرض إلى السماء، فكلما قرب إلى آخر القرآن قرب إلى معالي الأمور، وأصول الدين".²

المبحث الثامن: النظر في معالم السور يعين على استخراج العمود:

قال رحمه الله: "فإنك ترى في كل سورة ما يكون نادرة وليس ذلك ما نريد بالعمود، ولكن النظر إلى معالم السور من المهمات، وربما يعين على استخراج العمود، ولا جامع لهذه المعالم، فإنها تجلب الالتفات من جهات مختلفة: فبعضها من جهة اللغة، وبعضها من جهة الإعراب، وبعضها من جهة البلاغة، وبعضها من جهة التاريخ، وبعضها من جهة الفقه، وبعضها من جهة الحكمة وهلم جرا، غير أنها تستدعي التوجه في أول النظر كأنها نادر على يفاع، فلا يسوغ التغافل عنها".³

¹ المصدر نفسه، ص 85.

² المصدر نفسه، ص 98.

³ المصدر نفسه، ص 92-93.

المبحث العاشر: صعوبة الوقوف على العمود:

المجلد: 8 — العدد: 2 — 109 — أبريل - يونيو 2019

ولا يخفى أن تعليم الحكمة لا يتأتى بإلقاء المعارف، وإنما يتأتى باستعمال الفكر والعقل، وحثه وتنبيهه على النظر، حتى يبرز قواه الكامنة كما هو الأصل في كل تربية، فعلى هذا كما جعل القرآن جانباً منه ظاهراً بيئاً، فكذلك جعل جانباً منه باطنياً مكنوناً، ولكي يهتدوا إلى بطونه، جعل الباطن على مدارج؛ لكي يترقى المجتهد في درجاته من الأقرب إلى الأبعد، فإن التربية لا تتم بدون ذلك. والكلام إذا كان منظماً من جهته الظاهرة، لم يحتج الناظر فيه إلى تأمل، ولكن إذا كان اتصاله تارة ظاهراً وتارة خفياً، توقف فيه، فإنه كيف يرضى بالخلل الفاحش في كلام الحكيم العليم؛ ولذلك آمن من آمن بالنظام. ثم جعل الله تعالى ما أخفى من النظام على مراتب؛ فجعل أكثره على غاية البطون، وإذا جعل النظام من أكبر ما يحث به على النظر والتأمل، أخفى العمود، فلو صرح بالعمد لم يبق كبير مشقة في فهم النظام، فصار غير محتاج إلى النظر وأبطل الحكمة، وإذا خبا الله ليمتحن به العقول، لا بد أن يكون صعب المطلع، فكأنه وضعه مناط الثريا.

3- أن الله تعالى، لمثل المصلحة التي ذكرنا آنفاً، جعل القرآن على نهاية الإيجاز، ومع ذلك ملأه حكماً جمّة، فلكثرة المطالب العالية والأطايب الغالية، يتحير الناظر فيه فيصعب عليه أن يصطفي من بين معانيه معنى واحداً كالعمود، كمن يطلب من بين الجواهر واسطة للعقد، ومن غاية الحسن كلها يروقه، فلا يدري أيها أولى¹.

المبحث الحادي عشر: ومحتويات أخرى:

لقد أثار الكتاب محتويات كثيرة عرض لها بنوع من الإجمال، وقد تناولناها بشيء من التفصيل في مواضع أخرى فلا داعي لإعادتها ولكن للإلماع إليها فقط ومنها:

● العلاقة بين النظام والحكمة.

¹ المصدر نفسه، ص 89-90.

- تحدث عن علاقة المناسبة بالترتيب، وأن ذكر أمر واحد مرات عدة بترتيبات مختلفة الغرض منه فائدة غير ما كان وأشار إلى أن أنحاء الترتيب أربعة: إذ الأمر الواحد ربما يؤتى به كالعمود أو كالتبع، أو يورد مجملاً أو مفصلاً، أو يقدم أو يؤخر، أو يستقل أو يقترن.
- بين أن الوقوف على العمود في السورة هو أصعب المعارف وغاية في الصعوبة.
- تحدث عن ترتيب السور، وكيف أن الأوائل نزولاً كانت الأواخر ترتيباً.
- كيف نلمس موقع الكلام من الوقائع والأحوال والنظر في تاريخ النزول.
- تكلم عن نظم السور بعضها مع بعض.
- تكلم عن عمود كل سورة من سور القرآن بشكل إجمالي ثم لخص مطالب السور ونظامها.
- تحدث عن الحذف وهو أسلوب أصيل في كلام العرب، ومنهج متبع، وفهمه أساس في فهم القرآن الكريم.
- تحدث عن كثرة الوجوه في النظام وأنه ممكن، وهو مما يسوغ كثرة التأويل.
- ولا تضاد في كثرة وجوه المناسبة كما لا تضاد في كثرة وجوه الحكمة في أمر واحد.
- تحدث عن معالم السورة وأهميتها؛ لأن النظر فيها يعين على استخراج العمود!

منهج الإمام الفراهي لتأويل الآيات

- الشيخ محمد عمر أسلم الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: مشتاق عالم²

إن علم أصول التأويل علم قائم بذاته ومستقل عن غيره من علوم القرآن، وله أهمية كبرى في تفسير القرآن الكريم لأنه يتعذر الوصول إلى المعنى المراد بدونه. ولكن رغم خطورة هذا العلم وأهميته لا نكاد نعثر على كتاب مستقل حول هذا العلم عند المتقدمين من علماء التفسير، فكل ما كُتِبَ عن هذا العلم كُتِبَ ضمن علم أصول الفقه وكجزء منه فتصوره الجامع وكجزء لا ينفك من علم التفسير لا يوجد سوى لدى الإمام عبد الحميد الفراهي، وعلى هذا فنجد خلافاً شديداً لدى المفسرين القدامى، الأمر الذي تسبَّب في وجود العديد من مذاهب التفسير. والواقع أننا لو نظرنا إلى اختلاف آرائهم هذه لصعب لنا القول بأن القرآن الكريم كتاب مبين، بل على العكس من ذلك، يعطي اعتقاداً أنه كتاب معقد. ولعل هذا ما دفع عامة الناس إلى الإيمان بأن دراسة القرآن ومحاولة فهمه وتحديد معانيه مهمة غاية في الصعوبة ولا يتأهل لها سوى العلماء الأجلاء، أما عامة الناس فتكفيهم التلاوة البسيطة غير المتأنية. وبالتالي يتحتم عليهم الاعتماد على فهم وفتاوى هؤلاء العلماء الأجلاء بدلاً من الاستفادة المباشرة من القرآن الكريم وأن يعتبروا ما روي ونقل عنهم كأنه المقصود من الوحي الإلهي ولا حاجة لهم بل لا يجوز لهم توظيف العقل والتدبر في آياته لأن بناء الدين لديهم على النقل وليس على العقل. ولا يغيبن عن البال أنَّ العقل بدون النقل بمثابة ترك الحبل على الغارب وكذلك النقل بدون العقل بمثابة قيادة السيارة من قبل السائق على

¹ أستاذ مدرسة الإصلاح بسرائ مير (أعظم كره)

² باحث، قسم اللغة العربية وأدائها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

إرشادات الموجه وهو معصوب العينين. ولا تحتاج عواقب كل من الحالتين المذكورتين إلى بيان، فكما أن العقل بدون النقل يفشل في التوجيه والإرشاد، يتقاعس النقل بدون العقل عن أي إفادة تذكر.

فالأصول التي وضعها الإمام الفراهي لتأويل الآيات لا تعتمد على أي فلسفة ذاتية مختلقة بل هي مقتبسة من قواعد اللغة العربية الثابتة ومستنبطة من أساليب القرآن المحكمة. ومراعاة هذه الأصول تجنب من التيه والضلالات وتمنع من أن تسلك طريق الاعوجاج باختيار التفسير بالرأي المحض، كما أنها توفر مستوى ومقياساً أعلى لفهم القرآن الكريم.

معاني القرآن الكريم عند الفراهي قطعية الدلالة فلا يمكن أن يكون مدلول جملة أكثر من واحد. لكل آية موقع وهذا الموقع يحدد مفهوم الآية. وفي ضوء هذه الأصول، كان الإمام الفراهي بدأ كتابة تفسيره الخاص بعنوان "نظام القرآن"، بدءاً ببعض السور القصار ثم كتب تفسير سورة البقرة. وما إن انتهى منه حتى قيض الله روحه الطاهرة وهو لم يستطع تنفيذ مشروعه العملاق ولكن ما ترك من الثروة التفسيرية تكفي للاسترشاد في هذا المجال.

ثمة طريقتان متداولتان للتفسير، تفسير بالرأي وتفسير بالمأثور. التفسير المشتمل على ما روي عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأتباعهم هو التفسير بالمأثور ويعتد تفسير ابن جرير تفسيراً ممتازاً في انتباهه لهذا النهج. والتفسير المعتمد أساساً على التفكير والتدبر بدلاً من اعتبار الروايات المنقولة عن السلف أساساً للتفسير هو التفسير بالرأي ومن أهم تفاسير هذا النوع هو تفسير الإمام الرازي رحمه الله. ويتمتع كل من هذين التفسيرين بشعبية كبيرة في الأوساط العلمية رغم اتفاق أهل العلم على أنهما لا يخلوان من الغث والسمين، ويتعرض تفسير "نظام القرآن" للإمام الفراهي لنقد شديد بل ينتقص منه على أساس أنه يسير نفس منهج التفسير بالرأي. هذا على الرغم مما تناول الإمام الفراهي في

كتابه "التكميل في أصول التأويل" من مباحث في أصول التأويل يرفض هذا النوع من التفسير، كما أفاد العلامة بنفسه: "غاية هذا العلم هو المنع عن التفسير بالرأي".¹

إلا أنه شرح هذا الأمر قائلاً: إن التفسير بالرأي له قسمان: (1) التفسير بالرأي المذموم، و(2) التفسير بالرأي المحمود.

فالتفسير بالرأي المذموم هو تفسير جاء نتيجة للفكر الحر.

والتفسير بالرأي المحمود هو تفسير يحتوي على قواعد اللغة ونظائر الآيات ودراية السنة والبصيرة الإلهية وتأتي تفاسير الصحابة ضمن هذا النوع من التفسير وهذا هو السبب في ظهور النتائج مماثلة رغم اختلاف التأويل لديهم. ولا يمكن تسمية ما ورد عن أصحاب الرسول والتابعين من تأويلات وتفسيرات التفسير بالمأثور وإلا ما كان للخلاف أن يجد طريقاً إلى صفوفهم على الأقل. يقول الإمام:

"فاعلم أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين قد اختلفوا كثيراً في التأويل مع تقارب خطاهم فلو أخذوا تأويلاتهم عن النبي ﷺ لما اختلفوا، لكنهم أخذوها عن علمهم باللسان واقتصارهم على علمهم بنظائر الآيات وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطيها الله عباده ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل".²

وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن تيمية في مسألة التفسير بالرأي حيث يقول:
"فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير لا علم لهم به".³

¹ الإمام حميد الدين الفراهي، رسائل الإمام الفراهي (رسالة التكميل في أصول التأويل) الباب الرابع، التزمّت بنشرها وتوزيعها الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرايمير، أعظم كره، ط/2، 1411هـ، ص 215

² المصدر السابق، ص 215-216

³ شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، دار العربية، بيروت، 1398 هـ، 371-370/13

ويضيف قائلاً:

"فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه".¹

في بداية الأمر درج الناس على تأويل الآيات القرآنية بالتدبر في الكلام الإلهي على هذه الطريقة، كانوا ينظرون في كلام العرب لتحديد معاني الكلمات ويبحثون عن نظائرها في القرآن ويحددون مفهوم الكلمات والآيات في ضوء السياق والسباق، ولكن في العصور المتأخرة وذلك لما شرع أهل البدعة في تأويل الآيات حسب أهوائهم فنهى عنه أهل السنة واستلزموا التفسير بالمأثور. ولا ريب أنّ أهل السنة أرادوا به سدّ باب الفتنة وكانت مساعيمهم هذه مستحسنة لأن ما كانت لديهم وسيلة غير هذا لدرء تلك الفتنة في ذلك الوقت ولكن الحقيقة أنها لا تمثل وسيلة مؤثرة في منع التفسير بالرأي المحض وهذا ما أدى إلى ظهور مشكلة أخرى في صورة تفاسير باسم التفسير بالمأثور وهي لا تعدو أنّ تكون كتلة من الروايات الضعيفة والموضوعة. وهكذا أدّت محاولة القضاء على فتنة إلى ظهور فتنة أخرى وحدث كل ذلك لأن الأصول التي كان يراعيها السلف في تأويل الآيات لم تكن مدونة. كان الصحابة والتابعون يتدبرون القرآن مباشرة ويعربون عما يفهمونه بدون تحفظ.²

وجوب التدبر في القرآن: التدبر في القرآن واجب عند الإمام الفراهي وقد حشد أدلة كثيرة لثبوت ذلك وهي كالآتي:

1. أمر الله صراحة في مواضع عدة من القرآن الكريم بالتدبر في آياته.³

¹ المصدر السابق، ص 374

² رسائل الإمام الفراهي، بحث فرض التدبر والتفكر في كتاب الله، ص 218

³ انظر هذه الآيات: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ (سورة النساء: 82)، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (سورة محمد: 24)، أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (سورة المؤمنون: 68)، كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ لِأَنَّكَ مُبْرَكٌ لِيَذْكُرُوا عَائِيَّتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ (سورة ص: 29).

2. قد صرح الله عن فرص التدبر والاستدلال والتفكير لكنه لم يكشف عن نتائج التدبر والاستدلال، فيفهم منه بوضوح أنه يحق لكل شخص يكون متأهلاً أن يستنبط النتائج بعد التدبر والتفكير.
3. كما بُعث النبي ﷺ معلماً للشرائع بُعث معلماً للحكمة ولا يمكن تعليم الحكمة بدون استخدام العقل والتدبر.

قد علم رسول الله ﷺ الحكمة أيضاً ورغب فيها وأرشد إلى طرقها ومصادرها. كان رسول الله يطرح على أصحابه مسألة ويعطيهم الفرصة لإظهار ما عندهم من آراء حولها، فقد روى البخاري "عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا يا رسول الله ما هي؟ قال هي النخلة".¹

كما أنّ رسول الله ﷺ كان ينهى أصحابه عن كثرة السؤال. وكان من دواعي هذا النهي، إلى جانب الأمور الأخرى، أن يتعود الناس على التدبر والتفكير. وقد ورد في رواية أخرى من البخاري:

"عن ثابت بن أنس رضي الله عنه قال: نهينا في القرآن أن نسأل النبي ﷺ فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمعه ... إلى آخره".²

وقال الإمام الفراهي أنه ربّما كان يشير من النهي إلى الآية "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ" (سورة المائدة: 101).

وكان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يستفسرون معاني الآيات القرآنية بعضهم البعض في حين كانوا يواصلون فيها تفكيرهم وتدبرهم. على سبيل المثال، سأل

¹ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، مكتبة مصطفى، ديوبند.

² المصدر السابق: باب القراءة والعرض على المحدث.

عمر عليه السلام الناس عما تلمح إليه سورة النصر فالتزموا الصمت كلهم سوى عبد الله ابن عباس الذي أجاب واستصوبه عمر عليه السلام.

اعتراض والرد عليه: يخطر على بال كثير من الناس أن الاهتمام بعلم البيان وعلم النظر وعلم الاستدلال والانشغال بهذه العلوم بدعة لأن الصحابة الذين كان فهمهم للدين أكبر من أي شخص لم يكونوا منشغلين بها.

يردّ على ذلك الإمام الفراهي قائلاً إن البصيرة التي كان يمتلكها أصحاب النبي واطلاعهم على علوم القرآن كان عميقاً لدرجة ما كانوا يحتاجون إلى الانشغال بعلم البيان وتطويره. كان يكفهم النظر البالغ والذوق السليم للهداية والاسترشاد. ولكن أنى للمتأخرين تلك الميزة وبالتالي يجب أن تكون لهم أصول يراعونها وإلا أطلقوا العنان لعقولهم ففسّروا الآيات القرآنية على هواهم أو فرضوا الحظر المطلق على استخدام العقل ومن ثم يوصد الباب للتفكير والتدبر والذي فتحه الله إياه لعباده.¹

أصول التأويل: الأصول التي تساعد على فهم القرآن تسمى بأصول التأويل ولها قسمان: أولهما يحفظ من الضلال في باب التأويل وثانيتها يهدي إلى الحكم التي يحملها الكلام الإلهي في طيه، ولا يتم التعرف عليهما إلا من خلال التدبر في نظم القرآن. وذلك لأن النظم هو الحبل المتين الذي يحفظ من قبضها من التيه والضلال وهو السراج المنير الذي ينير دروب الحكمة ويضيء جوانبها المختلفة. وقد لوحظت هذه الحكم في ترتيب الآيات.²

الفرق بين التأويل والتحريف: أن يحمل الكلام على وجهه الذي يسمح به نقلاً أو عقلاً يسمى "التأويل" ومقابله التحريف، وهو أن يحمل الكلام على وجهه الذي

¹ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمد شاکر، تصحيح على عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الجزء العشرون، تفسير سورة النصر.

² رسائل الإمام الفراهي، ص 220-221

لا يسمح به نقلاً أو عقلاً. فالتأويل أمر مطلوب يُحمد بينما التحريف أمر ممنوع مبعوض. انظر في هذه الآية الكريمة كي يظهر المعنى الحقيقي للتأويل:

"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا". (سورة يوسف: 100)

وللتعرف على المعنى الحقيقي للتحريف لاحظ هذه الآية الكريمة:

"مَنْ أَلْذَيْنِ هَٰذَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ". (سورة النساء: 46)

السبب الرئيسي للتأويل الخاطئ: الواقع أن من وضع عقيدة وآمن بها فأخذ بأي دليل حصل عليه في حقه من أي مكان ثم نظر في القرآن، فإذا رأى أن القرآن لا يتفق مع عقيدته في الظاهر فأول القرآن وفقاً لعقيدته وهكذا استشرت الكثير من التأويلات في التفاسير والتي ما كان لها مكان على الإطلاق. هذا كان أكبر خطأ ارتكب في باب التأويل ومهدت سبل هذا الخطأ بالحرية المطلقة في التدبر بدون أن تكون له أصول تضبطه.¹

تأويل واحد لآية قرآنية واحدة: لم يكن تأويل آية قرآنية لدى الصحابة الكرام على وجوه متبانية بل كان يقتصر على معنى واحد لما كانوا يحملون من التقوى والاطلاع على اللغة والإلمام المباشر بشأن نزولها ولذلك لا نجد مما طرحوه من الأسئلة والاستفسارات حول معاني ومفاهيم الآيات القرآنية إلا قليلاً وحتى لم تتوافر عنهم تفاسير كثيرة للآيات. أما التابعون فلم يكن إلمامهم بشأن النزول يعتمد على معلومات مباشرة كالصحابة فجعلوا من نظائر وآثار الصحابة أساساً للتأويل. ولما ظهرت الفلسفة وبرزت الخلافات في العقائد وقع الناس فريسة للحرية الفكرية والتي أدت بدورها إلى ظهور فرق عديدة وكل فرقة اختارت ما كان يعجبها من روايات إسرائيلية ضعيفة. وهكذا تعددت سبل

¹ المصدر السابق، ص 229

التأويل وبلغ الأمر إلى حد صارت الحقيقة الواضحة مشبوهة وأظلمت سبل التفسير وغلقت أبواب فهم القرآن.¹

سيكون تأويل آية لدى الإمام الفراهي واحدًا ولن تكون لها تأويلات أكثر من ذلك وهو يرى أنه يجب مراعاة جوانب مختلفة للتوصل إلى تأويل دقيق. وهذا يستلزم، مثلاً، تأويل القرآن بالقرآن، ومراعاة نظم القرآن، وتحديد المعاني باعتبار السياق، والتدبر في الكلمات ومعاني ذات الوجوه المختلفة، وفهم الحكم لمختلف طرق الترتيب لمضامين السور، والنظر في نواحٍ مختلفة للمفردات والمعاني والنفي والإثبات، والإمام بالفرق في إطلاق الاسم والصفة والفعل، والاطلاع على أسرار أحكام الصفات بدلاً من الأفراد، والتنبيه إلى ما يتعلق بالكلمات الجامعة والمطلقة، ومعرفة الفرق بين الحقيقة المطلقة والحقيقة المصطلحة، وبذل المساعي للوقوف على وجوه الكلام وتأويل الكلام، وفهم البيان والإيهام، والانتباه إلى المحذوفات حيث يكون المفهوم ضمنيًا على خلاف الكلام الظاهر والمحسوس، وكذلك تكون الإضافة إلى حكم مكملًا له في بعض الأحيان، فيجب مراعاة جميع هذه الأشياء. وعلاوة على ذلك، يجب الالتفات إلى وجوه النظم ومواقع التدبر على اعتبار أنه من مستلزمات التأويل. وقد ألقى الإمام الفراهي الضوء على جميع هذه النواحي لتأويل الآيات.² من أراد المزيد من التفاصيل فعليه أن يراجع كتاب الإمام "التكميل في أصول التأويل". وعلى كل، فقسّم الإمام أصول التأويل في ثلاثة أقسام رئيسية وهي: (1) الأصول الأساسية، (2) الأصول الأولوية، (3) الأصول الباطلة.

الأصول الأساسية: يُراد من الأصول الأساسية الأصول التي تعتبر أصل الأصول والتي يتعذر بدونها الوصول إلى تأويل دقيق للآيات القرآنية وهي أربعة كالاتي:

1. مراعاة نظم الكلام والسياق والسباق.

¹ رسال الإمام الفراهي، ص 228

² المصدر السابق، ص 229

2. الاجتناب من المعاني الشاذة.
3. تفسير القرآن بالقرآن.
4. تعيين الخطاب والمخاطب.

مراعاة نظم الكلام: يعدّ نظم الكلام عاملاً حاسماً في فهم معاني القرآن. الكلام يشترك في الألفاظ والحذف والتقدير والتعريض. وكذلك ثمة اشتراك في الأساليب المختلفة المستخدمة من ناحية دلالات مختلفة في سورة ما، مثلاً، على الرغم من أنّ دلالات الأمر، والاستفهام، والعطف تكون مختلفة إلا أنه يوجد بينها اشتراك بنوع ما. بعد التعرف على جميع هذه الدلالات للكلمات وأساليب البيان يسهل فهم المراد الأصلي في مكان ما.

ثمة أجزاء للكلام تكون معانيها ذات الاحتمالات العديدة والظاهر أنه لا يمكن أن تكون كل المعاني صحيحة في وقت واحد. فللوصول إلى المعنى المراد في مثل هذه المقامات لا سبيل سوى النظر إلى السياق والسباق وأن يتم اختيار المعنى الذي يسمح به سياق الكلام. وفي معظم الأحيان يرجع سبب الخلاف في التأويل، عند الإمام الفراهي، إلى عدم مراعاة النظم في الآيات حيث إذا كان النظم ظاهراً وعمود السورة معلوماً بشكل واضح لدى الناس لما كان الخلاف في التأويل بأي نوع كان.¹ والشيء الوحيد الذي يمكن له أن يحدد الوجهة الصحيحة للكلام هو نظم الكلام، ومن شأنه أن يصلح ضلالات أهل البدع والضلالة والتحريف ويضمن حفظ الكلام الإلهي من التحريفات والتأويلات الخاطئة.²

الاجتناب من المعاني الشاذة: نزل القرآن بلسان عربي مبين وتتميز لغته بكونها نموذجاً لأعلى مستوى الفصاحة والبلاغة، كما أنّ معانيها تتسم بغاية من الروعة

¹ حميد الدين الفراهي، تفسير نظام القرآن (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة

الحميدية بمدرسة الإصلاح، ص 31

² المصدر السابق، ص 31

والسمو. فالكلام المتميز بهذه الخصائص لن يستخدم المفردات الشاذة والمنكرة والغريبة بدلاً من الفصيح المعروف والواضح؟ وبسبب عدم أخذ هذا الأصل الأساسي المهم في الاعتبار، وردت عن علماء التفسير معانٍ لبعض المفردات، لا تنافي الحقائق فحسب بل يستنكرها الذوق السليم ويأبي الطبع قبولها. مثلاً، جاء في القرآن: "إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" (سورة تحریم: 4). أخطأ عامة المفسرين في ترجمتها إذ قالوا "إن تتوبا إلى الله فهو خير لكما لأن قلوبكما قد جادت عن الطريق المستقيم".¹ يقول الإمام الفراهي إن المفسرين أخطأوا في هذا الموضوع في فهم دلالة الكلمة "صغو" وألبسوها معنى لا نظير له في كلام العرب، أي اعتمدوا على غير المعروف بدلاً من المعروف. يقول الإمام:

"الميل" معنى كلي، ثم تحته: الزيغ، والجور، والارعواء، والحيادة، والتنجي، والانحراف كلها للميل عن الشيء. والفيء، والتوبة، والالتفات، والصغو كلها للميل إلى الشيء. فمن خبط بينهما ضل وأضل.... فلا يخفى على العالم بلسان العرب أن قوله تعالى: "صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" (التحریم: 4) معناه: أُنابت قلوبكما، ومالت إلى الله ورسوله. فإن الصغو هو الميل إلى الشيء، لا عن الشيء".²

وعلاوة على ذلك، أسلوب الآية أيضاً ينفي هذا المعنى. يقول الإمام الفراهي خلال حديثه عن أسلوب هذه الآية: "فاعلم أن العرب عادتهم حذف ما يستغنى عنه، لولوعهم بهذيب كلامهم عن الفضول. وهذا باب عظيم من البلاغة. فنقتصر هاهنا على ما يكون بين "إن" الشرط و"قد" التحقيق.

¹ الشيخ سيد أبو الأعلى المودودي، تفهيم القرآن، وترجم شاه ولي الله الدهلوي "بر آئینه کج شدہ است دل شما" وکتب شاه رفیع الدین "کج ہو گئے دل تمہارے" وترجم شیخ الہند مولانا محمود الحسن "اگر تم دونوں توبہ کرتی ہو تو جھک پڑے ہیں دل تمہارے" وشرحها مولانا شبیر أحمد العثماني كسائر الناس، وترجمها مولانا محمد الجونا كرهى "اگر تم دونوں اللہ کے سامنے توبہ کرلو تو بہت بہتر ہے، یقیناً تمہارے دل جھک پڑے ہیں" وورد عنه نفس الشرح.

² تفسیر نظام القرآن، سورة التحريم، ص 177

سوف أنقل أولاً بعض الأمثلة كي نتمكن من الإشارة إلى المحذوف الذي نتوخى إظهاره. لقد جاء في القرآن:

"إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ". (سورة الأنفال: 19)

وجاء في سورة فاطر:

"وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ". (رقم الآية: 4)

وكذلك جاء في سورة التوبة:

"إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ". (رقم الآية: 40)

وقد أورد الإمام الفراهي غيرها من الأمثلة بما في ذلك كلام لشاعر جاهلي، ثم استطرده قائلاً:

"فإن تأملت في هذه الأمثلة علمت أن الجملة بعد "قد" تذكر أمراً يسهل به ما ذكر بعد "إن" كأن تقدير الكلام أنه إن يمكن كذا وكذا، فلا بأس أو لا إشكال أو الأمر هين، فإنه قد وقع كذا وكذا. فالتأويل الواضح للآية أنه إن تتوبا إلى بابتغاء مرضاة النبي، كما هو يبتغي مرضاتكم، فهذا هو المرجو منكم، فإن قلوبكما راغبة إليه".¹

تفسير القرآن بالقرآن: يعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أصول التفسير الرئيسية المهمة للوصول إلى المعنى المقصود، وقد اعترف بذلك معظم علماء التفسير ولكن لم يعمل به سوى نزر يسير منهم، على الرغم من أنه لا يخفى على أحد أن القرآن يتخذ أساليب متنوعة لبيان نفس الأمر في مواضع مختلفة وفقاً للسياق، فيذكر لها جانباً في مكان وجوانب أخرى في غيره من الأماكن. وكذلك يكون إجمال في مكان وتفصيل في مكان آخر والمزيد من التفاصيل في أماكن أخرى، مثلاً هناك آية "وَسَيِّحُ بِأَلْعَشِيِّ وَالْإِجْكَرِ" (سورة آل عمران: 41)، يجب لفهم سعة "وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

¹ المصدر السابق، ص 178-179

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى" (سورة طه: 130)، وكذلك في موضع: "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ" (سورة ق: 39-40)، وكذلك في موضع: "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْتُجُومِ" (سورة الطور: 48-49)، وفي موضع: "فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ" (سورة الروم: 17-18)؛ وكذلك ورد في موضع: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذُكِّرُوا لِلذَّاكِرِينَ" (سورة هود: 114)؛ وكذلك في موضع: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا" (سورة الإسراء: 78-79). فلو استحضرت جميع هذه الآيات لما أشكل عليك فهم ما تحمل الآية "وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ" من سعة المعنى.

تعيين الخطاب والمخاطب: في الواقع أن القرآن الكريم خطاب الله تعالى الموجه إلى الإنسانية جمعاء، خاطب فيه أحياناً المؤمنين وأحياناً الكفار والمشركين، وأحياناً المنافقين وأحياناً جمع المنافقين والمؤمنين في خطابه وكذلك جمع المؤمنين والكفار والمشركين في أماكن. فإذا تم مراعاة الخطاب والمخاطب في أثناء دراسة القرآن أصبح تحديد وجهة الكلام أمراً ميسوراً، وسوف يساعد ذلك على معرفة جوانب التسلية والتثبيت أو الزجر والتوبيخ والجزاء من الكلام الذي يعتمد على الرأفة أو الغضب، والوعد والوعيد، وهكذا دواليك، فمثلاً، في تفسير الآيات الأولى من سورة عبس قال المفسرون عموماً إنها معاتبة الرسول ﷺ لعدم الالتفات إلى الصحابي الأعشى عبد الله بن أم مكتوم والاستغلاظ في معاملته، في حين الحق أنه لم يصدر من رسول الله ﷺ ما يستوجب العتاب وكل ما كان صدر عنه هو عدم الالتزام بتلك الحدود التي كانت تليق بمكانة الرسول وذلك بفطر

حبه وانشغاله في الدعوة والتبليغ فنبه الله تعالى على ذلك. ولكن إذا ما تعمق عاقل في هذا التنبيه لرأى رأفة الله ورحمته تجاه رسوله ومعاتبة رؤساء قريش. ويوضح الإمام الفراهي هذه النكتة قائلاً:

"لما كان موقع هذه الآيات تنبيه النبي على علو منصبه لكيلا يتنازل إلى الإلحاح على الذين أظهروا الاستغناء، حتى يشتغل عن الذين يبتغون وجه ربهم أكد هذا الأمر ببيان علو ما أنزل إليه، ليعلم أن الاستغناء عن هؤلاء هو الأنسب."¹

ويرى الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في هذا الأمر أنه: "على الرغم من أن الخطاب في هذه الآيات موجه في الظاهر إلى النبي ﷺ لكن العتاب موجه بكامله إلى رؤساء قريش فحسب."²

الأصول المرجحة: الأصول المرجحة لدى الإمام الفراهي هي أصول تساعد على الوصول إلى المعنى الصحيح في حالة وجود عدد من الاحتمالات، وهي خمسة:

1- إذا احتمل الكلام أوجهًا فيرجح المعنى الأنسب لسياق الكلام ومضمونه. تحمل كل كلمة عدة جوانب ووجوه وهي معانٍ لتلك الكلمة، وكذلك تكون جوانب ووجوه لكل واقعة أو قصة ويتعذر فهمها تمامًا بدون مراعاة تلك الجوانب والوجوه، فمثلاً تخص صفة الوحدانية الكاملة لله تعالى ورغم ذلك نرى أنه ورد ذكر الله تعالى في أماكن عديدة بمختلف الأسماء ولا توجد مماثلة الترتيب في كل مكان، مثلاً من صفات الله تعالى "العزیز" والتي وردت في أماكن عديدة من سورة البقرة ولحقت بها صفة "الحكيم" في كل مكان.³ ولكن في بعض الأمكنة وردت صفة "ذو انتقام" مع هذه الصفة.⁴ وأحياناً استخدمت معها صفة "العليم"⁵ ويلاحظ أن صفة

¹ المصدر السابق، سورة عبس، ص 262

² الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، تفسير تدبر قرآن، 191/9

³ انظر: سورة البقرة، الآيات 129، 209، 220، 228، 240، 260

⁴ انظر: سورة آل عمران: 4، سورة المائدة: 95

⁵ انظر: سورة الأنعام: 96

"العزیز" سبقت في كل هذه الأماكن ووردت صفات أخرى بعدها. لكن انظر في سورة "الحشر" حيث وردت نفس الصفة في الوسط مسبوقة بـ "المهيمن" ومتبوعة بـ "الجبار".¹ وكذلك وردت هذه الصفة في الوسط في سورة الجمعة، مسبوقة بـ "القدوس" ومتبوعة بـ "الحكيم".² وثمة حكم ونكات في خلافات الترتيب كهذا والتي لا بد من مراعاتها والتي تتعذر بدون التدبر في القرآن. ولذلك فإن الشخص الذي لا يتدبر القرآن يستعصي على فهمه إحاطة موقع تلك الكلمات وملابساتها وبالتالي يخفى عليه الكثير من أوجه الكلام.

2- إذا احتمل الكلام معاني عديدة فيرجح المعنى الذي له نظير في القرآن الكريم ويُستغنى عما لا نظير له فيه. وكذلك إذا احتمل الكلام معنيين ولكليهما نظير في القرآن فيرجح الاحتمال الذي يتوافق مع نظم الكلام. مثلاً، قال الله تعالى:

"وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (سورة الأنفال: 24).

يمكن تأويل هذه الآية على وجهين:

أولهما أن الله عليم بما تكن صدورنا وثانها أن الله يمنع الشخص من تحقيق إرادته. هناك نظير للتأويل الأول في القرآن ويؤيد ذلك نظم الكلام لأن تصور "تحشرون" يخلق في القلب تقوى الله ولذلك ذكر مع التقوى في أماكن عديدة، مثلاً: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (سورة البقرة: 203)، "أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكُونُوا يَحْيَىٰ لِلدِّينِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْيِينَ" (سورة الأنعام: 72) "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (سورة المجادلة: 9) والتقوى يأتي بتصوير العلم الإلهي فكأنما قيل أن اتقوا الله لأنه عليم بجميع أسراركم وأنكم إليه ترجعون. فهذا وجه للتأويل أو مفهوم لهذه الآية وله نظير في القرآن الكريم ومتوافق مع نظم الكلام. أما وجه آخر للتأويل فنظيره أيضاً موجود

¹ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار... سورة الحشر: 23.

² سورة الجمعة: 1، الملك القدوس العزيز الحكيم.

في القرآن حيث جاء: "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ" (سورة سبأ: 54) ولكن سياق الكلام لا يؤيد هذا المعنى.

3- إذا كان المعنى يقتضي عبارة لم تذكر في الكلام فهو يكون مرجوحاً. لم يضرب الإمام الفراهي مثلاً لذلك واكتفى بالإشارة إلى أن عائشة رضي الله عنها والإمام الشافعي رحمه الله استدلا بهذا الأصل في باب التغني بالقرآن.

4- سيكون الترجيح في الكلام للجانب الأفضل دائماً وهذا يعني أن يؤخذ بالاحتمال الذي يليق بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق، وما يتقبله القلب بدون ارتياب، وما يتوافق مع محكمات القرآن، وما يكون معتمداً على حسن ظن بالله ورسوله وأكثر وضوحاً من حيث البيان العربي.

وقد أشار الإمام الفراهي في ذلك إلى الإمام ابن جرير رحمه الله بقوله أنه كان يرجح الجانب الأفضل رغم اعتنائه الشديد بالروايات، حتى على حساب الرواية نفسها، ثم أتى الإمام بمثال.

"هناك آية في سورة يوسف: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (يوسف: 111). يقول العلامة ابن جرير في تأويل هذه الآية: "يقول الله عز وجل: لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول يعتبرون بها، وموعظة يتعظون بها. وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف في الجب ليهلك، ثم بيع ببيع العبيد بالخسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملكه مصر، ومكن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشقة النائية البعيدة، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعذر عليه فعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد،

ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب، وإن مرت به شدائد، وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والزمان".¹

وبعد ذلك ذكر الإمام ابن جرير رواية عن مجاهد: "عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن أبي نجیح عن مجاهد في قوله "لقد كان في قصصهم عبرة" ليوسف وإخوته".²

وذكر بعده أنه قول مجاهد ولهذا محل في الكلام لكن التأويل الذي أوردناه سالفًا هو أحسن منه لأن الآية "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" وردت بعد ذكر أحوال النبي ﷺ ومشركي مكة وثبت الوعيد والتهديد على شركهم وكفرهم.³

يلاحظ في هذا الموضع أن الإمام ابن جرير الطبري، الذي يعد من الأئمة البارزين في التفسير بالمأثور قام بتأويل الآية مراعيًا بنظم الكلام وبعد أن نقل الرواية لم يستصوب الاستدلال منه لعدم مطابقتها للآية.

5- أما ما يخص بمعنى كلمة، فيكون الترجيح للمعنى الأكثر شيوعًا من حيث اللغة لأن ترك المعنى الأكثر استعمالًا في كلام العرب لا يجوز إلا إذا كان مخالفًا لنظم الكلام وطرق الاستعمال في القرآن والعقائد الدينية. وعرض الإمام الفراهي "نَزَاعَةَ لِّلشَّوَى" (سورة المعارج: 16) مثالًا على ذلك وذكر أن العلامة عبد القادر الدهلوي أخطأ في تحديد معنى "الشوى" وتواتر هذا الخطأ عن جماعة كبيرة من المفسرين. ذكر العلامة الدهلوي أن "الشوى" يعني "الكبد" أي إنها نزاعة للكبد، في حين تستخدم هذه الكلمة في كلام العرب عمومًا للحجم الساق. وهذا بيان لكيفية تحصل بعد الإلقاء في النار بل هو بيان لاقتراب العذاب. هذا بيان أن اليوم الذي أزلت فيه

¹ تفسير الطبري، تفسير سورة يوسف

² انظر: تفسير الطبري

³ تفسير طبري، تفسير سورة يوسف.

الجنة للمتقين وتكشف عن نار جهنم للظالمين لن يكون لهم يومئذ ناصر أو ظهير. تدعو نار جهنم الكافرين وتتلهب شعلة تصل إلى لحم ساقهم فتزعه نزعاً.¹ أما ما يتعلق بنزع أكبادهم فلا يوجد في القرآن ما يشير إليه، حتى في صورة دخولهم النار لا يوجد ذكر لنزع أكبادهم وقلوبهم لا في القرآن ولا في السنة. يقول الإمام الفراهي وكذلك أخطأ من رأى أن "الشوى" هنا في معنى "جلد الرأس" لأن هذه الكلمة مستخدمة في كلام العرب بمعنى "لحم الساق" وليس "جلد الرأس". واستخدام هذه الكلمة في معنى "جلد الرأس" شاذ وهو أيضاً مع احتمال المعاني الأخرى. وعلاوة على ذلك، لم يرد في القرآن ولا الحديث أنّ الكفار والمشركين يدخلون جهنم رأساً مستلزمًا القول لاحتراق شعرهم وجلودهم. وعلى أساس افتراض لو كان للكلمة معنيان معروفان بشكل متساوٍ ففي تلك الصورة أيضاً كان ينبغي اختيار معنى يتوافق مع نظم الكلام أكثر وما يكون مؤيداً معناه من مواضع القرآن الأخرى. لكن الأمر هنا مختلف.²

الأصول الباطلة: يرى الإمام الفراهي أن جميع الأصول المنافية لروح القرآن والسنة باطلة. وبهذا الخصوص إنه يحكم بعدم جواز استخدام العقل في مقابل النصوص الشرعية ولكنه بيد أخرى لا يستصوب الاعتماد على الروايات والآثار في تأويل الآيات القرآنية وجعلها أصلاً لاستخراج معاني القرآن على أساسها. يقول الإمام الفراهي إن هناك عدداً كبيراً من الآيات القرآنية التي تؤيدها الأحاديث ولا حرج في الاستدلال بتلك الروايات في تأييد المعنى ولكن يجب ملاحظة أن الأحاديث شرح وتفسير للقرآن وليست زيادة عليها فيجب أن لا تحكم الأحاديث على القرآن. ومن أفضل الأمثلة لتفسير القرآن بالحديث هي الآية "أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا رِضَةً مِّنَ اللَّهِ" (سورة النساء: 11).

¹ انظر: سورة المعارج، الآيات: 1-18.

² رسائل الإمام الفراهي، رسالة التكميل في أصول التأويل، ص 272-273.

تتضمن هذه الآيات المتسلسلة والمتراصة من سورة النساء بتعليمات واضحة في باب الوصية من الله تعالى. فقد أخطر القرآن هنا أن هذه القسمة معتمدة على علم الله وحكمته ولذلك سعى الله هذا الحكم بـ"الوصية".

ولقد ورد عن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي شرح جميل رائع لهذه الآية حيث يكتب:

"فهذا يعني أن من يوصي لشخص قرره الله وارثًا لمورث فكأنه في الواقع يعترم الإصلاح في وصية الله، بل بكلمة أخرى هي مخالفة لتلك الوصية ومنافية للتعقوى تمامًا. فيتروح من هذا أن التصريح الوارد للمورثين في الوصية هو لا يتعلق بالورثين الذين وردت في حقهم وصية من الله، بل هذا يختص لغير الورثين فحسب. وهذا ما يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا وصية لوارث".¹

هنا يلاحظ أن الإمام الفراهي استدل بحديث في تأييد حكم ورد في القرآن وكذلك الشيخ الإصلاحي. ويرى الإمام الفراهي أن الاستدلال من الأحاديث أمر مستحسن، لكن الأولى أن تتعلموا الهداية من القرآن وتجعلوه أساسًا لدينكم، ثم انظروا في ذخيرة الأحاديث فإذا رأيتم أن رواية تتصادم بالقرآن في الظاهر فأولوها في ضوء القرآن، فإذا حصل التطابق بينهما فسوف تقر عيونكم وإن لم يحصل فتوقفوا في باب الحديث واعملوا بالقرآن.²

يقول الإمام الفراهي إن جمهور الأئمة متفقون على أن "القرآن يفسر بعضه بعضًا" فيجب إقرار أولويته على غيره. ويجب كذلك ملاحظة أنه إذا حدث تعارض بين الحديثين فالناس يرجحون ما يكون سنده قويًا. فينبغي العمل بنفس الأصول في حالة تعارض بين القرآن والسنة لأن سند القرآن أقوى من أسناد الأحاديث.³

¹ تفسير تدبر قرآن، 261/2

² رسائل الإمام الفراهي، ص 275-276

³ المصدر السابق، ص 278

المصادر والمراجع

1. الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (ضبط وتعليق: محمد شاكر، تصحيح: علي عاشور)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
2. الإمام حميد الدين الفراهي، رسائل الإمام الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراييمير، أعظم كره، ط2، 1411هـ.
3. شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، دار العربية، بيروت، 1398هـ.
4. الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، تفسير تدبر قرآن، شركة تاج، دلهي، د.ت.
5. علامة حميد الدين الفراهي، تفسير نظام القرآن (ترجمة: مولانا أمين أحسن إصلاحي)، دائرة حميدية، مدرسة الإصلاح، د.ت.
6. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مكتبة مصطفى، ديوبند.

نظرية نظام القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي

- البروفيسور محمد راشد الندوي¹ترجمة من الأردوية: د. محفوظ الرحمن²

المدخل: أشعر بالفرح والسرور بعد قدومي إلى مدرسة الإصلاح، وأرى مبانها وأسمع صوت القرآن في كل نواحيها، حتى أننا نصغي إلى جدرانها وعمائرنا ترد صدى أسرار القرآن ورموزه وإعجازه وبلاغته وتراكيبه الجديدة وأساليبه. ولأن هذه المدرسة تم تأسيسها على يد العلماء الربانيين الذين كانوا يحبون الإسلام حباً جمّاً وكانت قلوبهم مليئة بالحماس للدعوة الإسلامية. تأسست المدرسة في كوخ صغير والآن تعتبر مركزاً إسلامياً كبيراً لا في الهند وحدها بل في العالم كله. وفي الحقيقة لا أريد أن أذكر إسهامات الشخصيات التي قامت بدور كبير في تطوير هذه المدرسة، أعتقد أن محاولاتهم كانت نعمة عظيمة، ولذلك أرى من المناسب أن أتذكر مآثرهم كالنعمة العظيمة. وكما قال الله تبارك وتعالى في القرآن الحكيم: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (سورة الضحى: 11).

كانت هذه المدرسة تسير إلى مراحلها التقدمية العلمية وما زالت محل اهتمام المسلمين الهنود، حتى نرى شخصية عظيمة قضت حياتها في التدريس في المعاهد الأدبية والعلمية تختار هذه المدرسة لقضاء المرحلة الأخيرة من حياتها، وتتفاعل مع أساتذة هذه المدرسة وطلبتها حتى لا يستطيع أحد أن يحس بأن هذا الرجل هو نفسه الذي كان تقلد المناصب الجليلة، وتركها كلها لهؤلاء الأساتذة والطلاب الذين يعتبرهم متاعاً عزيزاً له ووسيلة لرقى الأدب والعلم، وكما نعلم فكل لحظة

¹ بروفيسور متقاعد عن قسم الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

² أستاذ مساعد (مؤقت)، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي

قضاها في هذه المدرسة كانت ثمينة وغالية. وكانت هذه الشخصية شخصية العلامة الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله.

علاقة الإمام الفراهي الوطيدة بالقرآن الكريم: حينما نسمع اسم العلامة الفراهي رحمه الله نشعر بعلاقته القوية مع القرآن الكريم، وكأن خدمة القرآن الكريم ثروة كبيرة لهذه الشخصية العظيمة، وما من شك بأن الشخص الذي قضى كل مراحل حياته في تعلم علوم القرآن وأسرارها ورموزها، يأتي بالجواهر البديعة لهذه العلوم التي لم ترها العيون قط، ولم تسمع عنها الأذان من قبل. وكما يقول الإمام الفراهي رحمه الله: "إن القرآن أهم معجزة في هذا الكون، وفي الحقيقة كل جزء وكل ذرة للكون معجزة ولكن القرآن الكريم معجزة مهمة بينها، ولأن الإنسان يعدّ أفضل المخلوقات في الدنيا وخلق الله تبارك وتعالى كل شيء في هذا العالم لفائدة الإنسان.

وكما يقول الله تبارك وتعالى: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾". (سورة لقمان: 20).

ولكن القرآن الكريم ليس مثل الأشياء الأخرى فيعيش الإنسان دون النظر إليه في أمور حياته، بل القرآن وسيلة لهداية الإنسان وإدراكه وعقله وإن لم يستفد منه لأصبح أذل الحيوانات بدلاً من أفضل المخلوقات. وكما ورد في التنزيل العزيز:

"لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾". (سورة الأعراف: 179).

وقد علمنا أن الإنسان يستطيع أن يعرف رموز الكون وخزائنه الثمينة بجهد وعلمه ويمكن له أن يعيش حياته حياة طيبة، أما إذا حرم من نور القرآن فيكون هذا الكون أكثر ظلاماً من الظلمات نفسها، وكما جاء في القرآن الكريم:

"أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَيْلٍ يَعْشُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾".
(سورة النور: 40)

ومعنى النور هنا في الآية الكريمة القرآن الحكيم الذي يهدي الناس إلى الصراط المستقيم. وكذلك كل شيء في هذا العالم معجزة ورمز في مكانه، والقرآن الكريم له أهمية كبرى من بين كل أشياء العالم. ولأن وجود الإنسان بدون القرآن الكريم عبث وغير نافع، ولذلك حاول في كل عصر من العصور العلماء والمفكرون تعلم رموز القرآن الحكيم ثم نقلوها إلى الآخرين حسب فهمهم وعلمهم. وما من شك أن هذه الرموز معجزة للقرآن الكريم ولن تنتهي إلى الأبد. ومن يحاول أن يتدبر رموز القرآن يبرز أشياء جديدة كل يوم إلى يوم القيامة. وتستمر سلسلة كتابة التفسير والشرح للقرآن الكريم منذ أول يومه وتستمر إن شاء الله إلى يوم القيامة. وقد ظهرت رموز جديدة نتيجة لهذه المحاولات وكما برزت علوم مختلفة لكلام الله تبارك وتعالى وتوسع نطاق الثقافة الإسلامية بها، وارتفعت مكانتها، برزت علوم كثيرة ومتنوعة للقرآن ونال أصول نظام القرآن أهمية كبيرة بين هذه العلوم.

وقام العلماء المتقدمون والمتأخرون في عصورهم بخدمة هذا العلم وكل واحد منهم جدير بالثناء لأعماله الجليلة التي تركها. ولكن الإمام الفراهي رحمه الله هو العالم الذي اهتم بهذا العلم اهتمامًا بالغًا حتى لا نجد أحدًا من العلماء المتقدمين والمتأخرين بذل جهوده مثل العلامة الفراهي، وجعل الإمام الفراهي نظام القرآن الكريم شغل حياته المباركة، وقدم في هذا الصدد الأصول والنظريات. وتأثر المتأخرون بعد ذلك بأهمية نظام القرآن ودقته.

ولمعرفة بداية فكرة علم نظام القرآن في ذهن الإمام الفراهي وفكره يمكن أن نلاحظ اقتباسًا كتبه الإمام:

"فقد اجتهدت في هذا الكتاب- بحول الله وتوفيقه- أن أكشف عن نظام آيات القرآن العظيم، وأن أفسر تفسيراً ساذجاً غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا ﷺ، فالتمست معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها، ومن سياقها، ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل، ففي أمر النظام تدليت في غور الكلام بالبصر الناقد، وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنوجد".¹

وكذا يكتب:

"وكننت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد، ومع ذلك لم أكن بديعاً في تتبع النظام، ولأن جماعة من العلماء قصدوا إليه، وصنفوا فيه".²

بعد قراءة هذا الاقباس نصل إلى النتيجة أن قلبه هداه إلى دراسة نظام القرآن وهذا لا يؤتى إلا بحب كلام الله. وما من شك أن القرآن مصدر الأحكام المختلفة ومجموعة من الحكم والعبرة ولذلك فإن من يرغب في دراسة القرآن ويستفد منه ويحصل على جمال القرآن في شكل موحد مثل المرأة، يرى المشاهد فيها منظراً خلائياً وجميلاً من كل النواحي، ويكون هذا المنظر ظاهراً فيعترف به بدون أي إشكال. ولكن في مرآة الفكر والوجدان لا يرى المرء شيئاً في الظاهر، ويستطيع الرؤية من يفوز بوجود هذه الصفة بعد التدبر والتفكير في القرآن الكريم.

علم نظام القرآن وميزات الإمام الفراهي: وجدير بالذكر أن الإمام الفراهي رحمه الله هو العالم الوحيد في عصره الذي التفت إلى هذا العلم. ونرى في الهند وخارجها من العلماء والمفسرين الذين قدّموا خدمات عظيمة في علوم القرآن بأساليبهم المختلفة، وظهرت كتب كثيرة باللغة العربية والأردية واللغات الأخرى. ويعدّ الشيخ

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي، ديباجة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، ص 15

² المصدر نفسه، ص 16

محمد عبده، والشيخ رشيد رضا المصري الذي كتب تفسيره "المنار". ومن المتأخرين الشيخ شلتوت، والشيخ المدني، والشهيد قطب، والشيخ الطنطاوي والشيخ الجوهري علماء بارزين لعلوم القرآن في البلدان العربية والنواب صديق حسن خان، والشيخ محمود الحسن، والشيخ شبير العثماني، والشيخ أبو الكلام آزاد علماء بارزين خدموا علوم القرآن في الهند. ومن المتأخرين الشيخ عبد الماجد الدريابادي، والشيخ أبو الأعلى المودودي. وساهم كل منهم في خدمة علوم القرآن وتفسيره مساهمة كبيرة. وحينما نقوم بالمقارنة بين هذه الشخصيات والإمام عبد الحميد الفراهي نجد الفراهي فائقاً وفريداً بسبب تدبره ووجهة نظره العلمية بينهم. وتزداد أهميته هنا في الهند حيث لا توجد بيئة عربية خالصة. ويجتهد الإمام الفراهي في سبيل الحصول على علم نظام القرآن ويقضي حياته في دراسة اللغة العربية وآدابها وعلم النقد والبلاغة. ويعدّ هذا العلم سلاحاً له. وكما يقول الفراهي فإن فكرة نظام القرآن الكريم هي الكيفية الإلهية التي تأتي من تلاوة القرآن الكريم ودراسته والتدبر فيه. وما كان الشيخ تلميذاً للعالم أو مفسر في هذا المجال. وفي الحقيقة أنه في مجال البحث والدراسة يمكن للعالم أن يستفيد من كتب عالم آخر في الترتيب والبناء. أما الفن فيرشده إليه ذوقه ووجدانه النقي. وقد عبر القرآن هذا الشيء بالحكمة: "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا". (سورة البقرة: 269).

مراحل نشأة الإمام الفراهي رحمه الله: كيف التفت الفراهي إلى دراسة علم نظام القرآن، وكيف وجد الطريقة التي اختارها لإفهام هذا العلم وتفهمه. لا بد أولاً أن نعرف مراحل تطور عقله وذهنه في حياته. ويمكن تقسيمها إلى أربع مراحل وهي كما يلي:

المرحلة الأولى هي التي نشأ فيها وترعرع وحصل على التعليم الابتدائي والتعليم العالي للغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما. وكان العلامة شبلي رحمه الله مربيه وأستاذه. وأتقن الفراهي اللغة العربية والفارسية. وسافر إلى مدن أخرى لإشباع رغبته في تعلم الأدب واللغة فأقام في مدينة لكنّاو ولاهور. واستفاد من الشيخ

فيض الحسن السهارنفوري رحمه الله كثيرًا، وكان الشيخ السهارنفوري أستاذًا للغة العربية في الكلية الشرقية بمدينة لاهور. ولم يكن له مثيل في علم اللغة العربية وآدابها وفقه اللغة في أنحاء الهند كلها. وقد استفاد العلامة شبلي نفسه من الشيخ فيض الحسن السهارنفوري. وكانت نتيجة إشراف وتربية العلامة شبلي والشيخ فيض الحسن السهارنفوري للشيخ الفراهي أن برع في اللغة العربية ونشأ ذوقه فيها. وبدأ الفراهي يقرض الشعر بالعربية والفارسية مع كتابة المقالات. وعرض العلامة شبلي بعض قصائده أمام الشيخ فاروق الجرياكوتي. فلم يمدحه الشيخ الجرياكوتي فقط بل اعترف بروعته اعترافًا بالغًا.

والمرحلة الثانية لحياة الفراهي تبدأ بعد قدومه إلى مدينة علي كره. وكان أثرياء الهنود يهتمون بعلي كره في بداية القرن العشرين، ويعتبرون جامعة علي كره الإسلامية مركزًا كبيرًا للحصول على العلوم الحديثة. وعلم الفراهي عن هذه الجامعة من أستاذه شبلي. وسافر إليها وحصل على شهادة البكالوريوس واختار الإمام مادة اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس. وكان معلمًا لهذه اللغة وليس طالبًا، وقد بذل جهوده في تعلم العلوم الحديثة وخاصة في علم الفلسفة واللغة الإنجليزية وبرع فيها.

وتعلم اللغة العبرية من أستاذ مشهور للغة الألمانية اسمه البروفيسور يوسف هاردينر في جامعة علي كره الإسلامية والذي كان يتقن اللغة الألمانية أيضًا. وكما عرف الفراهي خلال إقامته في علي كره مع تعلم اللغة الإنجليزية والعربية وعلم الفلسفة، المنهاج الجديدة للدراسة والكتابة والتي كانت رائجة في المعاهد الهندية الحديثة والتي دخلت فيها بعد التواصل بين هذه المعاهد ومعاهد الغرب، وهكذا قامت جامعة علي كره بدور بارز في تربية الفراهي العلمية والثقافية والأدبية.

كانت إقامة الفراهي في جامعة علي كره مفيدة جدًا لأنه التقى هناك بالأستاذة والباحثين الذين كانوا ينتسبون إلى ديانات مختلفة واستفاد من أعمالهم الأدبية

والعلمية. ومما لا شك فيه أن معظم أساتذتها كانوا يقومون بدراساتهم وأعمالهم تحت إشراف وقيادة السير سيد أحمد خان، وقام السيد أحمد خان بترويج المنهج الجديد للتعليم والتربية لمركزه التعليمي، وكما أبدع طريقة لكتابة نثر اللغة الأردية حتى تغير أسلوب هذه اللغة ومستواها، وكان في قلبه إخلاص وحب للأمة الإسلامية الهندية وكان يريد أن ينهضها من الانحطاط إلى العلو، وكان أسلوبه في الكتابة والتحدث بديعًا وخلاّبًا. ومما لا شك فيه أنه أبدع أسلوبًا سهلًا في كتابة النثر الأردّي وترك أسلوب السجع والتكلف الذي كان رائجًا في اللغة الأردية، ويوجد في أسلوبه عمق نهر "الغانج" وانسيابه معًا. ومن ناحية بدأ سيد أحمد خان في هذا الوقت يكتب في مجلته "تهذيب الأخلاق" وكتبه الأخرى عن موضوعات مختلفة، ومن جانب آخر أراد أن يكتب تفسير القرآن الكريم لهداية الأمة الهندية الكاملة. وجاءت هذه الفكرة في ذهنه لأنه وجد أن في القرآن الكريم مباحث كثيرة يوجد فيها غموض، وقامت بدراستها جماعة كبيرة لعلماء السلف ولكن لا يقبلها عدد كبير من الجيل الجديد لهذا الزمان، وخاصة الجزء الذي يتعلق بعلم الكلام. وبدأ سيد أحمد كتابة تفسيره "تفسير أحمدي" واختار فيه أسلوبًا جديدًا للتفسير والتعبير، وكان السير سيد يهتم بالفلسفة الجديدة والعلوم الحديثة ولذلك ابتلى كثير من الجيل الجديد في الشك في أكثر مباحث القرآن. وعرض السير سيد نظريات العلماء المتقدمين مع أفكار العلماء المتأخرين والفلاسفة الجدد في تفسيره، وكانت هذه محاولة جديدة في عهد السير سيد أحمد خان. وكما بدأ الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا في مصر دراسة تفسير القرآن الكريم في مجلة "المنار". وهذه كانت مثل محاولة السير سيد أحمد خان وكان السير سيد يعرف فكر الشيخ محمد عبده وحركته معرفته جيدة. وقام شبلي بتعريف نظرية الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا في الهند. ونال تفسير السير سيد أحمد مكانة مرموقة بين بعض الناس وكذا عارضه عدد كبير من العلماء معارضة شديدة.

ومهما اختلفت نظريته وفكره في تفسيره ولكن الحقيقة أنه بدأ كتابة تفسيره بأسلوب جديد وكان هذا جهداً كبيراً، وبسببه فتحت أبواب الاجتهاد والتفكير والتدبر، ويعتبر هذا العمل عملاً عظيمًا في القرن العشرين. كان الفراهي يختلف في النظريات مع السير سيد أحمد خان والتي وجدت في تفسيره ولكنه استفاد استفادة كاملة من أسلوبه ومباحثه التي عرضها في تفسيره.

وقد ألف السير سيد أحمد خان كتاباً آخر اسمه "تعيين الكلام في تفسير التوراة والإنجيل على ملة الإسلام". صدر هذا الكتاب سنة 1862م/1278هـ وألقى السير سيد في هذا الكتاب الضوء على حقيقة الصحف السماوية مع تقديم الاستعراض التاريخي لها، وقام بدراسة ممتازة عن التوراة والإنجيل، ويمكن لنا بعد دراسته الجيدة أن نعلم ما يوجد في هذين الكتابين، ويتم التوافق لبعض المباحث التي بينها القرآن الكريم وخاصة التوحيد والرسالة. وقد اعترف القرآن بكون التوراة والإنجيل صحيفتين سماويتين، وكما اعترف بأن رسالة الأنبياء كلهم واحدة. ولكن بعض الناس قاموا بتحريف هذين الكتابين لأغراضهم الخاصة وبسبب هذه التحريفات اختلفت بعض المسائل في التوراة. ولكن تتبين بعض الحقائق المفيدة بعد دراسة التوراة والإنجيل والتي اكتمل القرآن الكريم بالإشارة إليها مع بعض القصص. ويتضح بعد قراءة هذا الكتاب للسير سيد أحمد خان أن الباحث أو المفسر الذي ليس له إلمام بمباحث التوراة والإنجيل لا يستطيع أن يفهم بعض القضايا والقصص التي ذكرها القرآن الكريم. وكأن سيد أحمد خان أرشد العلماء إلى استحالة فهم القرآن الكريم بطريقة صحيحة ودراسة الإسلام ومقارنته مع الأديان الأخرى دون دراسة الكتب السماوية لأي باحث أو مفسر.

وبعد قراءة تفسير السور القرآنية التي كتبها الفراهي وملاحظاته التي وضعها على تفسيره نستنتج أن الفراهي كان يعترف بأن تعلم اللغة العربية وآدابها مع معرفة علم الكتب السماوية ضروري لكل من يريد أن يخوض في مجال تفسير القرآن الكريم.

وقد تعلم اللغة العبرانية خلال إقامته في علي كره لهذا الهدف، ونجح في كل مراحل حياته في مجال فهم القرآن الكريم وتدبره وتفهمه بفضل معرفة هذه اللغة. وحينما كان يلقي محاضرة حول القرآن كان يضع مباحث التوراة أمامه. وتولدت لديه رغبة تأليف الكتب العلمية خلال إقامته في علي كره، وكما أشار بنفسه في مقدمة تفسيره "نظام القرآن" إلى هذا الصدد بأنه رتب خطة تفسيره في علي كره.

والمرحلة الثالثة لحياة الفراهي تبدأ كمدرس ومعلم. حيث سافر إلى مدينة "كراتشي" أولاً وتم تعيينه كأستاذ اللغة العربية، ثم رجع بعد أيام قليلة إلى علي كره وعُيّن أستاذاً للغة العربية هنا، وكان السير سيد أحمد خان يكتب تفسيره "تفسير أحمدي" في هذه الأيام. والتمس بعض أصدقاء سيد أحمد خان من الفراهي أن يترجم هذا التفسير إلى اللغة العربية. كان الفراهي يحترم سيد أحمد خان كثيراً ولكنه يرفض الشيء الذي يخالفه رفضاً شديداً. وكان تفسير سيد أحمد عنده تفسير باطل، فرفض أن يترجمه إلى اللغة العربية.

ثم انتقل الشيخ إلى مدينة الله آباد ثم إلى مدينة حيدرآباد، وتم تعيينه هناك كمدير لدار العلوم. وكانت دار العلوم تعد آنذاك معهداً علمياً كبيراً في حيدرآباد وقام الإمام الفراهي رحمه الله بخدمتها حسب مقدرته.

المرحلة الرابعة تبدأ بعد سفر حيدرآباد ثم تأسيس مدرسة الإصلاح، وقامت مدرسة الإصلاح بدور حيوي في تطوير أعمال الفراهي العلمية، وتقع هذه المدرسة في قرية حيث لا توجد تسهيلات الحياة اليومية مثل المدن، ولا توجد كذلك أهم الكتب على موضوعات مختلفة في مكتبتها. فلا شك أن كتبه الشخصية ساعدته في بحوثه.

كان الفراهي يحب أن يجمع الكتب حول الموضوعات المختلفة وترك كتباً كثيرة ذات أهمية بالغة بعد وفاته، ويمكن أن نقدر حجم أبحاثه الكثيرة من هذه الكتب. وكما ألّف الفراهي كتابه الأول "جمهرة البلاغة" خلال إقامته في كراتشي. وحينما نقرأ المؤلفات والكتب التي ألفها الفراهي نجد أنه يتناول موضوع العلوم القرآنية دائماً.

وكان يهتم بدراسة العلوم الأخرى التي تكون ضرورية لفهم القرآن بما فيها الأدب والشعر الجاهلي وعلم اللغة وعلم إعجاز القرآن وعلم البلاغة والنقد وعلم النحو والصرف. والحقيقة أن أحداً لا يستطيع بدون هذه المواد أن يفهم القرآن الكريم جيداً. وكان الفراهي يعترف بأهمية العلوم المذكورة وكان يهتم بها كثيراً.

طريقتان لفهم القرآن الكريم: إن لفهم القرآن الكريم طريقتين، إحداهما الوسيلة الباطنية وأخرهما الوسيلة الخارجية، ويتعلم المرء الوسيلة الخارجية من دراسة إضافية مثل الآيات التي وردت عن القصص والجغرافيا وتعيين الأمكنة والأحكام والأخلاق وغير ذلك. ويمكن الحصول على هذا العلم الخارجي بدراسة كتب التفسير والفقه والحديث والتاريخ والسيرة. ولكن لا يمكن تعلم الوسيلة الداخلية وهي إعجاز القرآن وربط الآيات، وتسلسل المعاني وعظمتها إلا بدراسة عميقة للقرآن الكريم، ولا تتدخل دراسة المرء الإضافية فيها. ونزل القرآن الكريم باللغة العربية، يقول الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا". (سورة يوسف: 2).

نزل القرآن الكريم في عصر وبين أناس لم تكن توجد لديهم أسباب الراحة ورغد العيش، ولكنهم كانوا يتفوقون في اللغة على سائر العالم. ومما شك فيه أن اللغة العربية هي لغة غنية لينة، ولذلك اختارها الله تبارك وتعالى لكتابه الأخير. وكان العرب يعترفون بأمانة الرسول ﷺ وكرمه ومروءته وشجاعته وصلته للرحم ومواساته الفقراء ومكارمه الأخرى. ولكنهم لم يتركوا ديانتهم والعادات والتقاليد التي تربوا عليها منذ نعومة أظفارهم. ومهما كان دينهم وتقاليدهم والمجتمع الذي كانوا يعيشون فيه إلا أنهم كانوا يفرضون هذه الأمور على أنفسهم. وكما ورد في القرآن قولهم: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ" (سورة الزخرف: 22).

على كل حال فقد كانوا يعيشون حياة بسيطة، راضين ومقتنعين ومخلصين لها دون تكلف. ولما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، اعترفوا بعظمته وقالوا: إن ترد مألأً للندنيا نعطيه، وإن ترد أن تتزوج مع فتاة أسرة طيبة رضىيناها، وإن ترد به شرفاً

سودناك، ولكن لا نقبل أن نترك ديننا وتقاليدها ولا نقبل مساومة عليها. فقال النبي ﷺ ردًا عليهم: "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهر الله أو أهلك فيه ما تركته".¹

والحقيقة أنه إن كان الأمر مقتصرًا على ذات الرسول ﷺ وشماله فلا يغير أحد من الناس دينه لقوله. وكما نجد في التاريخ فإن كثيرًا من الأنبياء كانوا يدعون أمتهم إلى دين الحق، ولكن لا يؤمن إلا عدد قليل منهم، ولكن لم يبق أحد في شبه الجزيرة العربية في سنوات دعوة الرسول ﷺ والتي بلغت ثلاث عشرة سنة إلا قبلها. وكان السبب المهم لهذا الأمر أن الله تبارك وتعالى ربط النبوة بالقرآن الكريم، والقرآن باللغة العربية. وكانت هذه الأشياء مرتبطة مع بعضها البعض ولا يمكن أن نتصور الإسلام بدونها. وكما يذكر الله تعالى في كلامه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (سورة الحجر: 9)

ومعنى الذكر هو القرآن ومعنى المحافظة المحافظة على اللغة وترتيب القرآن حسب نزول القرآن، يعني لا يكون فيه أدنى تغيير، لا في الكلمات ولا في المعاني. ولأن القرآن الكريم مرتبط باللفظ والمعنى معًا. وكما قال الله تعالى:

"لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ" (سورة القيامة: 16-19).

كأن وجود القرآن مرتبط باللغة العربية، وملئت هذه اللغة بعظمة القرآن الكريم. وكان العرب قادرين على اللغة الفصحى بشكل تام، وكانوا يعلمون عظمتها وفصاحتها وبلاغتها وسعتها ولينها جيدًا. وكانوا يحبون لغتهم كثيرًا، وكانوا يقيمون مهرجانات أدبية في العصر الجاهلي. فكان الشعراء يأتون من مختلف القبائل

¹ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، 46/3

ويقدمون قصائدهم في سوق العكاظ. وكما يجتمع عدد كبير من المستمعين فيه لكي يسمعوا كلام الشعراء، وخبراء اللغة يحكمون بينهم، ويعتبر حكمهم الحكم الفاصل. ويمكن لنا أن نقدر أهمية الشعر والأدب لدى العرب بالمسابقة الشعرية التي كانت تنعقد في سوق عكاظ. فلما سمعوا دعوة الرسول ﷺ وسمعوا كلام الله في تأييد هذه الدعوة بهتوا. ورفضوا هذه الدعوة إلى وقت محدد، وكانوا يرفضونها بالسنتهم وتطمئن لها قلوبهم. ولذلك أصيبوا بالصراع الذهني والنفسي وكانوا يحاولون أن يبعدوا أنفسهم عن كلام الله قدر ما استطاعوا. وكانوا يمنعون أزواجهم وذرياتهم من هذا الكلام وإذا مروا بمكان يتلو فيه المسلمون القرآن الكريم وضعوا أصابعهم في آذانهم وصاحوا وكما جاء في القرآن الكريم:

"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾" (سورة فصلت: 26).

وهكذا كان العرب يعلنون تمرد صراعيهم الداخلي بل أحاسيسهم، وكأنهم يعترفون علانية بكل فكر القرآن الكريم. وكانت موسيقاه وربط كلامه وانسجامة مختلفاً تماماً من كلام البشر في ذلك العصر، ولم يوجد له مثيل في الربط، واللغة العربية الرائجة بينهم أصبحت مع عظمتها عبثاً أمام كلام الله تبارك وتعالى وكانوا يعترفون بعجز لغتهم أمام لغة القرآن الكريم حتى قالوا: "فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٧﴾". (سورة المدثر: 24).

ومعنى السحر كيفية الأثر والشيء الذي يجلجل القلوب بل هي قوة تعويج المخ، يسمع المرء كلام الله فيخضع لمن يقرؤه. كما سجد الساحرون أمام موسى عليه السلام وفسدت خطط فرعون كلها. فيمكن القول بأن الإنس والجن خضعوا أمام قوة القرآن الكريم. وكما ورد في القرآن الكريم:

" قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾". (سورة الجن: 1-2).

وما من شك أن القرآن أثر في قلوب العرب واضطروا بأن يعترفوا أن هذا الكلام ليس بكلام البشر، وأرشدتهم هذا الاعتراف إلى قبول دعوة الرسول ﷺ. ولما آمنوا كانت قلوبهم مطمئنة بالحقائق التي وردت في القرآن الكريم. وكانوا يعتقدون بأن كلام الله كله وحدة مترابطة، والأمر كله هو أمر الله تبارك وتعالى ولذلك يجب الإيمان بكل الأمور الموجودة فيه. وبدأ دور الشك في حقائق القرآن الكريم في ذلك العصر لما دخلت في الإسلام الشعوب الناطقة بغير اللغة العربية، وقد اختلفت ثقافتها وحضارتها وديانتها عن الثقافة العربية وحضارتها. وكان أتباع هذه الأقوام يرون القرآن في ضوء ديانتهم وحضاراتهم وثقافتهم القديمة، ولما وجدوا اختلافًا بين أمور القرآن ودينهم وقعوا في شك. أما العرب فكانوا يحبون الرسول ﷺ والقرآن الكريم بعد إيمانهم، وكانوا يعتقدون بأن طاعة الرسول ﷺ وكلام الله لازمة عليهم. وحينما كانوا يسمعون القرآن يعرفون الكلمات الظاهرية والمعاني الدقيقة وكانوا يشعرون بقوة الكلمات وتراكيبها. ولم يتحدث أحد عن إعجاز القرآن، ولكن الكل كان يعلم أن هذا الكلام كلام الله، وكل كلمة أو جزء منه معجزة بنفسها. وكانوا يقولون بأن مقارنة حروفه وكلماته وتراكيبه ومعانيه من كلام البشر باطلة. وكانوا يتدبرون في آلاف الأشياء المبعثرة في الكون. وكانوا يجدون في كل شيء معجزة من الله تبارك وتعالى. ويعتقدون بأن أحدًا لا يستطيع أن يأتي بمثله مهما حاول واجتهد. وكما يقول الله في القرآن الكريم:

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ" (سورة آل عمران: 190-191).
كأن كل شيء خلق لهذه الدنيا مفيد وليس عبثًا، وكما تتفتح الوردية بين الأشواك ولكنها تمنح الفرح والطمأنينة للمرء بحسنها وجمالها. وكذلك الجواهر التي تنشأ في الأحجار ويستخدمها الإنسان لزيينة عرشه وتاجه، وإذا اعترض شخص بقوله لماذا

تنشأ الوردية بين الأشواك ولماذا تكون أحجار الجبال للآلي الباهرة؟ فكل ذرة في الدنيا ذات أهمية بالغة وضرورية. كذلك كل حرف من القرآن وكلماته وآياته مرتبطة مع بعضها البعض. ولا يمكن تغيير مكانها، لأن الكلمة تكون مرتبطة بالجملة والجملة تكون مرتبطة بالجملة السابقة. وكذلك يوجد انسجام المعاني والتدبير في تسلسل الجملة وارتباطها. بل يمكن القول إن تسلسل المعنى والتدبير في تسلسل الكلمة والجملة، ويستمر الربط في الكلام. وكما نجد في تفاسير القرآن التي ألفها المفسرون القدامى وبعض المتأخرين ربط آية مع آية أخرى، ويهتمون بالكتابة عن ربط موضوعات السور والتسلسل بين السور القرآنية. ولكن يوجد الاختلاف في ربط السور بين العلماء والمفسرين ولكل منهم له آراء مختلفة في هذا الصدد.

وتقول جماعة إن كل سورة هي بمثابة وحدة وكما تدعي جماعة من العلماء بأن كل السور مرتبطة بالسور الأخرى. وفي رأيي أن هذه المباحث كلها مباحث لفظية ولا يمكن ترتيب أصول نظام القرآن وقواعده مثل العلوم الأخرى ويمكن أن يقدم تصور نظم القرآن بالأصول والقواعد. والصحيح أنه يجب للحصول على هذا العلم علي دارس القرآن أن يعرف اللغة العربية وعلومها وكيفيةها ويهديه وجدانه كذلك. ولأن الأشخاص الذين ليست لديهم مهارة تامة في اللغة العربية وعلومها فإنهم لا يستطيعون أن يفهموا نظام القرآن وإعجازه وبلاغته حتى بعد محاولات كثيرة. ولا تنشأ الكيفية الداخلية في قلوب الناس بدراسة كتب العلماء الآخرين.

وأما العلماء والمفسرون الذين لا يعترفون بعلم نظام القرآن فإنهم يحاولون أن يتعلموا المباحث التي يمكن الحصول عليها من الدراسة والقراءة فقط. وذكر الفراهي عن هؤلاء العلماء الذين لا يقبلون أصول نظام القرآن أسباباً عديدة ويقول إن العلماء الذين لا يريدون أن يتدبروا في إعجاز القرآن وبلاغته فإنهم لا يهتمون بهذا العلم بل يركزون على دراسة الأمور السهلة للقرآن الكريم مثل أمور التزكية والأحكام والقصص وتعيين المقامات وغير ذلك. ويمكن للمرء أن يتعلم هذه الأمور بعد جهد قليل. وملتفت علماء هذه الطبقة إلى هذه الموضوعات

ويقولون بدون أي تردد عن نظام القرآن إن هذا الموضوع يحتاج إلى جهد كبير ولا يساعد ويؤثر على فهم القرآن الكريم. وأما العلماء الذين يؤمنون بهذا العلم فإنهم يعتبرون هذا الموضوع موضوعاً أساسياً ومركزياً للقرآن الكريم. ويقولون إن الموضوعات الأخرى تكون سهلة بعد معرفة هذا العلم مثل قصص الأمم الماضية والتزكية ووجود الكون وصفات الله تبارك وتعالى بدون إشكال بمساعدة نظام القرآن الكريم. وتبرز هذه الموضوعات بشكل مرتبط أمام القارئ. ونشعر في بعض الأحيان أن الفراهي يركز على أصول نظام القرآن، ولكن الحقيقة أن الفراهي حصل على هذا العلم بعد دراسة جادة وعميقة وكانت الأمور كلها واضحة أمامه ولذلك لا يتحمل الشيخ رفضه في أي حالة. وفي الحقيقة فإن هذه الشدة عن علم أصول نظام القرآن عند الفراهي متأصلة لأنه اختار القرآن موضوعاً أساسياً ومركزياً منذ أن بدأ تعلم اللغة العربية وعلومها الأخرى. وكتب عن هذا الموضوع كثيراً. وكما يقول بنفسه إن كثيراً من العلماء القدامى قاموا بدراسة هذا الموضوع وبمن فيهم الإمام الرازي والإمام البيهقي والإمام المهائمي والعلامة الزمخشري، وكانت نظرة العلماء المذكورين الدقيقة في العلوم القرآنية. ومدح الفراهي مآثرهم واستفاد من كتبهم أيضاً. ولكن مآثر الفراهي أكبر منهم كلهم لأنه اهتم بهذا الموضوع بعد تدبره ودراسته العميقة في البلد الأعجمي وتناول هذا الموضوع كموضوع رئيسي. واهتم عدد قليل من علماء العرب بدراسة هذا الموضوع فكيف يلتفت أحد من علماء العجم إلى هذا الموضوع؟ وفي الحقيقة فإن فكر الإمام مهدي في ذلك الزمان. ولا بد أن نعترف بعد مشاهدة كمال الإمام وتبحره في العلم بأن الله تبارك وتعالى رزقه العلم والذوق السليم والرغبة في نظام الله والدنيا وكان يتدبر في كلام الله. وكان يعرف اللغة العربية وخاصة لغة عهد نزول القرآن معرفة جيدة وكان عنده إلمام تام بالفن والفكر وكان بإمكانه أن يقود علماء العرب وإن ولد في بلد عجمي حيث لا توجد البيئة العربية ويمكن لنا أن نقول إن الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله مثله كان عهده عهد الانحطاط والتعطل في العلم ولكنه

قام بتأسيس الاجتهاد الصحيح، ووضع أمامه قوانين الإسلام وحقائقه مثل العلماء المتقدمين كالإمام الغزالي والإمام ابن القيم والإمام ابن تيمية، فإن لغة "حجة الله البالغة" وأسلوبها مثل كتب الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم. ويتضح منه أن القرآن الكريم ليس بمحدود لأي زمان خاص بل من يلتفت إليه ويقضي حياته في دراسته تنكشف رموزه وحقائقه أمامه.

وكما حصل الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله منصب الإمامة في عصره بعد جهد وتفكير، واعترف علماء العرب والعجم بعظمته، وكذلك تناول الإمام الفراهي رحمه الله موضوعًا دقيقًا وصعبًا للقرآن الكريم، وأثبت أن من يتدبر في رموز القرآن وحقائقه كثيرًا، تنكشف صورة جديدة وفنون جديدة له. كما يجتهد الإنسان في البحث عن الأشياء الجديدة كل يوم في الدنيا وتنكشف العلوم والأشياء الجديدة أمامه، كذلك الأمر ينطبق على البحث عن عظمة الله تبارك وتعالى وحقائق القرآن الكريم. ومن يتدبر في هذه الأمور يرسخ الإيمان في قلبه. وإن القرآن كتاب الله تعالى. ومن ناحية دراسته والتدبر فيه من الضروري أن تنكشف الأمور والحقائق لكل من يقرؤه. ويكون كل مخلوق جديدًا دائمًا من الناحية الطبيعية. يطلع القمر كل يوم منذ آلاف السنين، وتطلع الشمس وتغرب يوميًا، والأرض موجودة ولكن يبدو كل شيء جديدًا للعالم، إن إعجاز القرآن الكريم كان منذ يوم نزل على النبي ﷺ إلى يومنا هذا بنفس الهيئته. وكانت عظمته من أول يومه إلى يومنا هذا معترفًا بها. وكما كانت أهمية إعجازه في أول يومه وهو باق إلى يومنا هذا. فمن يتدبر فيه ويحاول أن يعرف الحقائق الجديدة تنكشف الرموز والحقائق الجديدة بعد التدبر فيه وكما ورد في التنزيل العزيز:

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْقَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ إِذْ ذُنِ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ". (سورة إبراهيم: 24).

وحينما نتدبر في الآيات قبلها وبعدها يتضح لنا الأمر أن للقرآن مكانة سامية ومن يتدبر فيه كثيرًا تنكشف له رموزه وحقائقه.

ومن نافلة القول أن الإمام الفراهي رحمه الله قام بإسهامات كبيرة في ترويج أصول نظام القرآن الكريم. وكان سببه الأساسي شغفه بالقرآن الكريم وحبه للغة العربية وعلومها المختلفة، كما أشار إليه الفراهي بنفسه.

وقال العلامة السيوطي في الإتقان: "أفردته بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه " البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن " ومن أهل عصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه " نظام الدرر في تناسب الآي والسور. وذكر أنه صنف كتابًا جمع فيه كل ذلك، مع بيان وجوه الإعجاز وقال: "علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين، فقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".¹ وكما يكتب:

"وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض. فهذان مذهبان مختلفان للعلماء، وعلى كليهما فريق، الأول عندي أحسن وبه أخذ".² ويكتب كذلك:

"وقد يسر الله تعالى لي، بمحض نعمته، فهم نظم القرآن في سورة البقرة وسورة القصص من نفس القرآن وإني كنت مولعًا بتلاوته، وهو أحب الكتب وألذها عندي ولله الحمد، وقد كنت أسمع أن القرآن أشد الكتب نظمًا لنزوله نجمًا نجمًا ولكن بعد ذلك ظهر لي النظام في سورتين حثني على التدبر في باقيها".³

¹ فاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، المصدر نفسه، ص 16

² المصدر نفسه، ص 17

³ المصدر نفسه، ص 17

الفراهي وعلم غريب القرآن

د. أنصار أحمد¹

الملخص

لقد اهتم بهذا العلم جملة من العلماء منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام، حيث أصبح موضوعاً للبحث والدراسة، ثم شرعوا في التأليف عنه حتى أصبح علماً مستقلاً، صُنِّفَتْ فيه الكتب المطولة والمختصرة قديماً وحديثاً.

وفي هذا البحث الوجيز تحدثت عن التعريف بعلم غريب القرآن لغة واصطلاحاً، ثم ناقشت حركة التأليف فيه وكذا تناولت ترجمة الفراهي ومنهجه في مفردات القرآن، ثم ذكرت بإيجاز أهم مزايا مفردات القرآن التي تفرد بها هذا الكتاب من الكتب الأخرى وتحدثت عن أهمية مفردات القرآن وفي الأخير لخصت ما جاء في مقدماته.

التعريف بعلم غريب القرآن: لغة: لفظ غريب: فعيل من مادة (غ، ر، ب) في قاموس اللغة على جملة من المعاني، منها الغياب والبعد والخفاء وعدم الظهور.

قال ابن منظور في لسان العرب: غرب أي بعد والغريب: الغامض من الكلام.

واصطلاحاً: الغريب من القرآن هو الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم التي لم تتضح دلالتها على المعنى بشكل ظاهر وهي على وجهين: إما أن يكون معناها غامضاً لا يفهم إلا بعد بحث وتنقيب وجهد، وإما أن يكون معناها معروفاً لدى قوم دون غيرهم، وذلك لأنها مستعملة في لغتهم.

أما علم غريب القرآن: فهو العلم الذي يعتني بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها، بناء على ما جاء في لغة العرب وكلامهم.

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، حرم كارجيل التابع لجامعة كشمير، كارجيل

وهناك من الغريب ما هو سهل وميسر لجميع الناس، فهناك كلمات مفهومة مثل السماء، الأرض وغير ذلك. وهناك كلمات لا يعرفها إلا العلماء الذين تبجروا في علم اللغة العربية وهذا هو القسم الذي نتكلم عليه هنا وهو ما يسمى: علم غريب القرآن الكريم.

التأليف في غريب القرآن: ولقد اهتم بهذا العلم جملة من العلماء منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام، حتى أنهم أصبحوا لا يحصون،¹ واقتضت هذه الكثرة اختلاف مناهجهم في التأليف، لكن الذي يجمعهم استنادهم جميعاً إلى لغة العرب شعرها ونثرها مما صحت روايته للكشف المراد عن اللفظ المشكل،² فقد روي عن ابن عباس فيما يسمى بإجاباته عن المسائل التي سأله عنها نافع ابن الأزرق، وكان يستشهد تلك المعاني بأبيات من الشعر بعد أن يقول له نافع: "إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوا في الشعر فإن الشعر ديوان العرب". وعنه قوله: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك"،³

كما روي عن ابن عباس أنه لا يعلم تفسير كثير من الألفاظ حتى تهيأ له السماع من بعض العرب ففهم المراد.⁴

ومن ثم تتابع التأليف فيه بعد ذلك حتى أحصى بعض العلماء أكثر من خمسين كتاباً ورسالة في تفسير غريب القرآن، حيث تابع العلماء التأليف في معاني القرآن وغريبه على النحو التالي:

¹ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1368هـ، 1/115،

² ابن منظور: لسان العرب، 5/55

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 292/1 - 294 والإتقان في علوم القرآن، 2/55.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية. الطبعة الثانية 1387هـ/1967م، 44/1، والبرهان في علوم القرآن، 1/293،

- تفسير غريب القرآن للإمام زيد ابن علي ابن حسين ابن علي ابن أبي طالب،
الفقيه المفسر المتوفى سنة 122هـ.
- معاني القرآن لواصل ابن عطاء البصري، أحد شيوخ المعزلة المتوفى سنة 141هـ.
- غريب القرآن لمحمد ابن السائب ابن بشر أبي النضر المفسر الكوفي المتوفى
سنة 147هـ.
- معاني القرآن للكسائي علي ابن حمزة ابن عبد الله الأسدي الكوفي المتوفى
سنة 189هـ.
- معاني القرآن لأبي فيد السدوسي إمام النحو والعربية المتوفى سنة 190هـ.
- غريب القرآن ليحيى ابن المبارك ابن المغيرة العدوي اليزيدي البصري المتوفى 202هـ.
- غريب القرآن للنضر ابن شميل المتوفى سنة 203 وقيل 204هـ.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر ابن المثنى البصري المتوفى سنة 210هـ.
- معاني القرآن للأخفش الأوسط سعيد ابن مسعدة المتوفى سنة 215هـ.
- غريب القرآن للأصمعي عبد الملك ابن قريب الباهلي أبي سعيد المتوفى سنة 217هـ.
- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة عبد الله ابن مسلم الدينوري المتوفى سنة 276هـ.
- نزهة القلوب في تفسير علام الغيوب لمحمد ابن عزيز العزيزي السجستاني
أبي بكر المتوفى سنة 330هـ.
- العمدة في غريب القرآن لمكي ابن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني المتوفى سنة 502هـ. وهو من
أشهر كتب الغريب المتداولة بين أيدينا حتى الآن.
- البيان في غريب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري المتوفى 577هـ.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي عبد الرحمن ابي الفرج ابن الجوزي
الفرج المتوفى سنة 597هـ
- روضة الفصاحة في غريب القرآن لمحمد ابن أبي بكر الرازي المتوفى سنة 666هـ.

- التيسير العجيب في تفسير الغريب وهي منظومة في غريب القرآن لناصر الدين أبي العباس أحمد ابن محمد المالكي الإسكندراني المعروف بابن المنير المتوفى 683هـ.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لمحمد ابن يوسف ابن علي المعروف بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745هـ.
- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب لعلاء الدين علي ابن عثمان ابن إبراهيم ابن التركماني المارديني المصري المتوفى سنة 750هـ.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأحمد ابن يوسف ابن الدائم المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة 706هـ، وهو أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن. جمع فيه ألفاظ القرآن وفسرها وسار على منهج الراغب الأصفهاني وأخذ من مفرداته.
- التبيان في تفسير غريب القرآن لأحمد ابن محمد ابن المعروف بابن الهائم المصري المتوفى سنة 815هـ. وقد اعتمد فيه صراحة على كتاب ابن عزيز السجستاني.
- غريب القرآن لعبد البر ابن محمد الحلبي المعروف بابن الشحنة المتوفى سنة 921هـ.
- مجمع البحرين ومطلع النيرين في تفسير غريب القرآن والحديث الشريفين لفخر الدين محمد ابن علي الطريحي المتوفى سنة 1085هـ.
- تفسير غريب القرآن العظيم لمصطفى ابن حنفي ابن حسن الذهبي المتوفى سنة 1280هـ.
- كلمات القرآن تفسير وبيان لحسنين مخلوق، فرغ من تأليفه سنة 1370هـ.
- المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن للشيخ باي بلعالم، فرغ من تأليفه سنة 1417هـ.
- المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم بعبد العزيز عز الدين السيروان الذي نشر عام 1986هـ.

فقد جاءت هذه التصانيف على اتجاهين:

الأول: على ترتيب السور في القرآن الكريم، كتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن، عبد الله ابن يحيى ابن المبارك اليزيدي. والثاني: على ترتيب حروف المعجم، كنزها القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم لأبي بكر محمد السجستاني، المفسر اللغوي، وكتاب الغريبين غربي القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

فمن أراد معرفة معنى الكلمة القرآنية وهو يعرف موضعها منه قدمها له الفريق الأول ميسرة، ومن أراد معرفة الكلمة متبعاً اشتقاقها ودورانها في كتاب يجد مبتغاه في المجموعة الثانية، ومهما تباينت الأساليب فإن كلاً منهم قد أسدى لقراءة كتاب الله خدمة وبسط لطلابه طريق الإطلاع والمعرفة.¹

وجدير بالذكر أن بعض هذه التصانيف في غريب القرآن لم تذكر في عناوينها كلمة "الغريب" صراحة. فالفراء أطلق على كتابه "معاني القرآن" وأبو عبيدة يسميه "مجاز القرآن" وهكذا، فالمعنى القائم بعرف هؤلاء هو الغريب وتحمل كل هذه العناوين بين طياتها شرحاً للكلمة الغريبة في القرآن والإستدلال عليها وتوضيح معانيها.²

نبذة عن ترجمة الفراهي: الإمام عبد الحميد الفراهي (1280-1349هـ) أحد العلماء البارزين في علوم القرآن والعربية وهو ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام الشيخ شبلي النعماني (ت 1332هـ).

وكانت شخصية الفراهي عبقرية فذة وذا ثقافة واسعة، متنوعة وكان له أثر بارز في العلوم العربية والإسلامية وكان متقناً في لغات متعددة من العربية، الفارسية، الإنكليزية والعبرية.

¹ عوض ابن حمد القوزي، معاجم غريب القرآن: مناهجها- أنواعها، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد: 78، الجزء: 4

² محمد فريد راوي الدكتور: الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر، سلاتجور، ماليزيا، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م،

وكان عالماً بارعاً في علوم القرآن ورائداً بالغاً في البلاغة والنحو وناقداً وأديباً واسع الإطلاع وكاتباً ومفسراً جليلاً، تتجلى مواهبه العظيمة وعبقريته الفذة ودراسته الواسعة وأفكاره السليمة بين الأوساط الأدبية والعلمية.

وهناك رجال كتب الله لهم الخلود، وإن لم يأخذوا حظهم في حياتهم فإن الله تعالى رفع ذكرهم وأعلى مقامهم بعد وفاتهم. ومن هؤلاء الأعلام الأفاضل علامة الهند الإمام عبد الحميد الفراهي (ت 1349هـ) رحمه الله تعالى¹.

وقد تأسف الدكتور أحمد حسن فرحات بأن يظل هذا العالم مجهولاً في الأوساط العلمية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي على الرغم من كثرة كتبه ومؤلفاته التي تدل على عبقرية فذة وعقلية مبدعة والتي لا بد أن يكون لها أثر بارز في حاضر العلوم العربية والإسلامية ومستقبلها².

ويبلغ عدد كتبه ومؤلفاته نحو خمسين كتاباً ورسالة بالعربية في شتى العلوم والفنون وخاصة منها الدراسات القرآنية، طبعت بعضها وما زالت بعضها الأخرى مخطوطة، ومن أهم مؤلفاته هي: "مفردات القرآن"، "أساليب القرآن"، "التكميل في أصول التأويل"، "تاريخ القرآن"، "دلائل النظام"، "حكمة القرآن"، "حجج القرآن"، "القائد إلى عيون العقائد"، "الرائع في أصول الشرائع"، "إحكام الأصول بأحكام الرسول"، "أسباب النزول"، و"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ" وغيرها.

منهجه في مفردات القرآن: إن هذا الكتاب من أروع الكتب التي ألفها الفراهي لتمهيد الطريق إلى فهم القرآن الكريم وتوضيح آياته.

جعل المؤلف كتابه مفردات القرآن جزءاً من مشروعه القرآني العظيم المشتمل على اثني عشر كتاباً وكان أول الكتب الثلاثة منها التي ألفها لتمهيد السبيل إلى فهم

¹ محمد يوسف الشريجي الدكتور، الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره " نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ". مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد: 20، العدد: الثاني، 2004م

² أحمد حسن فرحات في افتتاحية العدد الثالث عشر من مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، السنة السادسة، أبريل 1989م، ص 9.

أسرار القرآن على الوجه الصحيح، وهي مفردات القرآن وأساليب القرآن والتكميل في أصول التأويل.

وإن المنهج الذي سلكه الفراهي في دراسة الألفاظ يعد قيمة كبرى لهذا الكتاب، فإن هذا المنهج هو الذي أدى إلى تفسير بعض المفردات القرآنية إلى النتائج التي ينشر لها الصدر، وينجلي بها الغموض، فيتعين معنى النص، ويضيئ السياق. لقد طبع هذا الكتاب بمطبعة "الإصلاح" بسراي مير بمقاطعة أعظم كره سنة 1308 هـ الموافق 1940 م باعتناء الأستاذ عبد الأحد الإصلاحي، ثم طبع بمطبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت، سنة 1422 هـ الموافق 2002 م بتحقيق وشرح الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.

وفي هذا الكتاب يبحث الفراهي عن الكلمات المفردة بنظرات جديدة وتحقيقات بارعة تخلو منها الكتب الأخرى، ويكشف معانيها المطلوبة بحيث يتضح لها الحدود واللوازم وما يتصل بها وما يفرق عنها وما يشابهها وما يضادها، فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة.

ويرى الفراهي أن الخطوة الأولى لتفسير القرآن الكريم هي المعرفة بالكلمات المفردة، حيث تناول معظم الكلمات المفردة المستعملة في القرآن الكريم، واستدل على آرائه بكلام العرب الجاهلي ومصادره من الشعر والنثر وقد توصل في تحقيق بعض المفردات إلى نتائج مهمة تختلف عما جاء في كتب اللغة والتفسير وقد استفاد المؤلف بمعرفته للغة العبرية في تحقيق بعض الألفاظ التي هي من المواد المشتركة بينها وبين العربية مثل الأب والدرس والإيمان وغيرها.

فالمعرفة بالكلمات المفردة هي البداية لمعرفة المعاني المستمدة من مجموعها، والاطلاع على الحكم والأسرار، التي حصلت من بطونها، وكتاب الفراهي هذا من خير الكتب وأعزها لديه وأكرمها عنده.¹

قد تحدث الفراهي عن روابط مؤلفاته القرآنية التي تهدي إلى اتجاه خاص وهدف معين وذكر سبب تأليفه وموضوعه فيقول في مقدمة كتابه: "أما بعد: فهذا كتاب في

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، المرجع السابق

مفردات القرآن جعلته مما نحول إليه في كتاب (نظام القرآن) لكيلا نحتاج إلى تكرار بحث المفردات إلا في مواضع يسيرة يكون فيها الصحيح غير المشهور، فنذكر بقدر ما تطمئن به القلوب السليمة، ولا نورد في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضي بياناً وإيضاحاً، إما لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه، فإن الخطأ ربما يقع في نفس معنى الكلمة فيبعد عن التأويل الصحيح أو في بعض وجوهه، فيغلق باب معرفة النظم. وأما عامة الكلمات فلم نتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافلة به، ومع ذلك تجد هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - محتوياً على جل ما يقتضي الشرح من ألفاظ القرآن¹. وقد اهتم الفراهي بالمفردات لأن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وإن الطالب قد يتوهم من اللفظ ضد ما أريد، فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة، وإن الخطأ في كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها، فيتوجه المرء إلى خلاف الهدف المعين، حيث أشار إلى أهمية فهم الألفاظ المفردة في تدبر القرآن قائلاً: "لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام.... فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق باب التدبر وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة.... وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها.... وهكذا ترى الخطأ في حد كلمة واحدة أنشأ مذهباً باطلاً، وأضل به قومًا عظيمًا وجعل الملة الواحدة بددًا..... فإن معظم القرآن الحكمة، وهي الأصل، ولا سبيل إلى فهمها من القرآن دون الاطلاع على معاني كلماتها المفردة"².

ثم صرح المؤلف بهدف الكتاب والفكرة المسيطرة عليه عند تأليفه، وذلك لأن الكتب المؤلفة في هذا الباب لا تساعد في فهم معاني القرآن ومطالبه ولا توضح حدودها وقيودها قائلاً: "إن كتب اللغة والغريب لا تعطيك حدوداً تاماً وكتب

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، تحقيق وشرح: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 2002م، ص 49

² مفردات القرآن، المرجع السابق، ص 50-51

السير لا تبين بالتمام والصحة أمورًا جاء ذكرها في القرآن---ومن أراد التأمل الصحيح والتدبر التام وجب عليه أن لا يغفل عن النقد فيما يأخذه من هذه العلوم كلها ومن يتمسك بالقرآن وينور الله عقله به، يطلع على أغلاظ كثيرة في كتب القوم والضر يكون بقدر الاعتماد عليها والغفلة عن النقد".¹

ومن مقاصد هذا الكتاب "الفرق بين معاني الألفاظ عند نزول القرآن وما بين ما صارت بعد ذلك، مثلًا "الوحي" لم يكن مختصًا بما أنزل الله على الأنبياء".²

ونوه الفراهي بأهميته وبتقديم كلام العرب القديم ودراسته وممارسته وتذوقه لتبين دلالة الكلمة ووجوهها وأحوالها التي كانت عليها إبان نزول القرآن الكريم فقال: "والخلاص من ذلك بأمرين:

الأول: معرفة معنى الكلمة ووجوهه وأحواله.

والثاني: الاعتصام بنظم الكلام.

فوضعت هذا الكتاب للأمر الأول، وفيه عون على الأمر الثاني، فإن من عرف معنى الكلمة وأحاط بوجوهه، وما يتعلق من الأحوال، مكنه أن يطلع على ما هو أكمل رباطًا وأحسن تأويلًا".³

فيما يلي نقدم نموذجًا من تحقيقه العلمي ليتضح به منهجه وطريقة معالجته للقضايا وهو يشرح معنى كلمة "الآلاء" الواردة في القرآن، يقول إن أهل اللغة وعامة المفسرين أجمعوا على أن معناه: النعم ولكن القرآن وكلام العرب كلاهما يأباه والظاهر أن معناه "الفعال العجيبة" فارسيته "كرشمه". ولما كان غالب فعالة تعالى الرحمة، ظنوا أن "الآلاء" هي النعم.⁴

¹ المرجع نفسه، ص 51

² المرجع نفسه، ص 52

³ المرجع نفسه، ص 54

⁴ المرجع نفسه، ص 126

ثم ذكر المؤلف الأدلة اللغوية والشعرية لإثبات رأيه، كما كانت عادته في جميع كتبه، مما لا يدع مجالاً للخروج على رأيه، ويدعو القارئ إلى التوقف عند رأيه والاعتراف بتحقيقه.

ونقدم هنا فيما يلي باختصار أهم المزايا التي تفرد بها هذا الكتاب، فيما يلي:

1. مقدماته التي تناول فيها مسائل مهمة تتعلق بلغة القرآن.
2. منهجه في تفسير الألفاظ.
3. تفسيرات جديدة لبعض الألفاظ.
4. الكشف عن أصول جديدة ترجع إليها مشتقات المواد اللغوية.
5. بيان التطور اللغوي لبعض الألفاظ.
6. العلاقات المعنوية بين الألفاظ التي قرن بعضها ببعض في كتاب الله.
7. تأصيل الكلمات التي زعم الطاعنون أن القرآن أخذها من اليهود والنصارى.
8. الخراء اللغوية المنشورة في الإبدال وغيره.
9. الشواهد الشعرية الجديدة.
10. تفسير لبعض الشعر القديم خلافاً للشرح جميعاً.¹

أهمية الكتاب: إن هذا الكتاب يحتل مكانة مرموقة بين كتب الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، ويسد فراغاً كبيراً في المكتبات الإسلامية، وذلك لأنه كان أهم العناصر التكوينية لطريقة الفراهي في فهم القرآن وأعظم الكتب التي تمثل مدرسته منهجاً وغاية، أسلوباً وطريقة.²

وقد تحدث الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي عن "مفردات القرآن" في مجلة "الإصلاح" قائلاً: "نقوم بعد ذلك بطبع (أصول التأويل) و(مفردات القرآن)

¹ المرجع نفسه، ص 68

² الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، المصدر السابق، ص 169

والكتاب الثاني يشتمل على شرح معاني الألفاظ القرآنية، وطريقة المؤلف تختلف في ذلك عن طريقة المتقدمين وتحقيقاتهم¹.

وقد ظهرت في الكتاب براعة المؤلف اللغوية والأدبية، وعلمه العميق، وقدرته الفائقة على الشرح والتحليل والتطبيق، وشجاعته النقدية في هدوء وأدب واحترام للمتقدمين، ويساعده في معالجة القضايا اللغوية الدقيقة العريضة وإلمامه الكامل باللغة والأدب، وإطلاعه الواسع على أساليب الأدب والبلاغة من علم البيان والمعاني والبديع وتذوقه للكلام العربي والشعر الجاهلي، ووقوفه على تعبيرات الصحف السماوية والأحاديث والآثار، وتضلعه من اللغات الأجنبية من الإنجليزية والفارسية والعبرية².

ملخص ما جاء في مقدماته: فقد ذكر الفراهي في مقدماته الخمس التي جاءت طويلة - على الرغم من قلة المفردات التي درسها - تحدث فيها عن مقصد الكتاب وحاجة الناس وأن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وكذا جعلها للأصول اللسانية، تحدث فيها عن تقسيم مواضع الوهم من الكلمة والكلام. وأشار فيها الفراهي إلى كون القرآن خاليًا عن الغريب ---- ذلك لأن التسمية بالغريب إنما تصح بالنسبة إلى المعاجم ومن قلّ علمه بالعربية، ثم تحدث عن ألفاظ القرآن العام والخاص والمجاز والحقيقة والحروف المقطعات، وغير ذلك. والجدير بالذكر أن هذا الكتاب يحتل قيمة علمية ومكانة مرموقة بين كتب غريب القرآن، كما أنه يعد من أفضل الكتب المؤلفة في هذا الباب.

¹ مجلة "الإصلاح" الصادرة عن مدرسة الإصلاح، عدد يناير عام 1936-1939م، و1939م، ص 336

² الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، المصدر السابق، ص 170

المصادر والمراجع

1. ابن منظور، لسان العرب
2. الإمام عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن، تحقيق وشرح: الدكتور محمد أجمل أيوب الاصلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 2002م
3. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت
4. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1368هـ
5. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، 1387هـ/1967م، دار الكتب المصرية
6. محمد فريد راوي الدكتور: الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر سنانجور، ماليزيا، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م
7. أحمد حسن فرحات في افتتاحية العدد الثالث عشر من مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، السنة السادسة، أبريل 1989م
8. عوض ابن حمد القوزي، معاجم غريب القرآن: منهاجها- أنواعها، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد: 78، الجزء: 4
9. مجلة "الأصلاح" الصادرة عن مدرسة الإصلاح، عدد يناير عام 1936-1939م، و1939م
10. محمد يوسف الشربجي الدكتور، الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد: 20 العدد: 2، 2004م

نظرية المحاكاة والصدق لأرسطو والعلامة الفراهي

(في ضوء كتابه "جمهرة البلاغة")

- د. قمر إقبال¹

العلامة حميد الدين الفراهي من العلماء البارزين الهنود في أوائل القرن العشرين، والذي ترك آثارًا ملموسة في تاريخ العلم والأدب.

ولد العلامة الفراهي في مديرية أعظم جره، في شرق أتراباديش (الهند). وتلقى العلوم على كبار علماء زمانه أمثال العلامة شبلي النعماني، والعلامة فاروق التشريناكوتي، والعلامة فيض الحسن السهارنفوري. ثم التحق بالجامعة الإسلامية بعلي جره.

خلف العلامة الفراهي مؤلفات قيمة لا تزال موضع اعتناء للعلماء والباحثين. وكان له رؤية عميقة في البحوث الفلسفية قديمها وحديثها، ترى ملامحها في كتاباته. وكان مولعًا بالقرآن الكريم، فقضى حياته كلها شارقًا لمعانيه ومفاهيمه. ومن جملة ما ألف هادفًا شرح معانيه كتابه الهام "جمهرة البلاغة". صدرت طبعته الأولى من الدائرة الحميدية بسرائر مير، أعظم جره سنة 1360 للهجرة. هذه الطبعة تحتوي على 88 صفحة. ثم أعيد طبعه في قشيب جديد عام 1437 هـ الموافق 2016 للميلاد. تحتوي هذه الطبعة على 168 صفحة. وصدرت حديثًا طبعة منه في العالم العربي مع التعليقات القيمة بقلم عالم قطري اسمه الشيخ أحمد فرحات، والذي ظفر الكاتب برؤية صورة من عنوانه.

الكتاب صغير الحجم ولكنه في غاية الدقة نظرًا إلى الكشف عن الأسرار البلاغية. والكلام على محتواه تفصيلًا ربما يحتاج إلى مئات الصفحات. ولم يلتفت إليه الكتاب والباحثون غير بضع مقالات. وقام العلامة شبلي النعماني بتعريفه في

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لکناؤ، أتراباديش

مجلة "الندوة". وهذا المقال الأولي مطبوع في المجلد الثاني لمقالاته المسماة بـ "مقالات شبلي".

ما هي نظرية العلامة الفراهي عن آراء أرسطو الأدبية أو الشعرية؟ سنجيب عن هذا السؤال في هذا المقال الوجيز؛ لأن المقام لا يسع الإطناب والتفصيل. وكما قلت أن الهدف وراء تأليف هذا الكتاب الموجز هو شرح البلاغة القرآنية، لا الكشف عن آراء أرسطو في الأدب والشعر. ولكن جرت العادة خلال الكلام على نشأة العلوم ربطها - كلها أو جلها - بأرسطو وحذا العلماء العرب حذوه في هذا الخصوص طيلة القرون المتوسطة؛ لذلك أرخى الفراهي عنان كلامه إلى نظرياته وأشار إلى ضعفها فيما يخص بالأدب والشعر.

وقبل الخوض في صلب الموضوع يجدر بالذكر أنّ العلامة الفراهي اعتبر أرسطو أول من تكلم في البلاغة،¹ والواقع أن أستاذه أفلاطون هو الذي تحدّث أولاً عن البلاغة. ويمكن أن العلامة الفراهي أراد بقوله هذا أن أرسطو أول من صنّف في هذا الموضوع؛ لأن أرسطو سبق أستاذه بالتصنيف في هذا الفن. أما أستاذه أفلاطون فتوجد آراءه عن البلاغة في كتابه "الجمهورية" وهو لم يفرد بالتأليف في الموضوع. حدّد الفراهي ست جهات وبنى عليه كلامه عن آراء أرسطو. وهذه الجهات الست كما يلي:

- إن حسن الكلام ليس في محض كونه محاكاة، بل في إبلاغ المعاني من المتكلم.
- وأن غايته ليست إطراب السامع بل كونه سفيراً صادقاً للعقل.
- وأن التلذذ بها ليس لكون المحاكاة داخلة في عنصر الإنسان بل لأن فيه استعمال أرفع قواه.

¹ عبد الحميد الفراهي، جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية، بسرائير مير، أعظم جره، الطبعة الثانية، 2016م، ص: 12

- أن ليست المحاكاة بل النطق من خصائص الإنسان.
- أن الصدق يلزم المخبر فإن خالطه الكذب حطه عن درجته.
- وأن سوء المعنى يمحو عنه اسم البلاغة.¹

اثنتان من هذه الجهات الست أساسيتان، بنى عليهما العلامة الفراهي نقده لأرسطو. وفي الأسطر التالية نتناول هاتين الناحيتين بالحديث:
الجهة الأولى: المحاكاة:

أفلاطون هو أول من قدّم نظرية المحاكاة. وطبقاً لنظريته للمحاكاة فالشعر ظل الأطلال، والذي هذا شأنه من الأشياء، يبعد عن الصدق؛ لذلك لم يجد الشاعر مأوى في جمهورية أفلاطون المثالية. وللرد على أستاذه ألقى أرسطو محاضرات عرفت بـ"بوطيقا"، يبلغ عددها إلى 26 محاضرة، والتي لا يزال شرحها جارياً حتى الآن، وفي أورها تلك المحاضرات مؤسسة على ترجمتها العربية لابن رشد.
يقول أرسطو في محاضراته الأولى:

"Epic poetry and tragedy comedy also and dithyrambic poetry and music of the flute and of the lyre in most of their forms are all in their general perception modes of imitation"²

(الشعر الملحمي والتراجيديا والكوميديا والشعر الثنائي الدرقية وموسيقى المزمار والقيثارة في أكثر أنواعها كلها في معرفتها العامة طرق المحاكاة)

وقال الفراهي ناقلاً رأي أرسطو "إن أصناف الشعر والنغم جنسه الأعلى: محاكاة، فإن الإنسان إما من الفطرة أو من التعلم يحاكي أشياء مختلفة بوسيلة اللون

¹ المصدر نفسه، ص: 29

² Aristotle, Poetics, translated by: S.H. Butcher, part 1, p:29. (wikisource.org)

والشكل أو بالصوت¹ ذكر العلامة الفراهي رأي أرسطو بين علامات الاقتباس التي تشير أنه أخذ هذا من موضع ولكنه لم يذكر المصدر ولو ذكره لكان يسيرًا الرجوع إليه. لم يقيد أرسطو قوله "بجنسه الأعلى" أو "بالنوع العالي" أو بمثل ذلك من الألفاظ. ففي رأيه العام الشعر أو الأناشيد مظاهر وطرق المحاكاة. والعبارة التي نقلها العلامة الفراهي مقيدة بالنوع العالي/ الأعلى، فاستنتج - الفراهي - بسبب الفرق في النقل أن الصفة الغالبة للكلام الحسن لدى أرسطو هو سرد الوقائع أو المحاكاة، فلما رأى - أرسطو - أن غالب صفة الكلام المستحسن كونه قصة وحكاية عن الوقائع ثم رأى أن هذه الحكايات ربما لا تطابق الوقائع وبكذبها لا تزداد إلا حسنًا غلب على ظنه أن حسن الكلام في كونه حكاية.²

ويقول أرسطو في محاضراته الرابعة متحدثًا عن الشعر:

"Poetry in general seems to have sprung from two causes each of them lying deep in our nature. First the instinct of imitation is implanted in man from childhood and difference between him and other animals being that he is most imitative of living creatures and through imitation learns earliest lessons.....Next there is instinct of harmony and rhythm."³

(الشعر بالعادة كما يبدو ينبع بسببين مودعين في طبيعتنا الأول فطرة المحاكاة غرست في الإنسان منذ الطفولة والفرق بين الإنسان والحيوانات الأخرى بأنه أعظم محاك في المخلوقات الحية وبالمحاكاة يتعلم دروسه الأولى. والثاني هناك فطرة الانسجام والإيقاع.)

¹ عبد الحميد الفراهي، جمهرة البلاغة، ص: 12

² المصدر نفسه، ص: 14 - 15

³ Poetics, trans. Butcher, part 4

والسبب الثاني لدى الفراهي أن العلم مرغوب بالطبع وحكاية الشيء تخبر عن المحكي عنه فلذلك هي محبوبة.¹ وقول أرسطو في كون حصول العلم طبيعياً ورد ضمن كلامه في ما بعد الطبيعات حيث بدأ محاضراته فيه بقوله:

“All human beings by nature desire knowledge”.

(إن جميع الناس يرغبون في الحصول على العلم بطبيعتهم.)

ردّ الفراهي على أرسطو لأجل نظريته هذه عن المحاكاة، وذهب إلى أن قوة النطق طبيعية في الإنسان، لا المحاكاة. وبرهن رأيه بالدلائل. ولا شك أنّ النطق طبيعي يميز الإنسان عما عداه من الحيوانات، فليس هذا مجال اعتراض، ربما لا ينكر أرسطو ذلك أيضاً، ولم يقل هو في كلامه على المحاكاة أنها صفة وحيدة مميزة للإنسان وإنما قال إن طبيعة الإنسان جبلت عليها، والتي تقوده إلى القول بالشعر. فكان أرسطو يهدف إلى الكلام على ماهية الشعر لا على الفطرة الإنسانية، لذلك عرض نظرية النطق هنا لا يصح، ولو كانت صحيحة في ذاتها. وعلاوة على كل ذلك اعترف الفراهي نفسه بالمحاكاة، حيث كتب في موضع: قوة المحاكاة صفة ثانوية، تستخدم كوسيلة للنطق، لو لا يوجد النطق في الإنسان، لم يقدر هو على المحاكاة أيضاً.²

بالنظر إلى نقد الفراهي لأرسطو يتراءى أنه يحمل المحاكاة حيناً على ظاهر معناها، لذلك يضطر إلى عرض نظرية النطق، التي هي صحيحة في ذاتها، بغض النظر عن المقام، وحيناً يلجأ إليه حسب الخطوط التي رسمها أرسطو في عرضها وبناءها فيعترض عليه لأجل الصدق.

ما هي المحاكاة في رأي أرسطو؟ يدل عليه قوله:

¹ الفراهي، جمهرة البلاغة، ص: 15

² المصدر نفسه: 18

"It is not the function of the poet to relate what has happened but what may happen according to the laws of probability or necessity"¹

(ماهي وظيفة الشاعر أن يحكي ما قد وقع بل أن يحكي ما سيقع وفقًا لقوانين الاحتمال أو الضرورة.)

ويقول في موضع آخر "الفن يحاكي الفطرة" والمراد بالفطرة القوة الإبداعية والخلاقة في داخل الإنسان لا عالم الأشياء المخلوقة الظاهري. يزيد هذا وضوحًا من قوله:

"The poet represents men as worse than they are. He represents men better than in real life based on material supplied by history. The poet selects and orders his material and recreates reality."²

(يعرض الشاعر الناس أردأ مما هم عليه وأحسن مما هم في الحياة الواقعية، على أساس المواد الموفرة من التاريخ. وهو ينتخب المواد ويرتبها ويختلق الواقع من جديد.) يتضح من هذا أن أرسطو يمنح الشاعر درجة المبدع، الذي يختلق ببيانه على أساس ما هو الواقع. ولما يختلق الشاعر أو الأديب سرده، فتضمحل - طبعًا - فيه صورة الصدق الواقعي ويحدث صدق أدبي جديد.

وتصور الصدق الواقعي هذا، هو الجانب الثاني الذي لأجله انتقد الفراهي أرسطو. الشاعر يأوي إلى القوة المتخيلة لاختلاق صدقه الشعري، فمن الممكن أن تذهب هذه القوة المتخيلة به بعيدًا عن الصدق الواقعي. فحذرًا من ذهابه بعيدًا في عالم الخيال، انتقد الفراهي أرسطو ومن تبعه من العلماء العرب في القرون المتوسطة، لأنه ليس مما يستبعد أن يجري الشاعر في مجالات الخيال مارقًا ومتجاوزًا عن

¹ Poetics, part ix

² المصدر نفسه: الجزء الثاني

حدود الدين والأخلاق، والفراهي لايسوغ للشاعر أن يترك شأنه في منزهات الخيال من غير قيد وحد، لذلك صدق الواقع عنصر لازمي للشاعر لديه. وعلى صعيد آخر يترك أرسطو الشاعر في دنيا الخيال سدًى، يخلق صدقه الشعري حيث يشاء، فإذا كان جيداً فتكون موضوعات شعره جيدة، وإذا كان بالعكس، فيكون شعره يرد عليه. يقول أرسطو: يمكن تنوع الشعر إلى ناحيتين باعتبار سلوك الشعراء الانفرادي. الأرواح العميقة تحاكي الأعمال الحسنة والأرواح العائمة تحاكي الأعمال التافهة. وبعبارة أخرى تصور الصدق لدى أرسطو يختلف عنه لدى الفراهي. كتب ناقد كبير عن نظرية أرسطو هذه: "قضى أرسطو عالمية الشعر على أساس أن الشعر الذي يحول الواقع إلى الصدق غايته صدق أعظم".¹ فتصور الصدق الشعري يختلف تماماً لدى أرسطو والفراهي. يتوقع العلامة من الشاعر أن يقوم بوظيفة المخبر والمرسل. لذلك استخدم في موضع كلمة "المخبر" للشاعر. لا شك في أنه لو يك كذلك، يحدث أفضل صورة للصدق. ولقائل أن يقول هنا: إنه ينعدم حسب هذا الرأي تصور الشعر، السائد منذ القرون. ولكن ليس كذلك؛ لأنه من مدارس الأدب مدرسة العرض الصوري (Photographic presentation)، بناء عليه قال ناقد بارز من الغرب R. A. Scott: James

"Aristotle knew nothing of realistic school of fiction".

(ماكان لأرسطو إلمام بالمدرسة الواقعية للقصة).

وفي الأدب الأوربي تسمى هذه مدرسة زولا (Zola).

¹ عفت آراء، نظري تنقيد مسائل ومباحث (النقد النظري: قضايا وبحوث) (بالأردية) مقالات للناقد الأردني الشهير أسلوب أحمد الأنصاري، المجلس الوطني لنشر اللغة الأردنية، دلهي الجديدة، 2011م، ص: 6

لو نلتمس الواقعية (Realism) في الشعر العربي فيمكن عد الشعر الجاهلي والأموي في هذا النوع. كان العلامة الفراهي متأثرًا بالشعر الجاهلي؛ لأن الشاعر الجاهلي يجتنب عن الكذب، وطعن بعض المستشرقين في الشعر الجاهلي من حيث قلة الخيال، مع أنه من محاسنه غير أن يكون من معائبه وليس هو أقل رتبة في التأثير. ربما التأثير بهذا التراث الشعري قاد الفراهي إلى تصور الشعر الخاص به، الذي نتج عن نقد أرسطو وعن نقد المتأثرين به من قدماء العرب.

والسبب الثاني وراء نقد الفراهي لأرسطو ومتبعيه حبه بالكلام الإلهي. لتفهيم هذا الكلام الإلهي كتب مؤلف "جمهرة البلاغة" كما مرّ. ويقرب الفراهي في نظرياته عن المحاكاة والصدق الشعري من نظريات أفلاطون، الذي قال: كل فن من فنون المحاكاة يهدد بالقوى الذهنية للسامعين.¹ حكم أفلاطون بنفي الشاعر لوجهين: لأجل ما بعد الطبيعيات (Metaphysics)، ولأجل نظرية المعرفة (Epistemology). الفراهي لا يصدر الحكم بنفي الشاعر ولكن الكلام لا ينال لديه قبولاً إلا الذي يقرب من الصدق الواقعي ويوافقه.

تترأى رغبة الفراهي - بعد كلامه على أرسطو - في أنه يحاول إخضاع العلوم والفنون للقرآن الكريم، حتى فن الشعر أيضاً. وبعبارة أخرى يكمن في رغبته هذه، تصور الأدب الإسلامي، الذي دوى صوته في النصف الثاني للقرن العشرين تحت لواء أسلمة المعرفة، ولو تقول جماعة من النقاد إن الشعر وفقاً لهذه النظرية يصير أدب الدعايات، ونضطر - على صعيد آخر - إلى إخراج قسط كبير من الأدب العربي والآداب الأخر من إطار الأدب، سواء كان تشبيب الشعر الجاهلي، أو غزل ابن أبي ربيعة، أو كانت النقائض للعهد الأموي.

¹ Plato, Republic, Eng. Transl. Book x p 42

هذا النوع من الكلام على الأدب والإبداع الأدبي، ليس بحديث، فكان الأدب الأوربي في القرن التاسع عشر يكافح عن ذلك، وفي بداية القرن العشرين قد حيي وطيس النقاش في العالم العربي أيضاً، ولا تزال تجري سلسلة هذا النوع من البحث والنقاش.

كتب ناقد بارز مشيراً إليه: الكون الواقعي والشعري وجودان منفصلان، ولهما ضوابط مستقلة، لذلك يصعب وضع التصور المشترك للصدق، وإنما يمكن القول بأن الصدق الشعري أوسع وأشمل من الصدق الواقعي أو نلتمس مرادفًا آخر للصدق.¹

تكمن عظمة الفراهي في أنه تكلم على هذا الموضوع في حين لم يكن العالم العربي يعرفه جيداً، كما لا يوجد هذا البحث في فنون الأدب الأردني آنذاك. تحدّى الفراهي للصنم العلوي لأرسطو، الذي كان أهل الفن والنقد العرب في القرون المتوسطة راكعين أمامه بكل أدب وتقدير. ولم يكن ذلك بإمكانهم إلا بالدقة في النظر والسعة في الدراسة مثلما حصلتا للعلامة الفراهي. وإنما قام هو بهداية الأفكار الأدبية الزائغة في ضوء ما صبت عليه قريحته وهدت إليه فراسته.

¹ عفت آراء، ص: 4-5

تفسير سورة التين للفراهي - دراسة وتحليل

- أ.د. أبو سفيان الإصلاحي¹ترجمة من الأردوية: أبوسعبد الأعظمي²

إن الإمام عبد الحميد الفراهي كان أديبًا، شاعرًا، ناقدًا، وبارعًا في العلوم الإسلامية، إلا أنه ركّز عنايته على العلوم القرآنية وتخصص فيها وشيبه في خدماتها وبذل حياته كلها في التفكير والتدبر على رموزها. وكان يرى الإمام أنّ نجاح الملة الإسلامية وفوزها ينحصر في العودة إلى القرآن. وآراؤه في جوانب مختلفة للقرآن الكريم قيّمة للغاية لاسيما مباحثه في تأويل الآيات وشرح المفردات ونظم القرآن وأساليبه وبلاغته، وكذا ترجمته الأردية للقرآن التي لم يوفق إكمالها وتفسيره القيم الذي لو اكتمل لكان تراثًا تفسيريًا يفقد نظيره في الأدب التفسيري العالمي، ولقد فسّر بعض سور القرآن الكريم وأبدى فيها نماذج تفقّه للقرآن وأتى بنكات ودقائق واكتشافات مما لم نجدها عند القدماء. ويتفرد في بعض أفكاره وآرائه إلا أنه قوّاه بدلائل وبراهين ثابتة. وفيما يلي نقدم آراءه وتفرداته في تفسير سورة التين.

ومما يلتزم الفراهي عامة في تفسيره أنه يعين أولاً عمود السورة. فيقول في تعيين عمود سورة التين: "يرى في بادي النظر أن عمود السورة هو إثبات الدين، أي الدينونة والقضاء على الإنسان حسب أعمالهم، فبدأ السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد ويراد به الاستشهاد على ما أقسم عليه".³ ويقول الرازي: "الإشكال هو

¹ بروفييسور، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

² باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

³ تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، سرائير أعظم كره، الطبعة الأولى، 2008م، ص 337

أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة، فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بها؟¹ ثم أفاض في تعيين المراد من التين والزيتون وذكر أقوالاً مختلفة، منها أنه ليس المراد هاتين الثمرتين بل هما جبلان من الأرض المقدسة، فكأنه تعالى أقسم بمنابت الأنبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام والزيتون في الشام أحد مركز أنبياء بني إسرائيل، وطور مبعث موسى عليه السلام وأما البلد الأمين فهو مبعث محمد خاتم الأنبياء عليه الصلوات والتسليم، فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم.²

ونقل الزمخشري أيضًا في تعيين التين والزيتون أقوالاً، منها أنه قيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لها بالسريانية "طور تينا" و"طور زيتا" لأنهما منبتا التين والزيتون، وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتها كانه قيل ومنابت التين والزيتون.³ ويقول الزمخشري معنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين، فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، وطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة موقع البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه.⁴

ويقول الطبري: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى "والتين والزيتون" فقال بعضهم: عني بالتين التين الذي يؤكل، والزيتون الزيتون الذي يعصر، وقال آخرون: التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس، وقال آخرون التين مسجد نوح والزيتون مسجد بيت المقدس. ثم أظهر الإمام الطبري رحمه الله رأيه قائلاً:

¹ التفسير الكبير، الإمام رازي، بدون مطبع وسنة، 9/32

² راجع للتفصيل، التفسير الكبير، الإمام الرازي، 9/32

³ أنظر للتفصيل، الكشاف، الزمخشري، دار المعرفة بيروت، لبنان، 368/4

⁴ الكشاف، الزمخشري، 369/4

"والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يعرف جبل يسمى تيناً ولا جبل يقال لها زيتون".¹

ويرى الفراهي أن هذه الأقسام للشهادات فقط لا غير ويقول: "فعلى هذا الأصل استشهد بأربع شهادات مشيرة إلى وقائع الدينونة في الدنيا، ليتذكروا أن الله تعالى ليس بغافل عما يعمل عباده، فإنه لم يزل يدينهم بالقسط ويحكم عليهم بالحق وأبطل بذلك الشبهة في وقوع الدينونة يوم القيامة، وهذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن".² ثم وثق الفراهي رأيه بإتيان النماذج من بداية سورة الذاريات والانفطار.

وألقى الفراهي الضوء على بعض الكلمات الواردة في هذه السورة من أمثال التين والزيتون وأحسن تقويم ورددناه أسفل سافلين وممنون وغيرها، وقام بتحقيق المفردات اللغوية وضبط معانيها. يقول في أحسن تقويم: "قوم الشيء: جعله مستقيماً، قومت الرمح فاستقام، ومن هنا يراد به جعل الشيء مناسباً لغايته، فهذا تقويم معنوي، فهو مثل التسوية، وكل خلق تسوية، قال الله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى" (الأعلى: 2) (ص 339).

وسلط الضوء على كلمة ممنون واشتقاقها، فيقول: ممنون هو (مشتق) من "من" إذا قطع، قال لبيد:

غبس كواسب لا يمن طعامها

غير ممنون أي دائم كما قال الله تعالى: "لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ" (الواقعة: 33) وأيضاً "عَطَاءٌ غَيْرٌ مُجْدُوذٍ" (هود: 108). وهذا ليس من المنة (كما يراها بعض

¹ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 627/21

² تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الإمام عبد الحميد الفراهي، ص 338

الناس) فإنه لا نظير لذلك المعنى في القرآن وكيف تنفى المنة، فإنّ كل أجر من الله فضل ومنه منه.¹

وتناول الفراهي أربع شهادات بالتفصيل، وجدير بالذكر هنا أن الفراهي يرى أن التين والزيتون موضعان ثم قوّى رأيه بالدلائل والبراهين ولكنه قبل ذلك قدّم أربع نكات مهمة، تسهّل لنا الوصول إلى عمق رأيه. يقول:

وستعلم في الفصول التالية ما وقع من الدينونة على هذه المواضع:

1. وذلك يدل على أن المراد بالتين والزيتون موضعان، ليس إلا
2. وأيضًا قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين، فدلّ بالنظم على كونهما اسمين لموضعين.
3. وأيضًا لا يخفى عليك أنه كان من عادة العرب التذكير برؤية الديار وأثارها، وكثر ذلك في كلامهم جدًا. فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو أقرب إلى أذهانهم وأوقع في نفوسهم. وعلى هذا كثر في القرآن الكريم التذكير بذكر البلاد، كما قال الله تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ" (هود: 100).
4. وأيضًا في التوراة ما يطابق هذا التأويل.

ثم أتى الفراهي بالدلائل على كون التين والزيتون اسمين لموضعين. وأحكم رأيه بقول عكرمة رضي الله عنه حيث قال مرة "تينكم وزيتونكم" ومرة "هما جبلان". وأضاف الفراهي فيه قائلًا: "فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم لكونه منبت التين. والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالغضى والشجرة والنخلة. وقال النابغة الذبياني:

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل تزجي مع الليل من صرادها صرما

¹ المصدر نفسه، ص 341

صهيب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيما قليلاً ماؤه شيما ويرى الفراهي أن الشاعر أراد بالتين جبلاً في الشمال ولعله هو الجودي أو قريب منه. ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس في تأويل هذه الآية، فقال إن المراد به "مسجد نوح الذي بني على الجودي". وعن عكرمة والتين والزيتون قال هما جبلان. وعلى هذا يتبين أن التين إما هو الجودي أو قريب منه. وتجشم الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي في تقرير جبل التين ونقل أبياتاً عديدة من الشعر الجاهلي، تتضح منها أنه لا يزال معروفاً بين العرب. إليك بعض الأبيات:

يقول شليم بن خويلد الفزاري:

حلت أمانة بطن التين فالرقما واحتل أهلك أرضاً تنبت الرتما
ويقول الباهلي:

إذا لجعلت التين بيبي وبينكم وهضبة زيد الخيل فيها المصانع
أما التينان اللذان أشار إليهما أبو دؤاد الأعرابي فيقول فيها الأستاذ العبودي:
"جبل يقع إلى الشمال من جبل قطن المشهور، في الشمال الغربي من القصيم، وهو في ديار بني أسد عند ظهور الإسلام.... وتسميته قديمة لم يتغير منها شيء، إلا أنهما عند المتقدمين تينان اثنان وعند المتأخرين تين واحد، أما الجبل الآخر فقد أصبح يسمى عند العامة من المتأخرين "مصدوعة" وهو الشمالي من التينين. وقال ابن بليهد: "هو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام. وهذا الجبل قدرأيته. أصله واحد وأعلاه كأنه جبلان. وذكر الزمخشري أنهما لبني فقعس وهم من بني أسد. وبينهما واد يقال له خو. وهذا الجبل مشهور، وقد كثر ذكره في شعر الأسديين، فقال العوام بن عبد الرحمن:

أحقاً ذرى التينين أن لست رائياً قلا لكما إلا لعيني ساكب

وأنشد السكوني:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأسفل ذات الطلح ممنونة رهي
وهل قائلها ذاكم التين قد بدا كأن ذرى أعلامه عممت عصبا
ولا شارب من ماء زلفة شرفة على العل مني أو مجير بها ركبا
وأنشد أيضاً:

أحب مغارب التينين: إنني رأيت الغوث يالفها الغريب
كأن الجار في شمعي بن جرم له نعماء أو نسب قريب
وأنشد أبو الندى لرامدة بنت حصين الأسدية وكانت جاهلية:

لعمرك للغمران غمرا مقلد فذو نجب غلانه فدوافعه
وخو إذا خوسقته ذهابه وأمرع منه تينه وربائععه
وصوت مكاي تجاوب موهنا من الليل، من يأرق له فهو سامعه
أحب إلينا من فراريج قرية تزاقي ومن حي تنق ضفادعه¹
ونكتفي بذكر هذه النماذج، وظهر من هذا التفصيل أن عددًا من الجبال تسمى
"التين". وإن نعجب بعد ذلك فعجب قول الإمام أبي جعفر الطبري رحمه الله: "لا
يعرف جبل يسمى تيناً".

وأما الاستشهاد بهذه الأشياء الأربعة هنا فلها غاية خاصة. يقول الفراهي: "وبعد ما
تبينت هذا الأصل فاعلم أن هذا البقاع الأربع موضع لظهور الدينونة الدالة على
أن الرب تعالى يدين الإنسان بالرحمة والعدل حسب أعماله".²

¹ أوردنا كل هذه التفاصيل نقلاً من مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ
قرآنية) الإمام عبد الحميد الفراهي، شرح وتحقيق: د. أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م، ص 270-277

² تفسير نظام القرآن، ص 349

يقول الفراهي: "التين هو أول موضع لظهور الدينونة على الإنسان وذلك بأن آدم عليه السلام لما نسي عهد الرب وسمع لقول حاسده، وقعت عليه وعلى زوجته الدينونة. فأهبطا بعد الرفعة وسلبا لباس الجنة، ثم إذا تابا إلى الرب وتاب الرب عليهما ووعد بإنزال هداة وأجر من تبعه من ذريته، فأعطاه عهدًا ثانيًا. وكذلك وقعت الدينونة على نسله في عهد نوح عليه السلام عند جبل التين، فأهلك الظالمون وبورك الباقون. كما قال الله تعالى: "قِيلَ يَنْتُحْ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (هود:48).¹

وأما الزيتون فقد وقعت عليه الدينونة العظوى من سلب الأمانة والناموس من اليهود، وإعطائها لدولة أخرى من شجرة إبراهيم عليه السلام. إذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح عليه السلام في ليلة سهرها على جبل الزيتون، وقد ناجى الرب إلى السحر ويئس من قومه فحزن غاية الحزن. ونقل في الإنجيل هكذا، "لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترفض ومن سقط هو عليها يسحقه".² وأضاف الفراهي أن في الزيتون إلماعًا إلى دينونة أخرى مع نوح عليه السلام.³

وأما طور سينين فلا يخفى أن الله تعالى أعطى عليه الأمانة أمة ضعيفة، قد صبرت على ظلم أعداء الله، فأنجاهم من أيديهم بيد قوية ورفع أمرها ودان عدوها ثم أعطاهام ناموسًا ذا باس شديد على الظالمين الكافرين، فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء وانتقامًا من الأقوياء. وكان أيضًا أجرًا للعابدين وجزاء للكافرين. ثم نقل الفراهي آيات عديدة من القرآن الكريم ووثقها بالصحف السماوية ثم لخص في الآخر بقوله: "فمما ذكرنا يتبين أن الله تعالى دعا موسى عليه السلام إلى

¹ المصدر نفسه، ص 350

² المصدر نفسه، ص 351

³ المصدر نفسه، ص 357

طور لأجل إتمام النعمة على ذرية الصالحين ليتمكن لهم في الأرض، ليكونوا شهداء لله بالدين الحق، وليهلك بهم المفسدين الكافرين. فكان ذلك دينونة رحمة ونقمة وثواب وعذاب، ليعلموا أنه هو العزيز الرحيم الديان الحكيم".¹

وأما الدينونة التي وقعت في مكة فكانت أوسع رحمة للناس وباقية إلى يوم القيامة وبيان ذلك أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم فأتمها وبعده فوفى، فجعل مركز هذا العهد بلداً أميناً محفوظاً عن الأعداء واختار له خير أمة ليكونوا شهداء الله على جميع أهل الأرض، وبعث فيها نبياً على كافة الناس وأتم به الشرائع والحكم لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة في القيامة وبين القرآن هذه الأمور في مواضع. فمنها قوله تعالى: "وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾" (سورة البقرة: 124-129)

فأتم الله عهده بإبراهيم وجعله إماماً للناس بما عهد إليه وإلى إسماعيل عليه السلام سداً لبيتته وجعله مثابة للناس وأمنًا واستجاب دعاءه، فبعث فيه رسولاً وكل ذلك لما وجده كاملاً في العبودية.² وأضاف فيه أنه قد جاء في التوراة ما هو في

¹ المصدر نفسه، ص 358

² المصدر نفسه، ص 361

ثم أورد الفراهي التفصيل لما فهم في تأويل المقسم عليه وهو قوله تعالى، "لقد خلقنا الإنسان.....غير ممنون". وقال: "فكون الإنسان في أحسن تقويم هو وضعه بين المتقابلين المتضادين من الميل إلى الخير والشر مع العلم بهما، والاختيار بينهما وجعل حب الخير أصل فطرته، وذلك بأن تربية القوى وإبرازها وإكمالها منوط بالجهد والكدح. ولا بد للاختيار من هذه المشقة ليخلص النضار من الخبث، وهو المراد من التزكية والابتلاء. ولولا هذا الجهد والكد لما ترقى الإنسان إلى ذروة الكمال الذي أودع الله فطرته، وجعله بذلك أحسن خلقه علمًا وعملاً وحكمة وزكاة".¹

ولكنه تعالى إذ فتح له غرفة إلهام الفجور والتقوى، تداركه بوجي التوبة، كما قال تعالى: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ " (البقرة: 37). فنهض الإنسان بعد هبوطه أحسن مما كان، فاجتبه ربه، كما قال تعالى: " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَا رَبَّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٢﴾ " (سورة طه: 121-122). وهذه دينونة ثانية. وكما أن الأولى لم تكن مختصة بآدم عليه السلام بل عمت ذريته، فكذلك جعل هذه الثانية عامة، فإن كل من تاب بعد الزلة، يتوب الله عليه ويهديه، كما قال تعالى: " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعْ هَذَا فَلَا خَوْفٌ

¹ المصدر نفسه، ص 368

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ (سورة البقرة: 38). فكما عرض وحي التوبة على آدم، فكذلك يعرضها على ذريته بواسطة الأنبياء، فمن تلقاه كان على سنة آدم وأوتي ما سلب بل ما هو خير وأبقى. فلذلك قوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ". (سورة التين: 6).

وأشار الفراهي إلى أن من فهم من "أسفل سافلين" حالة الكفار فقط، جعل الاستثناء متصلاً، ولا يخفى أن هذا التأويل ضيق وبعيد. ثم يوضح الفراهي سافلين قائلاً: "أما سافلين ففيه وجهان، الأول أن تجعله أيضاً عامّاً، فإن الله تعالى لم يردهم إلى أسفل إلا بأن اختار الإنسان سفلاً لنفسه، وعلى هذا تكون حرف "إلا" للاستدراك. أي لكن المؤمنين بعد أن كانوا سافلين حين اهبطوا نهضوا وتابوا، فلهم أجر دائم. وهذا تأويل حسن راجح كما هو ظاهر. والوجه الثاني أن نخرج المؤمنين من "سافلين" وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً، أي المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين، ولكنهم عرجوا من السفلى إلى العلو. وأما الكافرون فبقوا فيما ردوا إليه بل ازدادوا سفلاً".¹

وقد أورد الفراهي في تفسير الآية، "فما يكذبك بعد الحاكمين" قائلاً: "ذهبوا في تأويله إلى قولين "الأول فأى شيء يكذبك أيها الإنسان بالدين؟ اختاره مجاهد. فإنه لما قيل له عني به النبي صلى الله عليه وسلم، قال معاذ الله، إنما عني به الإنسان واختاره الزمخشري، ثم زعم أن يكذبك معناه يحملك على التكذيب، وهذا تأويل حسن لو ثبت.

والثاني فما يكذبك أيها النبي الكريم بعد ذلك بالدين؟ وذهب إليه الفراء وهو مصيب في أنه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول، ولكنه يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام. فإنه ليس في الكلام ما يناسبه خطاب النبي الكريم صلى الله عليه

¹ المصدر نفسه، ص 371

وسلم بهذين الاستفهامين ولا التفرع بقوله تعالى "فما يكذبك" ولا التأكيد بقوله تعالى "بعد". فالظاهر الأقرب من السياق وحسن النظم ما ذهب إليه مجاهد مع إبقاء معنى التكذيب على ما يوجد في كلام العرب. وعلى هذا يسوغ تأويلان:

الأول: فأى شهادة ودليل أيها الإنسان بعد هذه الشهادات يخالف قولك بوقوع الدين ويكذبك فيه.

الثاني: فأى شيء من الأمانى والظنون يخالف صدرك في أمر الدين بعد أن دلت الوقائع والشواهد، وعلى هذا يكون وجه الخطاب إلى المنكرين خاصة، ولهذا الخطاب نظائر. ومنها قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ" (سورة الانفطار: 6).¹

وفي الأخير وضع الفراهي نظم السورة بما سبق وبما لحق وقال "تضمنت السورتان السابقتان ما حمل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من أعباء هذه البعثة العظمى التي أسس بنيانها بيد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وجعل لأجلها هذا البلد مأموناً من كيد الأعداء، ولذلك أسكن فيه إبراهيم ذريته. ومع أن الله تعالى أحر أمرها وغشى موضعها ظلمة إلى مدة، ما ودعهم وما قلاهم حتى أشرفه بنور أتم، فبعث فيه هذا النبي ليكمل مقصد بناء هذا البلد، وهو التوحيد الكامل والمواساة بالضعفاء".²

فذكر في هذه السورة شواهد على ظهور بركات هذا البلد. وغاية هذه السورة إثبات هذه البعثة إثباتاً لمياً. وبعثه الله نبياً وذلك لكي يرد الحنيفية البيضاء إلى كمالها وهو الإسلام، ويقيم السلم في الناس، ثم جعل طريقها تلاوة آيات الله وتعليم الشرائع والحكمة والتزكية، كما أخبر الله تعالى عن دعاء إبراهيم عليه

¹ المصدر نفسه، ص 372

² المصدر نفسه، ص 373-374

السلام حين دعا لهذا البلد وبنى هذا البيت المحرم " رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ " (سورة البقرة: 128-129).

ويقول الفراهي: "فبحسب هذا الربط أتبع هذه سورة البلد الأمين سورة اقرأ، وجعل نعمة القرآن غاية خلق الإنسان والبرهان على كونه أحسن تقويم...وبالجملة فكون الإنسان في أحسن تقويم يتبعه أن يعطى القرآن، فإن ذلك هو الرجوع إلى أحسن تقويم، وبروز ما أودع في فطرته من الكمال".¹

¹ المصدر نفسه، ص 375

مفردات القرآن - دراسة تحليلية

- أ.د. أبو سفيان الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: د. زرنكار²

شخصية الفراهي شخصية فذة لا تحتاج إلى أي تعريف في مجال التفسير، أمضى معظم عمره في تدبر القرآن وخدمته، واستهدف أن يدون جميع العلوم والمعارف في ضوء هذا المنهل الصافي، لذلك يدور أكثر مؤلفاته حول القرآن الكريم. أقبل الفراهي على تعلم العلوم المساهمة في هذا الأمر فتبحر فيها حتى تضلع من اللغة العبرية لهذا الهدف المبارك، ومارس كلام العرب من العهد الجاهلي إلى العهد الإسلامي حتى برع في شعر العهد الأموي آخر عهد للاستشهاد على فهم كلمة أو أسلوب فهمًا متقنًا وقد مهر فيه حتى دلّ على معاني بديعة لبعض كلمات القرآن وأساليبه مما لم يبلغه عالم قبله. قال عنه العلامة المودودي: "لا يوجد شعر جيد بالعربية إلا وقد قرأه الفراهي".³

أما أفضل أعماله في مجال القرآن فهو "نظام القرآن"، ومؤلفه فيه "فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، تحدث فيه أن جميع الآيات والسور من القرآن الكريم منظمة ومربوطة فيما بينها ولو حذفت آية من مكان فبطل النظام كله⁴ فناقش في جميع مؤلفاته القرآنية نظرًا إلى هذا النظام القرآني.⁵ فمن أشهر

¹ البروفيسور في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة علي كره الإسلامية، علي كره

² الباحثة بعد الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي، نيو دلهي

³ خورشيد أحمد، أدبيات مودودي، مركزي مكتبة إسلامي، دلهي، 1980م، ص 352

⁴ عبد الحميد الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مطبعة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1357هـ، ص 63

⁵ مقالة أردوية لعبد الحميد الفراهي "الترتيب والنظام القرآني"، قرآني مقالات، ط1، إداره علوم القرآن، علي كره، 1991م، ص 151

مؤلفاته القرآنية كتاب شهير مسمّى بـ "مفردات القرآن".¹ صنّفت كتب كثيرة حول المفردات القرآنية بلغات شتى. قد نشرت مجلة "المنهل" قائمة 24 كتابًا بالعربية حول هذا الموضوع.²

ففي "مفردات القرآن" قدّم الفراهي الكلمات التي اختلف المفسرون في معانيها أو تحديد مدلولها. وحدّد المعاني نظرًا إلى النظام القرآني، قد أحاط فيه الإمام الفراهي بمفردات القرآن الصعبة التي احتاجت إلى شرحها وتفسيرها. إن الخطأ ربما يقع في نفس معنى الكلمة فيُبعد عن التأويل الصحيح للآية أو في بعض وجوهه فيُغلق باب معرفة النظم.³

يحتوي كتاب "مفردات القرآن" ثلاث مقدمات. ففي المقدمة الأولى شرح العلامة الفراهي مقصد الكتاب وحاجتنا إليه، وأوضح أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام. فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة. ويقول الفراهي في المقدمة: لو كان الضرر عدم الفهم لكان يسيرًا، لكن المرء قلّمًا يقف على جهله فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة. ثم سوء فهم الكلام ألجأه إلى أن يكثر الإساءة. ثم الخطأ في معني الكلمة وتحديد مدلولها ربما يصرفه عن تأويل السورة بأسرها، مثل لفظ القسم وأدواته لم يتبين له معناه فاختلط تأويل السورة كلها، ولو تبينت معاني أكثر كلمات القسم وتحدد مدلولها لتبين تأويل أكثر السور التي فيها القسم.⁴

¹ استعراضان لمفردات القرآن أحدهما نشر في مجلة "برهان" الشهرية، دلهي، 1940م، وأما ثانيهما فقد نشر في مجلة "ترجمان القرآن" الشهرية، لاهور، أبريل 1941م

² مجلة "المنهل"، المملكة العربية السعودية، جدة، 1991م ص 120

³ مفردات القرآن، ص 3

⁴ المصدر نفسه، ص 4

وأما المقدمة الثانية فهي في الأصول اللسانية، يقول فيها العلامة الفراهي إن مشاكل فهم الكلمة والكلام كثيرة. ويشترك فيها العرب وغير العرب سواء. ولهذه المشاكل نوعان: الأولى أن لم يتبين لهم معنى الكلمة أو الكلام، والثانية أن لم تتبين لهم الأمور المتعلقة به من الأحوال الصحيحة.

في المقدمة الثالثة ألقى الضوء على أنّ القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية الفصحى، ومن تضلع من اللغة العربية وكلام العرب وخطبهم ومحاوراتهم وجدوا أنّ القرآن أسهل كلامًا وأقوم نظامًا وأوضح مقالة وأبين دلالة وأجمع سلاسة، أخلص عن الإبهام وعن التعقيد في التراكيب لأنه قد نزل لهداية الناس وللترويج والترهيب. وهذا يقتضي كلامًا واضحًا ولكن ربما يوجد خلاف في الكلمات العديدة. ولهذا الخلاف أربعة أسباب وهي قلة العلم بالعربية، والاختلاف في التأويل لعدم كفاية العلم بمواقع النزول والأحوال والسبب الأخير هو كون بعض الكلمات المجلوبة من غير لغة قريش مثل السجيل والقرطاس والقنطار وما إلى ذلك والسبب الرابع هو جهل جلة الصحابة رضي الله عنهم.¹

هذا الكتاب يعالج 73 كلمة و4 حروف وناقش المؤلف في ضوء نظام الكلام حيث يفسر وجوه الكلمات وأحوالها مع معانيها وذلك ليمهد الطريق إلى فهم نظام الكلام.² والكلمات التي شرحها المؤلف في كتابه هي: الآلاء، الآل، الأبابل، الآية، الأب، الأبر، ابن الله والرب، الاتقاء، أتى يأتي، أحوى، الإسلام، إن الله معنا، أهل البيت، الإيمان، البر، التكذيب، تنازع، التين، الجنة، الحبك، حرد، الحق، الحكم والحكمة، الصالح، خاتم النبيين، درس، الذكر، الرحمن، الزكوة، س وسوف، سارب، الساق، سبح، سبحانك، السعي، سفرة، السنة، الشهيد، الشوى، الشيطان، الصبر، الصبر والشكر، الصحف، الصدقة، صرة الصفو، الصفح، الصلوة، الضريع، الطوفان، الظن، العرش، العشى، العصر، الغناء، الغيب،

¹ ليراجع للتفصيل، المصدر نفسه، ص 5-8

² المصدر نفسه، ص 8

الفتنة، الفكر والذكر، الآية، قاتل واقتتل، القربان، كفر، الكوثر، اللعنة، متاع، مصدقاً لما بين يديه، مكة، المن، النصارى، هادوا، هدى، وريد ويثرب.

وأما الحروف التي فسرها فبي: أن، لا، لعل ومن. قام فيه الفراهي بتحقيق هذه الألفاظ والحروف وتحديد معانيها ومدلولاتها بعد أن يستدل عليها من الآيات والأحاديث وآثار الصحابة ومن الصحف السماوية واللغة العبرانية ومن الشواهد من كلام العرب. وقدّم عديداً من الأشعار لإيضاح كلمة واحدة وكشف معناها. واهتم الفراهي في تفسيره بنظام الآيات والصور. فبرز منفرداً من القدماء بإيضاح كلمات شتى لأن كل ما يقول يصحبه البراهين والأدلة. قد ضبط الفراهي مبادئ جديدة لفهم القرآن. نقدّم نماذج من المفردات موجزاً ومستدلاً بأن هذا الكتاب من كتبه المهمة الأخرى علماً بأنه توجد فيه ألفاظ لم يكمل الفراهي تفسيرها.

الآلاء: بدأ الفراهي كتابه بكلمة "الآلاء" التي جاءت في سور الأعراف والنجم والرحمن. يمتاز تحقيق الفراهي بهذه الكلمة عن تفاسير المتقدمين وهو يقول: إن المفسرين قد اتفقوا على أن معنى "الآلاء" النعم، لكن القرآن وكلام العرب كلاهما يأبى هذا المعنى، والظاهر عنده أن معناها في ضوء القرآن وكلام العرب "الفعال العجيبة" ولما كان غالب فعاله تعالى الرحمة ظنوا أن الآلاء هي النعم. أما كلمة "الآلاء" فتشمل في أصل معناها معجزات الله وعجائبه وقدرته. وهي جمع إلىّ وإلّ. واستدل عليه الفراهي بشواهد من كلام طرفة، مينة بنت فرار، مهلهل، ربيعة بن مقروم، الأجدع الهمداني، فضالة بن زيد العدواني، والخنساء، وشاعر حماسي ليدعم قوله بأن معنى الآلاء أفعال الله العجيبة ولطائفه.¹ وإليك ثلاثة أبيات استشهد بها:

كامل يحمل آلاء الفتى نبه سيد سادات خضم²
الحزم والعزم كانا من طبائعه ما كل آلائه يا قوم أحصيه³

¹ المصدر نفسه، ص 11-12

² ديوان طرفة بن العبد، تحقيق وترتيب: م البستاني، دار صادر، بيروت 1961م، ص 90

³ المهلهل (منتخب شعره) درس ومنتخبات، فؤاد أفرام البستاني، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1939م، ص 4

فيكسي أخاك لآلائه إذا المجد ضيَّعه السائسون¹
يتحدث الفراهي أن معنى "الآلاء" في هذه الأبيات "الفعال العجيبة".² فبناءً على ذلك
كتب الأستاذ بدر الدين الإصلاحي مقالة حول كلمة "آلاء"³ في مجلة "الإصلاح".⁴
الآية: شرح المؤلف في كتابه عن "الآية" نقطة مهمة وهي أن الآية هي ما تستدل به على
الأمر وليست هي تمام الدليل بل يُنتهك على الدليل. ووضوح الآية كونها ظاهرة لمن
يفهمها.⁵ ثم أورد المؤلف آية قرآنية من سورة العنكبوت وهي: "بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي
صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ" (سورة العنكبوت: 49)
وهكذا أورد دليلاً من كلام الشاعر الحارث بن حلزة حين يقول:

من لنا عنده من الخير آيا ت ثلاثٌ في كلهن القضاء⁶
يرى الفراهي أن الدليل بناؤه على الآية ثم يفرق بين الآية والدليل المنطقي من
وجه: أولها أن الآية ما عليها بناء الدليل المنطقي. مثلاً "العالم متغير وكل متغير
حادث" فتغير العالم هو الآية على حدوثه. والثاني أن الآية تبعث الفكر في القلب
مثلاً أن الآية تلقي خلقاً من الصبر والشكر والتقوى والرحم وما إلى ذلك. والثالث
أن الآية موجودة في فطرة الفكرة والفكرة تجري بالإنسان إلى مختلف المراحل.⁷

¹ أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، اعتنى بضبطه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق
حواشيه وفهارسه: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين،
1896م، ص 243

² مفردات القرآن، ص 11

³ مجلة "الإصلاح"، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، 1936م-
1939م. صدرت هذه المجلة في إدارة تحرير الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وهي مجلة
للدراستات القرآنية وتهدف إلى نشر أفكار الفراهي.

⁴ قرآني مقالات، ط1، إداره علوم القرآن، علي كره، 1991م، ص 125-134 وللتفصيل راجع:
"تدبر قرآن" للشيخ أمين أحسن الإصلاحي، لاهور، 1979م، ص 120-121

⁵ مفردات القرآن، ص 14

⁶ الحارث بن حلزة، المعلقات السبع (شرح للزوزني)، دار صادر، بيروت، 1958م، ص 163

⁷ مفردات القرآن، ص 14

الأبائيل: يزعم معظم المفسرين أن الأبائيل هي جمع إبالة، لكن الفراهي يفسر أن الأبائيل هي كلمة الجمع من غير واحد،¹ ويُراد بها الطيور في التفاسير، لكن عند الفراهي هي جماعة من الخيل والطيور وغيرهما.² تبعه صاحب "تدبر قرآن":³

وبالفوارس من ورقاء قد علموا فرسان صدق على جرد أبائيل⁴
وقال الأعشى:

طريق وجبار رواء أصوله عليه أبائيل من الطير تنعب⁵
الاتقاء: إن الفراهي ناقش كلمة الاتقاء مناقشة شاملة وقال إنه من وقى بقي،
فالمجرد يتعدى إلى المفعولين كما قال تعالى: "فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ"
(سورة الإنسان: 11)

وأما الافتعال منه فيتعدى إلى مفعول واحد،⁶ قال تعالى: "أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ" (سورة الزمر: 24) واستخدمه النابغة من الافتعال بمفعول
واحد فقال:

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد⁷
فقال الفراهي إن الاتقاء في الأصل معناه يكون من خوف ضرر وعلى هذا يأتي على
أربعة أوجه في القرآن:

¹ عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة الفيل (ترجمة أردوية: الشيخ أمين أحسن الإصلاح)،

ط1، مطبعة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، د.ت، ص 10

² مفردات القرآن، ص 14-15

³ تدبر قرآن، 561/9

⁴ ديوان زهير بن أبي سلى، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1953م ص 78

⁵ ديوان أعشى، دار صادر، بيروت 1960م ص 11

⁶ مفردات القرآن، ص 19

⁷ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، 1953م، ص 52

الأول هو التحفظ عما يخاف الضرر منه كما في قوله تعالى: "فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا" (سورة المزمل: 17)

والثاني هو الخوف من شر كما في قوله تعالى: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (سورة الأنفال: 25)

والثالث هو التخشع بين يدي المنعم الذي يرحم على الشاكر البار ولا يرضى بالكافر والآنثم. كما في الآية: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ". (سورة الأنفال: 29)

والرابع هو الوجه الجامع للوجوه الثلاثة ويدل على التحفظ عن الإثم من خوف نتائجه السيئة ومن خوف سخط الرب. كما في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ" (سورة النمل: 128)

وأورد الفراهي في كتابه عدة براهين من القرآن للوجوه الأربعة.¹

الإسلام: ألقى الفراهي ضوءاً شاملاً على تفسير الإسلام. فيقول إن الإسلام معناه الطاعة والخضوع ولكن القرآن خصّه لطاعة الله وقد استعمله العرب لهذا المعنى.² وورد في القرآن لوجوه. فالأول أن الإسلام هو العبودية كما في قوله تعالى: وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. (سورة البقرة: 130)

ذكر هنا جوانب من تاريخ الإسلام أحدها عهده بالله أنه سيكون محوراً له ودعا الله أن يجعل من ذريته أمة مخصصة لدين الإسلام. هذا هو معنى الإسلام الحقيقي لله ويسميه بلفظ آخر "القربان" و"النذر"، كما يدل الجانب الآخر من

¹ مفردات القرآن، ص 19

² المصدر نفسه، ص 19-20

تاريخ إسلام إبراهيم على كمال معنى الإسلام المسمى بـ "الإحسان" فقال تعالى: فَلَمَّا
أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمَا ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ (سورة الصافات: 105)

أما الجانب الثالث من إسلام إبراهيم عليه السلام حين دعا الله أن يبعث أمة
مسلمة من ذريته وارثة لملكه، كما قال تعالى: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا
أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٨﴾ (البقرة: 128)

فيقول الفراهي إن الإسلام هو مرضاة الله وهو معنى الحج والإسلام. وعلم الله
تعالى سعة معنى الإسلام حيث يقول في الآية التالية: أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ
أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (سورة آل عمران: 83)

فدل العلامة الفراهي في تفسير هذه الآية على أربعة أمور: الأول أن كل شيء أسلم لله،
والثاني أن جميعهم يرجعون إليه، والثالث أن إطاعة الرسل لازمة، والرابع أن الإسلام
لا اختلاف فيه. كما قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ (سورة آل عمران: 19) وفي القرآن معنى آخر للإسلام ألا وهو "السلم".

ثم هناك جانب آخر من معنى الإسلام أنه يُنافي الشرك كما صرح به في قوله تعالى:
قُلْ يَتَاهُلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ
شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ (سورة آل عمران: 64)

فهذا موجز ما ذكره العلامة الفراهي في كتابه.¹

¹ المصدر نفسه، ص 23-24

البر: أصله إيفاء الحق، فهو مشتمل على كل مما يكون إيفاء للحقوق من طاعة الله والأبوين والمواساة بالناس. ومن هذه الناحية صار بمعنى الإحسان والخيرات وهو وصف للرب أيضاً: إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ (سورة الطور: 28) فالبر خلاف الإثم والعقوق والغدر والظلم¹ كما قال زهير:

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم²

التين: يراد به شجرة التين عند أكثر المفسرين، لكن الفراهي يرى أن التين هو موضع خاص عرفته العرب، ويسمّون هذا الموضع بالتين لما ينبت فيه التين كثيراً، ومن عاداتهم أنهم يسمّون الموضع باسم ما ينبت فيه كالغضى والشجرة والنخلة وما إلى ذلك. قد استعملها النابغة في بيته وأراد به جبلاً في الشمال.³ فقال:

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل تُزجي مع الليل في صرادها صرما

صهب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيمًا قليلاً ماؤه شبما⁴

ويقول الفراهي في تفسير "التين" إن النابغة أراد بالتين جبلاً في الشمال ولعله هو "الجودي" أو جبل قريب منه، لكن الدينوري وصاحب معجم البلدان قد أخطأ في هذا القول أن الجودي هو موضع في اليمن، لكنه لم يثبت أن الجودي جبل في اليمن⁵ وقد أضاف الفراهي عدة كلمات ثمينة في تفسير هذه السورة ولفظ التين وهي: أن التين هو أول موضع رأى الإنسان فيه الجزاء أو العذاب من ربه، وتفصيل ذلك أن آدم عليه السلام لما نسي عهده بالله تعالى وأطاع الشيطان، عذب هو

¹ المصدر نفسه، ص 29

² ديوان زهير بن أبي سلى، ص 123

³ مفردات القرآن، ص: 31

⁴ ديوان النابغة الذبياني، ص 142-143

⁵ مفردات القرآن، ص 31-32

وزوجه وحرم الله ما كانا عليه من النعم وأخرجهما من الجنة التي كانا فيها.¹ كما قال تعالى: وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ (سورة الأعراف: 22)

ويضيف في تفسير التين هذا أنّ الورق الذي كان يخصف آدم وحواء عليهما بعد الخروج من الجنة هو ورق التين وهذا ما ذكر في التوراة.²

ووقعت حادثة أخرى في زمن نوح عند هذا الجبل وهي أن الله قد أهلك بجواره الظالمين ونجى الصالحين وبارك فيهم³ كما قال تعالى: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (سورة هود: 44) نقل الشيخ أمين أحسن الإصلاحي هذا الرأي في تفسيره.⁴

الحكم والحكمة: "الحكم" عبارة عن القضاء في الحق والباطل كليهما، كما ورد في القرآن الكريم: مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة القلم: 36)

أما الحكمة فهي ملكة راسخة يحكم بها حكم صحيح، قال تعالى يذكر صفات داود عليه السلام: وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ (سورة ص: 20)

وأما من آيات الحكمة فهي الخلق الحسن والطهارة، فالعرب يسمون بالعاقل والمثقف والحكيم من يتحلّى بالصفات الحميدة ويكرم بخلقه في المجتمع. ويطلقون الحكمة على القضاء الحق والحكم الصريح الذي لا يتردد في قبوله العقل والقلب. وجميع معاني الحكمة وصورها توجد في كلام العرب، واستعملها القرآن واستخدمها الرسول الكريم ﷺ حيث يقول: "إن من الشعر لحكمة" لأن

¹ عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة التين، ترجمه أمين أحسن الإصلاحي، ط1، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، د.ت، ص 25، 35-36

² أمين أحسن الإصلاحي، تدبر قرآن، ط1، فاران بيليكيشنز، 1980م، لاهور، 435-446

³ مفردات القرآن، ص 34-38

⁴ حكمة القرآن، حميد الدين الفراهي، مجلة علوم القرآن 1/4 ص 24-9، 2/4 ص 25-9، 1/5

الأشعار كلها لا تدل على الضلال. كذلك قد سعى القرآن الوحي بالحكمة كما سمّاه بالنور والبرهان والرحمة. والقرآن نفسه مسّى بالحكيم أي هو الذي يحتوي على الحكيم. ولتسمية القرآن بالكتاب الموجب أو الحكمة، مفهومين وهما أنه مشتمل على الأحكام المكتوبة والثاني أنه يحتوي على العقائد الصحيحة والأخلاق العليا التي تضرر فيها الحكمة. فكلية "الكتاب" وردت في القرآن الكريم لمعنى الأحكام، والحكمة ذكرت فيه لأصول الأحكام. أما بعض العلماء كالشافعي وغيره من المحدثين فقد تسامحوا في تحديد معاني الكتاب والحكمة نظرًا إلى اتباع الرسول وزعموا أن الكتاب يراد به كتاب الله والحكمة هي شيء آخر، وأخطأوا في تحقيق معنى "الكتاب" خاصة حين ورد مع الحكمة، فأوضح الفراهي أن هناك عدة آيات يُستدل بها في هذا الصدد، نذكر اثنتين منها: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ (سورة النساء: 113) وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ (سورة الأحزاب: 34)

لا يستخدم القرآن كلمتي "أنزل" و"يتلى" للأحاديث. وربما يتضمن الحديث الحكمة لأنه يبين الحكم القرآنية ولعل مراد الذين تبعهم الإمام رحمه الله كان هذا. ولكن الحديث يشتمل على الأحكام كما يشتمل على الحكمة. فلا يجوز تخصيصه باسم الحكمة. وجاء أوضح من ذلك حيث قال الله تعالى بعد ذكر ما قضى من أصول الدين: ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ (سورة الإسراء: 39) وقال تعالى في صفة عيسى عليه السلام: وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (سورة المائدة: 110) في هذه الآية سمي التوراة "كتابًا" لأن معظمها الأحكام، والإنجيل قد سمي "حكمة" لما كثر فيه البراهين والمواعظ. كما قال تعالى: وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (سورة المائدة: 46) فيتبين منه أن الإنجيل كان مشتملاً على هدى ونور وموعظة وشيء من الأحكام وتصديق للتوراة. ولكنه سمي "حكمة" لغلبة الهدايا والمواعظ فيه. كما قال تعالى

مما يؤيد هذا التأويل: وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ. (سورة الزخرف: 63)

فبدا من هذا أن تأويل الحكمة إلى الأحاديث غير صحيح، وأن اسم إذا يتبع بالحكمة فالمراد منه الأحكام. فلا تنس هذا الفرق.

فأضاف إلى ذلك أن "الحكم" مثل "الحكمة" يطلق على القول المشتمل على القضاء الحق الواضح الذي قضي بالعلم. وسعي حكيمًا من هو أحسن الناس. كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ (سورة الرعد: 37)

فالحكم ملكة وقوة يمكن الوصول بها إلى نتيجة صحيحة، كما قال تعالى: بَيِّحَیْ خُذِ أَلِكُتَبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿٣٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿٣٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿٣٤﴾ (سورة مريم: 12-14)

أي آتاه الله بالصفات العليا من الفهم والمحبة وطهارة الخلق، فاتصف بها وصار متقيًا فاجتنب ما يضر بأداء حقوق الوالدين فأحب أبويه فلم يظلمهما ولم يسخط منهما.

وقال تعالى: "وَلَوْطَا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ" (سورة الأنبياء: 74) فذكر العلم بعد الحكم ليعلم أن الحكم ههنا هو الحكم المطلق فإنه لا يكون إلا بالعلم. وهكذا قوله تعالى: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (سورة يوسف: 22) وأيضا: "وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ" (سورة الأنبياء: 78) وقال تعالى: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ". (سورة يوسف: 40)

وأضاف العلامة الفراهي إلى هذا البحث العلمي وصنّف كتابًا حول هذا الموضوع بعنوان "حكمة القرآن" وناقش فيه عدة جهات الحكمة. وقام خالد مسعود

بترجمة بعض أجزائه بالأردوية ونشرها في مجلة "تدبر"¹ كما ألقى الضوء على الحكمة شيخنا الإصلاحي.²

الرحمن: الرحمن اسم مخصوص بالله تعالى والعرب عرفته ولم يسموا به غير الله إلا رحمن اليمامة ولكن بغير أداة التعريف،³ فكلمة "الرحمن" لم يعرفوا بها إلا الله تعالى فهو من أسماء الذات. لكن أكثر الناس زعموا أن العرب لم تعرف هذا الاسم لله واستدلوا على قولهم بالآية التالية: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ (سورة الفرقان: 60) لكن هذا التأويل غير صحيح كما نذكره بعد إثبات أن العرب عرفته لله تعالى. فقال حاتم الطائي:

يقولون لي أهلك ما لك فافتصد وما كنت لولا ما تقولون سيذا
كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا فإن على الرحمان رزقكم غدا⁴

ويقول الفراهي إنهم كانوا يستمّون بعبد الرحمن في أيام الجاهلية. (لم يقدم المؤلف مثلاً في هذا الصدد لكنه كان يريد أن يقدمه ولذلك قد ترك بياضاً له) ويقول أيضاً إن القرآن أنزل بلسان النبي ﷺ وحينئذ كيف يستعمل لله اسماً جديداً؟ والقرآن نقل عن المشركين تسميتهم الربّ باسم "الرحمن".⁵ وقال تعالى: لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ⁶ (سورة الزخرف: 20) وقال أعشى قيس:

وما جعل الرحمن بيتك في العلا باجساد غربي الصف والمحرّم⁶

¹ أنظر: تدبر قرآن للإصلاحي، ورلد إسلامك بليكيشنز، دلهي، 1979م، ص 296-298

² محمد تقي الأميني، حكمة القرآن، ندوة المصنفين، دلهي، 1986م، ص 110

³ مفردات القرآن، ص 40

⁴ ديوان حاتم الطائي، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1953م، ص 58

⁵ مفردات القرآن، ص 40

⁶ ديوان الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، شرح أبي العباس ثعلب، مطبع أدلف هلز هوسن،

بيانة، 1927م، ص 94

ثم استدل عليه الفراهي ببيتين للمثقب العبدى وسويد بن أبى كاهل ليدعم ما ذكره.¹
 الشوى: استخدم في القرآن في غضون صفات جهنم. واختلف المفسرون في معناه
 لكنه استعمل كثيراً لمعنى لحم الساق في كلام العرب، فقدّم الفراهي الشواهد من
 أشعار ابن حزية الطماسي، وامرئ القيس، وجريز، والأفوه الأودي، والخرنق
 أخت طرفة، وأعشى والمثقب العبدى وعنزة العبدى.² نذكر الاثنين منها:

سليم الشطى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال³
 فإذا ذكرت من الهذيل وقد شتا فينا الهذيل وفي شواه كبول⁴
 الصبر: الصبر عند العرب ليس من التذلل في شيء كما يصبر المضطهد العاجز بل
 هو أصل القوة والعزم وقدّم الفراهي ثلاثة أبيات في هذا المعنى⁵ وإليك واحداً منها:
 قود الجياد وإصهار الملوك وصبر في مواطن لو كان بها سئموا⁶
 ووردت في القرآن كلمة "الصبر" في هذا المعنى، كما قال تعالى: وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ (سورة البقرة: 177)

الصبر والشكر: الصبر كالأساس للشكر فهو بالقوة موجود قبله، فالشكر قبل
 كل عمل صالح، كما قال تعالى: وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (سورة البقرة: 45)
 وقال في موضع آخر: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (سورة إبراهيم: 5)

¹ مفردات القرآن، ص 40-41

² المصدر نفسه، ص 46-47

³ ديوان امرئ القيس (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر، 1958م، ص 36

⁴ شرح ديوان جريز (محمد إسماعيل عبد الله الأنصاري)، دار الإنس، بيروت، د.ت، 1/475

⁵ مفردات القرآن، ص 48

⁶ ديوان زهير بن أبي سلى، ص 134

وتحدث العلامة الفراهي في هذا الباب أن الصبر متقدم على الشكر كما يتقدم الجزء على الكلّ، والشكر متقدم لأنه الأفضل والجامع. والشكر متقدم كتقدم الإيمان على العمل، فإن الشكر كيفية تنشأ من معرفة النعم وأولها العبودية وهو الشكر الذي واجب على العبد. والشكر كيفية دائمة متصلة لدوام النعمة والصبر عند الشدائد. والشكر إثبات والصبر كيفية النفس عند الضجر، والشكر هو العون على الصبر فإن من رسخ في قلبه الشكر بعد معرفة النعم توكل على ربه وصبر على المصائب لرضاه.¹

الصلاة: وهي في الأصل الإقبال على شيء ومنه الركوع والتعظيم والتضرع والدعاء. وهي كلمة قديمة بمعنى الصلاة والعبادة، جاءت في الكلدانية بمعنى الدعاء والتضرع وفي العبرية بمعنى الصلاة والركوع. ومن هذا الأصل صلي النار ثم بمعنى دخل النار كما قال تعالى: "سَيُضَلَّى نَارًا" ومنه "التصلية" كقوله تعالى: "وتصلية جحيم". واستعملت العرب الصلاة بجميع المعاني.

عدة الجهات للصلاة: إقرار التوحيد والعبودية أي التعبد للخالق والصلاة مخ العبادة فلزم جميع الخلق لزوم التوحيد والتعبد. وقد يعبر عن الصلاة بالتسبيح، فكل خلق له صلوة، كما قال تعالى: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ (سورة النور: 41) وقال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (سورة الإسراء: 44) الصلوة بالأصل عهدنا بالله، كما قال تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَيْنِيْ ءَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِيْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧﴾ (سورة يس: 60-61) والصلوة عبادة وهي أصل الأدعية كلها: كما قال تعالى: وَتُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

¹ مفردات القرآن، ص 48-49

يَشَىءُ إِلَّا كَبَسَطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
 ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (سورة الرعد: 13-15)

والصلوة شكر للرب الواحد فالشرك في الدعاء كفر. فترك الصلوة والإعراض عن ذكره كفر. كما قال سبحانه وتعالى: فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (سورة البقرة: 152-153) والصلوة رجوع للرب، فهي ذكر للمعاد كما هي ذكر للرب وهي كمال الطاعة والتعبد. كما قال تعالى: وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾ (سورة الأعراف: 29) وبالصلوة هو عسير على الإنسان أن ينكر يوم القيامة. كقوله تعالى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٥٣﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَهُمْ فِيهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٤﴾ (سورة البقرة: 45-46) فهي تقرب إلى الله كقوله: وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ (سورة العلق: 19) فالصلوة تقضي على بهيمة النفس. وتبعثها إلى النسك والنحر، يقول تعالى: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ (سورة الكوثر: 2) وذكر في إبراهيم عليه السلام: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ (سورة الأنعام: 162) فالصلوة حياة كما جاءت في الآية الصلوة بالموت. وهذه المماة والحياة كلها لله. ويراد بالنسك قربان النفس لله تعالى.

الصلوة صنو للصبر وتحقيق له ولذلك جاء بدلاً منه، كما قال تعالى: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ (سورة البقرة: 153-154) وهي صورة الاستعانة التامة من الله بقوله: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (سورة البقرة: 153)

هذا موجز ما ذكره الفراهي عن الصلوة.¹

¹ المصدر نفسه، ص 48-49

الظن: هو ما يرى المرء من غير مشاهدة وتضمن الظن معنى الشك وبهذا المعنى
كثُر في كلام العرب والقرآن¹ كما قال طرفة:

وأعلم علمًا ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل²

وفي القرآن: إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ ﴿٣٢﴾ (سورة الجاثية: 32)

ولكن الظن ربما يكون بمعنى اليقين ويستيقن المرء شيئًا من غير مشاهدة ومن
غير تضمنه الشك³ كما قال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع⁴

وفي القرآن الكريم: إِنْ نَّظُنُّكَ أَتَى مُلْكٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ (سورة الحاقة: 20)

العصر: وله معنيان: الزمان الماضي وآخر النهار.⁵ قال الحارث بن حلزة في معلقته:

آنست نياة وأفزعها القنا ص عصرًا وقد دنا الإمساء⁶

واستعمال المعنى الأول في كلام العرب كثير، فالعلامة الفراهي قدّم الدلائل من
أشعار عبيد بن الأبرص، امرئ القيس، ربيع بن ضبع بن وهب بن بفيض بن مالك،
المتلمس، دريد بن الصمة، شريح بن هانئ بن يزيد، مسعود بن مصاد بن حسن، أبي
الحزابة الوليد بن منقية وابن هرمة.⁷ لا نذكر إلا شعر امرئ القيس وهو:

¹ المصدر نفسه، ص 52-54

² ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، 1961م، ص 81

³ مفردات القرآن، ص 55

⁴ ديوان أوس بن حجر (تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف النجم)، دار صادر، بيروت،
1960م، ص 52

⁵ مفردات القرآن، ص 56

⁶ الحارث بن حلزة (المعلقات السبع)، ص 165

⁷ مفردات القرآن، ص 56-57

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي¹
وقد فسّر الفراهي سورة العصر وناقش فيها كلمة العصر.² وذكر الإصلاحي هذا
المعنى في "تدبر قرآن".³

الكتاب: وله معان، الأول كتاب الله المنزل على الرسل بالوحي. والثاني قضاء الله
الذي قضى به لينفذه نفسه، كما قال تعالى: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ
مَّعْلُومٌ^٤ (سورة الحجر: 4) والثالث ما كتب علينا من الشرائع. كقوله تعالى:
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (سورة البقرة: 129) والرابع هو كتاب مشتمل على
قضاء الرب وهو أقرب إلى المعنى الثاني. كما قال تعالى: وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ^٥ (سورة الأنعام: 59) والخامس الرسالة وما يكتبون، كما قال تعالى:
إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ^٦ (سورة النمل: 29)

الكوثر: هو مبالغة الكثير ومعناه ذو كثرة وبركة وثروة. وقد سمّوا به الرجال.⁴
ولبيد استعمله صفة في شعره، فقال:

وصاحب ملحوب فُجّعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كوثر⁵
وفي قول أمية بن أبي عائذ الهذلي:

يحمي الحقيق إذا ما احتد من حمحم في كوثر كالجلال⁶
فاستعمل "كوثر" صفة لموصوف محذوف. أما من جهة اللسان فالكوثر محتمل
لثلاثة وجوه من التأويل في سورة الكوثر، وهي: الأول أنه اسم واختصه الله بشيء،

¹ ديوان امرئ القيس، ص 27

² تفسير نظام القرآن، ص 339-341

³ تدبر قرآن، المصدر نفسه، 533-523/8

⁴ مفردات القرآن، ص 62

⁵ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تحقيق وتقديم: الدكتور إحسان عباس)، الكويت، ص 52

⁶ ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة، 1965م، 2/ 181

والثاني أنه صفة قدّر موصوفها لبعض المناسبة له، كقولهم: "مرد على جرد" أي "رجال مرد على خيل جرد" وكقوله تعالى: "والذاريات" أي الرياح الزاريات. وهذا كثير في القرآن وكلام العرب. لكنه لا يوجد إلا إذا كانت الصفة خاصة بالموصوف ففهم من ذكر مجرد الصفة أو دلّت على الموصوف قرينة أخرى. والوجه الثالث أنه وصف باق على عموم معناه كأسماء الصنف تقع على القليل والكثير ولا تختص وحينئذ يكون من جوامع الكلم ويراد به كل ما كان فيه خير كثير.¹

في تفسيره لسورة الكوثر استنبط الإمام الفراهي من الآيات والأحاديث وأقوال السلف أنّ الكوثر أريد به الكعبة.² وذكر صاحب "تدبر قرآن" هذا المعنى.³

مصدقاً لما بين يديه: كلمتان لم يفهمهما أكثر الناس، فظنوا أن القرآن يصدق الكتب المحرفة المبدلة، أما "مصدق" فقد كان للتصديق وأما "بين يديه" فلجهد الناس بالعربية لم يحدد مدلوله. والتصديق له معنيان: الأول شهد بصدق رجل أو كلام، والثاني أن جعله صادقاً فيما توقع.⁴ قال الشاعر الحماسي:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني⁵
وقال تعالى: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ (سورة سبأ: 20) فيقول الفراهي إذا تأملت هذا القول نظراً إلى نظام الكلام، علمت أن المراد به هو المعنى الثاني. فإن النبي والقرآن جاءا كما أخبرتهما التوراة فسميت صادقة. فإن كذب اليهود القرآن والنبي لم يكن ذلك إلا تكذيباً لكتبهم.

¹ مفردات القرآن، ص 63

² حميد الدين الفراهي، تفسير سورة الكوثر، ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي، ط2، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، 1958م، ص 5-12

³ تدبر قرآن، 598-589/8

⁴ مفردات القرآن، ص 64

⁵ لم يصح الفراهي من هو الشاعر الحماسي، واسمه أبو الغول الطهوري، ديوان الحماسة لأبي تمام (تعليق ومراجعة: عبد المنعم الخفاجي)، مكتبة ومطبع محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 22/1

ففي هذا اليوم إن قال أحدٌ إني آمنت بالله وأنا نبيّ مثلهم فهل يكون هذا حجة على دعواه؟ كما قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ (سورة البقرة: 101)

أي لما جاءهم محمد حسب ما قرأوا في كتبهم أعرضوا عنه وأنكروه كأنهم لا يعلمون، وقبل هذه الآية: أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ (سورة البقرة: 100) فاستدل بأن فريقاً منهم عاهدوا بالإيمان بهذا النبي، وفريقاً نبذوا ذلك العهد ولم يؤمنوا. وقد ذكر في سورة آل عمران عهدهم مع ذكر صفات محمد ﷺ¹ وقد ذكر الرازي وغيره المعنيين من غير تخصيصه بالمعنى الثاني، فاشتبه الأمر عندهم. أما الفراهي فقد أضاف إلى ذلك وبناء على بحثه العلمي كتب بدر الدين الإصلاحي² مقالة رائعة حول موضوع "التأويل الصحيح لـ"مصدقاً لما بين يديه"³.

المن: هذه الكلمة مأخوذة من أهل الكتاب وعرفته العرب كما قال أعشى ميمون: لو أطعموا المن والسلوى لكأنهم ما أبصر الناس طعمًا فيهم نجعا⁴ فالتفاصيل عنه في التوراة أن "فكان في المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلة وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شيء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد على الأرض. فلما رأى بنو إسرائيل قال

¹ مفردات القرآن، ص 64-65

² بدر الدين الإصلاحي، أبو سفيان الإصلاحي، مجلة "فكر ونظر"، جامعة علي كره الإسلامية، 3/37، 2000م، ص 144-150

³ بدر الدين الإصلاحي، تأويل مصدقاً لما بين يديه الصحيح، مجلة "الإصلاح"، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائير مير، أعظم كره، 1936م/11، ص 40 وأنظر: قرآني مقالات، ط1، إداره علوم القرآن، علي كره، 1991م، ص 43-57

⁴ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل، شرح وتعليق: الدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماهير، د.ت، ص 109

بعضهم لبعض: ما هو؟ لأنهم لم يعرفوا ما هو فقال لهم موسى: هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا ----- وكانوا يلتقطونه صباحًا فصباحًا كل واحد على حسب أكله وإذا حميت الشمس كان يذوب".¹

إنه سمي "منًا" لما كان منًا من ربهم² ويؤيده ما جاء في الأصحاح ف 41: "ودعا بيت إسرائيل اسمه منًا وهو كبزر الكزبرة وطعمه كرقيق العسل". ويؤيده ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "الكُمأة من المن".⁴

أي كلمة "المن" تشتمل على كل ما من الله به مما تخرجه الأرض القفر ويؤيده تسمية الطير "السلوى" واللغة العبرية أقرب إلى العربية. والروايات السابقة مأخوذة من سفر الخروج، وعن مجاهد المن صبغة، وعن السدي المن كان يسقط على شجر الترنجيبين (هذا شجر عبير يوجد في جنوب أوروبا وفي الشرق الأوسط). وعن وهب أنه خبز الرقاق مثل الذرة ومثل النقي، وهذا لما سبق موسى في قوله وقد كثر في الصحف إطلاق الخبز على الطعام ولعله أيضًا مأخوذ من قول أهل الكتاب مما فسروا به المن، ففي سفر العدد أن "الشعب كانوا يطوفون ليلتقطوه ثم يطحنوه بالرحى أو يدقونه في الهاون ويطبخونه في القدور ويعملونه ملات وكان طعمه كطعم قطائف بزيت" فأخذ المتأخرون هذا التفسير منهم إذ لم يفهموا معنى الخبز. وعن قتادة كان المن ينزل عليهم مثل الثلج. وهذا لما سبق دقيق كالجليد على الأرض. وعن ابن زيد المن عسل كان ينزل عليهم من السماء..... فهذه الأقوال كلها مأخوذة من أهل الكتاب.⁵

النصارى: هي جمع نصران، مثل ندامى جمع ندمان، وهذا الاسم كان لهم في الأول وقد ماؤهم لم ينكروه، ولكن المتأخرين منهم ظنوه شتمًا، وأنكروا هذا الاسم عنادًا

¹ الخروج: 16/13

² مفردات القرآن، ص 68

³ الأصحاح: ف 41

⁴ ابن ماجة، باب الطب

⁵ مفردات القرآن، ص 68-69 وراجع لتفاصيل المن: تدبر قرآن للإصلاحي، ط3، أنجمن خدام القرآن، لاهور، 1976م، 1/ 173-174 ومزيد التفصيل: "نباتات قرآن" للدكتور محمد اقتدار حسين الفاروقي، ط1، سدره بليكيشنز، لكناؤ، 1989م، ص 15-22

بأوائلهم. ويتبين منه أن أتباع المسيح صاروا فرقتين: فرقة اتبعوا الخليفة بالحق شمعون وتسموا باسم النصارى وكلهم آمنوا بمحمد وهم الذين مدحهم القرآن حيث قال تعالى: وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ (سورة المائدة 82) فصرح بأن المراد هم الذين تسموا بهذا الاسم.

وفرقة اتبعوا بولوس المبتدع وهم الباقون الآن. قد زعم هؤلاء أنّ النصارى كلمة التحقير لأنها نسبة إلى الناصرة وهي قرية حقيرة عندهم. كما جاء في يوحنا "فيلبيس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس".¹ فقال له نثنائيل من الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح.² وهذا من تكبر هذه الفرقة، فإن الناصرة إن كان مولد عيسى عليه السلام فأى حقارة في النسبة إليها؟ وقد زعموا أن الناصرة كانت مولده كما جاء في أناجيلهم، بل إنه يدعى ناصريًا كما جاء في متى: وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريًا.³

وزعم الطاعنون أن القرآن لم يعرف هذه التسمية وجعلها من الناصرة لما جاء فيه: كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُفُكَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ (سورة الصف: 14)

وهذا الطعن منشؤه الجهل بمعنى الآية فإنها إنما ذكرت أمرًا حَقًّا ولم تذكر وجه التسمية. بل فيها إشارة إلى أن المسمين بالنصارى يجب عليهم نصر الحق، لما في اسمهم تذكّار لذلك. وأمثال هذه الإشارات توجد في كلام الأنبياء. قال عيسى عليه السلام لشمعون وكان يدعى صفا (لقب بطرس ومعناه أسد)⁴ وجاء في متى: وأنا أقول لك أيضًا: أنت صفا وعلى هذا الصفا أبني كنيسة.⁵

¹ مفردات القرآن، ص 69

² يوحنا: 1:45

³ متى: 24/2

⁴ مفردات القرآن، ص 69-70

⁵ متى: 16/18

هادوا: فسّر العلامة الفراهي هذه الكلمة تفسيراً شاملاً، سنذكر جزءه الأول، أن كلمة هادوا هي من هاد يهود هودا ومعناها تاب ورجع. وجاءت في القرآن بهذا المعنى في دعاء موسى كما قال تعالى: وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَىكَ (سورة الأعراف: 156)

وأيضاً جاء بمعنى اليهود، كقوله تعالى: وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى (سورة البقرة: 135) وهكذا تهوّد، وذلك على طريق العربية كما يقال تنصّر من النصرانية، وزعم الطاعنون أن هذه الكلمة خطأ لأن اسم اليهود ليس مأخوذاً من مادة هود بل هو نسبة إلى يهودا. فسنبين اشتقاق هذا الاسم ليتضح أن طعنهم من سوء فهمهم للقرآن. أما القرآن فاستعماله لهذه الكلمة ليس بدعاً بل هو حسب لسان العرب. فإنهم جعلوا فعل هاد يهود لمن كان يهودياً، و"هدنا" في القرآن جاء في معناه الأصلي ليس لبيان اشتقاق اسم اليهود. ثم استدل الفراهي على قوله بأربعة دلائل.¹

فيدا من هذه المباحث أمران، أولهما: أن الإمام عبد الحميد الفراهي كان له اليد الطولى في اللغة العربية، وله إلمام كبير بعلوم اللغة كما كان له ملكة راسخة للاستدلال بأشعار العرب. وعلى رغم ذلك قد تضلع من اللغة العبرية ليدعم أقواله. ثم أحاط بمعاني التوراة والإنجيل والزيور لإدراك معاني مفردات القرآن وضبط مدلولاتها.

وكذا يبدو منها أن المعرفة بالمفردات القرآنية هي الخطوة الأولى في فهم القرآن وإتقانه. وهذه هي الفكرة الأساسية للفراهي حين تأليف هذا الكتاب. أما الفرق بين مفردات القرآن للفراهي والمؤلفات الأخرى لهذا الموضوع فهو أن الفراهي كان يحدّد معاني الكلمات في ضوء نظام القرآن وأما المفسرون الآخرون فلم يلاحظوا هذا الأصل في تبين الكلمات وتفسيرها. لذلك يمتاز هذا الكتاب عن الكتب الأخرى في هذا الموضوع.

¹ مفردات القرآن، ص 70-72

المصادر والمراجع

1. اشتياق الظلي (الجامع)، قرآني مقالات، إداره علوم القرآن، علي كره، ط1، 1991م
2. أمين أحسن الإصلاحي، تدبر قرآن، لاهور، 1979م
3. أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، اعتنى بضبطه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1896م
4. الحارث بن حنظل، المعلقات السبع (شرح للزوزني)، دار صادر، بيروت، 1958م
5. حميد الدين الفراهي، تفسير سورة الكوثر، ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي، ط2، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، 1958م
6. خورشيد أحمد، أدبيات مودودي، مركزي مكتبه إسلامي، دلهي، 1980م
7. ديوان أعشى، دار صادر، بيروت 1960م
8. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل، شرح وتعليق: الدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماهير، د.ت
9. ديوان الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، شرح أبي العباس ثعلب، مطبع أدلف هلز هوسن، بيانه، 1927م
10. ديوان الحماسة لأبي تمام (تعليق ومراجعة: عبد المنعم الخفاجي)، مكتبة ومطبع محمد علي صبيح وأولاده، مصر
11. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، 1953م
12. ديوان الهزليين، الدار القومية، القاهرة، 1965م
13. ديوان امرئ القيس (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر، 1958م

14. ديوان أوس بن حجر (تحقيق وشرح: الدكتور محمد يوسف النجم)، دار صادر، بيروت
15. ديوان حاتم الطائي، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1953م
16. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1953م
17. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق وترتيب: م البستاني، دار صادر، بيروت 1961م
18. شرح ديوان جرير (محمد إسماعيل عبد الله الأنصاري)، دار الإنس، بيروت، د.ت
19. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تحقيق وتقديم: الدكتور إحسان عباس)، الكويت
20. عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة التين، ترجمه أمين أحسن الإصلاحي، ط1، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، د.ت
21. عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة الفيل (ترجمة أردوية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط1، مطبعة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، د.ت
22. عبد الحميد الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مطبعة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1357هـ
23. محمد تقي الأميني، حكمة القرآن، ندوة المصنفين، دلهي، 1986م
24. المهلهل (منتخب شعره) درس ومنتخبات، فؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2، 1939م
25. نباتات قرآن" للدكتور محمد اقتدار حسين الفاروقي، ط1، صدره بليكيشنز، لکناؤ، 1989م
26. مجلة "الإصلاح" الشهرية، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره
27. مجلة "المنهل" الفصلية، المملكة العربية السعودية، جدة

مجلة الهند

28. مجلة "برهان" الشهرية، ندوة المصنفين، دلهي
29. مجلة "ترجمان القرآن" الشهرية، لاهور
30. مجلة "فكر ونظر" الفصلية، جامعة علي كره الإسلامية

منهج تفسير القرآن الكريم عند الإمام ابن تيمية والإمام عبد الحميد الفراهي دراسة مقارنة

-أشهد رفيق الندوي¹

ترجمة من الأردوية: أبو سعد الأعظمي²

يعرف الإمام ابن تيمية كشخصية ذات جهات عديدة وأبعاد مختلفة. تتجلى تفرداته العلمية وآراؤه الشاذة في مجال الفقه والحديث والمنطق والفلسفة وعلم الكلام والعقائد. ولذلك نرى هذا الجانب جلياً عند كل من اعتنى بكتابة سيرته. ولكن مما لا يختلف فيه اثنان أن التفسير أيضاً كان موضوعاً مهماً لفكره وتأليفه. وقد سيطر هذا الذوق عليه من حيث أن من الشاذ أن نتصفح أي تصنيف له، وهو يخلو من المواد الوافرة حول التفسير. ومن أهم الميزات التي تختص بها كتاباته هو الاستدلال بالآيات القرآنية. ولو أنه لم يفسّر القرآن الكريم كاملاً³ ولكنه فسّر بعض السور، وكشف عن معاني المآث من الآيات الصعبة، وأماط اللثام عن فهم بعض المسائل الدقيقة لعلوم القرآن. وفوق هذه وتلك أن الإمام ابن تيمية أسّس فن أصول التفسير فكتب "مقدمة في أصول التفسير" الذي بنفسه كان مفخرة عظيمة.

وكان الإمام الفراهي أيضاً قد برع في الحديث والفقه والعقائد وعلم الكلام والمنطق والفلسفة والأدب والبلاغة إلا أنه ذاع صيته في الأوساط العلمية والأدبية كمفسّر للقرآن. ووفاه الأجل دون أن يكمل تفسيره للقرآن ولكن نحمد الله على أنه تمكن من

¹ أستاذ مساعد في المدرسة الثانوية العالية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، أوترا براديش

² باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، أوترا براديش

³ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 27-28

تفسير بعض السور. ونستطيع أن نفهم منهج تفسيره في ضوء أجزائه التفسيرية، كما أنه ألف رسائل مختلفة من أمثال "فاتحة نظام القرآن" و"التكميل في أصول التأويل" و"دلائل النظام" و"إمعان في أقسام القرآن" و"جمهرة البلاغة" و"حجج القرآن" و"حكمة القرآن" و"مفردات القرآن" وذلك لكي يتضح منهج تفسيره. وهذه الرسائل لا تزال تستجذب انتباه الباحثين والمحققين نظراً إلى أهميتها ونفعها وتفرداتها. وكذلك ترك لنا الإمام الفراهي أثراً علمية قيّمة حول أصول الفقه وأصول الحديث والعقائد والأدب والبلاغة والصرف والنحو وغيرها من الموضوعات المختلفة الكثيرة التي تنم عن عبقرية الإمام الفراهي وشخصيته ذات الأبعاد المتنوعة.

اتحدت آراء الإمام ابن تيمية والإمام الفراهي في كثير من المسائل على الرغم من اختلاف آرائهما في الأخذ والاستفادة من الأحاديث والآثار إلى حد بعيد، كما أننا نجد التوافق في أذواقهما وفي طريقة التدبر والتفكير لديهما. وفي هذا المقال المتواضع سنقدم دراسة مقارنة لمنهج التفسير لدى ابن تيمية ومنهج التفسير لدى الإمام الفراهي وآرائهما التفسيرية، وذلك لكي نعرف مدى الاختلاف والاتفاق بينهما، كما نستطيع القياس بها على تلك المراحل التي مرّ بها فن أصول التفسير من عهد ابن تيمية إلى يومنا هذا.

منهج التفسير لدى ابن تيمية:

اختار الإمام ابن تيمية منهج التفسير الذي ما زال سائداً منذ عهد رسول الله ﷺ وأصحابه في التفسير وداوم عليه أسلافنا وعضوا عليه بالنواجذ. فمن أحسن طرق التفسير عنده أن يفسّر القرآن بالقرآن نفسه، وإن لم نجد التفسير في القرآن فترجع إلى الحديث وإذا لم نظفر في الحديث فلنستفد بآراء الصحابة وأقوالهم وهكذا إلى أقوال التابعين. وهذه مصادر أساسية عند ابن تيمية لتفسير القرآن الكريم. وفي الأسطر الآتية سنلقي الضوء عليها بالتفصيل.¹

¹ شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع الرياض، الرياض، 1404هـ، 375-363/13

تفسير القرآن بالقرآن:

القرآن الكريم يتميز بأسلوبه الفريد ففيه إجمال وتفصيل، إيجاز وإطناب، عموم وتخصيص، ونفي وإثبات. وأصح الطرق للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، وذلك لأن ما أجمل في مكان تم تفسيره في مكان آخر، وما اختصر في موضع قد بسط في موضع آخر. ومن هذا المنطلق يعتبر القرآن الكريم "كتاباً متشابهاً". ولذلك ما زال أسلافنا يواظبون على أن "القرآن يفسر بعضه بعضاً" ورجحوا تفسير القرآن بالقرآن في كل زمان.¹

تفسير القرآن بالسنة:

ومن أوثق وأحكم مصادر التفسير بعد القرآن الكريم سنة الرسول ﷺ، واتفق على ذلك المفسرون منذ فجر تاريخ الإسلام. يقول ابن تيمية: "فإن أعيانك ذاك فعليك بالسنة فإنها شارحة القرآن وموضحة له". وذلك بما أن النبي ﷺ كان خلقه القرآن، وقد فسّر القرآن الكريم وشرحه بأقواله وأعماله وتقريراته. وكان تفسير القرآن وتبيينه من أهم أهداف بعثة النبي الكريم ﷺ. وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل: 44).² فلذلك يعتبر أحسن التفسير للقرآن ما تؤيده أقوال النبي ﷺ وأعماله. وأكد الشيخ ابن تيمية في رسالته "مقدمة في أصول التفسير"³ وفي مؤلفاته الأخرى على التمسك بالحديث النبوي. وهو يرى أن التفسير الذي لا يستفاد من القرآن والحديث أو من أقوال الصحابة والتابعين فهو حرام كلياً.⁴

¹ المصدر السابق، 364-363/13، أنظر للتفصيل تفسير الشيخ ابن تيمية، دقائق التفسير، بيروت

² المصدر السابق، 332-331/13

³ المصدر السابق، 368-364/13

⁴ المصدر السابق، 361/13

تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

والمصدر الثالث للتفسير هو أقوال الصحابة وآثارهم. يقول ابن تيمية: "إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدركوا ذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماءهم وكبرائهم". فلذلك لا يجوز عند ابن تيمية إعمال العقل والنظر في تفسير أي آية من آيات القرآن إذا وجد في تفسيرها قول صحابي ورأيه.¹

تفسير القرآن بأقوال التابعين:

إذا لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولم يؤثر عن الصحابة قول فيه، فنرجع إلى أقوال التابعين. وتتجلى أهمية تفسير القرآن الكريم بأقوال التابعين لأنهم تعلموا هذا الفن من الصحابة الذين تلقوا القرآن مباشرة من النبي ﷺ ولذلك يصل تفسيرهم إلى النبي ﷺ بأسانيد معتمدة متينة وتستفاد أقوالهم وآثارهم حول القرآن الكريم من النبي ﷺ بواسطة، وليست هي آرائهم وأفكارهم الذاتية. فلذلك إذا أجمعوا على الشيء، فلا يرتاب في كونه حجة. فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك.² وقد راعى الإمام ابن تيمية هذه الأصول والمصادر في تفسير السور والآيات التي تناولها وحث الأمة على الأخذ بها، ثم ألف تلميذه الرشيد حافظ ابن كثير (ت774هـ) تفسير القرآن العظيم طبقاً لهذه الأصول وذاع صيته في العالم وأشاد به العلماء والمفسرون.

¹ المصدر السابق، 361/13

² المصدر السابق، 370-368/13

منهج التفسير عند الإمام الفراهي:

يختلف منهج التفسير عند الإمام الفراهي عن منهج الشيخ ابن تيمية إلى حد كبير وتتبادر رؤية الفراهي في صدد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالأحاديث بقوله هذا: "أول شيء يفسر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبي ﷺ والذين معه، ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي وأصحابه".¹ ولكن الفراهي لم يؤلف تفسيره على أساس الأحاديث وما قدّم الأحاديث كالأصل كمثّل ابن تيمية، بل قسم الفراهي المصادر التفسيرية بين نوعين وعبر عن الأول بالأصل وعن الثاني بالفرع. والأول يكون عنده قطعي الدلالة، أما الثاني فهو ظني الدلالة.² يقول الإمام الفراهي: "من المأخذ ما هو أصل وإمام، ومنها ما هو كالفرع والتبع. أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبع والفرع فذلك ثلاثة (1) ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية (2) وما ثبت وما اجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم (3) وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء. ثم يشير إلى كونها ظني الدلالة³ فيقول: "لو لا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع، بل كان ذلك أصلاً ثابتاً يعضد بعضه بعضاً من غير مخالفة".⁴ ثم أفاض الفراهي في بيان مراتب كل هذه المصادر على حدة.

¹ الإمام حميد الدين الفراهي، فاتحة نظام القرآن، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)،

الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص20

² المصدر السابق، ص27-32

³ هذا مصطلح شهر في فن أصول الحديث، وأما كون الأحاديث ظني الثبوت إزاء القرآن الكريم، فلأنها لا تحتل مكان القرآن الكريم في صدقها وثقتها. إلا أن علماء الأحاديث يتفقون على أن الأحاديث الصحيحة من جهة الرواية والدراية تفيد بعلم اليقين ولا بد لنا من تسليمها. وأما الفراهي فقد جعل الأحاديث والصحف السماوية والتاريخ كلها في صف واحد، وهذا لا يصح بما فيها فرق واضح لا بد من رعايتها.

⁴ فاتحة تفسير نظام القرآن، ص28

منهج الإمام الفراهي في التعاطي مع الأحاديث النبوية:

وأما منهج الإمام الفراهي في التعاطي مع الأحاديث النبوية فإنه يرى من الضروري الرجوع إلى الأحاديث النبوية لتفسير القرآن الكريم، وذلك بما أن النبي ﷺ شارح للقرآن. وأما تفسيره وتبيينه فيما بين الناس فهو يعود إليه كأهم أهداف البعثة التي بعث بها الله تعالى.¹ ولكنه يرى أن يرجع إلى الأحاديث النبوية والآثار في تفسير القرآن بعد النظر والإمعان في القرآن نفسه في ضوء نظمه وأساليبه،² وذلك بما أن القرآن قطعي الدلالة ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. أما الأحاديث النبوية فتأتي منزلتها بعد القرآن. فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبني عليه دينك ثم بعد ذلك تنظر في الأحاديث. فإن وجدت ما كان شاردًا عن القرآن حسب بادئ النظر، أولته إلى كلام الله، فإن تطابقا فقررت عيناك. وإن أعياك فتوقف في أمر الحديث واعمل بالقرآن.³

أما المفسرون الذين كتبوا تفاسيرهم على أساس الروايات، فقد واجهوا صعوبات كثيرة في بعض المواضع، منها آية سورة الحج عن اللات والعزى وما ذكر في الأحاديث من شأن نزولها، جاء فيه أن النبي ﷺ تمنى لو نزل في القرآن آية تزيل كراهية الكفار وبغضهم ضد الإسلام، ولا زالت هذه الأمنية في قلبه حتى نزلت سورة النجم، إذ جلس النبي ﷺ في رؤساء قريش، فبدأ النبي ﷺ التلاوة ولما وصل إلى هذه الآية "أفرايتم اللات والعزى" جرى على لسانه فجأة "تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" ثم واصل تلاوة الآيات الباقية لهذه السورة ولما سجد النبي ﷺ بعد نهاية السورة، سجد المشركون معه ثم قالوا: الآن لا يبقى بيننا وبين محمد أي خلاف.

¹ لعله يشير بقوله هذه إلى هذه الآية "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"، سورة النحل: 44

² الإمام الفراهي، التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، 1388هـ، ص 68-69

³ المصدر السابق، ص 65-66

وجاء جبرئيل عليه السلام وأخبر أنه لم يجيء بهاتين الفقرتين، فاكتأب رسول الله ﷺ واشتد حزنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية له. ونقل معظم المفسرين هذه الواقعة في تفاسيرهم ظانين أنها صحيحة. وللتوفيق بين الآية والرواية جعل "إذا تمنى" في معنى "إذا قرأ".¹ إذ لم يكن هنا أي حاجة لاختيار هذا المعنى الشاذ، وذلك بما أن معنى "التمنى" المعروف يشرح الآية ويجعلها واضحة وجلية. وأما الرواية التي سبق ذكرها فمن الموثق والمتفق على وضعها من جهة الإسناد والمتن² كما أنه مخالف للنصوص القرآنية والطبيعة النبوية على صاحبها أزكى التحيات وأفضلها. **نظم الكلام:**

يرى الإمام الفراهي أن نظم القرآن هو الأساس لفهم القرآن الكريم، إذ بدونه يصبح تفسير القرآن وتأويله صعباً جداً، ولذلك نرى أنه اعتنى في تفسيره بالنظم أكثر من غيره. ويرى الفراهي أن جل اختلاف الآراء في التأويل من أجل عدم التزامهم برباط الآيات، فلو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام، لاجتمعنا تحت رؤية واحدة وكلمة سواء³ "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" (الآية). وقد بين موقفه في الأسطر البدائية لمقدمة تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" بهذه الكلمات: "فقد اجتهدت في هذا الكتاب - بحول الله وتوفيقه - أن أكشف عن نظام آيات القرآن العظيم، وأن أفسره تفسيراً ساذجاً، غير خالط به

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، 1980م، 230-229/3، أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، 19/3، ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المطبعة الميمنية، مصر، بدون تاريخ، 122-119/17، الألوسي، روح المعاني، إدارة الطباعة المنيرية، دمشق، بدون تاريخ، ص156-168، البيضاوي، التفسير البيضاوي، كتبخانه مجتباتية، ديوبند، بدون تاريخ، 55/3

² الإمام الرازي، التفسير الكبير، 59-55/13، السيد المودودي، تفهيم القرآن، مركزي مكتبه إسلامي، دهلي، 1986م، 245-238/3، الشيخ الإصلاحي، تدبر قرآن، فاران فاؤندينشن، لاهور، 1983م، 271-268/5

³ الإمام الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الطبعة الأولى، 2008م، ص17-18

من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا ﷺ. فالتمسست معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها، ومن نفس سياقها، ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل".¹ وأما الإمام ابن تيمية فلا يراعي النظم بهذا المعنى في مباحثه التفسيرية.

اللغة وأساليب الكلام:

معرفة اللغة العربية وآدابها والاستفادة بها من أهم الأمور التي اعتنى بها الفراهي واهتم بها في تفسيره بعد نظم القرآن. ويؤكد الفراهي على أهمية معرفة اللغة العربية وأساليبها والاستفادة بها، وذلك لأن ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه لا تزال في تلك الصورة التي نزل فيها القرآن. ومن الحقائق الناصعة أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصحى التي شاع استعمالها عند العرب. فلذلك لا نستطيع فهم أساليب القرآن وإشاراته وتلميحاته وكناياته إلا بمعونة من اللغة العربية. كما أنه لا يوجد أي مصدر أصح وأوثق من اللغة العربية في معرفة المعروف والمنكر عند العرب، وأفكارهم السياسية ومشاكلهم اليومية إلى جانب التقاليد المذهبية والعوائد والعقائد الرائجة عندهم. وتتجلى أهمية الاستشهاد بكلام العرب في أن الصحابة استشهدوا به فقال عمر بن الخطاب بصدد ذلك: "الشعر ديوان العرب". ولهذه الأسباب يهتم الفراهي بكلام العرب أكثر من غيره.²

لعل من المفيد أن نبين هنا أن الإمام الفراهي قسم أصول التفسير إلى ثلاثة أنواع: (1) الأصل الأساسي: يشمل فيه شرح الآيات بأمثالها من الآيات الأخرى وبالنظم وعمود الكلام وتعيين المخاطب الصحيح وترك المعنى الشاذ والنادر.³

¹ المصدر السابق، ص 15 وقد ألف الفراهي كتاباً مهماً في نفس الموضوع باسم "دلائل النظام"،

راجع إليه للتفصيل: التكميل في أصول التأويل، ص 62

² المصدر السابق، ص 52-57

³ المصدر السابق، ص 57-64

(2) وإن تحتمل أي آية معاني متعددة فلا بد من أن نرجح أي واحد منها، ثم يبين الفراهي الأصول لتعيين الراجح والمرجوح عنه عند احتمال ذلك المعنى الذي يطابق النصوص القرآنية والنظم وعمود السورة وأساليب القرآن والطبيعة النبوية والشريعة واللغة العربية وأساليبها أكثر دون غيره.¹

(3) ويشمل فيه جميع الأصول التي تغاير روح القرآن الكريم والسنة كاستعمال العقل والنظر إزاء النصوص الشرعية أو جعل الأحاديث والآثار أصلاً ثم يؤول القرآن طبقاً لها.²

الاستفادة من أهل الكتاب:

يختلف المفسرون في أمر الاستفادة من أهل الكتاب في تفسير القرآن الكريم. وفي القرآن الكريم مواضع عديدة لا بد فيها من الاستفادة بالصحف السماوية السابقة. وهناك مواقع اكتفى فيها القرآن الكريم بالإشارة إلى أحوال الأنبياء وقصصهم ولم يتعرض لها بالتفصيل. وهنا تعيننا الصحف السماوية السابقة في العثور على هذه الجزئيات ولذلك بدأت الاستفادة من أهل الكتاب في زمن النبي ﷺ ثم استمر هذا العمل في زمن الصحابة والتابعين.³ ولكن ازداد شغف الناس بالروايات الإسرائيلية فيما بعد حتى تسربت الخرافات إلى كتب التفاسير دون تمييز الصحيح من السقيم. ومن أراد أن يتأكد من هذا فيمكنه أن يتصفح صفحات التفسير في قصة داود وسليمان وأصحاب الكهف وقصة يوسف وعزيز مصر، فإنه سيجد فيها روايات كثيرة لا تعود إلى فائدة. ولم يصح في هذه الأبواب من الروايات سوى القليل منها. فنظرية ابن تيمية والفراهي أقرب من الإنصاف والموضوعية في صدد الاستفادة من أهل الكتاب. كلاهما يريان أن نقوم باستقصاء جميع هذه الروايات

¹ المصدر السابق، ص 65-68

² الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، 1976م، 1/169-177

³ مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، 13/366، وفاتحة نظام القرآن، ص 27-32

الإسرائيلية ثم ننظر فيها بالإمعان والدقة، فإن وجدناها تطابق القرآن والسنة، أخذنا بها لما أنها مصدقة لما بين يديه. وإن كانت مغايرة لما جاء في القرآن والسنة، أعرضنا عنها لما أن مصداق هذه الآية أهل الكتاب أيضاً. وإن لم نتمكن من تمييز صحيحه عن سقيم، فالتوقف فيه خير¹ كما قال رسول الله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا".²

وقد صرح المفسرون في أمر الاستفادة من أمثال هذه الروايات أنها تصلح للأخذ عندما تمس الحاجة إليه. وأما الخوض في الجزئيات والتقصي للعثور على أمر تافه كالبحت عن خشب عصا موسى ولون كلب أهل الكهف والطيور التي أحياها إبراهيم عليه السلام فهو أمر غير لا طائل تحته.³ ويطابق موقفهما هذا من الاستفادة من أهل الكتاب وكتبهم السابقة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ومنهج التفسير عند الصحابة. ولعل من النادر أن تجد لدى أي مفسر مثل هذا الرأي المعتدل عن الاستفادة من أهل الكتاب وأما الشاه ولي الله الدهلوي فلا يسلم بوقوع التحريف اللفظي في التوراة.⁴

وكتب الإمام الفراهي بهذا الشأن أن علينا أن نهتم بدراسة هذه الكتب السابقة مباشرة إزاء الروايات المتعلقة بالقرآن وإن فقدت هذه الصحف أصلها، ولكن تفيدنا دراستها بجهات مختلفة. ومنها أن يتبين أماننا فضل تعليم القرآن على هذه الصحف، كما أن الأشياء التي حرفها أو بدّلها أهل الكتاب من كتبهم، يوضحها القرآن أماناً ويهديننا إلى مواضع الانحراف والضلال التي تورط فيها أهل الكتاب. يقول الفراهي: "فالذي يهملك (أولاً) هو أن تعلم أن القرآن، في كشف معناه، لا

¹ محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير

² مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، 345/13

³ الإمام ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير، (ترجمة سلمان الحسيني الندوي)، كلية الشريعة، ندوة

العلماء، لکناؤ، 1984م، ص42

⁴ تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص29

يحتاج إلى هذه الفروع فإنه هو المهيمن على الكتب السابقة، وهو الحق الواضح الذي يرد الخصام فيقضي بين المتخاصمين. ولكن إن أردت تصديقه فالنظر في الفروع يفيدك ويزيدك إيمانًا واطمئنانًا. ومن نظر في الكتب السابقة استبان له فضل تعليم القرآن عليها، وإعادة بعض ما نسوه من كتبهم وكشف ما بدلوه¹.

التفسير بالرأي:

يختلف المفسرون في التفسير بالرأي اختلافًا شديدًا، فهناك طائفة لا تسمح بالتفسير الذي لا يعتمد فيه على الروايات والآثار ويجعله حرامًا وطائفة أخرى لا تسمح فحسب بل تعرض على التفسير بدون التزام أي شرط.² والواقع أن كلاً منهما يتراوح بين الإفراط والتفريط. ولعله ليس من المناسب أن نضيق دائرة التفسير إلى المأثورات فحسب، وذلك بما أن المواد التي نجدها في تراث الأحاديث حول التفسير لا يروي غليل مفسر القرآن. وإلى جانب هذا نجد في القرآن آيات عديدة تحثنا على التفكير والتدبر في آيات الله، كما أن قول الرسول ﷺ "لا تنقضي عجائبه"³ يشير إلى مواصلة المحاولة لفهم القرآن. ولقد داوم الصحابة والتابعون ومن تبعهم على التدبر والتفكير في آيات الله وأخرجوا منها نكات جديدة. ولذلك أظن أن الحكم بأن التفسير بالرأي حرام لا يصح، كما أن تمكين كل واحد من تفسير القرآن بدون التزام أي شرط أيضًا بعيد عن الاحتياط.

ومما ذاع صيته عن الإمام ابن تيمية قوله بحرمة التفسير بالرأي حرمة مطلقة، كما كتب المترجم الشهير لسيرته الذاتية البروفيسور أبو زهرة، "هو لا يقبل دون التفسير بالمأثور، فكان الرسول والصحابة والتابعون وتبع التابعين هم المصدر

¹ الإمام راغب الأصفهاني، مقدمة التفسير، مطبعة جمالية، مصر، 1329م، ص422. وتشمل

هذه الكتيبة في آخر كتاب "تنزيه القرآن عن المطاعن" ألفه قاضي عبد الجبار

² الإمام الترمذي، جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في فضل القرآن

³ البروفيسور أبو زهرة، ابن تيمية حياته وعصره، آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، ص459

الأساسي له في التفسير دون غيرهم. وكان يرى أن التفسير بالرأي حرام مطلق¹. ولكن أظن أن عزو هذا الرأي إلى الإمام ابن تيمية ليس بصحيح. والحق أنه قد فضّل طريقاً معتدلاً بين الإفراط والتفريط، فالتفسير الذي يقتصر فيه على الظن والتخمين فقط جعله حراماً، ولكن إن فسّر أحد في ضوء القرآن والسنة والأحاديث والآثار واللغة وأساليب الكلام وراعى فيه أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمعلومات الأساسية ثم فسّر في ضوءها، اعتبره ابن تيمية أمراً مطلوباً وأشاد بمن فعل أو يفعل ذلك.

وقد فسّر في مقدمة أصول التفسير بعد ذكر أهمية التفسير بالمأثور في ضوء أقوال السلف: "هذا ومثل ذلك من الأحاديث تهدينا إلى أن أسلافنا لا يدخلون في التفسير دون علم، وأما من له إلمام بجهة اللغة والشرع فلا حرج عليه في التفسير. ولذلك نرى أن هؤلاء الأسلاف قدموا أماننا التفاسير ولا مغايرة بينهما. فإنهم يتكلمون بما يعلمون ويسكتون عما لا يعلمون. وهذا يجب على كل أحد، ولكن كما يجب السكوت في حالة عدم المعرفة، يجب الإرشاد والتوجيه أيضاً في صورة المعرفة"².

ويؤيد الإمام الفراهي رأي ابن تيمية في التفسير بالرأي. والفرق بينهما أن ابن تيمية يجعل الآثار والأحاديث مصدراً أساسياً لتفسير القرآن ولذلك يسمح بإعمال العقل والفهم والوسائل الأخرى عندما يسكت هذا المصدر الأساسي. وبالعكس من ذلك كان رؤية الفراهي أن القرآن يفسّر نفسه، فعلينا أن ننظر في القرآن بالإمعان والدقة ونقبل كل ما نجد موافقاً للدين والشريعة الإسلامية³. وليس من الضروري أن نبحت عنه في الآثار والأحاديث. فهذا من عادته فإنه يمعن في القرآن

¹ أخذت هذا المقتبس من الترجمة الأردنية لمقدمة أصول التفسير لابن تيمية، قام بها عبد الرزاق المليح آبادي، أنظر: ابن تيمية، أصول تفسير، المكتبة السلفية، لاهور، بدون تاريخ، ص 111

² فاتحة نظام القرآن، ص 45-46

³ المصدر السابق، ص 45-46

أولاً ثم يرجع إلى مجموعة الأحاديث وكتب التفسير.¹ ويلقي الإمام الفراهي الضوء بالتفصيل على حقيقة التفسير بالرأي وفوائده وضرره في كتابه "التكميل في أصول التأويل". كما أنه يبين نظريته بالدلائل والبراهين.² ونترك هذا التفصيل هنا بأن المحل لا يتسع لذلك.

الآيات المحكمات والمتشابهات:

إن تعيين المحكمات والمتشابهات وتفسيرها من أصعب وأدق المباحث القرآنية. نقل السيوطي أكثر من عشرة أقوال في تعريف المحكم والمتشابه ثم وزعها إلى أقسام أكثر منها.³ ونرى نفس الشيء في معظم الكتب المتعلقة بعلوم القرآن،⁴ فلعل بحث المحكم والمتشابه أصبح نفسه أمراً متشابهاً.

أمعن كل من ابن تيمية والفراهي في هذه المسألة وتعمقا فيها وحاولا أن يقدموا لها حلاً مناسباً. فيرى ابن تيمية: "أن المحكمات تعني الآيات التي يعرف معناها ومحتواها كل رجل، أما المتشابه فهو شيء إضافي. فهناك بعض الآيات يعرف معناها ومحتواها بعض الأشخاص دون الآخرين، فأصبحت آية واحدة في حق واحد متشابه وفي حق آخر محكماً".⁵ وهكذا يرى ابن تيمية أن جملة الآيات

¹ التكميل في أصول التأويل، ص 5-12

² السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مصطفى حلي وشركاؤه، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2/17-3
³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1957م، 1/111-153، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ، 2/166-189، الدكتور صبيح صالح، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، 1962م، ص 281-283، الدكتور مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص 214-221، الدكتور عدنان محمد زور، علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م، 132-180

⁴ مجموع فتاوى شيخ ابن تيمية، 13/144

⁵ المصدر السابق، 13/275

القرآنية تدخل في المحكمات باعتبار ألفاظها ومعانيها، وأوثق دليل على هذا قوله تعالى "كتاب أحكمت آياته".

وكتب ابن تيمية مفسراً تلك الآية التي نصها، "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات". (سورة آل عمران: 7) هنا يعني بالتأويل الأشياء التي خصّ الله تعالى علمها لذاته وهي في الواقع بمنزلة المتشابهات كأحوال القيامة وأثارها وعلاماتها وكيفية الجنة وجنهم، وأما معرفة مدلول هذه الآيات ومعانيها فيطبق كل رجل أن يفهمها ويدركها.¹

وهناك رأي آخر في شأن المتشابهات وهو أن بعض الآيات تأتي في باب المتشابهات من جهة ألفاظها ومعانيها،² لا يعرفها أحد غير الله تبارك وتعالى. قد رد ابن تيمية على هذا القول ردّاً شديداً. وهو يكتب أن من المحال أن ينزل الله تعالى كلاماً لا يفهمه النبي وأصحابه وأئمة، بل نزل الله تعالى القرآن في عربي مبين. وأمره هذا "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب" يشمل المحكم والمتشابه كليهما. فيوثق لنا التاريخ أن الصحابة والتابعين وأسلافنا الصالحين لا يزالون يفكرون ويتدبرون في الآيات القرآنية ويفسرون معانيها ومدلولاتها إلا أنهم يجتنبون البحث عن ماهيات الأشياء وذلك لأن هذا العمل كان ما وراء فهم الإنسان".³

وقد أفاض الفراهي في كتابه "التكميل في أصول التأويل" في هذا الموضوع وأتى برأي قيّم، وكان رأيه فيه مثل رأي ابن تيمية، ويتبادر إلى أذهاننا بعد قراءة مثل هذا التوافق في الأفكار والآراء أن الفراهي استفاد من ابن تيمية في هذه المسألة. وقد ألقى الضوء على موقف الفراهي تلميذه الرشيد أمين أحسن الإصلاحي ونقل فيما يلي ما قال الشيخ الإصلاحي:

¹ الإتيان في علوم القرآن، 2/6-7

² فتاوى ابن تيمية، 13/278-279

³ تدبر قرآن، 2/25

"والمقصود من الآيات المحكمات الآيات التي تشمل بديهيات الأفاق والأنفس ومسلمات الخير والشر وقطعيات المعروف والمنكر التي يؤمن بها القلب وليس بقبولها شرط إلا أن يكون للرجل قلب سليم".

وأما المتشابهات فالمراد منها الآيات التي يفيدنا القرآن في صورة تمثيلية وتشبيهية وهي خارج عن مشاهداتنا وفوق عقولنا ومعلوماتنا. ولكن الحقيقة الثابتة التي تتعلق بها هذه الأشياء هو في نفسها تكون واضحة وثابتة ويفهم العقل من أجزائها ما لا بد له من الفهم.¹

وقد أفاض الفراهي في كتابه في تعيين المحكمات والمتشابهات وأقسامها ونوعية اختلاف القدماء وأسبابها ومحل استعمال العقل وإطارها كي يتعرض لكل جانب من هذا الموضوع ويؤدى حقا.²

أقسام القرآن:

إن أقسام القرآن أيضًا من أهم المباحث في الدراسات القرآنية ولكن من العجيب أنها لم تجلب العناية اللائقة للمفسرين والمأهرين في علوم القرآن الكريم نظرًا لأهمية موضوعها. وقد أظهر ابن تيمية رأيه في هذا وإن كانت كتاباته في هذا الموضوع لم تتجاوز بضع صفحات. ولكن تلميذه الرشيد ابن قيم (ت751هـ) قد ألّف كتابًا جليلًا باسم "التبيان في علوم القرآن" في ضوء هذه الإفادات وأشبع الموضوع بحثًا ومناقشة. أما الفراهي فاعتنى بهذا الموضوع عناية خاصة وألّف كتابًا بديعًا شاملًا باسم "إمعان في أقسام القرآن" واستعرض فيه الجوانب المختلفة لهذا الموضوع ولعل من المفيد أن نقارن هنا بين آراء ابن تيمية والإمام الفراهي في هذه القضية.

¹ التكميل في أصول التأويل، ص23-31

² عبد المجيد الندوي، أقسام القرآن - صحيح نقطه نظر، الرشاد، أغسطس-ديسمبر 1986م، ص62-61/13، ص7

أغلب ما يظن الناس عن القسم أن المقسم به يكون أكبر درجة وأفضل من المقسم أو لا بد له من أن يكون هكذا. كما يناسب للمقسم عليه أن يكون من الأشياء التي يفيد ويؤثر القسم في تسليمها. وبذلك تورد الاعتراضات والشكوك حول الأقسام الواردة في القرآن الكريم.¹

1- يغير القسم بنفسه شأن الله تبارك وتعالى وعظمته، ويقسم على قوله من يحتقر نفسه والقرآن نفسه يذم الحلافين: "ولا تطع كل حلاف مهين".

2- وعامة ما يقسم بها الأشياء هي التي فيها جانب من العظمة وعلو الشأن أو يرتبط بها الاعتقاد والحب ولكن الأشياء التي يقسم بها في القرآن، ليس فيها جانب من العظمة والتقديس أو اعتقاد ومحبة.

3- وأما الأمور التي يقسم عليها في القرآن الكريم فهي تتعلق بالعقائد الأساسية للإسلام من أمثال التوحيد والرسالة والآخر. وهذه من الأمور التي لا يكفي فيها القسم فحسب وذلك بما أن المخالف يطلب الدليل والحجة والقسم ليس يكون دليلاً وأما الموافق فيؤمن بهذه الآيات من قبل فلا حاجة له إلى القسم.

وحاول دفع هذه الاعتراضات والإشكالات فخر الدين الرازي أيضاً مع ابن تيمية وابن قيم والإمام الفراهي. ولكن نركز في الأسطر التالية على آراء ابن تيمية والإمام الفراهي فحسب تاركين آخرين غيرهما.

وقد عالج الإمام ابن تيمية الإشكال الثاني فحسب وبينه بكل وضوح. فيقول: "قد أقسم الله تعالى ببعض الأشياء على إثبات بعض الأشياء وتتعلق هذه الأقسام بذاته تعالى الذي تتسم بصفات خاصة أو بآيات وعلامات تستلزم ذاته وصفاته وفي بعض الأحيان ربما أقسم ببعض مخلوقاته وهذا دليل على أن هذه من آيات الله العظيمة".² وقد حاول ابن تيمية بهذه الإجابة الإثبات أن المقسم به يتصف

¹ مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، 314/13

² المصدر السابق، 318-319/13

بالعظمة والتقديس، وذلك بما أن ذات الله تعالى وصفاته وآياته العظيمة تتصف بفائق الأدب والقداسة ولا مجال لأحد للشك فيها.¹

والأصل الثاني الذي اعتمد عليه ابن تيمية هو أن ما يقسم عليها تكون أمورًا معلومة ومتعينة وإنما القسم يقسم به لإتيان الدليل والحجة على المقسم عليه الذي يتجلى في صورة التوحيد والرسالة والآخره وما شابهها. ولا نجد صراحة لهذه الأصول عند ابن تيمية ولكن يمكن لنا استنباطه بالبحوث التي قام بكتابتها حول الآيات المتعلقة بالأقسام. فقد ذكر سورة الصافات والذاريات والمرسلات في هذا الباب وجعل التوحيد والآخره على الترتيب مقسمًا عليه،² كما أنه أثبت أن هذه الأقسام جاءت لأجل كون هذه الأمور من الحقائق. ترك ابن تيمية الإشكال الأول مطلقًا وما تعرض له وأما ما قال عن الإشكال الثاني فلا يشفي غليلنا. لأن الإشكال في الواقع كان على كون المخلوقات عظيمة الشأن للخالق، الذي لا يزال على حاله. إن العزة والكرامة بيد الله تعالى، يعز من يشاء ولا يشك فيه أحد. ولكن هل ترفع درجة المخلوقات إلى أن يقسم بها الله تعالى بعظمته وقداسته؟

وقد حاول الإمام الفراهي دفع الإشكال الأول بقوله إن القسم هو حاجة ملحة للمجتمع الإنساني، وليس هناك أي شيء أكثر تأثيرًا ونفوذًا من القسم في اطمئنان المخاطب وفي تأييد وتوثيق العهود على الأمور القومية والاجتماعية ذات الأهمية البالغة ونحوها من القضايا الأخرى.³ ولذلك نجد كثرة استعمال القسم عند أمور هامة في كل لغات العالم. وأما إمساك القسم وذمه في القرآن والسنة فلها خلفية خاصة ويتعلق هذا الذم بأشياء قليلة للغاية.⁴

¹ المصدر السابق، 320-319/13

² الإمام الفراهي، أقسام القرآن (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص 26-38

³ المصدر السابق، ص 75

⁴ المصدر السابق، ص 117-122

وأجاب الفراهي على الإشكال الثاني بالإشارة إلى أن المقسم به لا حقيقة له في شأن القسم ولا يكون فيه أي عظمة وقداسة.¹ وأما الأقسام التي وردت في القرآن لكريم مرتبطة بالمخلوقات فليست إلا للاستدلال والاستشهاد. ولا علاقة لها بالصفات الإلهية ولا بالتعظيم والقداسة.² وإنما يراد التعظيم في القسم عندما يقسم بالله وشعائره وفي بعض الأحيان يراد بها أيضًا الاستدلال والاستشهاد.³

ويرى الفراهي في الإشكال الثالث أن الأقسام الواردة في القرآن الكريم يراد بها الاستدلال والاستشهاد فحسب⁴ دون تأكيد وتوثيق، وإضافة إلى ذلك توجد في أساليب الأقسام جوانب عديدة لمحاسن البلاغة أي تقصد بها رصانة القول وتأكيدا.⁵ وعامة ما يكون أسلوب القسم في صورة الإنشاء فلا يجد المخاطب فيه جانبًا للإنكار والرفض.⁶ ويكون في أسلوبه الإيجاز وعندما تكون الألفاظ قليلة، فيأتي المفهوم واضحًا جليًا خاليًا عن الإبهام.⁷ ويتجلى الدليل كالمرة في صورة واضحة في هذا الأسلوب، ولا يجد المنكر أي سبيل للمناظرة.⁸ ويكون أسلوب القسم في جوامع الكلم التي تكون جملة واحدة ولكن تحمل في طياتها معاني عديدة.⁹ فلذلك يفيد استعمال القسم في القرآن الكريم الموافقين والمخالفين، والمؤمنين والكافرين على السواء.

¹ المصدر السابق، ص 43

² المصدر السابق، ص 24

³ المصدر السابق، ص 83

⁴ المصدر السابق، ص 24-83

⁵ المصدر السابق، ص 100

⁶ المصدر السابق، ص 102

⁷ المصدر السابق، ص 105

⁸ المصدر السابق، ص 110

⁹ المصدر السابق، ص 114-115

وقد استعرض الفراهي في هذا الكتاب تاريخ القسم وأهميته وأقسامه وأنواعه وحاجته في كل زمان، كما أنه رفع القناع عن أسباب عدم العناية بهذا الموضوع، وبلاغة أساليب القسم وأسباب استقبحاق القسم وذمه، وألقى الضوء الفاضي على كل ناحية. ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب ينفرد بأهميته وإفادته في هذا الموضوع.

المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، أصول تفسير، المكتبة السلفية لاهور، بدون تاريخ
2. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، المطبعة الميمنية، مصر، بدون تاريخ
3. ابن عبد الهادي، العقود الدرية، بيروت، بدون تاريخ
4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، 1980م
5. أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ
6. الألوسي، روح المعاني، إدارة الطباعة المنيرية دمشق، بدون تاريخ
7. الإمام الترمذي، جامع الترمذي
8. الإمام الفراهي، أقسام القرآن (ترجمة الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي) الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الطبعة الثانية، بدون تاريخ
9. الإمام الفراهي، التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1388هـ
10. الإمام الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الطبعة الأولى، 2008م
11. الإمام حميد الدين الفراهي، فاتحة نظام القرآن، (ترجمة، المولانا أمين أحسن الإصلاحي) الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الطبعة الأولى بدون تاريخ
12. الإمام راغب الأصفهاني، مقدمة التفسير، مطبعة جمالية، مصر، 1329م
13. الإمام ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير، (ترجمة سلمان الحسيني الندوي)، كلية الشريعة، ندوة العلماء، لكتناؤ، 1984م
14. البروفيسور أبو زهرة، ابن تيمية حياته وعصره، آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، بدون تاريخ
15. البيضاوي، التفسير البيضاوي، كتبخانه مجتباتية، ديوبند، بدون تاريخ
16. تفسير الشيخ ابن تيمية، دقائق التفسير، بيروت، بدون تاريخ

28. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح،

نظرية نظم القرآن للشيخ أمين أحسن الإصلاحي والإمام عبد الحميد الفراهي

د. أياز أحمد الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: محمد شفاء الرحمن²

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (1904-1997م)³ من المفسرين الذين بنوا تفاسيرهم على نظم القرآن الكريم. ويُنَّ أفكاره الأساسية عن نظم القرآن الكريم تفصيلاً في تفسيره "تدبر قرآن"⁴ وهو في تسعة مجلدات ضخمة. ولا يخفى على أهل العلم أنه استفاد كثيراً في تفسيره من أفكار أستاذه الإمام عبد الحميد الفراهي، وحاول فيه مراعاة أصول ونظريات أستاذه التفسيرية في كل مرحلة، بل تبعه تماماً في أهم المواقع على وجه العموم، وخاصة في شرح النظم الداخلي بين أجزاء القرآن الكريم، ومسائل النحو والصرف، وأصول النظم والترتيب، وفي تأويل الآيات والصور القرآنية الصعبة. وكذلك يرى الشيخ الإصلاحي أن تفسير القرآن بالقرآن هو الأصل في هذا الباب كما يقول بذلك الإمام الفراهي الشارح لمسألة النظم الموجود في القرآن، وقال الشيخ الإصلاحي: إن نظم القرآن هو من أهم الوسائل لفهم القرآن الكريم.⁵ ولأن النظم من أبرز الميزات في تفسيره، فركّز عليه فضلاً عن المباحث الأخرى. ولكن كما نعلم أنه تلميذ الفراهي، وأفكاره في

¹ أستاذ مساعد، قسم الثقافة العربية، جامعة لکناؤ، الهند

² باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

³ انظر لتفاصيل ترجمته: مجلة علوم القرآن نصف السنوية عدد ديسمبر 2000م (عدد خاص

بالشيخ أمين أحسن الإصلاحي)

⁴ هذا التفسير باللغة الأردية

⁵ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، تدبر قرآن، تاج كمبني دلهي، 1989م، 20/1-21.

النظم القرآني مستوحاة من أفكاره، ولذا من الأفضل أن ننظر كيف يربط فكره بفكر الإمام الفراهي، وفكرته في النظام القرآني قبل دراسة فكرة النظم لديه. ومن هذه الناحية إذا نظرنا في تفسيره وجدنا هذه الكلمات في الصفحة الأولى: "قضيت من عمري خمسًا وخمسين سنة في هذا التفسير "تدبر قرآن" منها ثلاث وثلاثون سنة في الكتابة والتسويد، ولو أضفنا إلى هذه المدة الفترة التي قضاها الأستاذ الإمام في تدبر القرآن الكريم والتي حاولت مزجها في هذا الكتاب أصبح عصارة قرن تقريبًا في تدبر القرآن الكريم، وها هي في شكل تفسير يسمّى بـ"تدبر قرآن". وإنه من سوء الأدب أن أربط فكري بفكرة الأستاذ رحمه الله، ولكن غاية منشودتي أن أقتفي على آثاره مدى الحياة، وبالتالي ظهر فكري كنتيجة طبيعية لفكرته ولهذا تجرأت على هذه النسبة".¹

وذكر الشيخُ أستاذَه بمثل هذا الكلام في موضع آخر فقال: إن جهده هو أول محاولة ناجحة في نظم القرآن الكريم، وقال عن كتابه "تدبر قرآن":

"أعتر بأن أدعي أن ما في هذا الكتاب هو من إفادات الأستاذ رحمه الله وهذه هي الحقيقة، ولكن أتخذ الحذر في هذا الادعاء لا سمح الله أن أنسب أي خطأ إليه".² استفاد الشيخ أمين أحسن الإصلاح رحمه الله من الفراهي رحمه الله من ثلاثة طرق: الطريقة الأولى: إنه أخذ علوم القرآن منه مباشرة متلمذًا عليه، وتفقه فكرة نظم القرآن مبدئيًا فجسب، بل استفاد من توجهاته الحكيمة في كثير من الآيات والسور من حيث نظم القرآن الكريم.

الطريقة الثانية: إنه استفاد من الكنوز العلمية من كتبه المطبوعة وغير المطبوعة، ومنها التعليقات القرآنية القيمة التي لم تطبع بعد.

¹ المصدر نفسه، 7/1.

² المصدر نفسه، 41/1.

الطريقة الثالثة: إنه استفاد من كتب الفراهي التي درسها وقد علّق عليها رحمه الله وهي في شتى الفنون من علوم القرآن والنحو والأدب والفلسفة.¹

وأشار إلى هذه الجوانب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله إشارة واضحة في الأماكن المتعددة في مقدمة تفسيره، وإذا أمعنا النظر في كلماته الآتية يتبين لنا أنه استفاد من كنوز أستاذه العلمية استفادة خاصة.

"وبهذه المناسبة أريد أقول ببساطة أن ما فعلته هو ليس من خالص جهدي، بل هو من جهود أستاذه الفراهي رحمه الله الذي أشار إلى مثل هذه الأمور المفيدة بعد قراءتها والتي تفيد عند تفسير القرآن الكريم، وعملي ليس فيها إلا أنني قرأتها فاستوفيت قراءتها، واستفدت منها في حل مشكلات القرآن الكريم، وفي تدقيق أساليبه وتعاييره، وفي دقة لطائفه وبدائعه".²

يرى بعض العلماء لخفاء حقيقة الأمر عليهم، كما أظن، أن الشيخ الإصلاحي استفاد من الشيخ الفراهي رحمه الله في الأصول فقط، وإنما كان لديه كتاب باسم "إفادات الفراهي" في تفسير بعض السور القصار، وكذلك بعض الكتب الأخرى في العلوم القرآنية، ولهذا معظم أجزاء التفسير "تدبر قرآن" من نتاج فكرته الأصلية وليست مستوحاة من فكرة الفراهي. ولعل من أسبابه أن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله لم يهتم كثيراً بالمصادر والمراجع في تفسيره الذي هو مجموعة أفكار وآراء الفراهي رحمه الله، حتى اعتمد كاملاً في أكثر المواضع التي تفرد فيها الإمام الفراهي رحمه الله على آرائه. ويتجلى في ضوء دراستنا أن تفسيره يعتمد تماماً على "إفادات الفراهي" في

¹ مؤلفات الشيخ الفراهي التي لم تطبع بعد، منها التعليقات القرآنية القيمة ولها أهمية بالغة وعلّق فيها الفراهي على كل آية تقريباً حسب الترتيب، ونسخ هذه التعليقات التي تم نقلها من الأصل وهي الآن موجودة عند بعض العلماء. انظر لتفاصيل مؤلفات الشيخ الفراهي غير المطبوعة: تراث مؤلفات الشيخ الفراهي غير المطبوع الشامل لحياة وأفكار الفراهي، للدكتور محمد أجمل الإصلاحي، طبعها الدائرة الحميدية، بمدرسة الإصلاح، سراي مير، 1992، ص 57-96.

² تفسير تدبر قرآن، 1/15-16.

كافة بحوث نظام القرآن الكريم تقريباً. ويكفي لإزالة سوء الفهم هذا تذكير كلمات الشيخ أمين أحسن الإصلاحي المذكورة، وبالأخص كلماته الآتية "أن ما في هذا الكتاب هو من إفادات الأستاذ رحمه الله"، وهذه هي الحقيقة. ولنتدبر في أن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي لم يستخدم كلمة "الاستفادة" بل استخدم كلمة "الإفادة" وأن الفرق بين الكلمتين في المعنى ومواضع الاستعمال بَيِّن. وسينجلي الأمر تماماً بالتفاصيل الآتية أن الشيخ الإصلاحي استفاد من "إفادات الفراهي" رحمه الله فأكثر الاستفادة، واعتمد عليها في تفسيره إلى حد كبير.

ومن الأهداف الخاصة لنقل هذه العبارات هو الانتباه إلى السبب الحقيقي لخدمات الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، ونستعرض في السطور الآتية أفكاره وخدماته تفصيلاً ضمن الموضوعات المتعلقة بنظم القرآن الكريم وأصوله، ولكن أفكاره في النظم بصفة رئيسية تتوافق مع نظرية الفراهي رحمه الله إلى حد كبير، ولهذا يكون من المناسب أن نذكر معاً نظريات الفراهي وأهم جوانب فكرة النظم عند الضرورة. أما فكرة الفراهي في نظم القرآن فهي جامعة وذات جوانب مختلفة إلى حد يصعب بيانه ضمن بحث ما، ودراسته تتطلب بحثاً مستقلاً. وهنا نذكر أفكار الفراهي بشكل موجز ضمن دراسة فكرة النظم للشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وإن مست الحاجة إلى أكثر التفاصيل في جانب من الجوانب فنعتذر لها.

فكرة النظم: ولا شك في أن فكرة النظم للشيخ أمين أحسن الإصلاحي تقوم على أساس فكرة "النظام" للفراهي رحمه الله، فأعرب هو عن رأيه في جميع المسائل تقريباً مقتفياً على آثار الفراهي، فأول ما كتب في تعريف النظم، على سبيل المثال، وأهميته وفوائده هو جزء من فكرة الفراهي، بل كلماته هي نفس كلمات الفراهي تقريباً. يكتب الشيخ الإصلاحي في هذا الصدد: "نظم الكلام جزء من الكلام لا ينفك عنه، ولا تتصور جودة الكلام إلا به".¹

¹المصدر نفسه، 17/1.

هذا هو التعريف الذي ذكره الفراهي مرارًا في الأمكنة المتعددة كأهم الدلائل للنظم، وقدّم هذا الجانب في مقدمة تفسيره "نظام القرآن" كالدليل الثالث للنظم وهو كالتالي:

"أنه لا يخفى أن نظم الكلام بعض منه، فإن تركته ذهب بعض معناه، فإن للتركيب معنى زائدًا على أشتات الأجزاء. فلا شك أن من حرم فهم النظام فقد حرم حظًا وافرًا من الكلام".¹

ويبين هذه النقاط في كتابه "دلائل النظام"² الذي ألفه كحجة على وجود النظم والربط في أجزاء مطالب القرآن الكريم وموضوعاته وهي كالتالي:

"فلا شك أن الكلام إنما هو بنظامه، فإنه يحسن أو يبلّغ أقصى البلاغة، لا بمحض أجزائه، بل بنظمه وترتيبه على ما ينبغي، فمن أراد أن يطلع على حسن بيانه، وقوة استدلاله، وتأثيره في النفوس، ودلالته على مكنون الحكمة، لا بد أن يلتمس ذلك من معرفته بتركيب جملاته، فإن ذلك حصل للكلام من مواقع معانيه وترتيبها".³

أما الإمام الفراهي رحمه الله فبين هذا الدليل لنظم الكلام في مقدمة تفسيره كدليل ثالث أو قاعدة، وأدخله في أصول النظم الأساسية لتفسيره، وتكلم في هذا الجانب في رسالته "دلائل النظام" تحت عنوان "أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام". وحاول أن يثبت بنظريته الخاصة "الكلام إنما هو بنظامه" أنه إذا أكد على نظم

¹ الإمام حميد الدين الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، 1990م، ص 31.

² طبع هذا الكتاب على حدة من قبل، ولكنه طبع الآن ضمن مجموعة رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن عن الدائرة الحميدية، أعظم كره، وهذه المجموعة تشتمل على رسائل الإمام الفراهي الثلاث (دلائل النظام والتكميل في أصول التأويل وأساليب القرآن)، وقد نفدت نسختها بعد طبعها الثانية، والنسخة التي بين يدي هي طبعة سنة 1991م وهي الطبعة الثانية، و"دلائل النظام" من هذه المجموعة التي أخذت منها المعلومات في هذا المقال.

³ رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، الدائرة الحميدية، سراي مير، أعظم كره، 1991م، ص 31.

القرآن الكريم، فلا يخطيء أحد في فهمه ويقول: إن نظم القرآن أمر خارجي يسلط على القرآن الكريم، أو هو شيء محض كاللطائف العلمية،¹ بل إنما المقصود من شدة الاعتناء بالنظم وربط المعاني مع أجزاء القرآن الكريم هو أن نظم الكلام جزء منه، أو نقول: إن الكلام في الحقيقة هو النظم أو ربط مطالب الكلام بعضها ببعض، ولذا إنه يرى أن من ترك عنصراً للنظم أو الربط مع أجزاء الكلام فقد أبعد نفسه عن مفهوم الكلام ومعناه، فلديه نظم الكلام مفتاح لفهم الكلام. وأكد الفراهي مراراً على أن فهم أي كلام لا يمكن من دون التناسب والترابط مع أجزائه.² وخلاصة القول إن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي استدلالاً على نظم القرآن بهذه النقطة للإمام الفراهي وأثبت أنه يجب الاهتمام بنظامه للغاية لفهم التأويل الصحيح للآيات والمقصود من كلام الله العزيز.

استدل الشيخ الإصلاحي على نظم القرآن الكريم من ناحية أخرى، وهي مستفادة من مقدمة تفسير نظام القرآن للفراهي وهي وحدة الأمة وعدم تفرقها. ويرى الإمام الفراهي أن القرآن الكريم هو السبب الوحيد لتنظيم الأمة الإسلامية وتوحيد صفوفها، وهذا كتاب الله هو الضامن الوحيد لحفظ الأمة الإسلامية من تفرقها وتحزبها الفقهي والمذهبي، ولكن لا يمكن هذا التوحيد إلا عندما نعين بنظم الكلام مفهوم الآيات الذي تتفاضاه، فلا يأول أحد كلام الله تعالى كيف يشاء، ولا يصرف الآيات القرآنية عن معانيها الحقيقية باسم التأويل أو التفسير. ولذا طريق النجاة الوحيد هو أن يُفسَّر كلام الله تعالى في ضوء النظم الموجود في القرآن الكريم.³ يقول الشيخ الإصلاحي في هذا الصدد: "إن القرآن الكريم هو السبيل الوحيد لدفع الاختلافات في الأمة، ولكن إذا وقع الخلاف في نفس التأويل لكلام الله تعالى فالنظم الموجود في كلامه العزيز هو الطريق المعتمد الوحيد لدفع هذا الخلاف،

¹ انظر للتفاصيل: رسائل الإمام الفراهي، ص 29-32.

² المصدر نفسه، ص 21، و28، و31.

³ انظر: تفسير نظام القرآن، ص 30-31.

ولكن لعدم الاهتمام بهذا النظام اهتمامًا جيدًا وقع الخلاف وجرى في صورة دائمة¹. وقال الشيخ الفراهي رحمه الله: إن الخلاف الفقهي الذي وقع في الأمة إنما هو لأجل التأويل الخاطئ في القرآن الكريم، وهذا هو السبب الأول الذي دفعني إلى أهمية نظم القرآن الكريم وضرورته². وقال في مقدمة تفسيره تحت عنوان "نظم القرآن":

"ولكن اضطررت إليه بأمور، أولها: أنني رأيت جلَّ اختلاف الآراء في التأويل من عدم مراعاة الناس بالنظم في الآيات، فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لاجتمعنا تحت راية واحدة"³.

القرآن الكريم رسالته ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁴ وهو حبل الله المتين لأهل الإيمان، ويوجهنا الشيخ إلى أهمية نظم القرآن الكريم معربًا عن غمه وهمه على الاختلاف والتشعب في الأمة الإسلامية على الرغم من وجود هذا القرآن فيها، فيقول: "يؤول كل فريق حسب ظنه ويحرف طريق الكلام عن متنه، وبالنظام يتبين سمت الكلام، فينفي عن آيات الله أهواء المبتدعين، وانتحال المبطلين، وزيف المحرفين"⁵.

وذكر الشيخ أمين أحسن الإصلاح أفكار الشيخ الفراهي بقوة وتأکید في بداية المقال الذي كتبه في مقدمة تفسيره تحت عنوان "أهمية النظم" وقال:

"وُجِدَتِ الأمة الإسلامية بحبل الله المتين، وأمر جميع المسلمين أن يعتصموا بهذا الحبل ولا يتفرقوا ومقتضيات هذا الأمر الفطرية أن يرد الاختلاف الذي يحدث بيننا إلى القرآن الكريم، ولكن من سوء حظنا أن آرائنا لا تتحد في القرآن

¹ تدبر قرآن، 22/1.

² تفسير نظام القرآن، ص 30-31.

³ سورة آل عمران: 103.

⁴ تفسير نظام القرآن، ص 31.

الكريم نفسه، وتوجد أقوال متعددة في تأويل آية واحدة..... وإذا وقع الخلاف في كلام فأحسن طريقة لرفعه تطمئن بها القلوب هو سياقه ونظامه، ولكن المشكلة في القرآن الكريم أن الناس لا يقولون بالنظام".¹

نظرية النظم في القرآن: لا يصعب لمن يلقي نظرة عابرة على تفسير الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أن توجد عنده فكرة جامعة للنظم، فلم يكتف ببيان الترابط والتناسب العام بين الآيات بل حاول الاعتناء بفكرة النظم هذه للفراهي عملياً، والتي وجدت فيها كل سورة، ووضع القرآن الكريم كله في شكل كأنه كلام واحد. وتكلم في نظم الآيات والصور وفي الأقسام الأخرى لنظم الكلام، وفي أهم جوانبه حتى برز النظام العام للقرآن الكريم. وأعاد الإصلاحي هذه الفكرة لأستاذة بجمال ولمعان أن نظم القرآن الكريم ليس ربط الآيات المجاورة أو الإشارة إلى المناسبة بين الآيات فحسب بل غايته الكبرى هي أنه يوضح الارتباط بين أجزاء الدين والأخلاق.² وهذا عنده أعلى مقاصد علمية، ومعناه أن جميع آيات القرآن الكريم وسوره ترابطت بالنظام العام، ويجب التمسك بحبل هذا النظام لفهم موضوعات القرآن الأساسية، وافتراقه في أي مرحلة يبعد عن المعنى الحقيقي والمقصود، ويبين رأيه هذا في موضع: "وأن ما عرض فله علاقة بالنظام الداخلي لكل سورة، وبعبارة أخرى أن كل سورة في وحدة مستقلة، ولها عنوان على حدة وهو العمود، وتترابط جميع أجزاء هذه السورة بهذا العنوان، وعلى هذا أقول إن في القرآن نظاماً خاصاً من حيث الجملة".³

استخدم الشيخ الفراهي مصطلح "النظام" بشورى بعض أهل العلم في كتابه لترابط الأجزاء القرآنية، وأحب هذا المصطلح لأنه يمثل فكره الجامع لنظام القرآن الكريم، ويقدمه من حيث "الشيء الزائد" بمقابلة علم المناسبة العام. ويجب على

¹ تدبر قرآن، 1/21-22.

² المصدر نفسه، 1/32.

³ المصدر نفسه، 1/24.

كل طالب يرغب في معرفة نظم القرآن الكريم أن يعلم أن هذا هو الجانب المميز لخدمات الإمام الفراهي المتعلقة بنظم القرآن الكريم، واهتم بتقديم فكرة النظام العام للقرآن الكريم في أتم التفاصيل في كتابه "دلائل النظام" و"تفسير نظام القرآن"، إضافة إلى ذلك هناك جانب آخر وهو أن الشيخ عندما يبين نظم أي سورة أو آية، أو يتكلم في جانب من جوانب علوم القرآن تستنير فكرته هذه كالشمس والقمر. ولهذا الغرض قدّم كل سورة من القرآن الكريم في صورة وحدة، وقسم كل سورة من حيث الموضوع إلى مجموعات متعددة، وقدّم تعليقاته النقدية على تقسيم القرآن الكريم إلى هذا الشكل الموجود في الأجزاء والركوعات، وقال إن نظم الكلام أعلى من هذا التقسيم. ولا يعتمد عليه في طلب نظام القرآن الحقيقي، لأن التقسيم الحالي يراعي متطلبات الوصل والفصل الظاهرة، بينما عنده من حيث النظم "يجب أن يراعى في التقسيم الوصل والفصل معاً".¹ ولهذا الغرض أكد على تلك النظريات بأنه:

1. يكون لكل سورة موضوع مركزي أو في مصطلحه الخاص يكون عمود يربط جميع موضوعات السورة.²
2. تكون كل سورة مرتبطة بالسور السابقة واللاحقة من حيث المعنى.
3. كذلك ربما تكون السورة معترضة كما أن الآيات تكون معترضة، فلا تكون متصلة بالسورة التي بعدها مباشرة بل تعترض بينها سورة أو سور عدة من مجموعة أخرى.³

وخلاصة القول أن الفراهي رحمه الله تكلم في تلك الجوانب للنظم في المواضع المتعددة بطرق شتى، وهذه الأقوال لا توجد عند من سبقه من العلماء والمفسرين

¹ انظر للتفاصيل: تفسير نظام القرآن، ص 60-61.

² لتصور العمود أهمية بالغة في فلسفة نظام القرآن للفراهي.

³ انظر لمزيد من التفاصيل: رسائل الإمام الفراهي، ص 86-87، 95-96.

القائلين بالنظم. وهذه هي موهبة ومهارة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أنه بين أصول النظم الأساسية لأستاذه الفراهي يسهل به اليقين في نظام القرآن العام لأدنى طالب القرآن الكريم، سواء تكون فكرة عمود السورة أو فكرة وحدة السورة، أو تكون السور والآيات معترضة أو يكون سبب النزول تابعاً لنظم الكلام، وفكرة عمود المجموعات المختلفة للسور القرآنية وطريقة طلبها، فاقتفى هو على آثار أستاذه الإمام الفراهي في جميع تلك المسائل. أما فكرة عمود السورة، وفكرة المجموعات المختلفة للسور القرآنية، ونظريات الترابط¹ بالأحكام والشرائع الإسلامية المذكورة في القرآن الكريم فلها أهمية خاصة، وهذه هي اكتشافات الإمام الفراهي التي لا يشاركه فيها أحد. وفي تاريخ نظم القرآن الكريم نجد كثيراً من العلماء الذين يبينون المناسبة بين الآيات، ولكن إعطاء فكرة النظام العام وتزيينها بالأصول والشروط ماثرة متميزة للإمام الفراهي. وأشار الشيخ الإصلاحي إلى هذه النظرية الجامعة للنظم في كلماته المذكورة سابقاً، كما أن هذه الأصول والشروط للنظم هي التي ذكر خلاصتها في مقدمة "تدبر قرآن".²

ما هو العمود: كما أشير فيما مضى أن للعمود أهمية خاصة في فكرة النظام للإمام الفراهي، ومعناه أن لكل سورة موضوعاً مركزياً (عموداً) تدور حوله أجزاؤها، والإمام الفراهي هو الذي أوجد مصطلح "العمود"، ولهذا الغرض استخدمه الشيخ الإصلاحي في تفسيره، وأحب أن يستخدم مصطلح أستاذه هذا بدلاً عن الموضوع المركزي، وأشار إلى أهميته في مقدمة تفسيره أيضاً، كما سبق. ولأهمية هذا العمود

¹ مسألة الترابط بالأحكام والشرائع الموجودة في القرآن الكريم من أهم جوانب النظام العام للقرآن الكريم التي هي من اكتشافات الشيخ الفراهي في هذا المضمرة، والبحث المختصر في نظام القرآن العام موجود في نهاية المقال، وهذه المسألة تحتاج إلى بحث مستقل، ترابط الأحكام والشرائع بالنظم والسور القرآنية أجزاء أساسية للنظام العام في القرآن الكريم. وتكلم صاحب هذه المقال في هذا الموضوع "من النظم إلى النظام" بالتفصيل في فصل مستقل في رسالة الدكتوراه "نظرية نظم القرآن وتطوره".

² انظر للتفصيل: تدبر قرآن، 24/1-27، ويوجد الموجز عنه في نهاية المقال.

اهتم هو قبل تفسير كل سورة بإيضاح عمودها، فالحاصل أنه من أهم أعمدة النظم عند الشيخ الفراهي لأن النظام العام للسورة يعتمد على عمود أو موضوع مركزي، وألقى الضوء على فكرة عموده في موضع بأسلوب جامع للغاية.

"اعلم أن مرادنا من النظام أن تكون لكل سورة صورة مشخصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض، وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدة، فحينئذ لا يكون إلا وله صورة مشخصة، فإذا نظرت إلى الكلام من هذه الجهة، رأيت ما فيه من الجمال والإتقان والوضاحة".¹

فالخلاصة أن تعيين عمود السورة عنده هو إقليد لمعرفة نظامها.²

مثال نظم السورة: كما أشير في السطور الماضية اختصاراً إلى أصول نظم الإمام الفراهي حاول استعمالها الشيخ الإصلاحي في تفسير جميع سور القرآن الكريم حتى الوسع. وحاول إيضاح عمود سورة قبل تفسير نظمها، وبالإضافة يبين ربط السورة بما قبلها، ويقدم تحليل مطالب السورة الأساسية، ويلقي الضوء على ترابط بعضها ببعض، وبعد ذلك يقسم الآيات إلى مجموعات مختلفة، ويهتم بترجمتها وتفسيرها وإيضاح نظمها حسب الترتيب، ثم يقوم بتفسير وتأويل آيات السورة بعد توزيعها إلى أجزاء صغيرة، وينظر هنا في تصوره عن النظام العام وطريقة بحثه في ضوء شرحه لأبواب السورة بمثال. ولمعرفة أنه كيف يبين نظم السورة في تفسيرها يجب النظر في تفسير بعض السور مثلاً وبهذا الغرض اخترنا سورة النساء لبعض الوجوه. ويعلم طالب القرآن أن لسورة النساء أهمية كبيرة من بعض الجهات في السور المدنية، منها:

أولاً: أن سورة النساء من السور الطوال التي تأتي فيها مشاكل النظم مراراً لتنوع المعاني والمطالب فيها.

¹ انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 87.

² المصدر نفسه، ص 89.

ثانيًا: أن سورة النساء من سور المجموعة الأولى للقرآن الكريم في هذا المقام من حيث الترتيب طرأ فيه التغير الخاص على الأسلوب والمخاطب والمطالب. وفي ضوء تلك الجهات يكون النظر في تفسير الإمام الفراهي لسورة النساء معيّنًا لنا في فهم تصور النظم له.

ثالثًا: ولها وجه ثالث يتضح بنفسه في السطور الآتية.

مثال نظم السورة من "تدبر قرآن" (نظام سورة النساء): بدأ الشيخ الإصلاحي تفسير هذه السورة في ضوء نظم القرآن الكريم حسب العادة بإيضاح عمود السورة (موضوعها المركزي). وعمود هذه السورة عنده هو تعليم المسلمين الاتحاد والاتفاق اجتماعيًا، ويقول: اختتمت السورة السابقة بتعليمهم الثبات على الدين كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹، وتكلمت هذه السورة عن الثبات على الدين مفصلاً، وغرضها اتحاد المسلمين واتصالهم اجتماعيًا وجماعيًا، ولا يتصور بدونه الثبات على الدين في أي مجتمع، لأنه لا يمكن حسب قوله الثبات عمومًا وبالأخص الثبات الاجتماعي بدون اتصال المجتمع القوي، وبأسلوب آخر عنده أن جميع ما ذكرت في هذه السورة من حيث العمود (الموضوع المركزي) فهو يجب لإحكام المجتمع الإسلامي ونتائجه الفطرية "الحكومة الإسلامية" وحفظها عن الاختلاف.²

تمهيد: الآية الأولى من السورة تمهيد للعمود لدى الشيخ إذ ذُكر فيها الإنسان بتقوى الله عز وجل، والعناية بصلة الرحم بأسلوب عام. ابتدأت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾³، ذُكرت فيها بأن قرابة الجميع مشتركة في الرحم بأن قيل إن جميع الرجال والنساء

¹ سورة آل عمران: 200.

² تدبر قرآن، 237/2.

³ سورة النساء: 1.

من أولاد الأب الواحد، ويتطلب هذا أن الجميع ليتقوا خالقهم وأن يحكموا تلك القرابة التي مضى ذكرها اجتماعياً. ويتعلق هذا التعليم بالموضوع المركزي للسورة بأن قام المجتمع الإسلامي على هذين الأساسين.¹ ويقول الشيخ الإصلاحي عن هذا: "الآية التي بين أيدينا هي تمهيد جامع للأحكام التي أنزل الله تعالى لتنظيم المجتمع الإنساني، والأحكام التي يأتي ذكرها فيما بعد في هذه السورة".²

أبواب السورة: نظراً إلى نظامها أنه قسّم مطالب السورة العامة إلى ثلاثة أبواب سيأتي تفاصيلها.

(ألف) تعليم إصلاح المجتمع وإحكامه:³ (الآيات من 1 إلى 43): بينت هذه الآيات مبدئياً الأحكام والقوانين للحياة الاجتماعية من حيث العمود (الموضوع المركزي)، وتفاصيل هذه الأحكام الاجتماعية كالتالي:

إن الله سبحانه وتعالى أمر جميع الناس بتقواه قبل كل شيء (الآية 1)، وبعده أمر بحفظ أموال اليتامى وحقوقهم، وأشار إلى طريقه (الآيات 2-10)، وأحكام قسمة الميراث (الآيات 11-14)، إلى مجموعة هذه الآيات فيما سدد لذرئع المفسد الناتجة عن الطرق المالية والمادية، ثم يتبع ذكر الأحكام والإرشادات المعتدلة منعاً للاختلاف الجنسي والطغيان الشهواني (الآيات 15-18)، وبيان حفظ حقوق النساء، وتجنب اتهامهن، وتفاصيل مسائل النكاح وشروطه (الآيات 19-23-24-25)، وبينها ثلاث آيات وردت تنبيهاً وتذكيراً للناس ومن أغراضه إرشاد المسلمين إلى قيمة الأحكام المذكورة (الآيات 26-28)، ثم المزيد من التوضيح والإيضاح المتعلق بالأحكام والحدود السابقة بعدما ذكر بعض الأمور ضمناً (الآيات 29-32)، الإرشادات الأصولية المتعلقة بتنظيم الأسرة (الآيات 34-35)،

¹ تفسير تدبر قرآن، 2/238.

² المصدر نفسه، 2/246.

³ المصدر نفسه، 2/238-240، 247-296.

ثم عند الشيخ "الآيات لخاتمة الباب" كأنما انتهت هنا سلسلة الأحكام الاجتماعية التي ابتدأت، ثم تذكير حقوق الله وحقوق العباد (الآيات 36-43).¹

(ب) التعقيب على المخالفين والتشجيع للمسلمين:² هذا الباب يشتمل على الآيات من 44 إلى 126. ويعرف الشيخ الإصلاحي هذه المجموعة للآيات أو هذا الباب من حيث المطالب والموضوعات.

"كما أشرنا عند الآية رقم 43 بأن انتهى باب الأحكام المتعلقة بإصلاح المجتمع، ويأتي بيان هذه الردود التي ظهرت من مخالفي تلك الإصلاحات. وإلى جانب آخر يُبشّر المسلمون بمملكة تكون هي نتيجة لبلوغ وكمال المجتمع. والبداية باليهود من مجموعة المخالفين قبل كل شيء لأنهم من أهل الكتاب فينبغي لهم أن يكونوا أكثر تأييداً لهذه الإصلاحات، ولكنهم من سوء الحظ خالفوها أكثر من غيرهم".³

وبهذه الإيضاحات يقدر بأن الشيخ الإصلاحي رحمه الله كيف يهتم تدريجياً ببيان الترابط والنظم بين آيات السورة وبين موضوعات مجموعاتها المختلفة. وبعده يأتي، طبقاً لتقسيمه، ترتيب مطالب الباب كالتالي:

كما بين هنا نظم هذا الجزء ذكر فيه طبقاً له قبل كل شيء إصلاح المجتمع الإسلامي، ومؤامرة اليهود خلافاً لأحكامه، وفي مقابلة مخالفتهم تسلياً للمسلمين (44-57)، ثم تُبه المسلمون على أن يقدرُوا أمانة الشريعة الإلهية التي حولت إليهم من اليهود ويؤدوا حقها، ويجتنبوا كلياً أن يحذوا حذوهم، لأن لا يواجهوا سوء

¹ المصدر نفسه، 294/2. ليعلم هنا وإن لم يقسم أمين أحسن الإصلاحي أجزاء السورة في بدايتها من حيث الأبواب ولكن أشار بالتأكيد بهذا الأسلوب إلى نهاية الأجزاء السابقة وبداية الأجزاء الجديدة وذلك عند نهاية الأجزاء المختلفة، وبه يتم تحديد أبواب السورة الأساسية جيداً، فمثلاً يقول في الأخير بعد تحليل مواضيع ومطالب الباب الأول: "هذه آيات خاتمة الباب" وكذلك أشرت إلى الأبواب الأخرى، وهذا هو السبب لتحليل الأجزاء المختلفة للسورة وتقسيم الأبواب بأنه يتصور الوحدة المعنوية لكل سورة كالشيخ الفراهي رحمه الله.

² انظر: تدبر قرآن، 240/2-242، وأيضاً 318/2-383.

³ المصدر نفسه، 304/2.

العاقبة كما واجهتها اليهود بشنيعهم. وبعده أمروا بعدم الاختلاف وتجنبه، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وابتخاذ الحذر من المنافقين الأعداء لوحدة المسلمين وتقديمهم، وبالثبات على سبيل الحق والعدل، وبالإضافة أرشدوا إلى السبل التي تضمن على اتحادهم (58-70)، وبعد ذلك خوطب المسلمون ولكن الإشارة إلى المنافقين الذين قيل عنهم بأنهم يدعون الإسلام، ولكنهم غير مستعدين لتضحية في سبيله. وأيضاً وجهت الإرشادات إلى المسلمين أن يجتنبوا عن مثل أفعالهم، وأن يكونوا مستعدين للجهاد في سبيل الله على كل حال، فذكرت فيها أهمية الجهاد وعظمته (71-76)، ثم ذكر المنافقين أكثر، وفصلت الأمور الضرورية حفظاً للمسلمين عن مؤامرة المنافقين ووساوسهم، ثم تسلية للمسلمين بذكر مثال خوفهم عن الموت (77-85)، وأمر النبي ﷺ أن يعرض عن ثروة المنافقين لإعطاء المزيد من فرص إصلاحهم (81) ولكنه لا يقطع الصلة عنهم كلياً، وغير ذلك بيان لدية القتل والقصاص، أي الحدود الإسلامية بأسلوب آخر (86-100)، ثم أمروا بالأحكام المهمة أثناء الجهاد من صلاة الخوف تظهر بها أهمية الصلاة والجهاد مع إلقاء الضوء على الترابط بينهما.¹

ثم وجه الأمر إلى النبي ﷺ بأن القرآن هو المقياس الأصلي والفرق بين الحق والباطل، فلا تحكم إلا به ولا تراع أحداً ولا المنافقين في الحق، ثم وردت تنبيهات للمسلمين الذين تأخذهم الرأفة في المنافقين وأعداء الإسلام (105-115)، ثم تهديد للمنافقين على نفاقهم، وذكرت جنائياتهم مفصلاً التي سيصلون بها جهنم. ثم ذكر الشرك وعاقبة أهله، وذكر فلاح الموحدين (116-126).

(ج) النصائح المهمة للمسلمين والتنبيهات لمخالفي الحق:² هذا الباب هو الجزء الختامي للسورة وهو يشتمل على الآيات من 127 إلى 167، أما كلماته التمهيدية عن الموضوع الأساسي لهذا الباب الختامي، فهي كالتالي:

¹ المصدر نفسه، 2/ 366-367.

² انظر لفهم نظم هذا الجزء: تدبر قرآن، 2/ 393-438.

"اكتملت الكلمات المفتاحية التي كانت تتعلق بتأسيس المجتمع الإسلامي، والتنظيم والتطهير في الآيات السابقة، والآن الجزء اللاحق إلى نهاية السورة هو خاتمتها، وأجيب فيها عن بعض الأسئلة الناتجة بموجب الأحكام المذكورة في الآيات من 1 إلى 4 من نفس السورة، ثم بعد ذلك إلى نهاية السورة وعظ فيها المسلمون والمنافقون وأهل الكتاب كالتنبيه بتوجيه الخطاب إليهم، وأجيب عن الأسئلة الناتجة من بعد في آخر باب للسورة ليتضح أن هذه الآيات نزلت في الأخير".¹

أما ترتيب مطالب هذه المجموعة بمقتضى تقسيم الشيخ الإصلاحي فهو كالتالي: تبدأ هذه المجموعة بالآية رقم 127 وبرأيه يجب النظر في الآيات الأولى من 1 إلى 4 لفهم موضوع هذه المجموعة ونظام السورة.²

إعادة التوجيهات إلى بعض الجوانب المذكورة في الآيات الأولى من 2 إلى 4، وهناك إذن بنكاح أمهات اليتامى حفظاً لحقوقهم مع شروط أداء الصداق والعدل وقيود الأربع من الزوجات، ونبه على متطلباتها بأن الغرض من نكاحهن ليس إهمال حقوق المرأة المنكوحة لمصالح الأيتام، فإن أثقلت حقوقهن كواهل أحد وخاف هو ألا يعدل بينهن فالأفضل له أن لا يتزوج بهن، بيد أنهما على خيار للتفاهم في الصداق والمسائل الأخرى إذا رضيت المرأة. وأما العدل والمساواة فالأصل فيه صفاء النية والقلب، وليس معناه أن يكون الميل الطبيعي والسلوك الظاهري والشرعي مساوياً كإبرة الميزان³ (127-134). ثم بعد ذلك تذكير المسلمين على فرائضهم، وتلقيهم باتخاذ الحذر من المنافقين، وتنبيه وتهديد المنافقين (135-152). وهدد الله سبحانه أهل الكتاب بكلمات شديدة مع بيان جرائمهم على أن يصلحوا أحوالهم أو يذوقوا وبال أمرهم، وهنا على قول صاحب "تدبر قرآن": "اللهجة شديدة إلى حد أن

¹ المصدر نفسه، 393/2.

² المصدر نفسه

³ انظر: تدبر قرآن، 393/2-394.

الغضب ينفجر بركانه من كل لفظ"¹ (152-153)، وفي الآيات التالية تسليية للنبي ﷺ على أن الرسالة حق، وتنبيه لأهل الكتاب بالعواقب الشديدة لإنكارهم الحق، ودعوة لهم إلى الإيمان بالرسول خاتم النبيين ﷺ وبالقرآن الكريم (162-175). ثم وردت الآية الأخيرة كالملاحقة بمسألة خاصة (مسألة الكلالة) من المسائل والأحكام التي تم بيانها في بداية السورة (الآية رقم 12) وأعيد فيها توضيحها (176).

يقول الشيخ الإصلاحي في نهاية تفسير آيات هذا الباب في نظم الآية رقم 176 "انتهت مطالب السورة قبل هذه الآية في الآيات (163-175)، وهذه الآية جاءت في الأخير كالملاحقة التي وضحت فيه المسألة المتعلقة بأحكام الإرث، أشير إليها بقوله ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ.....﴾ بأنها آية توضيحية"² تظهر ثلاثة أشياء من هذه التفاصيل التي تم ذكرها أعلاه في مثال نظم السورة، وهي كالتالي:

1- منها أن الشيخ الإصلاحي يبين كأستاذ عمود السورة، والنظام العام للسورة بكاملها، واقتفى عملياً على آثاره في أصول النظم الأخرى، فاختار في تفسير السور الطوال المدنية الأخرى نفس الطريقة التي اختارها في تفسير هذه السورة حتى يتكلم في المجموعات المختلفة لآيات السور بالترتيب، ثم يهتم بتفسير الأجزاء الصغيرة من السور وتأويلها في ضوء النظم حسب تقسيمه.

2- الجانب الآخر البارز لتفسيره هو أنه يستفيد من أصول الإمام الفراهي أتم الاستفادة في تحقيق الجهات المختلفة لنظم السورة، ومع ذلك تظهر طريقته الخاصة في تفسيره "تدبر قرآن" في نواح متعددة من ترجمة القرآن الأردية، واللغة والأسلوب، وطريقة الاستدلال المنطقية التي هي من الجوانب المتميزة لـ "تدبر قرآن".

3- أما الجزء الأول من السورة فهو كما يرى الشيخ الإصلاحي مجموعة الإصلاحات التي ذكرها القرآن الكريم للمجتمع العربي الإسلامي. ومن الجدير

¹ المصدر نفسه، 415/2.

² المصدر نفسه، 438/2-439.

بالذكر هنا أن المفسر رحمه الله يبين جميع الأحكام والشرائع، والتوجيهات والإرشادات المذكورة في هذا الجزء بطريقة بدیعة كأنما تترابط هذه الأحكام بعضها ببعض من البداية إلى النهاية، وهي كلها مربوطة بعمود السورة (الاتحاد بين المسلمين واتصالهم بالجماعة، وصلة الرحم والتقوى).

أما الجزء الثاني من السورة فليس على علاقة بالجزء الأول فيما يبدو ولكن الشيخ ربط الجزء الثاني بالجزء الأول بأسلوب جميل وذلك عن طريق إيضاح النظم المعنوي في الآيات مع توضيح أشكال الترابط المختلفة. يقول الشيخ: إن الجزء الأول يحمل الأحكام والإصلاحات للمسلمين، بينما الجزء الثاني يذكر العواقب لمخالفي الإصلاحات، والتدابير للحفاظ من مؤامرة المنافقين ليلقى المجتمع الإسلامي في سلك الوحدة محكمًا في الداخل لا يكسر شوكتها مؤامرة.

أما الجزء الثالث فهو تذكير للأمر الماضي كنهاية الكلام، كما يحمل هذا الجزء الردود على الشبهات المحتملة والأسئلة المتعلقة ببعض الأحكام المذكورة في الآيات السابقة كحقوق اليتامى، ومسألة الإرث (الكلالة). وكذلك فيه تسلية للنبي ﷺ وأصحابه، كما في الأخير تهديد لمخالفي الإسلام بأسلوب شديد.

وهذا الملخص يقدر كيف اتضح لنا نظام سورة النساء وعمودها، وعلى الرغم من أن باب الاختلاف عن رأيه وتأويله مفتوح، ولكنه من المتعذر ألا يقرَّ أحدٌ بهذه الحقيقة عن إعطائه النظم المكانة الخاصة في تفسيره الذي نشعر به الترتيب المنطقي في أجزاء السورة من أولها إلى آخرها.

الاستفادة من إفادات الشيخ الفراهي رحمه الله: لا يكتمل الكلام في نظم القرآن للإصلاحي رحمه الله بدون الإشارة إلى الإمام الفراهي رحمه الله فإن فكرة الفراهي جزء لا يتجزأ من هذا المقال. أما السؤال الذي لا بد من إثارته عند دراسة التفسير للإصلاحي فهو: ما مدى استفادة الإصلاحي من أستاذه الإمام في توضيح نظام السورة؟ وقد تبين بالتفاصيل المذكورة إلى حد كبير، وفي الحقيقة أن بناء

فكرة الإصلاح للتعظيم قائم على فكرة الفراهي للتعظيم، وأثره ظاهر في مقدمة تفسيره، بل في تفسيره كاملاً، ولا يخفى على من درس الأفكار القرآنية للفراهي رحمه الله أن أكثر التأليفات القرآنية للإصلاح رحمه الله مبنية على فكرة الفراهي رحمه الله. وسواء أحوال الشيخ في "تدبر قرآن" إلى الفراهي أو لم يُجل، ففي كلا الموضوعين يتجلى في النظرة الأولى أن أثر إفادات الفراهي رحمه الله عميق على تفسير الإصلاح، ولكن قال بعض العلماء: إن الشيخ الإصلاح اكتشف في تفسيره كثيراً من الجوانب الجديدة المتعلقة بنظم القرآن والتي لا توجد عند الفراهي رحمه الله وهذا لأنهم لا يطلعون، كما أظن، على جميع التراث العلمي للفراهي رحمه الله. ويقول البعض: إنه اختار الطريقة التي تركّز على شرح نظم القرآن خاصة أثناء تفسير السور الطوال فهي طريقة خالصة له، وفي هذه المواضع اكتفى بذاته في تأويل الآيات وشرح نظم الكلام، ولم يستفد فيها من أستاذه الإمام إلا قليلاً. ومن القائلين بهذا القول الشخصية المشهورة البروفيسور مستنصر مير الذي حصل في أمريكا على درجة الدكتوراه في فكرة النظم لدى الإصلاح بعنوان: (Coherence in the Qur'an: A Study of Islahi's Concept of Nazm)¹. ويظهر من كتاب البروفيسور مستنصر في مواضع مختلفة انطباعه أن الشيخ أمين أحسن الإصلاح لم يتبع الفراهي رحمه الله في فكرة النظم له فحسب، بل قدمه بخطوات من بعض الوجوه، وقدم كثيراً من الجوانب البديعة للتعظيم، وهذا شيء جديد في هذا المضمار،² حتى أنه تفوق على أستاذه في بعض

¹ فوضت جامعة ميثي غان بأمريكا درجة الدكتوراه لمستنصر مير على هذا المقال البحثي، ونشر هذا المقال لأول مرة في أمريكا في شكل الكتاب سنة 1983م، وتفصيله كالآتي: Mustansir, Mir Thematic and Structural Coherence In the Quran: Study of Islahi's concept of Nazm, Indianapolis (U.S.A), 1983, PP 125. وعلق البروفيسور عبيد الله الفراهي على هذا الكتاب تعليقات جامعة قبل سنين، انظر: علوم القرآن نصف السنوية، علي كره يوليو-ديسمبر 1986م، ص 120-131.

² انظر للمثال: Coherence in the Quran، ص 25-35-42-44-46.

النواحي.¹ وفي هذا القول نظر من وجوه مختلفة، وسيقدم تحليل هذا الجانب لاستعراض حقيقة الحال مفصلاً.

ركز المؤلف كثيراً على أن الشيخ الإصلاحي استفاد من فكرة الفراهي وأصوله وتفسيره،² ولكنه لم يجد نموذجاً من أستاذه في تفسير السور المدنية، فلم يكن بين يديه إلا أصوله الذاتية وفكرته الخاصة به. ولم يمكن هذا على حسبه، لأن الإمام الفراهي لم يجد فرصة في حياته لتفسير السور الطوال طبقاً لأصوله سوى بعض السور المكية. وأما السور المدنية فلم يستفد كثيراً من إرشادات وتوجيهات الفراهي في تفسيرها إلا فيما كانت موجودة في كتبه، ولهذا بين بنفسه نظم السور الطوال والصعبة. وقدم سورة النساء مثلاً لإثبات دعواه، وأشعر أنه لم يكتف بالاستفادة من أصول الفراهي بأسلوب جميل واقتفاه على آثاره فحسب، بل بين عمود هذه السورة ونظم أجزاءها الأساسية من عنده، وهذا دليل واضح على أن أعماله في السور الطوال المدنية مستقلة إلى حد كبير، بل أن أعماله أفضل من الفراهي من وجوه متعددة، وخاصة في بيان عمود السورة، وأسلوبه أوضح من أسلوب الفراهي. بالإضافة إلى هذا يقول السيد مستنصر: يتضح من هذا المثال أن الإصلاحي أسس في تحقيق عمود السورة ونظامها طريقاً جديداً بدلاً من إعادة أصول الفراهي.³ ويقول في ملخص هذا البحث:

“But a close look at the Islahi’s treatment of An-Nisa reveals that he has also developed a new technique that helps explain the Nazm of Quranic Surahs, especially Madina Suras,”⁴.

¹ المصدر نفسه، 35-50-85.

² انظر للتفصيل: Coherence in the Quran، ص 25-43، وهو يقول: يستفيد كثيراً من تفسير السور التي فسرها الفراهي (Barrows very heavily from his teacher’s) ولكنه يفسر السور المدنية الطويلة أصلاً إل حد كبير، انظر: المصدر نفسه، ص 43، وأيضاً ص 50-85.

³ المصدر نفسه، ص 50.

⁴ المصدر نفسه، ص 50.

توضيح بعض الأمور: قدمت خلاصة ما قال مستنصر مير لفهم نظريته، وهي تنفي الأشياء التي تم تقديمها إلى الآن، وهي تتعلق باستفادة الإصلاحي من الفراهي في باب نظم القرآن، ولذا يجب علينا النظر بعد استعراض حقيقة الأمر مفصلاً في نتائج بحث البروفيسور، وإلى أي حد تطابق الواقع، لأنه لم يقدم أي دليل لإثبات دعواه، غير أن نموذج الفراهي ليس موجوداً في تفسير السور المدنية أمام الإصلاحي. وأن السور الطوال المدنية تتحدى كثيراً من حيث النظم لاحتوائها مجموعات من الموضوعات المتنوعة بالنسبة إلى السور القصار. وليس عنده شيء من دونهما يستدل به على تأييد رأيه، والسؤال هنا: ما هو الواقع فيه؟

وهذا مثال سورة النساء قدّمه دليلاً لدعواه ولا يوثقه أن الإصلاحي لم يستفد من الشيخ الفراهي في تفسير السور الطوال، أو لم تساعده ذخائر الفراهي العلمية القيمة في هذا السبيل. يجب هنا توضيح الأمرين قبل النظر في بعض الأمثلة المتعلقة بنظم سورة النساء، وإلى أي حد أنه استفاد من إفادات أستاذه في تفسير سورة النساء؟ الأمر الأول: لا يهم أن نظم السور المدنية صعب بالنسبة إلى نظم السور المكية، أو نظم السور القصار (أكثرها مكية) أسهل من نظم السور الطوال (أكثرها مدنية). فالحقيقة أن تحقيق نظم السور الطوال يكسر الهمم من بعض النواحي مثل كثرة المطالب وتنوعها، ومن بعض الوجوه تأتي المشكلة في نظم السور المكية أيضاً، ومن أكبر هذه الوجوه غاية الإيجاز فيها. وهذا يكون أسهل في السور الطوال بأن نفهم الإجمال من التفصيل، والخاص من العام، والتأخير من التقديم، وبالعكس، ولكن لا نحصل على هذه التسهيلات في السور القصار، بل الآيات الصغار فيها بحر المعاني طبقاً على طبق لا يمكن فيها جمع الدرر من دون الغوص، ولهذا يهتم الشيخ الفراهي رحمه الله بنظم السور الطوال والقصار على حد سواء، كما يعرب في موضع عن رأيه: "إن القصار من السور تضاهي الطوال منها قدرًا ومعنى ولفظاً".¹

¹ تفسير نظام القرآن، ص 52.

الأمر الثاني: الأمر المهم الذي يتعلق بإفادات الفراهي، والذي يُظنّ فيه أنه لا يوجد شيء من إفادات الفراهي من المطبوعة أو غير المطبوعة المتعلقة بالسور المدنية أمامه، وهذا القول ليس له أساس علمي، وهو من سوء التفاهم الذي ليس له علم تام بجميع ذخائر الشيخ الفراهي العلمية المتعلقة بخدمات تفسير القرآن ونظمه. والحقيقة أن ذخائر علمية للفراهي من المطبوعة أو غير المطبوعة من مخطوطات تفسير سورة البقرة، وسورة آل عمران وسورة الحج، والتفاسير الأخرى الناقصة غير المطبوعة للفراهي رحمه الله كانت متوفرة أمامه والتي نُشرت حاليًا، ذكرها في تفسيره في مواضع متعددة، كما أُشرت إليها في بداية هذا المقال، وأيضًا ذكرها مير بنفسه. وتفسير سورة البقرة من أهم التفاسير المطبوعة للفراهي رحمه الله إلى الآن من حيث أنه حاول فيه بيان تصويره للنظام الخاص بيانًا كاملاً¹ وعلاوة على هذه المطبوعات والمخطوطات كانت عنده التعليقات القرآنية المهمة للفراهي رحمه الله، وفيما أُشير إلى نظم جميع الآيات الصعبة تقريبًا من حيث النظم، وعمود السور، وموضوعاتها الأساسية. وإضافة إلى ذلك ذكرت المعلومات الأساسية المتعلقة بجميع جوانب النظم والاتصال مع عمود سورة النساء وجميع السور القرآنية في كتابه "دلائل النظام".

وهذه الحقائق لو كانت أمام أي شخص لا يهتم بالتفريق بين السور سواء كانت مكية أم مدنية، قِصارًا أم طَوَالًا في استفادة الإصلاحي من الفراهي رحمه الله. والحقيقة أن الشيخ الإصلاحي استفاد من مؤلفات الفراهي رحمه الله في قضية النظم استفادة تامة في تفسيره من البداية إلى النهاية. ولإثبات هذا القول يناسب لنا أن نذكر قبل كل شيء بعض الأمثلة من تفسير سورة النساء التي بينها مير رحمه الله.

¹ طبع هذا التفسير لأول مرة من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم كره، الهند، سنة 2000م.

بعض أمثلة الاستفادة من إفادات الفراهي رحمه الله

(ألف) بعض الأمثلة من تفسير سورة النساء: كما ذكر أعلاه أن مستنصر مير جعل تفسير سورة النساء للإصلاحي موضوعًا خاصًا لتحقيقه، وأشار إلى سبب اختياره بأن الشيخ الإصلاحي فسّر هذه السورة على منهجه الخاص كالسور المدنية الأخرى ولم يستفد فيه من الفراهي إلا قليلًا، حتى أنه قدّم تفسير هذه السورة دليلًا لإثبات دعواه، وقال: إن الإصلاحي استكشف أسلوبًا جديدًا في تحقيق عمود السورة ونظمها. ولكن ما هو الأسلوب الجديد؟ لم يوضح هذا مع أن استقصاء تراث الفراهي العلمي يصدق أن الإصلاحي استفاد كاملاً من إفادات الفراهي في تفسير هذه السورة الطويلة عند أهم المواقع لنظم الكلام تقريبًا، كما استفاد في تفسير السور القصار، وأقدّم إليكم بعض أمثلتها وهي فيما يلي:

1- بيّن الإمام الفراهي في كتابه "دلائل النظام" ترابط هذه السورة مع السورة السابقة، وجعل هذه السورة تكملة لها¹ (آل عمران) قائلاً: (سورة النساء كالردء لسورة الإسلام، بما أنها تبين أن الشريعة رحمة على الناس كافة وكذلك صاحبها). والشيخ الإصلاحي يقول أيضًا: إن هذه السورة تكملة للسورة السابقة. وكأن الإمام الفراهي أشار بقوله "سورة النساء كالردء لسورة الإسلام" إلى ذلك العمود، لأنها تكلمت عن الجهات المختلفة للشريعة الإسلامية، ثم شرح الأحكام الاجتماعية المذكورة أو نظام المجتمع في التعليقات القرآنية، وأشار إلى الموضوع المركزي لها بقوله "نظام المعاشرة وإصلاحها".² وقال الإصلاحي أيضًا إن هذه السورة تكملة للسورة السابقة اتباعًا للفراهي، ويقول: "هذه السورة ابتدأت بعد السورة السابقة (آل عمران) تظهر بكلماته الأولية بأنها تكملة لسورة آل عمران".³

¹ رسائل الإمام الفراهي، ص 105.

² التعليقات القرآنية على سورة النساء للفراهي رحمه الله.

³ تدبر قرآن، 237/2.

ولا يخفى على العلماء أن الكلمة العربية (الردء) للفراهي وكلمة الإصلاح (التكملة) تحمل كلتاها معنىً واحدًا، مع العلم بأن الفراهي استخدم هذه الألفاظ كثيرًا لبيان الترابط بين السورتين المتصلتين.

2- اتبع الإصلاحي أستاذه في بيان الموضوع المركزي لهذه السورة كما رأيت في السطور الماضية. والموضوع المركزي لهذه السورة عند الشيخ الفراهي رحمه الله هو تنسيق وترتيب وإصلاح المجتمع، حتى أنه قال إنها ملحقاتها وأشار إلى عمودها. وهنا يجدر بالذكر أن الشيخ الإصلاحي كتب في الحاشية بعد بيان عمود السورة السابقة ونظام أجزائها "هذا البحث التمهيدي استفدت أكثره من إفادات أستاذي"¹ ولا يصعب الفهم بهذا إذ يقول إن هذه تكملة وملحقة للسورة السابقة كما يرى أستاذه، ومعًا إيضاحاته في عمود السورة السابقة والنظام الأساسي لها تبني على إفادات أستاذه فهذا يثبت فطريًا ومنطقيًا بأنه اقتضى على آثاره في بيان عمود السورة ونظم أجزائها وربطها. يقول الشيخ الإصلاحي عن موضوع السورة "لا يمكن الثبات، وبالأخص الثبات الاجتماعي بدون الاتصال المتين الجماعي... وهذا لا يكون بالصدفة، فلذلك ذكر في هذه السورة ما يهم لاستحكام المجتمع الإسلامي ونتائجه الفطرية "الحكومة الإسلامية" وحفظها من التشعب"² ويتبين بكلمات الفراهي رحمه الله "نظام المعاشرة وإصلاحها" والنظرة الخاطفة في هذه العبارة أنه يوجد التشابه والتماثل إلى حد كبير بينهما.

3- مجموعته الأولى عند الشيخ الفراهي رحمه الله من الآية 1 إلى الآية 43، بينما يرى خاتمة الباب من الآية 36 إلى الآية 43، "هذه الآيات كالخاتمة لما مر من أمر المال والمعاملة في ما بين أهل البيت، وفي الخاتمة أمور كلية عليها مدار تلك الأحكام" ويتبين جيدًا بما نقل أعلاه من خلاصة تفسير الإصلاحي رحمه الله لسورة النساء

¹ انظر: تدبر قرآن، 14/2.

² المصدر نفسه، 237/2.

أنه اقتفى على آثار الفراهي رحمه الله أساسًا في تبويب السورة وتقسيمها. والآيات من 1 إلى 43 من سورة النساء جزؤها الأساسي الأول عند الشيخ الفراهي رحمه الله كما أنه واضح بتعليقاته، وهذا الجزء مبني على الأحكام التي تتعلق بأساس النظام الاجتماعي للمسلمين وإصلاح معاشرتهم. ويقبل الإصلاحي قبولًا تامًا تقسيم هذه الموضوعات التي قسمها أستاذة، ويضع أساس تقسيم الجزء الآتي وتفسيره على هذه الفكرة، ويقول إن الآيات من 44 إلى 57 موضوع تمهيدي عن النظام المجموعي، وهو موضوع للآتي ويقول عنه "انتهى باب الأحكام المتعلقة بإصلاح المجتمع عند الآية 43 كما أشرنا أعلاه، ويأتي بيان الردود التي ظهرت من قبل مخالفين الإصلاحات، وأيضًا بُشِّر المسلمون بالمملكة العظيمة التي هي نتيجة كمال المجتمع.¹ تقسيم موضوعات السورة يلعب دورًا مهمًا لفهم النظام المجموعي لأي سورة، وتوجد هذه الإشارات في تعليقات الفراهي رحمه الله، وهي تشير إلى مدى المساعدة لفهم نظام السورة.

4- يرى الفراهي رحمه الله آيات الجزء الأول للسورة من 1 إلى 28 آيات التذكير قدّمت فيها الشريعة الإسلامية كنعمة للمسلمين، ووجّه فيها إلى قيمة الأحكام والشرائع المبينة، ويقول عنه في تعليقاته على القرآن الكريم: "هذه الآيات على عادة القرآن من أن الأحكام ليست من الأصر والأغلال"،² وبين الإصلاحي أيضًا نظمها على نهجه وقال: "هذه الآيات جاءت تذكيرًا وتنبيهًا خلال الأحكام المتعلقة بإصلاح المجتمع".³

¹ المصدر نفسه، 304/2.

² تعليقات القرآن، تعليقات على سورة النساء، آيات من 25 إلى 28.

³ انظر: تدبر قرآن، 281/2، اعلم أن يبتدئ التذكير في الحقيقة من الجزء الأخير للآية رقم 25، ولهذا أدخلها الفراهي في آيات التذكير والتنبيه، بينما يرى الإصلاحي أنه يشتمل على آيات من 26 إلى 28، وهذا فرق جزئي للغاية لا يتأثر به نفس المسألة.

5- ويرى الشيخ الإصلاحي بداية الجزء الثاني من مجموعة الآيات 44 إلى 57، وقال: موضوعها التهديد لأهل الكتاب وإعفاءهم من الإمامة وإعلان إعطائها لأمة محمد ﷺ لأنهم خانوا في مسؤولياتهم وباعوا الإيمان.¹ وترى تقسيم الآيات بمراعاة النظم مع إيضاح هذا المضمون في تعليقات الفراهي رحمه الله أيضًا، وتعليقاته على هذه الآيات وهي: "44 - 57 أهل الكتاب أوتوا أمانة الله فاشتروا الضلالة فلعنهم الله وسلمهم هذه النعمة وأعطاكم فهم يحسدونكم".²

6- نقل الشيخ الإصلاحي رحمه الله آيات هذه السورة 36-43 وفسرها من حيث الجزء المستقل، وجعل هذه المجموعة في الموضوع التمهيدي قبل التفسير كخاتمة الباب الأول للسورة (المجموعة المشتملة على آيات من 1 إلى 43) ويقول: "الآن تأتي آيات خاتمة الباب، انتهت على هذه الآيات سلسلة الأحكام التي كانت تستمر، ختم هذا الباب بأمر عبادة الله تعالى، كما بدأه بأمر تقوى الله عز وجل، حق الله تعالى عبادته، وإبطاله الشرك، ولهذا نفي الإشراك به مع تذكير حقه، ومن أكبر حقوق العباد الإحسان بهم والإنفاق عليهم، وهادمها البخل والكبر والرياء، ولهذا نفيت هذه الأشياء مع تأييد الإحسان والإنفاق".³

ويجدر بالذكر هنا أن الإمام الفراهي رحمه الله أيضًا جعل الآيات من 36 إلى 43 من هذه السورة خاتمة باب الجزء الأول لها في تعليقاته القرآنية، وكتب ملاحظات مع هذه الآيات من 36 إلى 43 على الموضوع الإجمالي لهذه المجموعة وذكر فيها الأشياء التي ترجمها الشيخ الإصلاحي إلى اللغة الأردنية، ويمكن تقديرها بسهولة من المقارنة بين العبارات المذكورة لصاحب "تدبر قرآن" وبين الكلمات الآتية، ويقول:

¹ انظر: تدبر قرآن، 2/304-305.

² التعليقات، تعليقات على سورة النساء، آيات 44 - 57.

³ تدبر قرآن، 2/294.

"هذه الآيات كالخاتمة بما مرّ من أمر المال والمعاملة في ما بين أهل البيت، وفي الخاتمة أمور كلية عليها مدار تلك الأحكام، عبادة الله غير مشرك به ثم الإحسان غير مرأ وملاك العبادة الصلاة والطهارة باطنية وظاهرة، فهل ترى كيف ذكر مع العبادة الشرك ومع الإحسان الرياء ومع الصلاة الخيانة".¹

7- قسّم الشيخ الإصلاحي مجموعة الآيات الثانية للجزء الثاني في آيات 58-70، وبَيّن نظم موضوعها على حدة والذي يشتمل أساسًا على طاعة النبي ﷺ وبعض الأحكام الأخرى، وإلى هذا أشير في التعليقات القرآنية للفراهي رحمه الله، ويقول: "57- 70 في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم".²

8- عند الفراهي رحمه الله: في مجموعة آيات 71-104 ترغيب في القتال للمسلمين أساسًا وحماية للضعفاء وأحكام للفرق بين الأصدقاء وأعدائهم، "حث على القتال لحماية الضعفاء وإعلاء كلمة الله فذكر فيها مما يتعلق بالقتال...".³ إن المنافقين من أعداء المسلمين فطريًا، وفي نهايتها بيان صلاة الخوف التي تتعلق بأمور القتال. وبَيّن الشيخ الإصلاحي أيضًا نظم آيات هذه المجموعة طبقًا لهذا التقسيم من حيث الموضوع على نهج الفراهي رحمه الله، وكلماته كالآتية:

"ويستمر الموضوع السالف الذكر، والخطاب وإن كان عامًا للمسلمين، ولكن المقصود منه هم المنافقون قيل فيهم أعلاه أنهم يدعون الإسلام ولكن لم يستعدوا لأي إصابات في سبيله، ولا للهجرة والقتال. وأمر المسلمون أولًا للاستعداد والقيام للقتال..... وبعده ذكر أجر عظيم لحثهم على القتال (أجر القيام لنصرة وحماية المسلمين الضعفاء المظلومين)."⁴

¹ التعليقات، تعليقات على سورة النساء، آيات 36-43.

² المصدر نفسه، آيات 58-70.

³ المصدر نفسه، آيات 70-104.

⁴ تدبر قرآن، 332/2.

ليس الفرق في بيانها سوى فرقين جزئيين:

أ- بين الشيخ الإصلاحي تفسير هذه المجموعة مقسمًا إلى أربعة أقسام (هذا فرق فطري للتفسير والتعليقات).

ب- في كلام الإصلاحي رحمه الله حث على الملاحظات على المنافقين أكثر من موضوع القتال مع أن غرض الآيات الأصلي هو حث المسلمين على القتال والهجرة، وتنبيههم من كل عدو والمنافقين جانب من جوانب القتال. وكذلك ترغب المسلمين في الإيثار، وتحذيرهم من المنافقين، وعدم رأفتهم عليهم وإرشادهم وتوجيههم إلى كامل الاهتمام بالصلاة أثناء القتال ظاهر في هذا الجزء. وجميع هذه الأمور تتعلق بالقتال أساسًا، ولهذا لو جعل القتال موضوعًا للآيات المذكورة ليكون أكثر انسجامًا مع اقتضاء نظم الكلام. ومع ذلك الفرق الظاهري ليكون أنسب أن يقال إن كلام الشيخ الإصلاحي رحمه الله أساسًا هو شرح جامع لكلمات الفراهي رحمه الله.

9- قال الشيخ الإصلاحي رحمه الله إن الجزء الثاني للسورة يشتمل على الآيات الأخيرة للجزء الأول من 44 إلى 126، وبعبارة أخرى وهو يقول في ترتيب وتقسيم مجموعات الآيات من حيث النظم أصوليًا بأن الجزء الثاني لموضوعات السورة مشتملة على تنظيم المجتمع الإسلامي وإصلاحه ينتهي على الآية رقم 126، فلذلك هو يقول بعد هذه الآية عن الموضوع التمهيدي للآيات 127-134 "انتهت الأشياء الأصولية التي تتعلق بتأسيس المجتمع الإسلامي وتنظيمه وتطهيره عند الآيات المذكورة، والآن الجزء الآتي إلى نهاية السورة وهو بمنزلة خواتيم السورة".¹ وفي تعليقات الفراهي أيضًا دلالة واضحة عليها، ويقول عن هذه المجموعة للآيات وهو كالآتي "105-126 كالخاتمة لما مرّ (44-57) فعاد كما بدأ"،² ولعل أحدًا ينكر

¹ المصدر نفسه، 393/2.

² التعليقات، تعليقات على سورة النساء، آيات 105-126.

أن في هذه الكلمات دلالة واضحة على ختام الباب الثاني للسورة وبداية الباب الآتي لها، ويسمى هذا نظام السورة.

10- قدّم الشيخ الإصلاحي المجموعة الأولى للجزء الثالث في الآيات 127-134، وعند الشيخ الفراهي رحمه الله هذه المجموعة تشتمل على الآيات 127-130، ويقول: "127-129 بيان لما مر في أول السورة من الصلح والقسط".¹ وهنا جدير بالذكر أن الآيات 133-134 هي من أنواع التذكير، ولهذا يُرى تقسيم الفراهي رحمه الله تقسيمًا منطقيًا، وعلى هذه المجموعة اللاحقة تشمل الآيات 137-152 عند الفراهي رحمه الله، بينما عند الإصلاحي تشمل الآيات 135-152. ومع هذا الفرق الجزئي اتبع الإصلاحي أستاذه في هذا التقسيم أصوليًا. وإضافة إلى ذلك قال الفراهي معلقًا على الآيات 127-129 على حدة "127-130 بيان لما مر في أول السورة من الصلح والقسط والتقوى في أمور اليتامى والنساء".² وهذه الألفاظ تشير إلى علاقة مجموعة الآيات السابقة واللاحقة وإلى ترابط ونظم موضوعاتها الأساسية، بل من أهم الأمور يكون بها تحديد بداية باب السورة الثالث والآخر. وكذلك هذه الإشارات تكفي ترتيب وتقسيم موضوعات السورة الإجمالية، والشيخ الإصلاحي اعتمد على هذه الإشارات في تقسيم أجزاء السورة من حيث النظم. ولذلك بيّن الترابط بين الآيات السابقة واللاحقة في الموضوع التمهيدي لتلك الآيات، وقال: "ألق نظرة عابرة على الآيات 2-4 لفهم مجموعة آيات هذا البحث الذي هو بين أيدينا" وهكذا يوجهنا من قبل إلى هذا الجانب: "الجزء اللاحق إلى نهاية السورة بمنزلة الخاتمة، وأجيب فيه أولاً عن بعض الأسئلة التي جاءت بعد بيان الأحكام في الآيات 2-4".³

¹ التعليقات، تعليقات على سورة النساء، آيات 127-129.

² انظر للتفصيل: التعليقات، تعليقات على سورة النساء، آيات 127-130.

³ انظر: تدبر قرآن، 393/2.

وهنا يجدر بالذكر أن في الآيات 2-4 أحكام الحقوق والصلح والتقوى المتعلقة بالأيتام وأمهاتهم وغيرها من النساء التي بيّنها الإمام الفراهي رحمه الله في تعليقاته. إضافة إلى ذلك بيّن الشيخ الإصلاحي خلاصة نظم الموضوعات الأساسية لسورة النساء تحت عنوان "تحليل مطالب السورة" ويوافق نهجه على نهج الفراهي رحمه الله في تعليقاته. اقرء بإمعان ألفاظ الفراهي رحمه الله التي نقلت من تعليقاته، ثم انظر إلى ألفاظ الإصلاحي الآتية فسترى الوحدة والمماثلة بينهما، يقول: "الأحكام التي ذكرت في بداية آيات السورة (127-130) وتتعلق بأحكام اليتامى وأمهاتهم وغيرها من النساء وهي إجابة عن بعض الأسئلة التي وردت فيما بعد".¹

11- اختار الشيخ الإصلاحي رحمه الله الرأي الوحيد للفراهي رحمه الله في تأويل بعض آيات السورة أيضاً، ومثاله الواضح الآية رقم 3 من السورة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ الْيَسَاءِ مَقْنًى وَتُكَلِّمُوا وَرَبِّعٌ...﴾²، والمراد بالنساء في الآية عند الفراهي رحمه الله هن أمهات اليتامى، وباليتامى هم الأيتام واليتيمات، بينما أراد المفسرون الآخرون باليتامى اليتيمات، وبالنساء عامة النساء، وهكذا يوجد الفرق الواضح بين التأويلين. وعلق الفراهي رحمه الله على هذه الآية "من النساء أي أمهات اليتامى فإن اليتامى من لم يبلغوا النكاح من الذكر والأنثى وليس المراد به الإناث فقط"،³ تأويله هذا أقرب إلى نظم السورة، وبه يكون تفسير الآية في أوضح صورة. وحسب منشأ الفراهي رحمه الله معنى هذه الآية هو توجيه المسلمين إلى أنهم إذا لم يستطيعوا أداء حقوق اليتامى ويخافوا أن لا يقسطوا فيهم، فالأفضل لهم أن ينكحوا أمهاتهم وبهذا يقومون بالعدل ويستطيعون أداء الفرائض التي تتعلق باليتامى في أحسن وجه.

¹ المصدر نفسه، 2/243.

² سورة النساء: 3.

³ التعليقات على القرآن، الفراهي، تعليقات على سورة النساء، آية 3.

وبالمقابل معنى هذه الآية حسب تأويل المفسرين الآخرين وهو إن ترغبوا في نكاح اليتيمات فأقيموا العدل والقسط لأداء حقوقهن، ولا تحسبوا نكاحهن إلا شيئاً عادياً، وتكملوا أهدافكم ومقاصدكم به ولكنكم تنسون حقوقهن، وإن تخافوا أن لا تقسطوا فمهن بعد نكاحهن، ولا تستطيعوا أداء متطلباتهن، وأن تميلوا في أي مرحلة من المراحل عن العدل فالأفضل لكم أن تنكحوا ما طاب لكم من النساء دون اليتيمات،¹ وبه يتضح أن رأي الفراهي رحمه الله يختلف عن هذا الرأي أو الآراء الأخرى التي تشابهه، وهو يفسر آية هذه السورة 127 ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ...﴾ كالمفسرين الآخرين، وهي توضح المزيد من الأحكام المذكورة في بداية الآية، ولكنه هو والمفسرون الآخرون يبينون معناه على حدة حسب تأويلهم للآية السابقة. ويقول الفراهي رحمه الله: إن الآية 127 يتضح بها أكثر أن الآية السابقة في الحقيقة تتعلق بشروط نكاح أمهات اليتيمات وبالعدل والمساواة معهن. وعلى حسبه يتضح هذا الجانب إلى حد كبير بكلمة ﴿يَتَنَى النِّسَاءِ﴾ من الآية 127، ويبين هذا الرأي بتعليقاته على الآية 127 كالآتي:

"اختلف المفسرون في تأويل تلك الآيات والآية 3 من بداية السورة، والمراد بها عندي، والله أعلم، أن في آية السورة 3 نهي عن نكاح أكثر من المرأة في حالة خوف عدم العدل والمساواة، فيتضح بهذه الآية أن تلك الآية في الحقيقة عن

¹ تكلم صاحب هذا المقال على حدة في نظم هذه الآية في بحث مستقل، قمت فيه بالدراسة المقارنة بين آراء الفراهي والمفسرين الآخرين على حسب نظم الكلام، واعتمد المفسرون الآخرون في تأويل هذه الآية على حديث رواه عائشة رضي الله عنها، وخلاصته: لأن الناس عموماً في ذلك المجتمع يرغبون في نكاح اليتيمات بمالهن وجمالهن، وينسون أن يكون عليهم الواجبات المتعلقة بحقوقهن يجب أداؤها بعد نكاحهن، ولذا نزلت هذه الآية لإصلاحهم تمتعهم عن مثل هذه السلوكيات والتصرفات. انظر دليل آراء عامة المفسرين وللتفاصيل: الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، 140-139/5، وابن جرير، تفسير الطبري، دار المعرفة، بيروت، 1983م، 153/3-154، والقرطبي، تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م، 11/5، والعلامة الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، 405/2.

الأيتام الذين يرغب الناس في نكاح أمهاتهم ولكنهم لم يعدوا أنفسهم لأداء الواجبات والحقوق التي تتعلق بهم".¹

ويتضح بتأويل الإمام الفراهي رحمه الله نظم هاتين الآيتين ويقدر هذا أيضًا أنه يفسر الآيات المشكلة من حيث التأويل بمساعدة نظم الكلام بأحسن صورة لأنه أسوة حسنة في نفسه لطالب القرآن الكريم. وعيّن الشيخ الإصلاحي معنى هذه الآية كأستاذة رابطاً بآية هذه السورة الـ 127.² وعنده أيضًا المراد بـ "النساء" أمهات اليتامى، ويأول هذه الآية كالآتي:

"معنى هذه الآية: إن خفتم (الخطاب لأولياء الأيتام) أن لا تستطيعوا حفظ أموال اليتامى وحقوقهم الواجبة، وهذا أمر صعب عليكم، ولا تبرأوا من مسؤولياتكم، وإن تشارككم أمهاتهم أيضًا في هذه المسؤوليات فتستطيعوا أداء هذه المسؤوليات جيدًا، لأنهم يحببهم من صميم القلب لا يحبهم أحد مثلهم، ويستطعن حفظ حقوقهم بطريقة جيدًا، ولا يمكن هذا لأحدٍ ما، فانكحوا ما حل لكم من النساء بشرط أن لا يتجاوز عددهن أكثر من أربع".³

ولا مجال هنا لمزيد من التفاصيل للبحث على هذه الآية، وذكر هذا التفصيل هنا لمجرد توضيح أن الشيخ الإصلاحي قدّم رأي الفراهي هذا بقوة في تفسيره بدون أن يذكر اسمه. مع أن الفراهي وحيد في رأيه هذا كما نعلم. وهناك مواقع كثيرة بيّن فيها الإصلاحي نظم الآيات بمساعدة خزينة أستاذه العلمية. وفي أكثر المواضع لم يُجلّ إليه، ولهذا يخطئ بعض الناس أحيانًا لعدم الوقوف على جميع خزائنه العلمية بأن الشيخ الإصلاحي له رأي أساسي في توضيح نظم القرآن بدلًا من أن يستفيد من أستاذه الإمام الفراهي.

¹ التعليقات، تعليقات على سورة النساء، آية 127.

² انظر للتفصيل: تدبر قرآن، 351/2-353، وأيضًا 397/2-398.

³ تدبر قرآن، 352/2.

(ب) نظم السور المجاورة: اهتم الشيخ الإصلاحي قبل تفسير كل سورة ببيان النظم والربط بين السور السابقة واللاحقة، وبعبارة أخرى أنه اعتنى عناية خاصة بشرح الترابط بين كل من السورتين المجاورتين، وقدم في مقدمة تفسيره صورة خاصة بأن كل سورتين من سور القرآن مترابطتان مع بعضهما كمثل الزوجين، ويقول فيها:

"كل سورة مترابطة بالأخرى، وبينهما مناسبة كما تكون بين الزوجين، بأن يكون في إحداها نقص تسده الأخرى، ويختفي في إحداها جانب توضحه الأخرى، فكذا تتضحان معاً كالشمس والقمر. مثلاً: سورة البقرة وآل عمران في السور الطوال، والمعوذتين في السور القصار".¹

ويقدم آيات سورة الحجر لتأييد تصوره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانِ الْعَظِيمِ﴾² ويقول أيضاً: "هذا النظام في القرآن الكريم كمثل نظام الكائنات، لأن في هذه الكائنات أيضاً كل شيء مترابط".³ ويشير في نهاية هذا البحث إلى مجموع نظام القرآن الكريم، ويقول مؤكداً على رأيه هذا: "إذا تكون هذه المجموعات السبع أمامي، ويقع النظر في السور بأنها مترابطة فانتقل ذهني فوراً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانِ الْعَظِيمِ﴾"⁴، فلذلك أول الآية السابقة أيضاً خلال تفسير سورة الحجر وفقاً لوجهة النظر هذه.⁵

واعلم أن المفسرين عموماً أرادوا بقوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ سورة الفاتحة التي تشتمل على سبع آيات، أو السور السبع الأولى، بينما أراد الشيخ الإصلاحي

¹ المصدر نفسه، 26/1.

² سورة الحجر، آية 87.

³ تدبر قرآن، 26/1.

⁴ المصدر نفسه، 27/1.

⁵ انظر: تدبر قرآن، 377/4 – 378.

رحمه الله به المجموعات السبع للصور «سَبْعًا» وأنها مترابطة أيضًا «مِّنَ الْمَثَانِي»، واختار هذا المعنى حسب تأويله. وعلى هذا الأساس تنقسم عنده جميع السور القرآنية إلى سبع مجموعات من حيث المطالب، وتكون كل سورة مترابطة بالسورة المجاورة. ولكن يمكن أن يكون إشكال كبير في هذا التأويل للآية وهو إن كان معنى الآية «سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي» المجموعات السبع للصور، وكونها مترابطة فهذا يشمل القرآن الكريم كاملاً، إذن ما الحاجة لذكر قوله تعالى: «وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ»¹؟ والشيخ الإصلاحي قدّم عليه دلائل فهي غالباً لا تكون قابلة للاقتناع. ولكن يجب علينا حالاً أن ننظر في فكرة كون السور مترابطة هل هذه الفكرة جديدة في بابها كلياً؟ إن كان قصده هو النظم والربط بين السورتين المجاورتين بدلاً من أن ندخل في تفاصيل هذه المسألة، أم يوجد تصور النظم والترابط من قبل عند أستاذه أو عند بعض المصنفين الآخرين. وفي الحقيقة إن أخرج منها لفظ "الترابط" فقط، فهذا ليس بفكر جديد بل وفي الحقيقة هذا الفضل يرجع إلى الفراهي رحمه الله بأنه وضع أصلاً مهماً في النظم للسورتين المجاورتين، وجعله أوضح واستدل عليه، وأنه أشار إشارة قيمة إلى العلاقة والربط بين جميع السور المجاورة تقريباً في إفاداته. وربط أكثر السور القرآنية المجاورة والقريبة بعضها مع بعض من حيث النظم، وقال إن هذا ليس من الضروري أن تكون كل سورة متصلة مباشرة، بل أن السورة اللاحقة أو أكثر ترد كملحقة أو كجملة معترضة. ويجب النظر في مثل هذه الحالة هل نوع الربط جزئي أو هناك اتحاد كامل بين السورتين من حيث الموضوع المركزي. واستخدم لتوضيح نوعية العلاقة بين السورتين مصطلحات متنوعة من المثنى والتوأم والردأ والملحقة والتكملة. واستفاد الإصلاحي من إفادات الفراهي في بيان الربط بين كل من السورتين، وبالعوم استخدم في مثل هذه المواضع مصطلحاته المذكورة لتوضيح رأيه.

¹ سورة يس: 2.

ويتبين أن الإصلاحي إلى أي حد استفاد من أستاذه في مثل هذه الأقسام للنظم بالأمثلة المتعددة، مثلاً العلاقة التي قدّمها الإصلاحي رحمه الله بين سورة البقرة وسورة آل عمران وهي موجودة في كتب الفراهي رحمه الله. وقال الفراهي رحمه الله: إن السورة الأولى هي "سورة الإيمان وسورة العلم وسورة بدر"، والثانية هي "سورة الإسلام وسورة العمل وسورة أحد".¹ وألقى الضوء مفصلاً على الربط بينهما في تفسيره لسورة البقرة تحت عنوان "حقيقة السورة ونسبتها بالفتحة وسورة آل عمران"،² ويقول عن العلاقة والربط بين سورة البقرة وسورة آل عمران: "وأما موقعها قبل سورة آل عمران فلكونها مشابهيين غير أنه فصل في الأولى جانب العلم، وفي الثانية جانب العمل مع الاتحاد في المطالب، كما سيتضح بعد النظر في تفسير تلك السورة. ولذلك جمعها النبي ﷺ في الوصف بأنها الزهراوان، وأنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان..... فكما أن هذه السورة أولى السور بالفتحة، فلذلك سورة آل عمران أولهما بهذه السورة".³

ويقول أيضاً في العلاقة بينهما في تعليقات القرآن الكريم "تأكيد في أحدهما على مسألة العمل، وفي الثانية على مسألة العلم، وهكذا بينهما نسبة الإيمان والإسلام"،⁴ وهكذا نوع العلاقة بينهما وهو الإجمال والتفصيل، والتقديم والتأخير، وهما مشابهيان ومماثلتان من حيث الموضوع، وإن كان في إحداها نقص فتكملة الأخرى. وأعاد الشيخ الإصلاحي هذه الجهات مع مثل هذه الألفاظ

¹ انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 105-111.

² الفراهي رحمه الله، تفسير نظام القرآن، سورة البقرة، الدائرة الحميدية، سرائي مير، أعظم كره، 2000م، ص 29-31، والتعليقات، تعليقات على سورة آل عمران، قبل تفسير سورة البقرة ألقى الضوء بالتفصيل على النظم والربط بين سورتيها السابقة والسورة اللاحقة، وبين أيضاً أربعة أسباب لتقدمها على آل عمران من حيث النظم.

³ تفسير نظام القرآن، سورة البقرة، ص 30-31.

⁴ التعليقات، تعليقات على سورة النساء، الكلمات التمهيدية.

في بداية تفسير سورة آل عمران.¹ ويقول في موضع "إذا تدبرت في هذا الجانب فتحس أن سورة آل عمران هي سورة أحد كما أن سورة البقرة هي سورة بدر، ثم تدبر أكثر فتبين هذه الحقيقة بأن ذكرت في سورة البقرة حقيقة الإيمان، وفي هذه السورة ذكرت حقيقة الإسلام.² وكذلك النظم والربط بين سورة الأنعام والأعراف،³ وبين سورة يونس وهود،⁴ وبين سورة يوسف والرعد،⁵ وبين سورة آل عمران والنساء، وبين سورة بني إسرائيل والكهف،⁶ وبين سورة الكهف ومريم،⁷ وبين سورة المجادلة والحشر،⁸ وبين سورة الجمعة والمنافقون،⁹ وما إلى ذلك. ونوع العلاقة بين كل سورتين من تلك السور الذي يبينه الإصلاحي وهو نفسه تقريباً في إفادات الفراهي، ويتبين في هذا المزيد عن هذا الجانب بالنظر في بعض عباراتهما المتعلقة ببعض السور.

جعل الإمام الفراهي سورة الأنعام وسورة الأعراف مشابهيّتين من حيث الموضوع، ويقول: "ولكن تلك داعية وهذه منذرة"،¹⁰ ويبين الإصلاحي هذه الأشياء في هذه

¹ انظر للتفصيل: تدبر قرآن، 9/2-13، قال في حاشية نهاية هذا المقال "هذا المقال التمهيدي مأخوذ أكثره من إفادات الأستاذ رحمه الله".

² تدبر قرآن، 12/2.

³ انظر للتفصيل: التعليقات، الفراهي رحمه الله، تعليقات على سورة الأعراف، تدبر قرآن، 215/3.

⁴ التعليقات، تعليقات على سورة يونس، تدبر قرآن، 98/4.

⁵ التعليقات، تعليقات على سورة الرعد، تدبر قرآن، 263/4.

⁶ التعليقات، تعليقات على سورة بني إسرائيل، تدبر قرآن، 551/4.

⁷ التعليقات، تعليقات على سورة الكهف، تدبر قرآن، 629/4.

⁸ التعليقات، تعليقات على سورة الحشر، تدبر قرآن، 279/8.

⁹ التعليقات، تعليقات على سورة المنافقون، تدبر قرآن، 393/8.

¹⁰ التعليقات، تعليقات على سورة الأعراف، ويقول عن سورة الأعراف في دلائل النظام "تنذر أهل القرى وتوعدهم بالهزم وغلبة الحق" انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 106.

الألفاظ "سورة الأنعام دعت قريش إلى الإسلام كما تبين مفصلاً، والأعراف قسيمة الأنعام غلب فيها جانب الإنذار بدلاً من الدعوة"،¹ وانظر إلى المثال الثاني: يقول الفراهي رحمه الله موضحاً علاقة سورة هود مع سورة يونس: "هذه السورة (سورة يونس) وسورة هود توأمتان، وفي هذه السورة بعض ذكر القرى، وفي هود أكثر ذكرها"² والآن انظر إلى كلمات الإصلاحي رحمه الله فيقول في تفسير سورة هود: "هذه السورة في وجهة نظرنا هي قسيمة يونس، ولهذا لا يوجد فرق في نفس العمود..... الأمور التي ذكرت في سورة يونس إجمالاً مثلاً قصص القرون الماضية فصلت في هذه السورة".³

يقول الإمام الفراهي رحمه الله في العلاقة والربط بين سورة الكهف والسورة السابقة (سورة بني إسرائيل) والسورة اللاحقة (سورة مريم): هذه سورة الإنذار والتبشير، أكدت هذه السورة على الصبر، والسورة اللاحقة على الصلاة، وهدد في السورة السابقة لليهود، وأنذر في هذه السورة للنصارى،⁴ وجعل الإصلاحي رحمه الله أيضاً موضوع هذه السورة إنذاراً وتنبيهاً لقريش، وتبشيراً للنبي ﷺ ولأصحابه، وتلقيحاً للصبر، وبين العلاقة بين السورة السابقة واللاحقة كالتالية: "كشف النقاب عن اليهود في السورة السابقة (بني إسرائيل) كما كشفه عن النصارى في هذه السورة (سورة الكهف) والسورة اللاحقة (مريم)".⁵

ويتضح الأمر بمثال آخر يشبهه، لاحظ كلمات الشيخ الإصلاحي عن سورة النور: "هذه السورة من أواخر سور هذه المجموعات، وهي مدنية، وتكملة لسورة المؤمنون..... وذكرنا في المقدمة "سورة النور": للطاعة في أحكام المجتمع والتمدن،

¹ تدبر قرآن، 215/3.

² التعليقات، تعليقات على سورة يونس.

³ تدبر قرآن، 98/4.

⁴ التعليقات، تعليقات على سورة الكهف.

⁵ تدبر قرآن، 551/4.

وتتمة للسورة السابقة"،¹ ويقول عنه في موضع آخر: "سورة النور فيها تفصيل وتفسير لما مر في أول سورة المؤمنون"،² قال الإصلاحي مستفيداً مما أشار الفراهي رحمه الله إلى موضوع أول سورة المؤمنون: "بُيِّنَتْ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والاجتناب عن اللغو والفواحش في آيات سورة المؤمنون من 1 إلى 11 كصفات للمؤمنين الذين لهم الفوز والفلاح عند الله تعالى، وعلى حسب قوله كأنها اهتمت بالإصلاح الاجتماعي بعد الإصلاح والتطهير الانفرادي، وسورة النور من السور التي اهتمت به".³

ولاحظ مثلاً آخر له، يقول الإمام الفراهي رحمه الله عن سورة الشورى.⁴ "ولا يخفى أن بنائها على الاسمين العزيز والرحيم المستلزمين لأمر"،⁵ وبناء الكلام في السورة اللاحقة (سورة النمل) على صفات الله تعالى، وهي العلم والحكمة (العليم والعليم).⁶ وهذا الجانب قدّمه الإصلاحي أيضاً في تفسيره. وعنده أيضاً موضوع تلك السور إثبات الكتاب والنبوة كالفراهي، وهاتان السورتان تابعتان للسورة السابقة (سورة الفرقان).⁷

وبالنظر إلى هذه التفاصيل بأن التصور الذي قدّمه الإصلاحي في نظم السور المجاورة هو تصور جديد ومستقل عن تصور الفراهي، وليس فيه تأثير من إفادات الفراهي، قول لا يوجد فيه دليل قوي، وأما كون كل سورتين مترابطة ببعضهما، فهذا ليس من الأمور التي يعبر عنها أنها لا تكتشف إلا بمشقة كبيرة.

¹ رسائل الإمام الفراهي، ص 104 – 108.

² التعليقات، تعليقات على سورة النور.

³ تدبر قرآن، 355/5.

⁴ والصحيح هي سورة الشعراء، لأن العبارة الآتية "وبناء الكلام في السورة اللاحقة" والسورة اللاحقة هي سورة النمل، وكذلك العبارة "وهاتان السورتان تابعتان للسورة السابقة، والسورة السابقة هي سورة الفرقان، و"سورة الشورى" قبل الزخرف وبعد فصلت، (المترجم).

⁵ التعليقات، تعليقات على سورة الشعراء.

⁶ التعليقات، تعليقات على سورة النمل.

⁷ انظر: تدبر قرآن، 495/5 و 573.

وكتب أيضًا غير الفراهي رحمه الله من الثقفي¹ وبعض الشارحين الآخرين لنظم القرآن الكريم في النظم والربط بين السور المجاورة. والأمر الثاني الذي يجدر ذكره أن الشيخ الإصلاحي وقع في الورطة بتقديم تصور تقسيم السور إلى كل سورتين مترابطة ببعضهما أو في ألفاظ مير (Concept of the pairing of the Surahs) لأنه لم يُطَبَّق جميع السور على حسب تخطيطه هذا، والسور التي لم يستطع تقسيمها على حسب تخطيطه يجعلها ملحقات وتتمتات للسور الأخرى،² وإن كان كذلك فكيف يقبل هذه الدعوى بأن كل سورتين مترابطة ببعضهما. ولا تنقص أهمية السورة لكونها تنتمي لبعض السور، فيقال إنها تنتمي وجزء من الآخر.

(ج) النظام الكامل للقرآن الكريم: تكلم الشيخ الإصلاحي رحمه الله عن النظام الكامل للقرآن الكريم بعد تقسيم السور إلى مجموعات مختلفة كأستاذة. والفرق بينهما أن الفراهي رحمه الله قسم سور القرآن الكريم ظاهراً إلى سبع مجموعات، بينما قسم الإصلاحي رحمه الله إلى سبع مجموعات فقط. وفي الحقيقة هذا الجانب للنظم اكتشفه الفراهي رحمه الله، وهذا هو أكبر الجوانب المتميزة في جميع أعماله. وكتبت مقالاً مستقلاً لإظهار أهم اكتشافاته بعنوان: "من النظم إلى النظام"، وفصلت القول فيه عن فكرته في النظام الكامل للقرآن الكريم، ولكن في هذا الموقع لا أطيل الكلام، بل أركز على فكرة النظام الكامل للقرآن الكريم الذي قدّمها الإصلاحي ليتضح به جهوده وجهود الفراهي فيه. ولا شك في أن الإصلاحي

¹ ناقش الإمام ابن الزبير الثقفي مناقشة تامة في الربط بين السور المجاورة في كتابه "البرهان في تناسب سور القرآن"، وهكذا أحاط نظم جميع سور القرآن الكريم. انظر لبعض الأمثلة: ص 77-78، و 79-80 (الترابط بين سورة الفاتحة وسورة البقرة) 80-85، (النظم بين سورة آل عمران وسورة البقرة) 85-88، (النظم بين سورة النساء وسورة المائدة) 105، (النظم والربط بين سورة الأنفال وسورة التوبة)، انظر للتفاصيل أيضاً: مقال كاتب هذا المقال "ابن الزبير الثقفي ونظم القرآن الكريم" "نظام القرآن" الفصلية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، عدد: يوليو - سبتمبر، 2001م، ص 57-69، ج 2، عدد: أكتوبر - ديسمبر، 2001م، ص 45-57.

² انظر: تدبر قرآن، 27/2.

حاول محالة ناجحة واقتفى بآثاره عملياً لتقديم فكرة الفراهي لنظام القرآن الكريم الكامل في تفسيره كله، وذكره أيضاً في مقدمته خصوصاً. ولهذا لا يغفل عن هذا الجانب عند استعراض خدماته التي تتعلق بنظم القرآن الكريم. ونقلت ألفاظ الإصلاح في النظام الإجمالي للقرآن الكريم في بداية هذا المقال عند ذكر فكرته للنظم، أكد فيها بالخصوص على أن هناك نظاماً إجمالياً للقرآن الكريم كما أن لكل سورة وحدة معنوية وموضوعاً مركزياً (عموداً)، ومن حيث المعنى أن جميع سور القرآن الكريم تنقسم إلى مجموعات متعددة ومنها لكل مجموعة موضوع مستقل. وإضافة إلى ذلك أنه قسم النظام الإجمالي للقرآن الكريم من حيث الإجمال إلى جانبين:

(1) الجانب الظاهري للنظام.

(2) الجانب الخفي للنظام.

وأظهر هذه النكتة في الجانب الظاهري أن السور المكية والمدنية رتبت من حيث الترتيب الحالي للمصحف بخلاف الترتيب النزولي بطريقة أنها صارت سبع مجموعات للسور المكية والمدنية، منها تبدأ كل مجموعة بسورة مدنية أو أكثر وتنتهي بسورة مكية أو أكثر،¹ ولها سبع مجموعات كالتالية:

(1) سورة الفاتحة إلى سورة المائدة.

(2) سورة الأنعام إلى سورة التوبة.

(3) سورة يونس إلى سورة النور.

(4) سورة الفرقان إلى سورة الأحزاب.

(5) سورة سبا إلى سورة الحجرات.

¹ تدبر قرآن، 25/1.

(6) سورة ق إلى سورة التحريم.

(7) سورة الملك إلى سورة الناس.¹

ويقول أيضًا كالفراحي: إن الترتيب الحالي للقرآن الكريم ترتيب توقيفي، ولذلك هذا الترتيب ليس خاليًا من الحكمة.²

وبكلمة أخرى كأنه يقول: إن الترتيب الحالي بيان النظام الداخلي لأجزائه. وبالنظر الدقيق يظهر أن جميع سور القرآن الكريم من حيث المعاني والمطالب تنقسم إلى سبع مجموعات، ومنها أن يكون الموضوع الجامع أو العمود لكل مجموعة، ويكون ربط جميع هذه المجموعات بعضها ببعض.³ واعلموا أن الفراحي أيضًا قسم جميع سور القرآن الكريم ظاهريًا إلى مجموعات متعددة لإظهار حكمة هذا الترتيب، وقسمها إلى تسع مجموعات، بل لا يظهر من ألفاظه أن هذا التقسيم الظاهري يقتصر على تسع مجموعات في كل حال، كما يرى عند الإصلاحي، بل أنه قدمه كنموذج كما سيأتي تفصيله، وينعطف به الذهن إلى النظام الإجمالي للقرآن الكريم. إضافة إلى ذلك أن النكات التي أكد عليها الإصلاحي من حيث الجانب الخفي لنظام القرآن الإجمالي، وهي نفس النكات التي قدمها الفراحي إلا واحدة في كتابه "دلائل النظام" وفي مقدمة كتابه "تفسير نظام القرآن" من حيث الأصول الأساسية لنظم القرآن الكريم. وخلاصة الجوانب السبعة لنظام القرآن الكريم الخفي وهي كالتالية:

(1) لكل مجموعة من السور عمود كما لكل سورة عمود.

(2) السور المكية والمدنية من كل مجموعة تتحد تمامًا.

¹ انظر للتفصيل: المصدر نفسه

² المصدر نفسه

³ المصدر نفسه

- (3) لكل سورة زوج.
- (4) سورة الفاتحة ليس لها زوج، بل هي مستقلة وحدها، واستثنيت من قاعدة أن السور أزواج، لأنها مقدمة القرآن الكريم.
- (5) بعض السور تنمة، ولا تكون زوجًا مستقلاً لأي سورة من حيث الغاية، بل تكون كمعترضة توضح جانباً من جوانب السورة السابقة.
- (6) عصور الدعوة الإسلامية بارزة في كل مجموعة، بل فيها فرق من حيث الإيجاز والتفصيل.
- (7) تتقدم مجموعة الشريعة على جميع المجموعات، وآخر المجموعات هي مجموعة الإنذار.¹

يتضح جيداً بالسطور الماضية واللاحقة أن التفاصيل التي قدّمها الإصلاحي في صورة الجانب الخفي للنظام الكامل من القرآن الكريم، وهي خلاصة الأصول الأساسية للنظم التي قدّمها الفراهي. وكذلك تفاصيل جانبي النظم الكامل للقرآن الكريم التي قدّمت وهي في الحقيقة ترجمان أفكار الفراهي، ولكن كما استعرض مؤلف كتاب "Coherence in the Qur'an" فكرة الإصلاحي هذه يبدو منه أن هذه الفكرة هي من اكتشافات الإصلاحي حقيقة، وهذه الفكرة عند الفراهي هي فكرة تمهيدية تماماً أكملها الإصلاحي وطوّرها، وعمله هذا أصيل إل حد كبير² (His Treatment of it is, thus original to very large extent) ولكن تبطل دعواه باستعراض جميع جوانب فكرة النظم للفراهي. والإمام الفراهي وقّر المواد كثيراً في كتابه "دلائل النظام" وفي تعليقاته "التعليقات على القرآن الكريم"، ومنها تقسيم مجموعات السور المكية والمدنية وترتيبها، ومكانة السور المكية والمدنية، وتقسيم سور القرآن الكريم إلى مجموعات متعددة من حيث المراحل الثلاث الدعوية للنبي ﷺ

¹ انظر للفصيل: تدبر قرآن، 1/26-27.

² Coherence in the Qur'an، ص 85.

وموافقة موضوعاته مع المراحل الدعوية، والفرق بين الترتيب النزولي والترتيب الحالي، فتوجد عنده النكات المهمة والإشارات القيمة المتعلقة بهذه الأشياء وغيرها من الجوانب الأخرى، والأشياء التي كتبها الإصلاحي في هذا الموضوع وهي خلاصة تلك الإشارات إلى حد كبير، وليس فيها شيء جديد أساساً، ونستعرض هذا الجانب مفصلاً في السطور الآتية:

وقبل الدخول في الاستعراض يجب إيضاح أن تقسيم جميع السور من حيث موضوعاتها الأساسية وتعيين الموضوع المركزي لكل مجموعة، أو في اصطلاح الفراهي تعيين عمودها، وإيضاح النظم والربط بين الأجزاء الأساسية للقرآن الكريم، وتبيين الفرق بين السور من حيث موضوعاتها بأنها تمثل أصل الموضوع أحياناً أو أنها تكون تنمة لسورة أحياناً، وهذه الأشياء كلها جزء من النظام الكامل للقرآن الكريم، وكما مضت الإشارة في السطور الماضية أن الفراهي أول من بحث في جميع تلك الجوانب للنظم بعنوان "نظم الأصول الأساسية" بحثاً مرتباً، واستدل عليه استدلالاً كاملاً، وجهد فيها أقصى الجهد لإعطاء فكرة النظام الكامل للقرآن الكريم، ولذا ليس من العدل أن ينسب هذا الاكتشاف إلى أحد، أو تُقدم خدمات الفراهي في طريقة لا تتضح أهميتها وجميع أنواعها. ولا شك أنه توجد هناك نظريات المناسبات والروابط بين الآيات، أو فكرة النظام بين الأجزاء المختلفة لسورة عند العلماء الآخرين قبل الإمام الفراهي، ولكن إيضاح النظم والربط بين السور بعد تقسيمها إلى مجموعات مختلفة من حيث المعنى، بل أكثر من ذلك إعطاء نظرية الربط والعلاقة المنطقية بين الأحكام المذكورة في القرآن الكريم، فهذه المآثر التي لم يقدّمها أحد قبل الإمام الفراهي رحمه الله إلى حد علمنا، والنظام الكامل للقرآن الكريم الذي ذكره الإصلاحي رحمه الله وهو خلاصة ما استفاده من فكرة أستاذه تماماً. ويصح هذا بأن الفراهي رحمه الله لم يستطع إكمال تفسير القرآن الكريم، وبهذا السبب حسب فكرته لم يستطع البحث في جميع جهات النظم والربط الداخلي للمجموعات المختلفة من سور القرآن الكريم من حيث الموضوعات كما

يريد، ولكن ليس معنى هذا أنه أشار إلى جملة أو جملتين فقط وترك هذا البحث. وهذه حقيقة أن الإشارات المهمة التي تركها في مسألة واحدة من هذه المسائل للنظم فقط بالخصوص في كتابه "دلائل النظام" ومقدمة "تفسير نظام القرآن" و"التعليقات على القرآن الكريم" (غير مطبوع) ولو جمعت تلك الإشارات لصارت رسالة مختصرة، ولهذا كان من الضروري أن النظام الكامل للقرآن الكريم كان هو هدف البحث الأصلي للفراحي رحمه الله. وسلط الضوء على هذا الجانب للنظم في كتابه "دلائل النظام" في أربعة مواضع على الأقل تحت العناوين المستقلة. وذكر غفلة العلماء عنه وعدم اعتنائهم به، فقال: أظهر بعض العلماء رأيه عن علم المناسبة عمومًا، ولكن لم يتكلم أحد في النظام الكامل، ولم يكمل متطلبات وحدة الكلام المعنوية ببيان المناسبة بين الآيات فقط، ولهذا على حسب قوله يقتنع بأي نظم يكفي بنظم الآيات القريبة فقط، وربما يغفل عن النظم الذي يتحد به الكلام في المعاني فيصير شيئًا واحدًا.¹ وما المراد بالنظام عنده بمقابل علم المناسبة العام، ويُفهم هذا جيدًا بكلماته الآتية:

"وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاً واحداً، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعدها، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر".²

فتبين من هذا سواء كان النظم الكامل للسورة أو النظام الكامل للأجزاء الأساسية من القرآن الكريم بكامله، فهو يهتم اهتمامًا بالغًا بالكلام المطلوب أو الموضوع المركزي في كل مكان، وتبين أيضاً من هذه العبارة كما أن لنظم السورة

¹ رسائل الإمام الفراحي، ص 86.

² المصدر نفسه، ص 86 – 87.

أصولاً عنده فكما أن للنظام الكامل من القرآن الكريم، أو لمطالعة العلاقة والربط بين مجموعات سوره أصولاً جادة، ومن أهمها كما يجب علينا لمعرفة نظم السورة أن ننظر في أي آية أو آيات وردت بين الآيات المترابطة من حيث النظم كجملعة معترضة أو تنمة لها فكما ترد بعض السوركتتمة بين السور المتحدة من حيث المعنى،¹ ويصعب فهم النظم الكامل للقرآن الكريم بدون فهم مكانتها. أكد الإمام الفراهي رحمه الله على هذا الجانب للنظم في مواضع مختلفة لأن الآيات أو السور الواردة الموضحة لمسألة تلعب دوراً مهماً للإيصال إلى المركز الأصلي لنظم الكلام، ولو يفهم مرة فيرى القرآن الكريم بكامله كأنه كلام واحد.² ويعلم من أهمية هذه الأصول أن فكرته للنظام الكامل للقرآن الكريم أسست على الأصول الجادة. والبحث الذي يتعلق بالنظام الكامل للقرآن الكريم ينقسم إلى جزأين:

(1) الجزء الأول يشتمل على نظم مجموعات السور، ومعناه أن جميع سور القرآن الكريم من حيث المعنى منقسمة إلى مجموعات خاصة، وهذه المجموعات متحدة ومرتبطة ببعضها ببعض معنوياً.

(2) الجزء الثاني يبحث عن الربط والعلاقة المنطقية بالأحكام والشرائع المذكورة في القرآن الكريم، وأوضح الفراهي بأن الأحكام المختلفة والإرشادات المتنوعة إذا ذكرت معاً في القرآن الكريم فتكمن فيها حكم كثيرة تنكشف بعد فهم ربط الأحكام والشرائع ببعضها ببعض،³ وبمقابل الفراهي ما بحثه الإصلاحي من هذه الجهة للنظم في مقدمة تفسيره، أو في السورة المتعلقة بكل مجموعة هو مختصر ظاهراً ومعنوياً، وإضافة إلى ذلك ما تكلم فيه وهو في الواقع أخذه من أستاذه مع فروق جزئية.

¹ المصدر نفسه، ص 89.

² المصدر نفسه

³ انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 45-46، وتفسير نظام قرآن، ص 60.

وما بحثه الشيخ الفراهي رحمه الله في مثل هذه الجهات المتنوعة للنظم في مواضع مختلفة في كتابه "دلائل النظام" ومنها أحد الموضوعات التي كتبها بعنوان "الكلام في نظم السور بعضها مع بعض وبيان النظم العمومي" وقسم السور المكية والمدنية من حيث ترتيب بعضها مع بعض إلى تسع مجموعات، وفي الواقع أن هذا التقسيم ليس من حيث المطالب والموضوعات، وإن وضح ذلك في الكلمات التمهيدية قبل تقسيمها، ولكنه قال أيضاً: كل مجموعة السور ابتدأت بالمكية، وختمت بالمدنية، أو كل مجموعة السور المكية قد أدخل فيها سورة مدنية أو أكثر منها في الترتيب، فهذا يدل على ترتيب السور الحالي الذي أوجبه الله ورسوله (أو أنه توقيفي)، ولا يخلو من حكم النظم¹. وبمقابل تقسيم الفراهي رحمه الله إلى تسع مجموعات قسم الإصلاحي رحمه الله جميع السور إلى سبع مجموعات من

¹ انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 103-104، والمجموعات التسع للفراهي هي كالآتية:

- 1 - سورة الفاحة وهي مكية، مع أربع مدنيات جملة واحدة، مع أن الفاتحة لها نسبة بمجموع القرآن. (1-5)
- 2 - سورة الأنعام والأعراف مكيّتان مع الأنفال والبراءة المدينتين. (6-9)
- 3 - سورة يونس إلى سورة الأنبياء اثنتا عشر سورة كلها مكية مع سورة الحج. وهي عندي لما تتضمن الجهاد والقتال والهجرة. (10-22)
- 4 - سورة المؤمنون المكية سورة النور المدنية، ولعلها مدرجة. (23-24)
- 5 - سورة الفرقان إلى سورة الم السجدة، ثماني مكيّات مع مدنية واحدة، وهي سورة الأحزاب. (25-33)
- 6 - سورة سبأ إلى سورة الأحقاف، ثلاث عشرة مكية، مع سورة محمد إلى سورة الحجرات، ثلاث مدنيات. (34-49)
- 7 - سورة ق إلى سورة الواقعة، سبع مكيّات مع سورة الحديد إلى سورة الطلاق عشر سور مدنيات. (50-66)
- 8 - سورة الملك إلى سورة الإخلاص جملة واحدة، قد أدرج فيها سورة المطففين وهي مكية، وسورة النصر المدنية، وسورة الذهب المكية التي نزلت قبيل الهجرة. (67-112)
- 9 - سورتا المعوذتين المدينتان، جملة خاتمة ذات اتصال بتمام القرآن وبما قبلها، مثل سورة الفاتحة ذات نسبة بما بعدها وبجميع القرآن. (113-114) انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 104-105.

حيث الترتيب المكي والمدني، ومنها نقصت مجموعة لأجل ضم المجموعة الرابعة للفراهي مع المجموعة الثالثة للإصلاحي، ونقصت مجموعة ثانية لأن الفراهي جعل السورتين الأخيرتين (المعوذتين) في مجموعة مستقلة، بينما جعلهما الإصلاحي جزءاً من المجموعة الأخيرة. وعند الشيخ الفراهي سورة الفاتحة لها مكانة مستقلة لكونها كالديباجة ففيها مفاتيح لجميع ما في القرآن الكريم، كذلك سورتا المعوذتين كخاتمة لجميع القرآن الكريم، كما كانت علاقتهما من جهة بالسورة السابقة (سورة الإخلاص) التي هي خلاصة الموضوعات المركزية للقرآن الكريم، فكما كانت علاقتهما من جهة أخرى بجميع السور السابقة كخاتمة القرآن الكريم.¹

وعلى كل حال أن ما قام به الإصلاحي رحمه الله في تقسيم السور إلى المجموعات من حيث النظم فهو في الحقيقة جزء من إفادات الفراهي رحمه الله، والفرق الذي يوجد عندهما في تقسيم المجموعات ظاهر وجزئي كلياً لا يتأثر به المقصود الأصلي. ونعلم هنا أن الاكتشاف الأصلي هو تقسيم السور إلى مجموعات، وإظهار النظم والربط الموجود بينهما، وليس من المهم هنا أنها تقسم إلى كم مجموعة، لأنه بعد وضوح الموضوعات والمطالب لأي كتاب يمكن تقسيم أبوابه الأساسية إلى مجموعات مختلفة حسب الضرورة مراعاة للسياق مع إمكانية زيادتها ونقصها عند البعض دون الآخرين لا تتأثر به الموضوعات والمقاصد الأساسية للكتاب، وتكون المشكلة عندما لم يعرف كلياً النظم والترتيب لأبوابه، ولا يعرف أي موضوع لأي باب، ولا يعرف أطرافه الأولى من الآخرة، وهذا هو حال سور القرآن الكريم، إن لم توجد هذه الفكرة أصلاً بأن سوره يربط بعضها ببعض من حيث المعنى، وهذه السور منقسمة إلى مجموعات إجمالاً كالأبواب والفصول للكتاب وكلها متصلة بالأخرى من الجوانب، فكيف يمكن لأحد أن يفكر في ربطها بعد تقسيمها إلى مجموعات؟ نعم إذا ظهرت مرة فكرة النظام الكامل لها فسهلت هذه الأشياء

¹ انظر للتفصيل: رسال الإمام الفراهي، ص 104-105 و 110.

للاحقين، ولا يبقى ذا أهمية كبيرة أن من يقسمها إلى كم مجموعة، ويستعرض مطالبها وموضوعاتها، وهذا جانب من الجوانب الظاهرة للمسألة فقط، وأصل الموضوع هو أن يبين ربط الموضوعات المذكورة في تلك المجموعات بعضها ببعض بأسلوب يتبين به النظام الكامل للقرآن الكريم مشرقاً كالبدر الكامل.

قبل أن نستعرض تقسيم السور القرآنية باختصار الذي قام به الفراهي رحمه الله يناسبنا النظر في الروح الحقيقية للنظام الكامل للقرآن الكريم وإعادة التوجيه إلى أن الإصلاحي رحمه الله أكد على تقسيم تلك السور القرآنية من حيث المكية والمدنية إلى سبع مجموعات، ولعل أكبر سببه هو أنه استدلل على فكرته لتقسيم جميع السور القرآنية من حيث المواضيع إلى سبع مجموعات، ولكون كل من السورتين زوجاً زوجاً بقوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ مضت تفاصيله في السطور الماضية. وأما مسألة تقسيم السور إلى المجموعات من حيث المواضيع فإراعي الإصلاحي معاً الجانبين للتقسيم إلى سبع مجموعات (يعني تقسيمه الظاهري للمجموعات من حيث المكية والمدنية، وتقسيمه لها من حيث الموضوعات والمطالب)، بينما جعل الإمام الفراهي رحمه الله تقسيمه تقسيمًا ظاهريًا، وكما يظهر من كلماته أنه قدّم هذا التقسيم الظاهري كنموذج فقط، ودعانا إلى التدبر والتفكر في هذه المسألة، وقال أيضًا: إن تظهر هذه الحقيقة بالتدبر في هذا الجانب للقرآن الكريم أن كون عدة السور المكية والمدنية مرتبة في مجموعة واحدة، وظهور جميع السور من حيث المواضيع في عدة مجموعات يدل على معرفة كل مجموعة من جميع السور للقرآن الكريم بموضوعاته ومطالبه الأساسية كما يقول الفراهي رحمه الله: "وبالجملة فالحكم بكون عدة من السور جملة واحدة، مبني على الاستدلال بالمطالب".¹ والشيخ الإصلاحي، كما أوضحنا، سلط الضوء على نظم المجموعات السبع التي قسمها في مقدمة تفسيره، وعلى الكلمات التمهيدية لتفسير

¹ المصدر نفسه، ص 104.

السورة الأولى من كل مجموعة. وهو يقول: "إن تُثَلَّ سور المجموعات السبع المذكورة مرارًا بالتدبر والتفكير فتتضح حِكْم هذا الترتيب".¹ ثم عنده أكبر حكمة لهذا النظام الكامل وهي ترشدنا إلى المجموعات المختلفة للسور، وإلى موضوعاتها الأساسية، ونعلم بها كما أنه يكون موضوعًا لكل سورة فكما يكون موضوعًا لكل مجموعة من السور، تتصل به جميع سور هذه المجموعة.²

وموهبة الفراهي رحمه الله هي أنه قدّم الفكرة العظيمة لانقسام جميع السور إلى المجموعات المختلفة من حيث الموضوع، ولكونها متحدة المعاني، بل أشار إشارة قيمة في تأليفاته المطبوعة وغير المطبوعة نعلم بها جيدًا أن جميع سور القرآن الكريم من حيث موضوعاتها ومطالبها منقسمة إلى ثلاثة أجزاء إجمالاً، وأوضح فيها هذه النكتة أيضًا أن ما رعي فيها من السور من حيث الترتيب النزولي المتطلبات الفطرية للدعوة والنبوة، يستعرض بها النظام الكامل للقرآن الكريم بعد تقسيم الموضوعات والمطالب القرآنية إلى ثلاث مجموعات، ومجموعاته الثلاث هي كالتالية:

(1) تمهدت بنزول القرآن الكريم قبل كل شيء الأسس التي تبنى عليها الأحكام والشرائع، ووجه في هذه المجموعة قبل كل شيء إلى تلاوة القرآن الكريم، والصلاة، والتقرب إلى الله تعالى، والمظاهر العقلية والفطرية لألوهيته وربوبيته سبحانه، ليكون الثبات والطمأنينة للنبي ﷺ ولأصحابه في أفعال الدعوة التي يصبر عليها من جهة، ومعًا يمهد الطريق لإبلاغ الدعوة والتوحيد والرسالة المحمدية.

(2) وأمر بالدعوة ونشر الحق في المرحلة الثانية، وفصلت الآيات فيها أيضًا تبشيرًا وإنذارًا، وترغيبًا وترهيبًا خطوة تلو الأخرى لأهداف التعليم والتربية والتذكير. وأيضًا الأمور التي تتعلق بتعليم الكتاب والحكمة، ونفي الشرك، والتقوى والإنابة،

¹ تدبر قرآن، 26/1.

² المصدر نفسه

والترغيب في الأعمال الصالحة، وتربية الصبر والثبات، وهي كلها جزء للمرحلة الثانية، ومذكورة في الآيات التي نزلت في المرحلة الثانية للدعوة.

(3) المجموعة الثالثة للقرآن الكريم نزولاً، والمجموعة الأولى ترتيباً حالياً وتوقيفياً هي التي تتعلق بالمراحل التي تأتي بعد استحكام الأسس لإكمال الدين ونشر الحق. وهذه مبنية على تفاصيل الأحكام والشرائع التي هي للأمة المسلمة. فلذلك هذه هي المجموعة من الأحكام والشرائع مع المواعظ والنصائح المهمة والترغيب والترهيب آخر ما نزل¹. وفيها سورة الفاتحة والسور الأربع الأولى الطوال. ويوضح أيضاً في هذا الموقع، وهذه حقيقة تاريخية أيضاً، أن الترتيب الحالي التوقيفي للقرآن الكريم لا يوافق ترتيب القرآن الكريم نزولاً، بل ظهر هذا باعتبار الترتيب المنطقي للموضوعات والمطالب، والمتطلبات الفطرية لبيئة ذلك الوقت، والتعليم والتربية، وعلى حسب قوله أن أول ما نزلت من السور وضع في آخر القرآن، وآخر ما نزلت وضع في الترتيب الأول². ولأنه قد تغيرت الآن أرض الدعوة، وأحوال المدعوين، وبتبديلها تغيرت الضروريات، كان المخاطبون للقرآن الكريم مشركي العرب أولاً، والآن المخاطبون هم مسلمو العرب، والمجتمع الإسلامي، فأولاً يحتاجون إلى الأحكام والشرائع المتعلقة بجميع جوانب الحياة المهمة، ولهذا وضع ذلك الجزء الذي تحتاجه الأمة المسلمة أولاً، يعني ذلك الجزء الذي يبني على الأحكام والشرائع. ثم ذلك الجزء الذي يأتي في المرحلة الثانية من حيث الترتيب النزولي، والترتيب التوقيفي منطقياً. وفي الأخير ذلك الجزء الذي نزل أولاً. وإضافة إلى ذلك أن الفراهي رحمه الله أشار إشارة حكيمة إلى مواضيع المجموعات الأساسية للسور، والعلاقة والربط بعضها ببعض، وذكر الجهات المختلفة للنظام الداخلي من تلك المجموعات خصوصاً في رسالته "دلائل النظام" (40، و41، و43، و44، و45). ومن وجهة النظر

¹ انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 96-98، 99-100، 101-102.

² المصدر نفسه، ص 96.

للنظام الكامل من القرآن الكريم استحکمت تلك الأسس التي يمكن أن يبني عليها المباني الشامخة تحت بعض فصول الكتاب المذكور، والبحوث المتعلقة بالتعليقات القرآنية. وقدّم الشيخ الإصلاحي رحمه الله خطة النظام الكامل للقرآن الكريم مستخدماً تلك الأسس، ولكن الأشياء التي يرى فيها عند الفراهي نقص في بحث النظام الكامل للقرآن الكريم، وكذلك عنده لا يوجد أكثر مما كان موجوداً عند الفراهي رحمه الله، بل لا يوجد أي وضع في بعض الأماكن من ناحية ترجمان فكرة النظم للفراهي تطمئن به النفس. ولا يسعه التفصيل في هذا الموقع، بل أرى مناسباً في هذا الموقع أن أشير إلى جانب أو جانبيين.

يقول الشيخ الإصلاحي في مقدمة تفسيره مسلطاً الضوء على النظام الكامل بعد الاستعراض السريع لمطالب مجموعات السور، وبعد بيان أهميتها في نظم القرآن الكريم:

"وتذكر هنا، مثلاً، مجرد أن القانون والشرعية تغلب على مجموعة، وتاريخ الملة الإبراهيمية وأصولها وفروعها يغلب على مجموعة، ونشوب الصراع بين الحق والباطل، وظهور جزء البيان فيه يغلب على مجموعة، والنبوة والرسالة وميزاتها وخصائصها تغلب على مجموعة، ويظهر التوحيد ومقوماته ومتطلباته في مجموعة، والبعث والحشر والنشر ومتطلباته في مجموعة، والمجموعة الأخيرة للإنذار التي تشتمل على أكثر السور المكية".¹

أكبر النقص الذي يوجد عنده في هذه المسألة هو أن الفراهي رحمه الله أبرز المراحل التاريخية للدعوة الإسلامية خصوصاً في تقسيم مجموعات القرآن الكريم من حيث المطالب ونظم الكلام، وهذا لا يرى في كتابات الإصلاحي في أتم الصورة، إما من وجهة نظره أن هذا الجانب ليس ذا أهمية كبيرة يُعتنى به، وإما لم يستطع إدخال فكرة الشيخ الفراهي في تفسيره، والحقيقة هي أن ما قدّمه الفراهي من

¹ تدبر قرآن، 26/1 - 27.

تخطيط النظام الكامل للقرآن الكريم في ضوء تاريخ الدعوة الإسلامية،¹ لم يفز في بيانه كاملاً، ولم يستطع التقدم كاملاً بتصوير نظم القرآن الكريم الذي عكسه الفراهي لفلسفة نظام القرآن الكريم، ولعل من أسبابه هو أن زاد اعتماده على التأويل الخاص لآية ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ وعلى فكرة تقسيم السور إلى سبع مجموعات نتيجة له إلى حد غابت فكرة الفراهي عن المشهد في هذا، فعلى هذا يقينه قوي أن تقسيم السور إلى سبع مجموعات توقيفي أيضاً في رأيه كالسور والآيات القرآنية، لأن هذا هو التقسيم الذي يصدق الآية ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ لو كان الوضع في أتم الصورة فيمكن أن يقال إن لم يكن اعتماده قوياً بهذا القدر في هذا التقسيم، فلعله يفوز أكثر في تطبيق فكرة الفراهي للنظام الكامل للقرآن الكريم. واعلم أن فكرة الفراهي ليست محدودة في تقسيم السور إلى مجموعات، بل علاقتها بالمراحل التاريخية للدعوة الإسلامية، وتاريخ نزول القرآن الكريم، والفرق بين ترتيب القرآن الحالي التوقيفي والترتيب النزولي، ونزول الأحكام والشرائع

¹ أوضح الشيخ الفراهي الربط بين السور بعضها ببعض بعد أن قسم السور القرآنية إلى ثلاث مجموعات في ضوء المراحل للدعوة والنبوة، فلا يوجد فيه بحث كامل له، ولكن تظهر فكرته كاملاً بدراسة مباحث الجزء الأخير من كتابه "دلائل النظام" وحواشيه بدقة، ولا يسعنا التفصيل في هذا الموقع، بل أرى مناسبتاً أن أشير هنا إلى أنه كما سلط الضوء على الموضوعات المركزية لجميع السور القرآنية، وربط بعضها ببعض في كتابه "دلائل النظام" تحت عنوان "عمود السور إجمالاً" فيعلم به المجموعات الأساسية الثلاث للقرآن الكريم وموضوعاتها. ومن حسن الحظ أحيط جميع السور في هذا البحث، وفي أثنائه يقول بوضع العنوان "جملة ثانية": "من سورة 10 - إلى سورة 24 - إنذار وتبشير، وإجراء الكلام من وسط النبوة إلى وسط الهجرة بالترتيب الزمني". وتقدر المجموعة السابقة بنفسها، وكذلك تقدر المجموعة الثالثة بعد البحث في المجموعة الثانية يعني السورة رقم 24 (سورة النور) خطاً خطأ في وسط الصفحة، وكذلك استعرض الموضوعات الأساسية للسور القرآنية إجمالاً في ضوء المراحل التاريخية لتاريخ نزول القرآن الكريم، والنبوة والدعوة والهجرة، وما قدمه من الأسس الجادة للنظام الإجمالي من القرآن الكريم وهو روح فلسفته لنظام القرآن الكريم أصلاً، وعلى هذا الأساس هو يعتبر أول معلم لـ "فلسفة نظام القرآن". انظر للتفصيل: رسائل الإمام الفراهي، ص 105 - 109. وبحث أنا بالتفصيل في هذه المسألة في إحدى مقالاتي بعنوان "من النظم إلى النظام".

التدريجي للأمة المسلمة وتنفيذها، ومكانة السور المستقلة والسور كتتمة، وعمود المجموعات المختلفة للسور القرآنية، وهذه الأشياء المتعلقة بالنظام الكامل للقرآن الكريم جزء من فكرة الفراهي، ولو أهمل شيء منها فلا يكتمل بناء النظام الكامل للقرآن الكريم. ولا شك أنه يسلك على ضوء إفادات الفراهي إلى حد كبير في وضع عمود ومجموعات كل سورة في وحدة، ولكنه لما دخل في أهم مراحل النظام الكامل للسور فلم يستطع الثبات تمامًا على السبيل الذي سلك عليه أستاذه الفراهي، وما قدّمه من النظم في تفسيره، وإن كان فيه شأن عظيم لأجل العلاقة مع فلسفة نظام القرآن الكريم للفراهي، ولكن لم تظهر فكرته فيه، ولا فكرة الفراهي في أتم الصورة بشيء من التبديل قبل الوصول إلى المنزل.

وما عرض من فكرة نظام القرآن الكريم الكامل للإصلاحي أعلاه ونقدّم له مثالاً واحداً من كلماته:

"قُدِّمَت مجموعة القانون والشرعية على جميع المجموعات الأخرى في هذا الترتيب، وأُجِّرت مجموعة الإنذار، وهذا يشير إلى أن المقصود بالإنذار في الواقع هو وقاية الناس سوء السبيل، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، وهذا هو صراط الشريعة".¹ وليس من الصعب بالتدبر في هذه العبارة أن تقدر أنه اتبع أستاذه في قوله الأول بأن مجموعة الأحكام والشرائع أول المجموعات في الترتيب لمصلحة، ولكن قوله في الجانب الآخر لهذه المسألة ففيه إجمال بقدر، وهو يقول: إن مجموعة الإنذار وضعت في الأخير، وهذا يُشكل وهو هل توضع مجموعة الإنذار في مجموعات السور مستقلاً؟ فمع النظر في جميع المجموعات نعلم أن سلسلة التنبيه والتهديد من القرآن الكريم لمشركي مكة وكفار العرب ليست محدودة في مجموعة، بل هي منتشرة في القرآن الكريم بكامله.² وهذا الإنذار مباشر في 4 بعض الأماكن، وفي

¹ تدبر قرآن، 27/1.

² انظر: رسائل الإمام الفراهي، ص 97-98 مع إفاداته.

بعضها بواسطة. ومن سورة البقرة إلى سورة الهم، وهذا العنصر جزء من كلام الله تعالى في أي صورة. ويوجد أثرها في المجموعات السابقة كالمجموعة الأخيرة على حسب الإمام الفراهي، ومع ذلك ليس مستقلاً أو عموداً أو غاية للكلام في أكثر السور، بل هو تنمة. ومن جانب كانت تسلية للمسلمين من خلال الترغيب والترهيب، ومن جانب آخر تخويف لمخالفين الإسلام من الله تعالى ورسوله ﷺ بتذكيرهم سوء العواقب، ولكن المقصود به ليس تهديداً وتخويفاً فقط، بل المقصود الأصلي به هو توجيه المخاطبين ولفتهم. وهنا إشكال آخر وهو أن المجموعة الأخيرة التي هي المجموعة الأولى لكلام الله تعالى من حيث الترتيب النزولي، إن تبني على الإنذار فقط، فكيف تكون الآيات التي تشتمل على تعاليم الإسلام والعقائد الأساسية من توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وعلى إثبات الرسالة والآخره ونفي الشرك جزءاً لهذه المجموعة؟ وكيف يكون صحيحاً أنها تسمى مجموعة الإنذار مع تلك الموضوعات؟ ولو فرضنا أن مجموعة الإنذار وضعت قبل كل شيء فيكون معناه أن القرآن الكريم هدّد مشركي العرب قبل عرض تعاليم الإسلام الأساسية والدعوة إلى توحيد الله تعالى وهذا ظاهر أنه خلاف للحكم الدعوية كلياً. والأمر الثاني لو بدأ الكلام بآيات الإنذار فيكون معناه أن الناس يتنفرون من دعوة الإسلام في المرحلة الأولى، ويتركون كلام الله تعالى ويكونون بعيدين عنه قبل وصول رسالة القرآن الكريم إليهم، بينما ثبت من التاريخ أن القرآن الكريم حمل عيون الإيمان إلى جريانها في أرض العرب المتحجرة، وألجأ الرجال القاسية إلى دؤبهم أمامه كالشمعة بإعجازه البياني وقوة تأثيره، وتنكست العرب متأثرة بإعجازه أمام حقيقة الإسلام في مدة ثلاث وعشرين سنة فقط. ونظرًا إلى هذه الجهة جعل الفراهي رحمه الله المجموعة الأخيرة مجموعة التعاليم بني عليها أساس الأحكام، ويقول: "فنزل ما يبني عليه الأحكام".¹ وتلك التعاليم التي بني عليها أساس الشريعة الإسلامية بعد هي عقائد الإسلام الأساسية، والتوحيد، والرسالة والآخره وغيرها، وذكر الترغيب

¹ المصدر نفسه، ص 98.

والترهيب مرارًا في جوانب تلك التعاليم، وإضافة إلى ذلك على حسب الضرورة التلقين والتذكير للنبي ﷺ وأصحابه بالصبر والصلاة، والتقوى والتقرب إلى الله، وطاعة الرسول ﷺ أيضًا أهم جزء لموضوعات هذه المجموعة، ولكن هذه الأشياء التي هي من أصول دعوة القرآن الكريم إلى التوحيد تنتمي للموضوع المركزي لهذه المجموعة، كما يقول الفراهي: "إنما نزل القرآن حسب تربيتهم، فنزل ما يبني عليه الأحكام، ثم نزل ما فيه الأحكام مع الخلط بالترغيب والترهيب وتفصيل الأحكام جاء بعد الإجمال".¹

فاتضحت مما سبق علاقة موضوع الترغيب والترهيب أو الإنذار والتبشير مع الموضوعات الأصلية للأجزاء الأساسية من القرآن الكريم. والحقيقة هي أن تذكر النصائح والمواعظ مع التوحيد ودعوة الرسالة في أماكن مختلفة من القرآن الكريم لأن الذين قد انجمدت في قلوبهم الطيات السميكة للكفر والشرك عبر الأجيال لا يقعون في سوء الفهم، ولا يصعب عليهم فهم أن هذه الدعوة هي دعوة رب العالمين وأحكم الحاكمين الذي هو المالك الحقيقي لهذا الكون، له الحكم في كل مكان. وهو قادر على التقلب بقوله "كن" فقط، وهكذا ما بينه الفراهي من الموضوعات الأساسية للمجموعة الأخيرة من بين مجموعات السور المقسمة نظمًا، وهو أقرب من روح النظام الكامل للقرآن الكريم.²

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي شارح وترجمان لفكرة الإمام الفراهي. وقام بتعريف نظريات الفراهي التفسيرية أساسًا بين الأوساط العلمية. وله دور كبير في نشر الأفكار والنظريات. وعرف الأوساط العلمية بفكرة النظم للإمام، بل أثبت عاملاً بها في تفسيره العظيم "تدبر قرآن" أن هذه ليست فكرة فلسفية فقط، بل هي فكرة تستحق العمل بها، ومع ذلك أن ما يظهر من حقيقة الأمر في ضوء العرض

¹ المصدر نفسه، ص 98.

² المصدر نفسه، ص 108 (تفصيل موضوعات المجموعة الثالثة).

المذكور في السطور الماضية يصعب القول في ضوءه أن الإصلاحي أضاف شيئاً ما إلى أفكار الشيخ الفراهي رحمه الله بالنسبة للنظام الكامل للقرآن الكريم، ومع ذلك أنه حاول حتى الوسع لبيان أفكاره في ضوء إفاداته، ولكن لا يوجد فيه ما يعكس على فكرة الإمام الفراهي رحمه الله كاملاً. ففي هذه الحال لو قلنا: إن فكرة النظام الكامل للقرآن الكريم هي فكرته الأصلية" أو قدّمها بمقابل الإمام الفراهي في أتم صورة لما وافقنا الصواب.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الإمام عبد الحميد الفراهي، تعليقات في تفسير القرآن الكريم، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، يوبي، الهند، الطبعة الأولى، عام 1431 هـ - 2010 م.
3. الإمام عبد الحميد الفراهي، رسائل الإمام الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائر مير، أعظم كره، يوبي، الهند، الطبعة الرابعة، عام 2013 م.
4. أمين أحسن الإصلاحي، تدبر قرآن، تاج كمبني، دلهي، 1989 م.
5. مجلة "علوم القرآن" نصف السنوية الصادرة عن إداره علوم القرآن، علي كره، (عدد ممتاز عن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي لشهر ديسمبر 2000 م)
6. مستنصر مير، البروفيسور: Coherence in the Qur'an- A Study of Islahi's Concept of Nazm in tadabbur-i-Qur'an، مطبعة أميركان تراست، إنديانا بوليس، أميركا، 1986 م

النظرية التعليمية للإمام عبد الحميد الفراهي

- الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي¹ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري²

كان الإمام عبد الحميد الفراهي من أهم شخصيات القرن الرابع عشر الهجري، والتي لا نجد لها نظيراً إلا قليلاً نادراً، ومع أنه يشتهر لكونه داعياً بل معلماً لنظرية النظم في القرآن، ويعتبر البحث والتحقيق في العلوم القرآنية من أهم مميزاته، إلا أن الحقيقة أنه كان منفرداً في نفسه لعلمه واطلاعه على العلوم والفنون القديمة والحديثة، وفهمه وإدراكه لمتطلبات العصر. يكتب العلامة عبد الحق عالم الأردية المعروف في إحدى رسائله إلى الفراهي:

"إنك فرد من جماعتنا لا نجد لك نظيراً، فأنت تملك الفضائل الشرقية والغربية، وقد رزقك الله ذهنًا متقدماً وقلباً مدرّجاً". (ذكر فراهي، ص 299)

وكان التفكير والتدبر شغله الشاغل، ولذلك فإنه كان يعتمد على بحثه وتحقيقه الشخصي وقراءاته فيما يكتب بدل النقل والرواية، وسلك طريقاً خاصاً به.

وقد ارتبط الفراهي بالدرس والتدريس، والتعليم والتعلم طوال حياته، فكان في مدرسة الإسلام بكراتشي من 1897م إلى 1904م، كلية علي كره من 1907م إلى 1908م، كلية ميور المركزية بإله آباد من 1908م إلى 1914م، دار العلوم بحيدر آباد من 1914م إلى 1919م، مدرسة الإصلاح بسرائ مير من 1919م إلى 1930م. وقد ولدت التجارب التي عاشها خلال ارتباطه بهذه المؤسسات ومتطلبات العصر فكراً وخيالاً مميزاً لدى الفراهي ومنحته تصوراً جديداً في نظرياته التعليمية.

¹ أستاذ التفسير والحديث بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند

² مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المللية الإسلامية، نيو دلهي

وقد تشتت النظام التعليمي للمسلمين بعد ثورة 1857 م، وظهرت قضية حساسة ومهمة وهي حفاظ المسلمين على كياناتهم كشعب حي له وجوده المميز، ولأنه لا يمكن تصور شعب حي بدون التعليم، لذلك حاول المسلمون بالرغم من قلقهم والصعوبات التي كانوا يواجهونها إصلاح نظامهم التعليمي. وولدت نتيجة لذلك حركة علي كره وحركة ديوبند، وقد مثلت كل واحدة منهما طريقتين مختلفتين في العملية التعليمية. ولا شك أن هاتين المحاولتين كانتا مباركتين بالرغم من بعض الفجوات الموجودة فيهما، ولكنهما لم تكونا كافيتين للإصلاح الكامل للضعف التعليمي والفكري الذي ساد المجتمع المسلم، لذلك بدأ بعض العلماء والمفكرين المتفتحين حركة جديدة لإصلاح المناهج التعليمية. وقد قدمت هذه الحركة تصورًا شاملاً للعملية التعليمية. وقد قاد العلامة شبلي النعماني هذه الحركة العلمية. وكان اسم تلميذه عبد الحميد الفراهي يترأس فهرس الأفراد الذين كان يستعين بهم العلامة في نشاطاته القومية، والعلمية، والتأليفية. وبالرغم من وجود توافق فكري بين شبلي والفراهي، إلا أننا نجد بعض الخلاف في أمور تعليمية وعلمية. وقد تم تحليل ومناقشة النظرية التعليمية لشبلي مرارًا وتكرارًا. ولكن لم نجد ما يناقش النظرية التعليمية للفراهي، مع أن مقارنة وموازنة النظريتين عمل بحث مهم. ويحتاج إلى من يهتم به. ولكن يصعب ذلك لعدم وضوح الفكر التعليمي للفراهي إلى الآن.

إن المعاهد الثلاثة التي ارتبط بها الفراهي قبل دار العلوم بحيدرآباد، اقتصر فيها مسؤولياته على التدريس الفصلي فقط، أما الأوقات الباقية فكان يقضيها في التحقيق والتأليف. ولم يكن له اتصال مباشر بقضايا التعليم، لذلك لا نجد له نشاطًا يشير إلى فكره التعليمي. أما دار العلوم فلم يذهب إليها للوظيفة فقط، إنما كانت معه خطة تعليمية وضعها شبلي النعماني الذي كان يريد أن يجعل من دار العلوم بحيدرآباد جامعة شرقية حديثة، تدرس فيها العلوم العربية بجانب العلوم الحديثة حسب الضرورة. (ذكر فراهي، ص 256)

وضع الفراهي بعد وصوله إلى حيدرآباد خطة باسم "تشكيل هيئة دار العلوم"، وعلى ضوءها بدأ يخطط لإنشاء جامعة تكون لغة التعليم فيها الأردية. واجتهد بعزم لتنفيذها، واستطاع إلى حد ما أن يمهّد الطريق لتنفيذ الخطة، لكن المعارضين وضعوا له العراقيل، مما أدّى إلى إلغاء الخطة، وتقديّم استقالته مكسور الخاطر والعودة إلى مدرسة الإصلاح في سرائ مير. ووجد هنا الجو الملائم الذي كان ينتظر قدومه منذ مدة، فنظم المدرسة على أساس نظرياته التعليمية وعرفها كمدرسة متميزة ومؤسسة ممتازة من بين مدارس الهند.

وعلى أن نطالع ونبحث في الفترة التعليمية التي قضها الفراهي في هاتين المؤسستين إذا أردنا فهم النظريات التعليمية له. وقد جمع الدكتور شرف الدين الإصلاحي في "ذكر فراهي" جميع المعلومات المرتبطة بمدرسة الإصلاح. ولكنه أشار باختصار إلى نقاط مهمة عن نظريته التعليمية في دار العلوم بحيدر آباد أو الجامعة العثمانية.

دارالعلوم بحيدرآباد:

يكتب السيد سليمان الندوي عن خلفية ذهابه إلى حيدرآباد:

"كانت في حيدرآباد مدرسة عربية قديمة باسم دار العلوم، وكان لها دور بارز في تطور العلم والتعليم في حيدرآباد. وكانت ملحقة بقسم العلوم الشرقية لجامعة مدراس. وقد ألغت الجامعة هذا الإلحاق في عام 1908م على الأغلب، وفكّر المسؤولون في وزارة التعليم في حكومة النواب بتجديد النظم وعمل التغييرات اللازمة، وقد أنشأ كلّ من النواب عماد الملك ناظم التعليم السابق في حيدرآباد الدكن، وألما لطيفي أي سي أيّس ناظم التعليم في ذلك الوقت، والسيد حيدري وغيره مجلساً لأهل العلم، وكان من أعضائه شبلي كذلك. رتب شبلي خطة للمجلس وقدم فكرة تأسيس جامعة شرقية وكان يفكر أن يجعلها جامعة يتم التدريس فيها بالعربية، وتضاف إليها العلوم الحديثة بقدر الضرورة. تمت مناقشة

هذه الفكرة لمدة طويلة، واختير حميد الدين (الإمام عبد الحميد) لإدارة دار العلوم وأصبح مديراً لها". (ذكر فراهي، ص 256)

عندما أصبح الإمام عبد الحميد الفراهي مدير دار العلوم، ووافق حاكم حيدرآباد على الخطة التعليمية التي سبق ذكرها، منحت دار العلوم درجة الكلية الشرقية. وقد حددت الطرق الثلاث التالية للحصول على الأهداف من إنشاء هذه الكلية:

1. أن يكون تعليم العلوم الشرقية كاملاً ودينياً أكثر من ذي قبل.
 2. قرر أن تكون اللغة الإنجليزية إلزامية وتمنح درجة اللغة الثانية.
 3. وأن يتم إدخال العلوم الحديثة ضمن المنهج التعليمي. (ذكر فراهي، ص 261)
- لم تتم بضعة أشهر على قدوم الفراهي إلى حيدرآباد حتى حان موعد الذكرى الستون لدار العلوم، وقال النواب سالار جنك في خطابه يذكر الفراهي:
- "إن من دواعي السرور أن محاولات مزج العلوم القديمة بالعلوم والفنون الحديثة حسب الضرورة تتم في هذه المدرسة لإنارة الطلاب، وقد تم اختيار حميد الدين (الإمام عبد الحميد الفراهي) لإدارة هذه المدرسة، فهو بجانب كونه عالماً للعلوم القديمة، يحمل شهادة البكالوريوس". (ذكر فراهي، ص 286)
- ويقول الدكتور شرف الدين الاصلاحى عن تخطيط الفراهي لـ "تشكيل هيئة دار العلوم" بعد توليه منصب مدير دار العلوم وذلك لرقمها واصلاحها:
- "قدم تغييرات جذرية تحمل نتائج بعيدة المدى، ونطلع من خلال هذه الخطة على تصوره عن التعليم، وكان الهدف من هذه الخطة هو جعل دار العلوم مؤسسة منفردة من نوعها". (ذكر فراهي، ص 293)

لم نجد العبارة الأصلية لهذه الخطة، ولكنها موجودة لدى الدكتور شرف الدين، ونذكر هنا أهم النقاط التي ذكرها الدكتور بشأنها:

"هناك فقط أمران مهمان في هذه الخطة، الأول أن يتم الجمع بين أفضل ما يوجد من النظام التعليمي وطرق التدريس لكل من العلوم القديمة والحديثة بحيث

يصل نفعها إلى المجتمع المسلم بأفضل ما يمكن، والثاني أن تكون لغة التعليم الأردية بدل أي لغة أجنبية أخرى. وظهرت آراء مؤيدة ومعارضة لهذه الخطة". (ذكر فراهي، ص 293)

ثم يذكر:

"إن ما ذكر من المشكلات الأساسية المرتبطة بالتعليم في هذه الخطة، وما قدم فيها من مقترحات، لا تقل أهميتها حتى في عصرنا هذا، فبعد مرور قرن تقريباً نجد هذه القضايا مازالت موجودة ليس في شبه القارة الهندية فقط، بل في جميع الدول الإسلامية، وهي تنتظر الحل المناسب. ومن الأفضل أن أذكر بعض الاقتباسات والتي تعتبر لب الخطة وأساسها:

إن النظرية التي تبنتها دار العلوم بالجمع بين العلوم القديمة والحديثة وتدريسها باللغة الأردية، يجب أن لا يتم الانحراف عنها، لأنها روح هذا الإصلاح". (ذكر فراهي، ص 294)

كان الفراهي رئيساً لجمعية "إصلاح المناهج" بالإضافة إلى كونه مديراً لدار العلوم، وكانت هذه الجمعية تضم أربعة عشر عضواً، يكتب عنها الدكتور شرف الدين: "قدمت هذه الجمعية تقريرها بشأن إصلاح المناهج خلال فترة تجاوزت سنتين بقليل، ولكن تم خلال هذه الفترة الإعلان عن تأسيس الجامعة العثمانية وتقرر ضم دار العلوم إليها، وقد احتفظ بالمقترحات المقدمة من قبل الجمعية لتكون عاملاً مساعداً في وضع منهج الجامعة، ولكن خطط تطوير وتنمية دار العلوم نفسها باءت بالفشل". (ذكر فراهي، ص 294)

ولا نجد من المعلومات ما يدل على ما حدث من تغييرات جذرية، وما أدخل من علوم حديثة في منهج دار العلوم بعد قدوم الفراهي إليها، اللهم إلا أن العلوم، وعلم الطبيعيات، والكيمياء إضافة إلى اللغة الإنجليزية أصبحت جزءاً من المنهج. نذكر اقتباساً من مقالة مختصرة للفراهي:

"نقوم حاليًا بتدريس العلوم لدرجة "العالم" كمادة اختيارية لشهادة الثانوية، ولكن ندرس لدرجة "دبير" كتيبات عن العلوم الطبيعية والكيمياء، ويلزمهم دراسة العلوم مع الإقليدس، وتكون ورقة الامتحان من 100 درجة لمدة ثلاث ساعات. وتكون نصف الأسئلة تقريبًا عن مادة العلوم. وكذلك يتم تدريس الكتيبين لامتحان مرحلي "مولوي" و"منشي". (ذكر فراهي، ص 298-299)

ندرك من هذا أن دار العلوم والتي كانت ملتزمة بتدريس الدرس النظامي فقط، أصبحت تدرس العلوم في زمن إدارة الفراهي، وكذلك دخلت مادة التاريخ في المنهج كمادة مهمة، ونذكر هنا اقتباسًا مما كتبه الفراهي عن أسباب انتخابه لمدرس للتاريخ ردًا على استفسارات وزارة التعليم، ونطلع من هذا الاقتباس على مدى علو إدراكه ومعرفته بالعلوم الغربية:

"إن مادة التاريخ من ضمن مناهج دار العلوم حتى مرحلة "كامل"، ولا نهدف فقط إلى تدريس الكتب الحديثة، إنما خلق الإدراك العلمي لدى الطلاب والذي لا يتأتى إلا بالاطلاع الواسع، إن ما كتب باللغة الفارسية والعربية من تواريخ، أغلبها في شكل يوميات، ولا تنظر إلى الحوادث إلا بشكل سطحي، ولا تناقش القضايا السياسية، والدينية، والأخلاقية، والتنموية إلا قليلًا. ولا نجد فيها ذكرًا للعلل والأسباب. وبالعكس من ذلك، فإن علم التاريخ في أوروبا علم راسخ واسع، واستخدمت في تحقيقاته ونتائجه علوم مختلفة لا نجد حتى أسماءها عندنا، فما بالك بالمؤلفات، وإضافة إلى التاريخ، فقد تم وضع منهج الاقتصاد السياسي في هذا السياق، وهو يشتمل على مباحث طويلة وجديرة بالمناقشة. فبالنظر إلى الأسباب السابق ذكرها، كان من الضروري أن يتم تعيين أستاذ لديه إلمام تام بالتاريخ الغربي من جهة، ومهارة في الآداب العربية والاقتصاد السياسي من جهة أخرى". (ذكر فراهي، ص 280)

ويكتب الدكتور شرف الدين معلقًا على الاقتباس السابق:

"نستنتج من هذا الاقتباس الصفات التي كان الفراهي يعدّها ضرورية لأستاذ مادة التاريخ، وما هي الطريقة الصحيحة لتدريس هذا العلم، وما يقتضيه من أمور استنادًا إلى الخلفية التاريخية، وما هي أهمية المواد التاريخية القديمة والحديثة حاليًا، وكيف نستفيد منها ثم نفيد الطلاب بطريقة صحيحة، وهذا يدل على نظرته الواسعة والناقدة على علم التاريخ" (ذكر فراهي، ص 280)

إن ما أشار إليه شبلي النعماني من رغبته في إنشاء جامعة شرقية في بعض مقالاته، هو ما جعل الفراهي ينتقل من إله آباد إلى حيدرآباد، لذلك كان اسم الفراهي ضمن المسؤولين الأربعة الذين شاركوا في إعداد الخطة البدائية لها. وكذلك يوجد اسمه في المركز الرابع ضمن أحد عشر عضوًا في مجلس إعداد المنهج.

نستنتج من هذا أن نظريات شبلي والفراهي أخذت بعين الاعتبار عند تأسيس الجامعة العثمانية، ولكن الحقيقة أن الفراهي لم يستطع أن يضع النظام التعليمي للجامعة حسب النظريات التي كان يؤمن بها. يقول الدكتور شرف الدين: "كان الفراهي هو الشخص الذي قدّم نظرية تدريس العلوم الحديثة باللغة الأردية، ووضع لذلك خطة مناسبة، وكان يعتقد أن يتم تدريس العلوم الدينية باللغة العربية، أما باقي العلوم وحتى أصول الفقه، فتدرس بالأردية. وقد قبل كل من السيد مسعود والنواب حيدر نواز جنك الحيدري بأن يتم التعليم باللغة الأردية، ولكنهما لم يقبلا بأن تدرس العلوم الدينية لجميع الطلاب باللغة العربية، وهذا ما كدر صفو الفراهي". (ذكر فراهي، ص 322)

ثم يواصل:

"إن سبب الخلاف بين الفراهي ومعارضيه لم يكن الأردية أو العربية، ولكنه تطور إلى نوع التعليم ومناهجه بل هدفه، فكأن المعارضين حوّلوا قبلة الجامعة من جامعة شرقية مقترحة من قبل شبلي إلى جامعة تتزين باللباس الغربي، يميزها فقط أن التعليم فيها يتم باللغة الأردية". (ذكر فراهي، ص 322-323)

ويكتب:

"لحقت بالعلوم الشرقية والدينية في الجامعة خسارة، حيث أصبحت علوًّا من الدرجة الثانية بعد أن كانت تتولى الصدارة والأولوية، وما أعده الفراهي من خطة لدار العلوم، والتي كانت من المفروض أن تطبق في الجامعة بأكملها، فقد آوى إلى ركن بارد". (ذكر فراهي، ص 323-324)

وقد فصلت هذه الأمور لأنها تساعد على فهم النظرية التعليمية للفراهي، وتوضح خطته ولو بشكل بسيط، وقبل ذكر النقاط العلمية بشكل مفصل، من المناسب أن نذكر ما كان يتخيله بشأن مدرسة الإصلاح بسرائير مير.

مدرسة الإصلاح:

تعتبر مدرسة الإصلاح بسرائير مير من أهم وأقدم المؤسسات التعليمية في أترابرايش الشرقية. وتتميز بالتعليم المحقق للقرآن الكريم، والمنهج بين القديم والجديد، والتسامح الديني وعدم الانحياز.

فإن وجدنا بعضًا من الأفكار التعليمية لشبلي والفراهي في أسس الجامعة العثمانية بحيدرآباد، فإننا نجد انعكاسًا تامًا للتصورات العلمية والتعليمية للعالمين الجليلين في تحديد الهدف العلمي والفكري لمدرسة الإصلاح وتشكيل نظامها التعليمي. لذلك إن أردنا تقييم النظرية التعليمية للفراهي، فيصبح من الضروري النظر إلى ذخيرته العلمية إضافة إلى مناهج مدرسة الإصلاح.

إن الفراهي قد خطّ بنفسه كلمات في دستور مدرسة الإصلاح والتي كانت الخطة التي أرادها للمدرسة، حسب ما يذكر الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

"إن الهدف الأساسي لهذه المدرسة هو تعليم المسلمين الديني والدنيوي. ويقدم التعليم الديني عند الإضافة الجديدة للمدرسة.

تراعى النقاط التالية دائمًا في النظم التعليمية:

- أ. العناية الشديدة بالقرآن، والحديث، والفقه، والأدب العربي.
- ب. أن يهدف إلى العلم والتمكن الصحيح وعدم النظر إلى منهج محدد إلا في القرآن ومتون الحديث.
- ت. إصلاح الأخلاق أي الالتزام بالشرع وروحانية الإسلام.
- ث. تسهيل المناهج مع التمكن.
- ج. التقليل من المصروفات مع توفير التسهيلات للطلاب.

ملاحظة: النقطتان (أ) و(ب) هما الأساس، و(ت) هي النتيجة، و(ث) و(ج) هما الوسيلة. ويجب فهم الفرق والتفاوت في أهميتها جميعاً من خلال الترتيب". (ذكر فراهي، ص 377)

ربما لا توجد عبارة أخرى للفراهي تتعلق بأهداف مدرسة الإصلاح ونظرية التعليم فيها إلا العبارة السابقة، وفيها إجمال واختصار، ومن المؤكد أنه قدّم تفصيلاً لها في اجتماعاته مع الأساتذة والمسؤولين وأعضاء جمعيات المدرسة المختلفة. لذلك فصلها من كان له إدراك بفكره ونظرياته حسب أسلوبهم ولكن هدفهم واحد. يكتب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

"نشرت العبارات التي كانت بمثابة الأصول المتعلقة بالمدرسة لدى الفراهي، مراراً وتكراراً، وأقوم بتلخيصها هنا بعد الاطلاع عليها من مطبوعات المدرسة:

1. أن يقضي أساتذة وطلاب المدرسة حياة متواضعة وملتزمة بالدين، ولا يتوقع الأساتذة راتباً، إنما يقتنعوا بالقليل
2. أن ينفق على المدرسة من تبرعات فقراء المسلمين، وتبعد المدرسة عن أي أثر للحكومة. ومن أهم القواعد المحافظة على الحرية والروح الدينية.
3. أن يكون تعليم القرآن التحقيقي هو الهدف الأساسي للمدرسة، ثم يركز على الحديث والفقه، وتخرج كتب المنطق والفلسفة وعلم الكلام غير الضرورية من نطاق المنهج، ويدرس مكانها الأدب العربي، ويكون تدريس الحديث بعيداً

عن العصبية. ويدرس الفقه الإسلامي لتوسعة آفاق الطلاب وتوليد التسامح لديهم دون مشاعر التكفير والفسوق، وأن يكون تعليم النحو والصرف عمليًا. ويركز على أمهات الفنون في تعليم الفنون مع اتباع طريقة المحاضرات. ويتم تعليم اللغة الإنجليزية بقدر الضرورة وكذلك تعلم صنعة من الصناعات لكسب العيش، وأن تكون فترة التعليم مختصرة والتكلفة محدودة جدًا.

4. أن تكون هذه المدرسة ملتقى لأصحاب جميع المسالك لأهل السنة والجماعة. فنجد هنا الحنفي والسلفي، ويدرس فيها الندوي والديوبندي والإصلاحي. ويقوموا باتباع السلف الصالح رغم الاختلاف في الجزئيات. ويتم القضاء على الخلافات الموجودة بين المسلمين". (ذكر فراهي، ص 380)

نذكر هنا اقتباسًا آخر للشيخ أمين أحسن، والذي نشر في يوميات المدرسة، وقد اعتبره البعض من كتابات الفراهي، ولكن أمين أحسن يقول عنه: "على كل فإن العبارة تشمل أفكار الفراهي". (ذكر فراهي، ص 379)

يكتب الشيخ الإصلاحي:

"تؤكد مدرسة الإصلاح أنها اهتمت إلى الصراط المستقيم للتعليم الديني، وقد اعتبرته هدفها الأساسي.....

فما هو الهدف الأساسي والصراط المستقيم؟ هو الذي ترك عليه النبي صلى الله عليه وسلم أمته، وأوصى به في خطبة حجة الوداع: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله" وتؤكد مدرسة الإصلاح أن السبب الرئيس لانحطاط المسلمين هو تقليدهم من تعليم القرآن، وانشغالهم بعلوم أخرى كانت في الأساس وسائل للتعليم، حتى أصبحت هذه الوسائل هي العلوم المستهدفة، ولم يقوموا بتدريس القرآن الكريم، حتى وصل الحال إلى الاكتفاء بالتلاوة والحفظ وصدق قول رسول الله المذكور في القرآن: "يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن

مهجورًا". ولكن بفضل الله اهتدت مدرسة الإصلاح إلى هذا السر، واعتبرت القرآن منبعًا للهداية والتطور، وجعلت تعليم العلوم الأخرى تحت مظلته. فيتم تدريس الأدب والفقه والحديث والتاريخ والسير والمنطق والحكمة، ولكن بطريق يمر من خلال كتاب الله ويستهدي بنوره". (ذكر فراهي، ص 378)

إذا نظرنا إلى تفاصيل الاقتباسين السابقين نجد أن الفراهي كان يملك نظرية تعليمية خاصة، وكان يريد أن يضع على أساسها نظامًا تدريسيًا مختلفًا يتميز بما يلي:

1. أن لا يفرق بين مواد التعليم القديمة والحديثة، بل تدرس في آن واحد معًا، ولكن تمنح الأولوية للعلوم الشرقية القديمة.
2. تجمع طرق التعليم القديمة والحديثة في العملية التعليمية بحيث تلبى احتياجات المجتمع الإسلامي بأفضل الطرق.
3. أن يكون القرآن الكريم هو الأصل والأساس في المنهج، وتكون المواد الأخرى تابعة له ومساعدة على فهمه وتدبره، لا أن تكون الأصل.
4. أن لا يكون تدريس القرآن معتمدًا على التفاسير وبطريقة غير عملية، بل يجب أن يكون على أساس من العلم والتحقيق، حتى تتولد لدى الطلاب القدرة على الاستفادة والاستنباط منه، وترسخ فيهم الأحكام والعلوم القرآنية بحيث يصبح كلام الله هو المقياس للقبول أو الرفض.
5. أن يكون تعليم الحديث خاليًا من عصبية المذاهب الفقهية، ويدرس بجعله تابعًا للقرآن في ضوء الأحكام المذكورة فيه.
6. لا يتم تدريس فقه معين، إنما يدرس الفقه الإسلامي لجميع المسالك الفقهية المعروفة، بحيث يتعلم الطلاب دلائل وأسباب أقوال الأئمة، وتنشأ لديهم سعة الأفق، والتسامح والاعتدال والرغبة في التحقيق.
7. لا تدرس الكتب غير الضرورية للمنطق والكلام، ويدرس مكانها الأدب العربي والعلوم الحديثة.

8. يدرس من الأدب العربي الأدب الجاهلي، لأنه المساعد على فهم القرآن أكثر من أدب العهد الأموي والعباسي وما بعده. وقد نزل القرآن الكريم على حسب الأدب الجاهلي، ثم كثر التأثير الأعجمي فيما بعده من الأدب.
 9. لا يهدف إلى دراسة منهج أو كتاب معين إلا القرآن الكريم ومتون الحديث، ويضع الأستاذ الموضوع نصب عينيه، ويلقي محاضراته بطريقة تجعل جميع جوانب الموضوع المراد تدريسه تظهر أمام الطالب بكل وضوح.
 10. يكون التعليم الديني باللغة العربية، أما العلوم والفنون الباقية وحتى أصول الفقه فتدرس باللغة الأم أي الأردية.
 11. يكون تعليم النحو والصرف عملياً عن طريق الأمثلة والتمارين والتدريبات.
 12. يجب الاهتمام بأن يكون المنهج سهلاً، وواضحاً، يضمن التمكن والتفوق، ويستغرق فترة زمنية قصيرة. وكانت المناهج الرائجة صعبة ثقيلة، تستغرق وقتاً وجهداً يثقل كاهل الطالب ويضيع في مجاهلها.
 13. يتم توزيع المنهج على مراحل مختلفة، فمثلاً: مولوي، وعالم، وكامل، وفاضل وهكذا. ولا يكون النظام جامداً بحيث لا يحصل الطالب على أي شهادة حتى يتم جميع المناهج.
 14. تعلم الطالب صنعة من الصناعات حسب الظروف والضرورة حتى تكون وسيلة لكسب العيش بعد تخرجه.
 15. تكون المؤسسة بعيدة عن التأثير الحكومي، لأن المحافظة على الحرية والروح الدينية هي الأصل.
 16. إن الهدف الأساسي من التعليم هو التبصر في الدين، وتربية النفس والآخرين للفلاح في الآخرة، أما الأشياء الأخرى فمزلتها ثانوية وهي تابعة لهذا الهدف.
- نستنتج من النظرة الإجمالية للخطة التعليمية السابقة إن فكرة التعليم لدى الفراهي تحمل الكثير من العلو والسعة، وهي خطة عالمية مثل دعوة القرآن والإسلام وضعها الفراهي بعد تدبر طويل وعميق للقرآن الكريم، ولا نخطئ إن قلنا

إن أساس الفكر التعليمي لدى الفراهي هو كتاب الله، كما نجد أفكاره الأخرى كذلك مستنبطة منه.

إن فكرة الفراهي عن التعليم تقدّم حلاً ناجعاً لقضايا التعليم لدى المسلمين، ويمهد الطريق لإنهاء الخلافات المذهبية بينهم. يكتب الدكتور شرف الدين الإصلاحي عن الهدف الذي كان الفراهي يريده لمدرسة الإصلاح:

"كانت هذه خطة تعليمية وعلمية عظيمة، ولكنها كانت تفتقر إلى من يساندها، فلو كان الشعب، والوطن، والحكومة ممن يساندها، لطبقت هذه الخطة ولتحولت من فكرة إلى عمل عظيم...."

قدمنا فيما سبق نظرة إجمالية على فكرة التعليم لدى الفراهي من خلال كتاب "ذكر فراهي" للدكتور شرف الدين الإصلاحي. ويمكن لأهل العلم الاستفادة والاستفادة من ذلك.

نظريات الفراهي التعليمية وتجسيدها في مدينة حيدرآباد

- سيد شكيل أحمد أنور¹ترجمة من الأردوية: د. محمد فضل الله شريف²

إن العلامة عبد الحميد الفراهي قد احتل مكانة مرموقة ديناً وعلمًا وأدبًا وفكرًا في الأوساط العلمية، وقد حصل له الإمامة والرئاسة في مجال خاص ألا وهو الدراسات القرآنية، وسأحاول في هذه المقالة أن ألقى الأضواء على نظرياته التي كانت وراء تجديد "دار العلوم" وجعلها مركزًا مهمًا لتجاريه التعليمية إلى أن تطورت إلى الجامعة العثمانية، وكذا سنتحدث عما كان لها من أثر كبير على المدارس والمراكز التعليمية، هذا هو المقصود من هذه المقالة الوجيزة. وما توفيقي إلا بالله العزيز الحكيم.

لقد كتب الشيخ عبد الحميد حياته بقلمه بإيجاز وهي توضح أفكاره العلمية والعملية: "إني ولدت في قرية "فريه" من قرى أعظم كره في 1280 هـ في شهر جمادى الثانية وحفظت القرآن المجيد وأنا ابن عشر سنين أو بقرب منها، وتعلمت اللغة الفارسية في مدة تسعة أشهر ولكن لم اشتغل بها إلا بعد عامين لتتابع الأسقام وشرعت في تعلم اللغة العربية وأنا ابن أربع عشرة سنة وقرأت أكثر كتب الدرس النظامي على ابن عمنا العلامة شبلي النعماني ثم تلمذت على بعض مشاهير علماء الهند مثل مولانا عبد الحي الفرنجي محلي في لکنؤ والأديب الشهير مولانا فيض الحسن السهارنفوري في بلدة لاهور ثم كابدت الأمراض ولم اشتغل

¹ كاتب من حيدرآباد لم نجد شيئًا من أخباره² أستاذ مساعد، كلية إيه كيه إيم الشرقية التابعة بالجامعة العثمانية، غاتشي غوره،

بتحصيل علم مدة سنة ثم شرعت في تعلم اللغة الإنكليزية وفنونها المتداولة وبعد ذلك بقيت سنتين، أحصل علم القوانين الجارية مع كراهيتي الاشتغال به فنبذته وتوليت خدمة التعليم في مدارس عديدة فكانت المعلم (بروفيسر) في كلية عليكره وكلية إله آباد والصدر (برنسپل) في كلية حيدر آباد دكن.

ولما كان هذه المشاغل تمنعني عن التجرد بمطالعة القرآن المجيد لا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها، غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، فتركت الخدمة ورجعت إلى وطني وأنا بين خمسين وستين من عمري. فيا أسفى على عمر ضيعته في أشغال ضررها أكبر من نفعها ونسأل الله الخاتمة على الإيمان". (مجلة "الضياء" لکهنؤ 1"7، رجب 1382 هـ نوفمبر 1933، ص 22-23 وذكر فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ص 22-23)

قد تربع العلامة على منصب رئيس المدرسين في دار العلوم حيدرآباد في يونيو 1914 هـ حيث احتلت دار العلوم درجة الكلية الشرقية، ولذا يلقب رئيسها بالمدير (وهو في الظروف المتغيرة تسمى بالمدرسة العليا) وإني قد نلت شهادة الثانوية العليا من هذه المدرسة، ويلقب رئيسها مديراً للكلية بالنسبة للمدارس الأخرى) أسست المدارس الشرقية العليا في الحكومة الأصفية حسب المشروع للعلوم الشرقية التي وضعها العلامة شبلي النعماني سنة 1901-1905 م، تم إعداد المقررات الدراسية الخاصة التي تمزج بين العلوم القديمة والجديدة، يلقب خريج هذه المقررات بـ"مولوي" تم يلتحق الطالب لنيل شهادات عليا من "عالم" و"فاضل" و"كامل" بمدرسة "دار العلوم" (ألف).¹

نظراً إلى المشروع التي أعدته دار العلوم بندوة العلماء مست الحاجة إلى التغييرات في المقرر الدراسي، فجاء تعيين الأساتذة الجدد بهذه المناسبة، فقدّم الدكتور

¹ الرقم المسلسل: 571، قسم التعليمات للحكومة العالية 1318 ف.

سراج الحسن مدير قسم التعليمات في الحكومة الأصفية مشروعًا كاملاً باسم "إصلاحات مدرسة دار العلوم" ثم أرسل هذا المشروع الجديد إلى السيد أكبر علي نذر حيدر بعد إعادة النظر عليه من قبل مستشار الشؤون التعليمية السيد مهيو (Mhew) أنه أوصى بعد مشاورة طويلة بالعمل على المشاريع الإصلاحية لعبد الحميد الفراهي، أنه يشغل منصب البروفيسور في كلية إله آباد "ميور سنترل" آنذاك، فقد أشار العلامة شبلي النعاني على النواب سيد حسين البلغرامي عماد الملك أن يحصل على خدمات العلامة لدار العلوم، وأن يخبر بذلك المسؤولين في الحكومة.

إنه حقل على العلامة الفراهي مسؤولتين: (1) إصلاح المقررات الدراسية لدار العلوم، (2) رسم الخطة التعليمية الجديدة لها.

فقد برزت نتائج تلك المجهودات المبذولة في مجال التعليم في شكل الجامعة العثمانية في نهاية المطاف، ولكن العلامة بنفسه لا يعلم مدى أهمية هذا العمل، هذه الإصلاحات التي قام بها الفراهي في مجال التعليم يمكن مطالعتها في هذا الكتاب الذي أحيل فيه إلى مقالاتي غير المنشورة ضمن المقالات المشار إليها في "ذكر فراهي"، والهدف الأساسي لهذه الورقة هو البحث عن أفكار الفراهي وخاصة معالجة آرائه في العلوم الجديدة، ولذا أكتبها هناك (ب).¹

الهدف الأساسي لدراسة التاريخ:

أدخلت مادة التاريخ في المقررات الدراسية لمرحلة "كامل" لدار العلوم، ولا يراد بها تعليم دروس الكتب، بل الهدف الأساسي منها اقتناء المعلومات عن طريق الدراسة المتأنية، وإفادة الطلاب بها، وما يوجد من الكتب في التاريخ في العربية والفارسية قد كتبت ضمن البرنامج اليومي (Chronicle)، وكُتبت سردًا من غير تعمق، لا تتعرض

¹ الرقم المسلسل: 571، قسم التعليمات للحكومة العالية 1318 ف.

للسياسات، والثقافات والمذاهب وفلسفة الأخلاق، وكذلك ينقص فيها البحث عن الأسباب والعلل والحوافز، ولكن أهل الغرب جعلوا التاريخ فناً مستقلاً، واستفادوا في البحث والتحقيق من العلوم المختلفة، حتى لا نحيط بأسماء بعض العلوم، وقد أضيف إلى المقرر الدراسي المقترح، بجانب فن التاريخ، علم التمويل والاقتصاد الذي يحوي مباحث طويلة ذات النزاع والشقاق، وكذلك لا نترك كتب التاريخ العنوب الأدباء، كمثّل التاريخ الوصاف، والدورة النادرة، والفتح القسي، وتاريخ اليميني وغيرها، نظراً إلى هذه الأسباب لا بد من تعيين أستاذ له إلمام تام بالعلوم الغربية بجانب براعته في اللغة العربية، كما يكون له نبوغ وتضلع تام في علم الاقتصاد والتمويل.¹

كما نرى أفكار الفراهي واضحة في تدريس العلوم الجديدة الفرعية الأخرى مثل العلم الحديث، والرياضي وغيرهما، ويمكن ملاحظتها في "ذكر الفراهي" كما كان من المساهمين في اللجنات المختلفة في تأسيس الجامعة وقد انضم إلى الأعضاء الأربعة للجنة الذين وضعوا الدستور (المنشور) والمقرر الدراسي والاختبارات للعلوم الجديدة واللجنة لقسم العلوم الدينية، وكان عضواً من أعضاء الأربعة للجنة كمثّل رئيس المدرسين لدار العلوم، أعني عبد الحميد الفراهي، هذه المراسلة المكتوبة بخط يده مصونة عند الحكومة الإسلامية، ومنشورة بعين الحروف في الجريدة الإعلامية للسلطنة الأصفية باسم " دستور الجامعة العثمانية" وكذا كان عضواً من الأعضاء التسعة في الدرجة الرابعة في الرقم في لجنة الاختبارات للأداب (Arts Examinations) للجامعة العثمانية، أعدت هذه اللجنة التي انعقدت في الفترة ما بين 3 و17 يوليو عام 1917م، المقرر الدراسي لكل من الصفوف الثانوية، الثانوية العليا، والبكالوريوس.

كما تم إعداد لجنة أخرى لاختبارات قسم العلوم الدينية (Theology) وهي تضم تسعة أعضاء، كان العلامة حميد الدين (عبد الحميد) مدير دار العلوم وهو في

¹ الرقم المسلسل 471، قسم التعليمات الحكومة العالية.

الدرجة الأولى من أعضاء اللجنة، أعني أنه كان رئيساً لهذه اللجنة، حكاية هذه اللجنة التي انعقدت في الفترة ما بين 6-7 من شهر أكتوبر عام 1917م، تم فيها تعيين أوراق الامتحانات لكل من أقسام الثانوية، الثانوية العليا، "عالم" و"فاضل"، (فليراجع للنموذج لأوراق الامتحان لـ "عالم" و"فاضل" في الضميمة "ألف" و"ب")

متن الخطة المطبوع للجامعة العثمانية:

"تأسيس جامعة للحكومة الأصفية تدرّس العلوم الجديدة والقديمة وكانت نموذجاً للمزج التام بين العلوم الجديدة والقديمة، وبين العلوم الشرقية والغربية وفنونها وتعمل لتقليل المناقص في المقررات الدراسية الرائجة، يمكن بها الاستفادة من محاسن التعليم القديم والجديد للجسم والدماغ والعاطفة على السواء، وهي تعمل لإبلاغ العلم في جانب والإشراف على إصلاح القيم والأخلاق في جانب آخر، كما استمر عمل التحقيق في الأقسام الكلية العلمية من غير توقف، وأن يكون أساس هذه الجامعة توفير التعليم العالي في اللغة الأردية.¹

آراء المتصلعين في خطة الفراهي الإصلاحية لدارالعلوم:

قدّمت هذه الخطة بعنوان تشكيل هيئة دارالعلوم إلى ناظر التعليمات السيد أكبر حيدري، فلما طلب النواب عماد الملك الاستعراض على الاقتراح، حرّر السيد أكبر حيدري انطباعه هكذا:

"فما قدم القرار حول تشكيل هيئة دارالعلوم أليق وأنسب وأثمن اقتراح، وإن عمل بهذه الاقتراح، فتحيى دارالعلوم حياة طيبة، وتصبح كلية عالية مستقلة، فلما قدم الاقتراح، قال: أنا منتظر له منذ مدة طويلة، فيزداد أتباعه وأشياعه على مرّ الأيام إن شاء الله، وكما يتضح الأمر بعد التفكير الطويل بأن انتشار العلوم وترويجها والتفكير في المسائل العلمية واستقرارها في الذهن ليس أمراً

¹ الرقم المسلسل 1/ 25، قسم التعليمات الحكومية العالية 1335هـ.

سهلاً، ولكن يصعب حصول هذا الهدف بحد أقصى لما قرّرت اللغة الأجنبية وسيلة لحصول هذا الهدف، اللغة التي لا يولع بها الطلاب المبتدؤون الذين يدرسون في المدارس العلوم مثل التاريخ والجغرافية، والرياضيات، والإقليدس وغيرها، فالهدف الأساسي لتعليم هذه العلوم، هو تفهيم الطالب هذه العلوم وتحفيظها، وإن يتعلم الطالب هذه العلوم بواسطة اللغة الأجنبية غير اللغة الأم فيثقل عليه الأمر ويصعب بكثير، فالأمر الأول فهم الكلمات والتعابير والجمل والتراكيب وحفظها، وكذلك فهم المسائل العلمية واستقرارها في الذهن ضمناً، ليستفيد من هذه العلوم، وهذا شيء مستبعد، ولذا نرى الطلاب في المدارس الإنجليزية أنهم لم يبلغوا في الأعوام العشرة أو الاثني عشر إلى درجة الثانوية، ضغطاً على أباله أنهم لا يتمكنون على اللغة الإنجليزية بعد تكابد هذه المشاق الصعبة، ويشكل عليهم فهم المحاضرات العلمية، ولا يقدرّون على كتابة اللغة الإنجليزية، ويقتضي العقل وتأييده التجربة أن يدرس الطالب الإنجليزية بصورة مستقلة كهدف أساسي كاللغة الأجنبية، وأما العلوم المذكورة أعلاه فيدرّسها في اللغة الأم، وهكذا يمكن الحصول على تلك الأهداف، ولا يحتاجون إلى تضييع الأوقات كما هي العادة.¹

ولا يتفق ناظر التعليمات السيد الما لطيفي على ما قدّمه العلامة الفراهي من الخطة التعليمية لأسباب عديدة، فجعله هدفاً لسهامه:

"ألتمس بأن هذه المشكلة تحتاج إلى التفكير الكثير، ويعتمد مستقبل دار العلوم وتطوره على الحل والعلاج لهذه المشكلة، قبل تكوين الرأي العام في هذا الصدد أولاً لا بد من توفير هذه المعلومات بأنه كيف يوقّر التعليم؟ وفي أي موضوعات؟، وإلى أي مدى؟، حتى لا بد من إحاطة معلومات حول اقتراح تشكيل اللجنة التي وضعت للتنظيم والإشراف على المدرسة، كيف تكوّن اللجنة، وكيف تترتب آثارها؟ ومن هم

¹ الرقم المسلسل: 471، قسم التعليمات للحكومة العالية 1323 ف (1908-1913م).

أعضاؤها؟ وهل يسهل لنا الحصول على مثل هؤلاء الأعضاء؟ والأمر الثالث: كيف نوّقر الأساتذة؟ ومن أين نحصل عليهم لتدريس هذا المقرر الدراسي الجديد".¹

فقدّم العلاج للأزمة التي قدّمها السيد الما لطيفي في تقرير اللجنة التي تم تشكيلها على قدوم العلامة الفراهي في مدينة حيدرآباد عام 1324هـ/1914م، والتي قدم تقريرها عام 1326هـ/1916م، وقد وجد الما لطيفي الجواب للأسئلة بعد تأسيس الجامعة العثمانية، وهي أول جامعة أسّست لتوفير التعليم في اللغة الأردية في الهند، ولا نعلم هل تم إعداد المقرر الدراسي لها، وتوفير الأساتذة لتدريسها، وهل تم تعيين الأعضاء للمجلس الأعلى (Senate) لهذه الجامعة، ولكن تم الإعلان لتأسيس الجامعة العثمانية في العام المقبل، لا بد هنا من النظر في التقرير مشرف التعليم السيد أكبر حيدري :

"أول عمل للجامعة العثمانية وهو إعلان المقرر الدراسي لها، وهو لا يختلف عن المقرر الدراسي الماضي، وأنا أرى أن لا يعمل على هذا المقرر الدراسي، ولكن نصونه كمرجع، لكي نهتدي به في إعداد المقرر الدراسي للجامعة، وكذلك نهتم بتلك الاقتراحات التي قدّمها اللجنة عند إعداد المقرر الدراسي للجامعة".²

فكذلك نظريات العلامة الفراهي في تعليم العلوم الجديدة قد قدّمها عندما كان رئيساً لدار العلوم، ولكن مجهوداته الأولية مشكورة في بداية تأسيس الجامعة العثمانية، بل استفيد من تلك المجهودات بعد.

التفاصيل الملحق

الملحق ألف، ب

ممنوع البيع والشراء

¹ الرقم المسلسل: 78، قسم التعليمات للحكومة العالية 1325 ف (1914م).

² الرقم المسلسل: 78، قسم التعليمات للحكومة العالية 1324 ف (1914م).

التصميم البدائي للبيانات للمقررات الدراسي للبكالوريوس لقسم العلوم الدينية
للجامعة العثمانية.

اللجنة

السادس والسابع / أكتوبر 1917م

1. مولوي حميد الدين B.A. عميد، دار العلوم.
2. مولوي حبيب الرحمن الأستاذ في قسم العلوم الدينية، دار العلوم.
3. مولوي عبد الواسع الأستاذ المساعد في قسم العلوم الدينية، دار العلوم.
4. مولوي عبد القادر الأستاذ في قسم الأدب العربي، دار العلوم.
5. مولوي عبد الحي الأستاذ المساعد في قسم الأدب العربي، دار العلوم.
6. سيد شير علي الأستاذ في قسم الفلسفة والمنطق، دار العلوم.
7. مولوي محمد ركن الدين مفتي مدرسة النظامية سابقاً، ومدرس الأمراء حالياً.
8. مولوي محمد مرتضى عضو جمعية الطلاب القدامى، دار العلوم، وسكرتير المؤتمر التعليمي لحيدرآباد.
9. حاجي حافظ محمد مظاهري.

اختبار الثانوية (قسم العلوم الدينية)

1. لا بد من الاجتياز للمرشح في مقالات الاختبارات العامة قبل الالتحاق بقسم العلوم الدينية.

1. اللغة الإنجليزية (تتضمن على ورقتين).

a : مرئية: من كتاب المقرر ورقتان، ورقة للنثر، وأخرى للشعر.

b : غير مرئية: تتكون من مقال باللغة الإنجليزية والترجمة من الإنجليزية إلى الأردية.

II-تاريخ بريطانيا والهند.

III-جغرافية العالم مع إشارة خاصة إلى الهند.

IV-الرياضيات: كما هو الوضع في شهادة الثانوية العامة في بومباي مع
إضائة (Mensuration)

V-اللغة العربية.

VI-(Moslem) العلوم الدينية.

2. يجب عليه تقديم شهادة للمدرسة الثانوية التابعة بالجامعة العثمانية لإتمام
دورة مرضية في المادة التالية.

1-الأردية.

2-العلوم الطبيعية (كما هو المحدد حيدرآباد وترك شهادة المجلس)

3-الرسم

4-الرياضة البدنية.

اختبار المدرسة الثانوية العليا

(عالم)

لا بد للمشاركة في الاختبارات للمدرسة الثانوية العليا (لقسم العلوم الدينية)
المؤهل العلمي لمدة عامين للكلية التابعة للجامعة العثمانية.

مادة الامتحان كما يلي:

1. اللغة العربية (للأوراق)

ألف: النثر: (المنتخب من مقدمة ابن خلدون)

ب: النظم: حماسة (باب المراثي والأدب)

ج: البلاغة والعروض:

1- عروض المفتاح

2- نهاية الإيجاز

د: المسابقة العربية.

2. الفقه والأصول (المنطق الابتدائي)

ألف: شرح وقاية (النصف الأول)

ب - نور الأنوار

ج - شمسية.

3. الحديث وأصوله:

ألف - موطا امام محمد

ب - نخبة الفكر.

4. التفسير: الهداية إلى الصراط المستقيم.

5. العقائد مع عناصر مع وراء الطبيعية.

ألف: شرح عقائد النسفي

ب: إلهيات، زبدة الحكمة.

6. اللغة الإنجليزية (ورقتان) .

a- مقال وتكوين.

b- ورقة عن كتاب محدد يحمل المواضيع الإسلامية.

اختبار BD

(فاضل)

يحق للمشرح في اختبارات B.D بعد حضور مرضي في الكلية التابعة للجامعة العثمانية لمدة عامين بعد اختبار الثانوية العليا في العلوم الدينية مادة الاختبار كما يلي:

ا- اللغة العربية وآدابها (الأوراق الأربع)

ألف: النثر: منتخب من مقامات الحريري (10)، أسرار البلاغة.

ب: النظم: 1- بقية الحماسة، 2- منتخب المتنبي، 3- المعلقات السبع.

ج: البلاغة: نقد الشعر.

د: تكوين العربية.

II- الفقه والأصول:

1. هداية (النصف الآخر)

2. توضيح

3. كتاب الحج (الإمام محمد).

III- أحد الموضوعات التالية.

ألف: التفسير: 1- جلالين، 2- مدارك (سورة البقرة)، 3- أسباب النزول (السيوطي)، 4- الناسخ والمنسوخ (النحاس)، 5- الفوز الكبير.

ب: الحديث وأصوله: 1- الترمذي، 2- البخاري إلى كتاب الصلاة، 3. موضوعات السيوطي، 4- شرح نخبة الفكر .

ج: الكلام وأصول الدين: 1- حجة الله البالغة (القسم الأول)، 2- شرح طوالع. IV- اللغة الإنجليزية (ورقتان).

-a مقال وتكوين

-b ورقة عن كتاب محدد يحمل المواضيع الإسلامية.

أكبر حيدري

ناظر التعليمات للحكومة الأصفية.

في
ملكوت الله

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

(صاحب تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان")

الدائرة الحميدية ومكتبها

كلمة الجامع

حامدًا ومصلّيًا وبعد،

فإنّ هذا المجموع يشتمل على مباحث مهمة لأستاذنا المعلم الفراهي رحمه الله تعالى، اختزنها لكتابه "في ملكوت الله". ولا شك أنّ علم الملكوت، كما قال أستاذنا المعلم رحمه الله، من أعظم المعارف القرآنية وأهمّها، لا يستقيم الدين الحق ولا يطمئن القلب والعقل إلاّ بها. وهي معرفة ملكوت الله وعدله، وأنّ الله حاكم في الأرض والسماء، وليس شيء خارجًا عن ملكه، وكل شيء يجري حسب رضاه وإذنه وتصريفه، ولا شك أنّ الإيمان بصفاته تعالى من كمال قدرته وإحاطة علمه، وحبّه العدل والحق، لا يدع محلاً للشك في أنّ كل شيء يجري حسب حكمه وحكمته، ولا تصرف في الأرض ولا في السماء لأحد على ضد حكومته.

ثم قال: إنّ جماع علوم الدين معرفة الرب تعالى بصفاته الكاملة وأهمّها تفردّه بالملك. وملكه بالعدل والرحمة، وتمام الرحمة والعدل في الدنيا كافلة بإتمامها في الآخرة، فهي صورة ملكوته، كما أنّ أحوال وقائع الدنيا صورة ملكوته المبنية على أصول الحكمة والعدل والرحمة والتربية.

فبعد الوثوق بأنّ أمور العالم وحوادث الأمم تحت حكومة إلهية، ينبغي لنا أولاً أن نعلم الأصول التي تدور عليها الحكومة الإلهية في أمور الأمم من عروجهم ونزولهم. ثم نؤسس قواعدها السياسية موافقة لها ونسوس الملك بها، ليكون لنا رحمة وللاّرض بركة.

ولا يخفى أن كل ما يقع من الوقائع في الدنيا لا يكون إلاّ مترتبًا على ترتيب أخلاقي، فلا تسمو ولا تهبط أمة إلاّ حسب أخلاقهم. والقرآن ملآن من ذكرها، وهو لا يذكر من خير أو شر، من نفع أو ضرر، من عز أو ذل نزل بقوم إلاّ وينسبه إلى حالتهم من الطاعة والعصيان. وينبه على أنّ العالم كله تحت قدرة الله تعالى

وتصرفه، وأنّ أمور العالم كلها تجري حسب حكمه وحكمته. فيجب علينا أن نجعل أساس حكومتنا عليه، ولو أسست حكومتنا على هذا الأساس لكانت أحتّ على الخير وأنفع للعالم، ولكنهم إذا لم يبنوها عليه بل قصرُوا النظر على ظواهر الوقائع وربطوها بأسباب غير صحيحة فخاب سعيهم ولم ينجح عملهم.

وإذا لم يتعرض لهذا العلم أحدٌ من علمائنا فأراد أستاذنا المعلم رحمه الله أن يكشف القناع عن وجهه ويدوّنه على نهج يتيسر لنا به فهم تاريخ الدين والدنيا، وفهم ما يعامل به الله عباده في الهداية والضلالة، والرحمة والعذاب، وفهم ما جعل الله من التعلق بين الأحوال الدنيوية والأحوال الدينية وعلم سياسة فاضلة موافقة لسياسة إلهية وغير ذلك من المعارف العظيمة التي تتعلق بهذا العلم. ولكنه لم يفرز بها من دون إشارات حقّقها لكتابه هذا. لو تيسر له إتمامها لكان لهذا الكتاب شأن عظيم لفهم معارف مهمة من علوم القرآن. ولكن مع ذلك إذ كانت هذه الإشارات تشتمل على أكثر مسائل مما يتعلق بهذا العلم من موضعه في الدين، ومن منافعه في تربية النفوس وتصحيح الأعمال، ومن فوائده في فهم الأمور الدينية والدنيوية والتعلق بينهما، وتهدينا إلى تأسيس قواعد السياسة، وتبيين ما هو أساس الملك؟ وما هي الخلافة؟ وكيف يكون حاملها؟ وإلى متى تكون هذه الأمانة مع قوم، ثم كيف تسلب وتعطى قومًا آخر؟ وغير ذلك من المطالب المهمة التي تعين على فهم أصل الحكومة وتاريخ الدين والدنيا. فعزمت أن أجمع هذه اللآلي وأنظمها في سلك ثم أعرضها على طلبة القرآن. ليكون لهم دراسة جديرة في علم الملكوت فجمعتها من خزانته العلمية، ورَتَبْتُها حسب ما رأيت مناسبًا لها في هذا المجموع. ولا شك أنه بهذه الإشارات قد أعطانا مفتاحًا لفهم ملكوت الله وأصولًا لتأسيس القواعد السياسية موافقة لها لو تدبرنا فيها. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

غرة محرم الحرام 1391هـ

بدرالدين الإصلاحي

مدير الدائرة الحميدية

ويا بؤس للدنيا شقيًا سعيدها فيا ويل من يسعى لها يستزيدها
فلا يرجعن إلا إلى الضر نفعها ولا يرجعن إلا إلى الشخ جودها
فسيان عندي عدمها ووجودها وصنوان عندي وصلها وصدودها
(للفراهي رحمه الله)

(1) فاتحة الكلام

الحمد لله العليّ العليم، الحكيم الحليم، العزيز الرحيم، والصلاة على رسوله الكريم، محمد المؤيد بآل حم، المبشر بملكوته العظيم في كل كتاب قديم. من صحف آدم ونوح وإبراهيم، وما أوتي عيسى وداؤد والكليم، صلوات الله عليهم والصالحين من ذريتهم أجمعين.

أما بعد، فهذا كتاب من مقدمة "نظام القرآن"، باحث عن مسألة ملكوت الله الجامعة لمعارف مهمة من علوم القرآن التي لا يطلع عليها الطالب إلا إذا قام على هذه النقطة الجامعة التي تنفجر منها أنهار علوم، كأنها نبعت من عين جموم.

وإذ لم يتعرض لها أحد من علمائنا، ينبغي أولاً أن نعرفها ونبين وجوها، ونذكر المعارف التي تحصل منها، حتى يتضح موضعها في علم الدين، ويستبين نفعها لطلاب الطمأنية واليقين.

(2) موضع علم الملكوت في الدين

تذكرة:

اعلم أنّ جماع علوم الدين معرفة الرب تعالى بصفاته الكاملة، وأهمها تفرد به بالملك، فلا ندع لسواه، وملكه بالعدل والرحمة- والمعاد مبني على ملكه وعدله، والنبوة من ملكه ورحمته وعدله، وتأخير المعاد لحكمته وحلمه، ورسالة محمد (ﷺ) كمال النبوة- وتمام الرحمة والعدل في الدنيا كافلة بإتمامها في الآخرة، فهي صورة ملكوته كما أنّ أحوال وقائع الدنيا صورة ملكوته المبني على أصول الحكمة والعدل والرحمة والتربية، والغافلون لا يرونها. فاحتجنا إلى كشف الحجب عن ملكوت الله تعالى -----.

(3) منافع هذا العلم في فهم الأمور

ويتيسر به:

1. فهم تاريخ الدنيا واطمئنان القلب بها، والعلم بأن الأمور إلى الخير. وهي مسألة حكمية.
2. وفهم تاريخ الدين وما وقع ويقع. وفيه البشرى للمتقين. وهي مسألة تاريخية.
3. وفهم أصل الشرائع وحكمها وثبوتها. وهي مسألة جامعة للحكمة والكتاب.
4. وفهم الإنجيل والبشرى للمنتظرين. وفيه بشارة بنبوة محمد ﷺ.
5. وعلم سياسة فاضلة موافقة لسياسة إلهية. (وهو أصل للقوانين وردّها إلى الفطرة والعدل).
6. وتطبيق شريعتنا بالعدل التام، وإثباتها بالعقل من جهة التشريع، وإكمال الدين بها.
7. وفهم ما يعامل به الله تعالى عباده في الهداية والضلالة والرحمة والعذاب والرضى والسخط والتطهير والتبكيث.
8. ومعرفة الرب تعالى من جهة صفته الملك والعدل والرحمة والحكمة، وتحقيق الطاعة والرضا بما قضى.
9. ومعرفة ما جعل الله من التعلق بين الأحوال الدنيوية والأحوال الدينية. وذلك التعلق ينكر به أهل الكبر والهوى، وثبوته من التأمل في ترتب آثار الأحوال الدينية على الأخلاقية، والأخلاقية على الدنيوية مما يجلب السعادة أو الشقاوة -----.

(4) إثبات الملكوت نقلاً وعقلاً

من أعظم المعارف وأهمها التي لا يستقيم التوحيد ولا الدين الحق ولا يطمئن القلب ولا العقل إلا بها، ما هدانا إليه القرآن وجعلها قرينة للتوحيد، هي معرفة ملكوت الرب تعالى وعدله، وإن الله تعالى حاكم في الأرض والسماء، وليس شيء خارجاً عن ملكه، وكل شيء يجري حسب رضاه وإذنه وتصريفه بالرحمة والعدل والحكمة، ولذلك له الحمد في السماوات والأرض كما جاء في سورة البروج: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹ وفي سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾² وفي أول سورة الحديد: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁴ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁵ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ⁶ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ⁷ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ⁸ وفي سورة الزخرف: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾⁹ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ¹⁰ ومثلها كثير.⁵

¹ سورة البروج: 9² سورة الملك: 1³ سورة الحديد: 1-6⁴ سورة الزخرف: 84-85⁵ ولنقرأ بهذا السياق الآيات التي تتعلق بالعالم التشريعي وهي كما يلي:

"أَفَحُكْمَ الْجَهَنَّمِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" (سورة المائدة: 50) و"--- مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (سورة الكهف: 26) و"أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُبْتَغَى

ثم ما صرح فيه من تصرفه في العالم من إنزاله المطر وإنباته الشجر، وتقديره الأقوات، وتسخيره قوى الأرض والسموات. وكذلك ما صرح من تصرفه في البواطن من الهداية وإعطاء السكينة والنور والوحي والتوفيق فكثير جداً.

فهذه عقيدة اتفق فيها العقل والوحي، وإنما لم نذكر دلائل العقل لوضوحها، فإن الإيمان بصفاته تعالى من كمال قدرته، وإحاطة علمه، وحبه العدل والحق لا يدع محلاً للشك في أن كل شيء يجري حسب حكمه وحكمته، ولا تصرف في الأرض ولا في السماء لأحد على ضد حكومة الله تعالى -----.

(5) المذاهب الباطلة في ملكوت الله

ولكن للأنظار العاكفة على الظواهر، والقلوب المرفرفة على الشهوات ظنوناً وأوهاماً، لما إنهم يشاهدون في الدنيا من المعاصي والآلام، بل ربما يرون غلبة الجور والفسق وهضم الأبرار وطغيان الفجار، فمنهم: من آمن بإلهين كالمجوس¹. ومنهم: من قال بأن الدنيا تحت حكم الشيطان كالنصارى².

حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا --- ﴿١١٤﴾ (سورة الأنعام: 114) و"أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾" (سورة آل عمران: 83)

¹ ولما وجد المجوس أن هناك شرًا يرافق الخير ولن يمكن عزو الشر إلى خالقهم تعالى لأنه هو الخير كله فظنوا أن هناك إلهين أحدهما إله الخير والآخر إله الشر كما زعموا أن هذين الإلهين يتخاصمان ويريد أحدهما أن يغلب الآخر، ولكن هذا الخصام ينتهي إلى فتح إله الخير على إله الشر، ولهذا فقط بل سَمَوْا هذين الإلهين باسمين مختلفين فسمّوا إله الخير بـ"يزدان" كما سَمَوْا إله الشر بـ"أهرمن" ولكن فكرة وجود الإلهين خاطئة يبطلها الانسجام التام في كل أشياء الكون. وإذا تشبّت الآلهة فلا بد من أن يتولّد التفريق والتدمير فيما بينهما.

² وقد أول النصارى وجود الشر في هذا العالم بأن الله تعالى خلق هذا العالم ثم تقعد عن مسؤولياته فغلب الشر الخير شيئاً فشيئاً. وهذه الفكرة باطلة بطلاناً لا يحتاج إلى دليل على بطلانها.

ومنهم: من زعم أن السيئات بخلق العباد كالمعتزلة. وأما آلام الأطفال فميتوا فيها.

ومنهم: من زعم أن الآلهة يتفرجون بما يجري في العالم كمشركي اليونان.

ومنهم: من جحد بالإله الحي وتمسك بأن الشر والإثم يناقضان كمال القدرة مع كمال العلم والرحمة كملاحدة كل قرن.

فهذه خمسة مذاهب بين الكفر والشرك والضلالة نشأ كله من قصور النظر.

وأما حل الشبهة، فله طريقان: إجمالي وتفصيلي.

أما الأول: فهو الإيمان باليقين والتوقف عند الشك. ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾¹ وهذا طريق واضح للراسخين في العلم. فإن علومنا غير محيطة بكل شيء، فنؤمن بما نعلم ونسكت عن المجهول. كما قال النبي سليمان عليه السلام في وعظه: صنع الكل حسنًا في وقته، وأودع الحكمة سرائر ما خلق، ولا يدرك الإنسان أفعال الله من البداية إلى النهاية، أي لا يحيط بتمام كنهها. وهكذا جاء في القرآن: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾² وكما قالت الحكماء من الرواقيين بأن كل ما يجري في العالم فهو حسن لما فيه من الحكمة. إما ظاهرة أو خفية، وعقولنا قاصرة، فكيف تحيط بكنه كل شيء؟ وإنما قالوا بذلك ليقينهم بالإله الواحد الحكيم الكامل، فإن العقل لا محيص له عن الإيمان به، وليس هذا محل بحثه، وبيانه في كتاب "حجج القرآن".³

وأما الثاني: فهو حل هذه الشبهة، ولها شعبتان: الأولى من جهة منشأ المعاصي في النفوس. والثانية من جهة وجود الآلام والبؤس. فنجليهما في فصلين.

¹ سورة النجم: 28

² سورة السجدة: 7

³ طبع هذا الكتاب من الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح في 2009م

(6) منشأ المعاصي في النفوس

إنما شرف الله النفس بالعقل والاختيار، لتستحق أعلى الدرجات. فألهمها الفجور والتقوى. وبلاها بهما، وقلها في أطوار الصبر والشكر والعبودية والإنابة. وعرجها مقامات الرحمة والحب والتزكية، حتى تنخلع عن وجودها وتنفى في العبودية الكاملة كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾¹، وكما قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾² (أي وهبناه فهمًا وتمييزًا) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ (أي بعد أن جعلناه سميعًا بصيرًا، لكي يرى السبيل ويسمع ما يلقي إليه. وأريناه سبيل السعادة والفوز باستعمال العقل بعد استعمال السمع والبصر) ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾³ أي فصار باختياره إما شاكراً باتباعه أو كفوراً بالتكبر عنه. وهكذا قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾⁴ فقله ﴿هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ كقله ﴿هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الخير والسعادة كما بين عقيب ذلك.

وهذا الابتلاء ليس إلا جزءاً من الخلقة والإنشاء. فإن الله تعالى يبرز ما أودع الطباع، فيخرج من النفوس أسرارها، كما يخرج من الأرض حبها وأزهارها. وإنما الفرق بأن النفوس أودعت العقل والاختيار، فصار ابتلاؤها بأعمال قواها، فجاءت بالحسنات والسيئات ثم أودعها قوى تبرز الخير من شرها كالصبر والندامة، فحمل الله النفوس أمانة عظيمة، وهي احتملتها أيضاً باختيارها. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁵ (أي لما أن قوى الإنسان من التقوى والعقل مودعة فيه.

¹ سورة الملك: 2

² سورة الإنسان: 2-3

³ سورة البلد: 8-9

ولا تكمل حتى أن يصبر تقياً. ألمعياً وكان له الاختيار من الأول، وإلا لم يترق ويسبق جميع الخلائق. فسمّاه الله سميعاً، بصيراً لما أودع فطرته كما مر له شاهدان، وظلوماً، جهولاً لبداية أطواره لوجوه آخر كما هي مبسوطه في موضعها ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (هذا بيان النتيجة لا بيان العلة) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾¹ فدلّ على أن الله تعالى لم يزل ولا يزال غفوراً رحيمًا. فليس من شأنه إلا الرحمة والمغفرة إلا أن يأبى الإنسان فإن حالة النفس ليست إلا في يده فإن البر والفجور لا يكون كرهاً بالبيداهة، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾².

وهذه منزلة عظيمة فضّل الله الإنسان بها وجعله خليفته كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾³ أي بعد أن جعله خليفة لا يكرهه فيكون مسخرًا وهذا خلف. ولما كان الاختيار نعمة من الله عليه لم يكن ذلك معارضاً لاختيار ربه، فلا إشكال كما زعم القديرون، وأعرضت عن بحث الجبر والاختيار اختياريًا لذكره في كتاب "القائد إلى عيون العقائد". وهناك ترى أن ليس في القرآن آية تدل على الجبر في بداية الأمر.

فعلّمنا أنّ سيئاتنا ظلال نعمة الاختيار وخطوات النفس في عروجها، فإنها كالطفل تتربى في مهد. وفي قصة آدم بين هذا الأمر. وقع نظر الملائكة على سيئات الإنسان فأجابهم الله بأنكم لا تعلمون أسرار الحكمة، وأثبت شرف آدم بعلمه الكلي، ثم بدأ

¹ سورة الأحزاب: 72-73. خلق الله تعالى الإنسان ثم أعطاه حرية الاختيار فالعمل، فعندما يسيء المرء استخدام حريته فيظلم الناس فهذا يعني أنه "ظلوم" وكذا حينما يرتكب السوء بعد معرفة عواقبه فهذا يعني أنه "جهول". ولهذا المعنى الأخير آيات عديدة مثل قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ---﴾⁴.

² سورة النجم: 39

³ سورة فاطر: 39

آدم سلوك عقبات الاختيار، فهبط وصعد واتهم وأنجد، فوعدنا الله بالوحي بنجاتنا وطهارتنا عن السيئات، بل صرح برجاجة قدر التائب كما جاء في سورة آل عمران¹ وضرب له في الإنجيل مثل الخروف الضال، وقد جاء في حديث "المسافر وراحلته"² عين ما قال عيسى عليه السلام³ وإنما الاختلاف في نهج البيان.

¹ "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَلْحَقْهُ الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا" (سورة آل عمران: 40).

² ذكر مسلم أحاديث عديدة بهذا المعنى في كتاب التوبة من صحيحه فننقل رواية واحدة: "قال رسول الله ﷺ: لله أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"، رقم الحديث: 8.

³ جاء في الأصحاح (15) من إنجيل لوقا: "أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا، أَلَا يَتْرُكُ الْتِسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ فِي الْبَيْتِ، وَيَذْهَبُ لِأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكَبَيْهِ فَرِحًا، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الْأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلًا لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِيَ، لِأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالًّا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَخْتَا جُنُوحًا إِلَى تَوْبَةٍ. أَوْ أَيُّ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةٌ ذَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَمًا وَاحِدًا، أَلَا تُوقِدُ سِرَاجًا وَتَكْنُسُ الْبَيْتَ وَتُقَشِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدْتَهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِيَ لِأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. هَكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قَدَامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ. وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِلْأَبِي: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةِ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَدَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. فَلَمَّا انْقَضَتْ كُلُّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالتَّصَقَّ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حَقُولِهِ لِيَرْغَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَرِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخَرْتُوبِ الَّذِي كَانَتْ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لَأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزَ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدْ أَمَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدَ أَنْ أَدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَى أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي،

فهذا حل شبهة وجود السيئات والآثام. وأما وجود الآلام فنذكره في الفصل الآتي.

(7) منشأ الآلام والبؤس

اعلم أن وقائع الدنيا كما تسمعها وتقرأها في التواريخ. هي ذات ظهر وبطن. فظاهرها: غلبة أمة على أمة. وتداول الأيام بالخير والشر. والنعيم والبؤس، والشرف والهبوط.

وأما باطنها: فله وجهان: مستقيم ومعوج، وحق وباطل.

أما المعوج الباطل: فربط الوقائع بأسباب غير صحيحة أو نسبتها إلى الاتفاق. كأن أمور العالم ليس فيها حكمة وخير. وكأن الخلائق ذاهبة إلى غير غاية إلى ظلمة عمياء وهوة هوها.

وأما الوجه المستقيم: فربط كل ما يقع من النفع والضرر، والعز والذل، إلى مشيئة الله لأسباب جديرة بها.

وهذا القسم من التاريخ لا نجد إلا في الكتب المقدسة. فإن رأيت التوراة وصحف الأنبياء تراها لا يذكر من خير أو شر نزل بهم إلا وتنسبه إلى حالتهم من الطاعة أو

أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدْ أَمَكُ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الْآبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْخَلَّةَ الْأُولَى وَالْبُسُوءَ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَجَذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلُ وَنَفْرَحَ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقُرْبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلَاتٍ طَرَبٍ وَزَقَصًا. فَدَعَا وَاجِدًا مِنَ الْعِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لِأَنَّهُ قَبِلَهُ سَلَامًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لِأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخَذْتُكَ سِينِينَ هَذَا عِنْدَ هَا، وَقَطُلْتُ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدِيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الرِّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! فَقَالَ لَهُ: يَا بَنِيَّ أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرَحَ وَتُسَرَّ، لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ». (4-32)

العصيان. وهكذا ترى في قصص القرآن، كلها عبر ونصائح، تذكرنا جزاء الأعمال، ثم صرح القرآن بهذا الأصل كل الصراحة بآيات عديدة:

فمنها: في سورة الرعد حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ١﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ٢﴾. ¹ (أي إذا غيروا ما بأنفسهم وتركوا سبيل الخير، فأراد الله أن يذيقهم نتائج ذلك، فليس لأحد أن يرد هذا بحيلة وتدبير، ويقمهم من بأس الله، ثم بين أن التصرف بيده وجميع القوى في قبضته، فمثل لهم بعض ما كان على غاية الجلاء فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ٣﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خَيْفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ٤﴾ ² فبين أنه جعل القوى حاملة للخير والشر، ولا يصيب أحداً شيء إلا بمشيئته، فعلمنا أن كل ما ينزل على القوم من حيث المجموع أو على الأشخاص انفراداً، فهو بمشيئته منه تعالى كما بين في أول آية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ فإن الآية تبتدأ هكذا: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ فبين تعلق مشيئته وأمره بالأفراد مرتين، وعلى عموم تصرفه آيات كثيرة ولا حاجة هنا إلى استقصائها.

ومنها: في سورة الروم حيث قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١﴾ ³ في هذه الآية بين أن هذا العذاب عليهم ليس إلا لمصلحة أن يرجعوا عن السيئات، وهكذا يقع كما سنفصله.

¹ توضيحها الآية 53 من سورة الأنفال حيث قال تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٣".

² سورة الرعد: 11-13

³ سورة الروم: 41

الحوادث ليس في يد الرب، كأنهم أنكروا بذلك ربوبيته تعالى. ثم بين هذا الدليل العقلي بأمور تاريخية فقال: ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾¹ فبين أن عذابهم كان نتيجة لأعمالهم وليس من شأن الله تعالى أن يظلم العباد.

فهذا هو التعليم الصحيح في فهم الوقائع التاريخية، ومن قصر النظر على ظواهرها ولم يربطها بالأخلاق خاب عمله في هذا العلم وهلك لغروره كمن يظن اليلمع ماءً -----.

(8) فهم الملكوت من التاريخ

ثم إذا نظرنا في أمور الأمم من عروجهم ونزولهم وتفحصنا أحوالهم حسب ما يعلمنا الكتب المقدسة، ولا نوجهك إلى قصة عاد وثمود وفرعون وتبع وهابيل وقابيل، بل إلى حوادث تشهدها أو شهدت بها التواريخ الجديدة التي لم يكتبها المؤرخون لغرض ديني، فترى الشرور تجلب الذلة والخسف على أهلها، والخيرات تمنح البركات لذويها. وإنما خفي هذا الأصل لسببين:

السبب الأول: حميتهم الجاهلية وازدراؤهم الأجانب لا سيما الذين غلبوا عليهم. مثلاً لا تسمح نفوس الفرس ولا الهنود ولا الآريين بأن يدعنوا لفضيلة حكومة المسلمين، ولا نفوس المسلمين بأن يقرروا بمزية سلطنة الإنكليز والفرنسا، ولا قلوب الروس بشرف اليابان في مكارم الأخلاق، كما قالت اليهود حين بعث الله طالوت ملكاً عليهم فقالوا ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ (فأجابهم نبيهم بما دل على فضيلته) ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي

¹ سورة الروم: 1-9

الْعِلْمُ وَالْجِسْمُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٧﴾^١ فبين أن الملك لله وهو يعطي ويسلب كما يشاء وهو قادر فلا يمنعه مانع، و"عَلِيمٌ" فيحكم بالحق والعدل. والسبب الثاني: أن النتائج لا تأتي من فورها بل بالتدريج وبعد آجال الوسائط، ولو كتبوا التواريخ حسب هذا الأصل لكان أحسن وأقرب إلى العقل وأحس على الخير -----².

¹ سورة البقرة: 247

² من إفاداته رحمه الله تعالى:

التاريخ

(1) التاريخ حكاية أحوال البشر، وله قسمان: رواية وتعمق. أما القسم الأول: فليس إلا جمع الوقائع بالترتيب الزمني من غير بيان الربط بينها وطلب الأسباب والآثار لها. وأما القسم الثاني: فهو جمع الوقائع بالترتيب العقلي مع الزماني، فالمؤرخ يلتزم طلب السبب لكل ما وقع؛ لنعلم أن كل متأخر نتيجة لمتقدم، والتاريخ بكلا قسميه ليس إلا ما مضى وغاب عنك من أحوال بني نوعك. وللعلم فوائد لا تعد، ولكن الآن نتعرض لهذا العلم من جهة دينية. (2) فاعلم أن للتاريخ قسماً ثالثاً دينياً. وذلك أن الوقائع مرتبة ترتيباً أخلاقياً، وأن العالم تحت قدرة الله تعالى وتصرفه، ومن هذه الجهة ترى الكتب المقدسة متباعدة لسائر كتب التاريخ فإن الأمة تسمو وتهبط حسب أخلاقه ----- ومن إفاداته رحمه الله تعالى:

الذم والمدح في التاريخ

القضاء حسب النتائج لا يصح إذا لم يعبا بما خالط الأمر ممن أساء. من أورث قوفاً قوى عظيمة، فأساء الخلف استعمالها؛ فلا ذنب على السلف، بحسب شرف منزلة السلف تكون تبعات الإساءة؛ والسلف لا يعلم الغيب، وليس بيده كف المسيئين. الوصية ربما يبطلها شقي يأتي بعده مثلاً: أورث عمر رضي الله عنه أمراً عظيماً من السياسة وهو الشورى، وعدم اتخاذ جيش قائم لنفاذ أمر الأمير، بل جعل القوم كله جيشاً. ولكن الخلف أساء استعمال هاتين القوتين، وقد أحس عمر رضي الله عنه بأنه تارك عليهم حملاً باهضاً، ولكنه لم يقصر عن أشرف مكان من السياسة، وتبرأ نفسه عما يفعلون بقوله: لا علي (مما يرتكبون) ولا ليا (مما أترك من الشرف لهم فإنه من الواجب علي) -----.

(9) نفع هذه العقيدة في الأعمال

فبعد الوثوق بأنّ أمور العالم وحوادث الأمم تحت تصرف خفي وحكومة إلهية، ينبغي لنا تطلب أصولها وفروعها، لفائدتين:

1. لكي نعمل بما يجلب الخير لنا.
 2. ولكي نؤسس قواعد السياسة على أصول الحكومة الإلهية، فنسوس الملك كما يقتضيه الأمر الإلهي، ويرتضيها ربنا الرحمن. ومن دون ذلك لا طائل تحت علم التاريخ بل له مضرتان:
- (1) الافتخار بما خلا من الشرف، فربما يوقعنا في الغفلة ويقعدنا عن السعي.
- (2) والادكار لأُمور تبعث الغيظ والحنق بأقوام متجاوزة، كما نرى اليوم الهنود والنصارى تبغضان المسلمين لما تذكران قهرهم إياهما. ولو نظروا في التاريخ بعين البصيرة انتفعوا به، فإن الله تعالى لا يسلّط قومًا على قوم إلا لحكمة ومصلحة وصالح الغالب للحكومة وعدم صالح المغلوب لها. فإن تفحصوا عن أحوال الغالبين وعن أنفسهم علموا أسباب الفوز وتركوا ما بهم من خصال الخسران. وقد بيّن ذلك في سورة البقرة في سلب النبوة والملوكوت السمائي عن اليهود وإعطائه لإخوانهم الإسماعيليين. ونحن الآن نذكر أصول الحكومة الإلهية كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز الحكيم. وكما أَرانا في تاريخ العالم وجريان مقاديره.

ومن إفاداته رحمه الله تعالى:

في سورة الأعراف ذكر من مجالب العذاب: الشرك، والفساد في الأرض، والفواحش، والحرص، وأن العذاب يأتي بعد البلاغ ثم يمنعون ثم يؤخذون بغتة، والإيمان والتقوى يجلب البركات -----.

(10) أكبر غاية الخلق هي إتمام الرحمة وتلزمه الربوبية

قد تبينت، فيما سبق، أن الله تعالى لم يخلق العالمين إلا رحمة بهم. وما هي إلا رفعهم إلى كمالهم. وهو القربة إلى الله تعالى. لا قربة المكان فإن ذلك حاصل. كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾¹ بل قربة الحال والصفات، فجعل العالم مرقاة إليه وجعل الخلق درجات وجعل انتهاءها: الحكمة والرأفة، فالعارف الرؤف أقرب إلى الله من الجاهل الظالم، وهو المقصود من جميع الخلق فإنه محل لأكبر النعم ولرأفة الرب الودود.

وكبر على الماديين الذين طالعوا عجائب الأرض والسماء وسعة نظام الشمس وفسحة ميدان الكواكب ومدارها. أن يجعلوا الإنسان الصغير غاية هذا المسير ومنتهى هذا العالم الكبير، فأنكروا بأن يكون في الخلق غاية عظيمة أو إرادة ومشئنة حكيمة، فأنكروا بإله حي يا حسرة عليهم! أو لم يتفكروا في أنفسهم وعرفوا منزلة النفس العالمة المريدة في هذا العالم الذي يظنون خاليًا عن نور العلم وقوة الإرادة؟ فالنفس هي الكوكب الدري في هذا الظلام الكثيف، والعقل هو السراج المنير في هذا القصر المنيف. وإنكارهم بشرف النفوس أوقعهم في الإنكار برب العالمين. وبذلك ناقضوا قولهم وأذعنوا لما أنكروا من حيث لم يشعروا. فإنهم أجلسوا أنفسهم فوق السماوات والأرض فتفوهت على الخلق بأسرها -----²

(11) تربية النفوس بالتمدن وتلزمه الخلافة

لما أراد الله تعالى إكمال النفوس رحمة عليها، خلق لتربيتها أسبابًا. وجعل التمدن سلمًا إلى إكمالها وهو الخلافة. فاستخلف أمة بعد أمة، وجعل لهم الاختيار.

¹ سورة الملك: 16

² ينكر الملاحدة النفس ومن ثم خالقها ولكن هذا الإنكار يثبت كونهم أفضل من كافة مخلوقات الكون وهل هذا ليس بإقرار وجود النفس غير مباشرة؟

فابتلاهم، قال في سورة هود: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾¹ ومثل ذلك آيات أخر. كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾² وكقوله تعالى في سورة محمد: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾³.....⁴

(12) اصطفاء أمة لحمل أمانة الخلافة

فاصطفى آدم على العالمين وذريته وأرضاً مقدسة لهم، فنفى عنها الملحدين والظالمين. (شهادات الصحف) وجعلها آية على الجزاء والعدل، فخص أرضاً وقومًا لجريان ملكوته ودينونته عليهم، ليكون لهم آية على دينونة جميع العالم، وجعل الخلافة جماع الحرية، لبنائها على الاختيار، وإنما جعلوا واحدًا منهم على أنفسهم حاكمًا لكونه

¹ سورة هود: 57

² سورة إبراهيم: 19

³ سورة محمد: 38

⁴ من إفاداته رحمه الله تعالى:

التمدن والإسلام

- (1) الإسلام أعم من التمدن، ولكنه أصلح له. فالقوم المتمدن يختص به كثير من الأحكام؛ كالجمعة وإقامة المحتسب وأمثالهما.
- (2) بعثة خاتم النبيين تكفلت بإصلاح التمدن لبقائها إلى القيامة.
- (3) التمدن كمال فطرة الإنسان، فيه يظهر جميع ما أودع من القوى؛ ولكن فيه التصادم؛ فاحتياجهم إلى السلم أشد.
- (4) التمدن إذا كان مطيعًا للدين كان أفضل؛ وإذا غلبه كان أضر من البدوية لكثرة شروره.... من إفاداته رحمه الله تعالى:

استخلاف الأمم

في القرآن صرح بأن الله يعطي الشريعة قومًا، فإذا عصوا استخلف قومًا آخرين. فمنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَضِيَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَفِیْظٌ﴾ (سورة هود: 57)

من أنفسهم وأعلمهم بمصالحهم وأرحمهم. والمال الذي يأخذه هو فيه أمينهم، فيرده عليهم وهو منهم وهكذا قال النبي ﷺ في الفداء إنَّ له خمساً وهو مردود عليهم.¹

هذا هو من جهة الذمة الأصلية. ولكنه مطاع لما أنهم أعطوه الحكم فلا يعصي ولا يتهم فيما يفعل وإذا أخلصوا في الإجماع على خيرهم، رزقوا خيرهم. وكما أنَّ الحاكم عليهم من هو خيرهم، أعلمهم بالتدبير، اتقاهم لله، وأقواهم في العزم، فكذلك الذين يعينونه بالمشورة ويساعدونه بإنفاذ الأمور، وهؤلاء هم أهل الحل والعقد وموضع السر والرأي، وهم المسمَّون بأولي الأمر فالحاكم مع أولي الأمر يجري الأمور على سنة القسط، وهو مركزهم ونظامهم وواحد منهم. والجمهور مأمور بإطاعة أولي الأمر، فإنهم أعلم بمصالحهم منهم، فطاعتهم لأولي الأمر ليست إلا بالاختيار والحرية. ولا يكون أحدٌ من أولي الأمر إلا بما ظهر من صالح أعماله، فأدعن له الناس طوعاً وعظْموه حباً، واعتمدوا على رأيه مصلحة، فجعلوه وكيلاً في أكبر الأمور وهو انتخاب الأمير، فإنه أمر ذو خطر عظيم ومع ذلك صعب جداً. والقرآن هدى إلى كل ما ذكرنا، وعمل السلف به فصار لنا سنة -----.

(13) كيف تسلب الخلافة

ثم إذا فسدت العامة اتبعوا من يوافق أهواءهم، فساعدوا أهل الجور وجعلوهم أولي أمرهم، وحينئذ وقعوا في مفسدة أكبر مما قبلها، وهي أن هؤلاء وكلاء السوء قلما تجتمع كلمتهم على إمام عادل قوي. فإذا اختلفت الكلمة اشرأبت الفتنة وتهدم الصلاح، ولذلك هو أكبر الأدواء وأعدى عدو الملة، فيرجع عليهم وبال فسادهم، كما قال النبي ﷺ: "إنما

¹ رواه أبو داود عن جدِّ عمرو حيث قال رسول الله ﷺ: "رَدُّوا عليهم نساءهم (وأبناءهم) فمن مسَّك بشيء من هذا الفداء فإن له به علينا ست فرائض من أول شيء يفيئه الله علينا" ثم دنا من بعير فأخذ وبرة من سنامه ثم قال: "يا أيها الناس، إنه ليس لي من هذا الفداء شيء ولا هذا" - ورفع إصبعيه - "إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدُّوا الخياط والمخيط، فقام رجل في يده كبة من شعر فقال: أخذت هذه لأصلح بها بردعة لي، فقال رسول الله ﷺ: "أما ما كان لي ولبيني عبد المطلب فهو لك" فقال: أما إذا بلغت ما أرى فلا أرب لي فيها، ونبيها"، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2694

أعمالكم عمالكم"،¹ فأضاعوا الحرية وسلبوا نعمة الخلافة التي بنيت على القسط والحرية اللتين أعطاهم ملكوت الله. وجلبوا على أنفسهم ذلة الطاعة لمن يقهرهم فأول ما يفعل هؤلاء الجبابرة أنهم يسلبون الأمة وأولي أمرهم حق انتخابهم أميرهم، وحينئذ تبطل الخلافة وتنوبها الملكية، والملكية مع كونها أدون من الخلافة، هي خير من إبطال الحكومة بالكلية، ثم هي أحسن ما يمكن لمصلحة أمة غير صالحة لفقد أولي الأمر فإنهم لا يتبعون أحداً ويعجب كل امرئ بنفسه، فمن رحمة الله أن يتيح لهم ملكاً يزعمهم عن الفساد في الأرض وإن كان جباراً، ولذلك يرضى بها أهل العقل منهم، فيطيعون الحكومة الجبرية، وبهذا أمرنا الله ورسوله ووجود الصالحين في أمة غير صالحة غير مستبعد، وهم يفعلون أصح ما يمكنهم، والملك الذي يبعث في أمة غير صالحة ربما يكون صالحاً تقياً، ومع ذلك يستبد برأيه، لأن الأمة أضاعت حريتها، كما كان سليمان وذو القرنين عليهما السلام، وقد جاء ذكر استبدادهما في القرآن.²

ومما ذكرنا ظهر أن مبدأ السوء هو فساد أخلاق الجمهور.... فيزيد ويطم حتى يعم القوم كلهم. ومن ههنا وجب التشمير لإصلاحهم وترك الخمول والاعتزال عن الأمور العمومية إلا بعد المراس الشديد ولمدة، ثم العود بطريق آخر -----³.

¹ فكأن الحكام مرآة لما يقوم به الشعب فبإمكاننا أن نرى فيها وضع الشعب العقلي والخلقي فإن كان الحكام صالحين فهذا يدل على صلاح معظم الشعب وإن كانوا فاسدين فهذا يدل على فساد أغلبية الشعب وذلك فإن الحكام فرد من المجتمع.

² راجع: سورتي الفيل والكهف

³ من إفاداته رحمه الله تعالى:

وحدثنا

حب الأفراد لما به بقاء الجنس وخيره إلى حد الإيثار وبذل النفس، يدل على أن الفرد جزء من الكل ويبقى ببقائه. كما قال: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (سورة آل عمران: 169).

من إفاداته رحمه الله تعالى:

خطأ عظيم

(1) الناس يحبون البقاء؛ ثم يغفلون في تصورهم ما هو بقاؤهم، يجعلون العوارض ذاتياً وبذلك يلزمونهم، فيسدون عن الترقى.

(2) الوطن، والفرقة، والمذهب يتخذونها من الذاتيات -----

(14) الفرق بين الأقوام من جهة بقائهم ورقمهم

تذكرة:

إن الله تعالى يجتبي قومًا لحمل الشريعة والوحي، ويعددهم الحسنى والنصر في الدنيا والآخرة. فإن لم يوفوا بدمتهم، خذلهم الله تعالى وضرب عليهم الخزي. وذلك بأنهم خلوا عما بقاؤهم لأجله، وقد صرح بذلك في الصحف الأولى والقرآن كل التصريح فمنه.....

فما دام فيهم الإيمان بهذا الوعد والوعيد سعوا لإيفاء ذمتهم، وأوفى الله بعهده بهم من الغلبة والنصر والرقى في جميع شعب الحياة من كل ما يعد من رقى الإنسانية، حتى إذا غشيتهم أنواع النعم استغنوا عن الرب واتكلوا على الأسباب الظاهرة، فطغوا وأحاطت بهم خطاياهم فسلبوا النعم ولم يهتموا إلا بندهم الأسباب الظاهرة وسعوا في جمعها وظنوا أنهم إنما ضعفوا لغفلتهم عنها، فإن ذكرهم مصلحوهم استهزأوا بهم وسمّوهم حمقاء. وقالوا: إن الأمم الغالبة علينا أبعد عن الدين. فلا شك أنّ رقى الأمم في هذه الحياة لأسباب تناسبه من العلوم المتداولة بين هذه الأمم واستعمالها لهذه الغاية وتتبع الأسباب والذرائع، والنظر في تاريخ رقى هؤلاء من أوضح الدلائل على ما تعتقده، ولكن أوائل هؤلاء لم ينكروا بالدين، فقالوا: إن التنسك والتعبد إنما ينفع في الدار الآخرة، إذ لا مناسبة بين الصلاة والصوم وبين العلو في الدنيا. ثم نشأ فيهم من جعل يجاهر بنبذ الدين وزعم أنه عثرة في طريق الرقى، وأنه أضر وأغلال وتخويف وتعبيد. نحن نحب الحرية: حرية العلم والعدل، نعلم النافع والضار بالتجربة، فنعمل على حسب هذا العلم الحقيقي، وقد جربنا ما جلب علينا الدين من الحروب والفساد والجبن والكسل والأوهام الباطلة والتقليد الأعى -----.

(15) أوصاف الخليفة

الإمام ليس بأكثر الناس علمًا في تفاصيل الأمور، ولكنه أبصرهم بالحق والأصلح، فهو كالعقل المجرد، لا علم له بالجزئيات إلا بالحواس، ولكن الحواس لا علم لها بكليات الأمور أصلًا، فالعقل هو الحاكم والعالم.

ثم الإمام لا بد أن يكون أتقاهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾¹، ولذلك هو أعلمهم بالحقائق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾² فلا يرى لنفسه فضيلة على سائر الأمة، بل هو أحقرهم عند نفسه، ولكنه أقواهم عزماً لما يتوكل على الله ولا يتذبذب لبصره بالحق وحمایته إياه. فهو أبعد الناس عن طلب الرياسة لتواضعه وخوفه. ولكن إذا فوض إليه الأمر يفرغ جهده لإقامة القسط ويستشير الناس لحسن ظنه بالناس وفوق كل ذي علم عليم. وللانتفاع بأراء أرباب العقول فإذا اتضح له الحق لا يصرفه عنه صارف. واختلاف الرؤساء ينشأ من قلة تقواهم، فيعجبهم آراؤهم ويظن كل واحد منهم أنه أفضل فيطلب الرياسة. ولذلك لا يصلح للإمامة من طلبها. ولقد رأينا خيرهم أفرهم منها^{3, 4}.

¹ سورة الحجرات: 13

² سورة فاطر: 28

³ من إفاداته رحمه الله تعالى:

الفرض، والفرصة، والإمام

الفرض: هو أن تعلم الوقت وما يجب عليك فيه، فإن عمل الخير في غير وقته إضاعته، وإضاعة ما يجب في ذلك الوقت.

وإمام القوم: من هو أعلم بمصالح الوقت الحاضر، فيفعل ويغتنم الفرصة، فالإمام شمير مجد، غير مبال، بأعظم الصعوبات مخاطر، وهو الحكيم حقاً أي نظراً وعملاً-----.

⁴ ولقد سبق الإمام الفراهي علماء أدلوا بأرائهم عن أوصاف الخليفة نذكر طرفاً منهم وما أدلوا به: ذكر الشيخ أبو الحسن الماوردي رحمه الله في كتابه المذكور أن يكون (الإمام) رجلاً عاقلاً بالغاً خليقاً عادلاً شجاعاً جواداً، وأن يكون من أولي العزم، وأن يكون متشاوراً من أصحاب العقول والألباب في الأمور المهمة، ولكن يحكم هو بعقله وفهمه الصحيح، وأن يكون متصفاً بسلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض، وبالعلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، وبصحة الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتبدير المصالح.

(16) بناء الخلافة على المعاهدة

لما كانت الخلافة تأليف الناس بهيأة وحدانية حتى يكون لهم قلب واحد وتجتمع قواهم على إرادتهم وتتجه إرادتهم إلى مصالح عمومية، فلا يبقى فيهم تصادم وتناقض وبذلك تزداد مصالحهم، وتشد قواهم، وتبقى حريتهم، وتعلو كلمتهم، وتسمو أخلاقهم، وتتسع بركتهم، ليكون وجودهم رحمة للخلق وبركة على الأرض، كانت هي أعظم خيرًا وأتم نعمة لهم، فلا بد أن يجتهدوا لها كل الاجتهاد وتكون هي نصب عيونهم، وقبلة هممتهم، ووجب عليهم أن يعطوا لها أكرم وأنفس ما لديهم وهو الحرية والأنفة.

ولو لا ما ذكرنا من خيرات الخلافة، لم ترض نفس كريمة بأن تشتري الخلافة بثمن الحرية، ففعلوا وذلك بأن عاهدوا على السمع والطاعة لأفضلهم وأرحمهم وهذا هو الإسلام. فإنه عهد لطاعة الله وشرائعه التي أرسلها، وأولي الأمر الذين

وأما ما قال الامام الغزالي رحمه الله (1058-1111م) في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" و"إحياء العلوم" عن الإمامة وعن أوصاف الإمام فهو يبين الحالة السياسية في عصره حيث كان السلطان أقوى من الخليفة في تلك الأيام، ولأجل هذا لم يشترط الغزالي في الخليفة أن يكون صاحب جهاد ورأي سديد واجتهاد بل يمكن له الاعتماد في هذه الأمور على السلطان وعلماء ديوانه، ولكنه اشترط أن يكون الخليفة صاحب الورع والتقوى. وقد اكتفى العلامة ابن تيمية رحمه الله (1263-1328هـ) في كتابه "السياسة الشرعية" بقوله: إن كان الخليفة متبعًا للكتاب والسنة في إدارة حكومته ففيه خير كثير، وإن لم يكن حاملًا لأوصاف ومواهب أخرى.

وحسب قول ابن خلدون (1332-1406م) يجب أن تتوفر في الإمام أربعة شروط أساسية: وهو العلم (علم الاجتهاد) والكفاءة (المهارة السياسية) والشجاعة وسلامة الجوارح والحواس. وقد تكلم الشاه ولي الله رحمه الله (1703-1763م) في كتابه "حجة الله البالغة" و"إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" و"الخير الكثير والبدور البازغة" في مواقع عديدة عن سياسة أمور الدولة، وأما ما ذكر عن أوصاف الخليفة فهي تقريبًا نفس ما ذكره الماوردي وهو أن يكون عاقلًا وبالغًا وحرًا وشجاعًا ومصيب الرأي وعادلًا، وذا شهرة.

وقال العلامة جمال الدين الأفغاني رحمه الله: (1839-1897م) الرأي السديد، والهمة العالية، وسلامة الطبع، أوصاف أساسية لحاكم ناجح. وقد وافق العلامة إقبال رحمه الله (1877-1838م) الماوردي في تعيين أوصاف الخليفة.

يجرونها، فإذا عاهدوا على السمع والطاعة فكأنهم أعطوا حريتهم وقربوا به، ولكن الله تعالى يقبل القربان ويرده مضاعفًا، فإنهم وإن أعطوا الحرية ولكنهم لم يضيعوها بل حفظوها. ومثلهم كمن يبني قصرًا مشيدًا لخزائنه، فينفق من ماله ليحفظ الباقي الأكثر فإذا اختارت الأمة إمامًا عادلاً حفظت نفوسها عن تناول الجبابرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمعاهدة.¹

¹ من إفادته رحمه الله:

أصل الحكومة، العهد، والعهد بإزاء شئ.

فنعم الله ألزمت الطاعة بعد العهد.

جعل الإنسان صاعدًا من الحضيض إلى أسى مراتب، فهو من جهة دون الملائكة ومن جهة فوقهم.

والشكر للنعمة نقطة تنشأ من العهد -----.

من إفاداته رحمه الله تعالى:

أساس الملك

(1) ما علمنا في القرآن أساسًا للملك إلا العهد والبيعة والحرية المطلقة. حتى إن الله تعالى ذكر أنه عاهد بآدم وبنيه، وعاهد بإبراهيم وموسى، وأكثر ذكر الميثاق بهم. وكذلك لم يجعل عليهم ملكًا حتى إنهم سألوا. (اقرأ سورة البقرة: 246) حيث قال: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ثم ترى في القرآن أن إطاعة الأنبياء لزم للعهد الأول ثم بالبيعة إذا كان للنبي حكم عليهم، كما ترى أن النبي كان يأخذ البيعة خاصة على أمر يلزمهم، كما بينت في سورة البقرة.

(2) ثم لما إنه يصعب على كل فرد أن يأتي للبيعة، جعل لهم أولي الأمر وذوي النهى والتدبير فكلما فعلوا من الأمور العامة لزم عليهم. حتى أنكروا على اليهود خلاف ذلك كما قال: ﴿أَوْ كُنَّا عَنْهُدَا عَهْدًا تَبَدَّلَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة: 100) وكان هذا أمرًا عظيمًا في المسلمين فكان أدناهم يعهد بالأجانب فيلزم على جميعهم سدًا لباب الغدر. فلو كان أمر البيعة شخصيًا، لم يلزم على أولاد الذين بايعوا. فبين في القرآن أن البيعة أمر قوي؛ وأذمة العقود بيد أهل الحل والعقد؛ وهذا يأتي بنا إلى الأمر الثالث.

(3) وهو طاعة أولي الأمر وذلك من أهم الأمور فإن قوامًا ليس فهم من يجمع أمرهم انتكشت قواهم وكانوا فوضى. وقد أوجب الله علينا أن نتبع أولي الأمر منا، وهم أصحاب الرأي والصلاح. والعرب قبل الإسلام قد جعلت أمورهم تصدر من أولي أمرهم، فلم يزد الإسلام إلا شدة كما جاء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

(17) الفتنة

تذكرة:

إن الله تعالى جعل غرض الخلقة إبراز ما استكن، ثم إعطاء كل ذي حق حقه على حسب ما يبرز منه، كما قال عزّ من قائل: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (والمحذوف: وأيكم ليس كذلك، فوضع موضع هذا القول ما أشار إليه فقال: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾² وهذا الأمر لكونه غاية الخلق أمر عظيم وتنكشف منه حكم جمّة في سنة الله بين خلقه، وكثير من الوقائع المذكورة في

الَّذِينَ يَسْتَشِيطُونَهُ مِنْهُمْ (سورة النساء: 83) فأكد عليهم أن يصدروا إلا بأمر أهل عقدهم وذكر أن فهم ذوي الاستنباط، وأنهم كثير، وأنهم منهم، فعلمنا ثلاثة أمور من صفاتهم، فأزال الجبرية، والفردية، والغيرة، فهدينا إلى أمرين آخرين، التشاور، والأهلية وسيأتيك بيانها.

(4) ----- (بياض في الأصل)

¹ من إفاداته رحمه الله تعالى:

السلطنة قسمان: 1- حرة 2- ومعبدة وكلتاها ترتفع وتنحط بأسباب تناسبها. ولكن الأولى أقوى وأحكم. ونبين أسباب بقائهما وزوالهما.

أما الحرة فلا بد فيها: من بناء الأمور على الشورى، ثم كون الإمارة غير مورثة من الأب إلى الابن، ثم عدم الحشم والجند الخاص لحفظ السلطان. ثم عدم اختيارهم في العطاء والمنع إلا على خدمة مليّة جمهورية، ثم عدم غناء وتموله، ليكون كأحدهم ولا يهاب إلا من جهة منصبه، ثم حماية شديدة منه ومن الناس أن لا يذلّوا، ولذلك كان عمر رضي الله عنه لا يحب للمسلمين عقاباً مهيئاً. ثم إكرام الغيرة والأنفة وأهلها وتربيتها فيهم.

أما المعبدة فلا بد لبقائهما: من محبة الناس للملك وأولاده، حتى ينتهي إلى العبودية كدأب فرعون وأكبر المغل، ولذلك الاختيار المطلق في العطاء والمنع، والسخاء المسرف، والعقاب المهيّن، ثم الجهد في قطع حبال الرعية من بينهم إلى أن يكون الملك هو واسطة العقد. وأفناء كل عزة وفخر إلا ما يعطيه الملك، ولذلك كله أن يقوي شوكتة بالجند الخاص، فإذا تم أمر السلطنة المعبدة كان الناس كالأعضاء والجوارح للنفس، تصرفها كيف شاءت -----.

² سورة الملك: 2

(1) أما آدم عليه السلام، فقال الله تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا یَفْنِیَنَّکُمُ الشَّیْطٰنُ کَمَا اَخْرَجَ اَبْوٰیكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾¹ (أي كما فتن أبویکم فأخرجهما من الجنة).

(3) وأما إبراهيم عليه السلام فابتلاه ربه ولكنه خلس نقيًا، فاتخذه الله خليلاً، وابتلاه بالهجرة بزوجه، وبذبح ولده، وبإهلاك قوم لوط، وبكفر أبيه، فثبت في كل ذلك ومدحه الله تعالى فقال: ﴿وَإِذْ أَبَتَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾³. وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾⁴. وقال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾⁵. وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَلْبِسْهُمْ⁶ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا⁷. وقال: ﴿يُجَدِّدُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾⁸ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ⁹، وبئسما قالوا إن إبراهيم كذب وأشرك، وقد نفى الله عنه كليهما فقال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹⁰،⁷ وتفصيل البحث في

⁷ سورة النحل: 120

قصته عليه السلام، ولكنه مع ذلك كان يستغفر ربه، كما قال في سورة الشعراء: ﴿وَالَّذِي أَظْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾¹.

(4) وأما ابتلاء يعقوب، ويوسف، وأيوب، ويونس عليهم السلام فلا يحتاج إلى البيان.
(5) وأما موسى عليه السلام، فابتلاؤه كثير قال تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾² ولكنه تاب من ساعة كما جاء: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾³ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ⁴.....³

(6) وأما داود عليه السلام، فالذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَوَلَّى دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾⁵ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ⁴.

(7) وأما سليمان عليه السلام، فجاء في ذكره: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾⁶ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي⁵.....

(18) جريان ملكوته على سنته وهي لا تتبدل

تذكرة:

ملكوت الله من جهة سنة الله بالخلق قائمة، فما فعل بالأمم فهو من سنته كما صرح به القرآن في سورة الأنعام: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾⁶ أي عاقبة الدار

¹ سورة الشعراء: 82

² سورة طه: 40

³ سورة القصص: 15-16

⁴ سورة ص: 24-25

⁵ سورة ص: 34-35

⁶ سورة الأنعام: 135

ووراثه الأرض للمتقين، والظالمون يبيدهم الله، وهكذا في الزبور،¹ وهكذا ينبغي لعدله، وقدرته، وعلمه، فإنه تعالى صفاته دائمة لا تبديل فيها، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾² وإنما يعامل عباده حسب مقتضى الحكمة وذلك أيضًا من سنته -----³.

¹ جاء في الباب السابع والثلاثين من المزامير:

"لَا تَغْرَ مِنَ الْأَشْرَارِ، وَلَا تَحْسِدَ عُمَّالَ الْإِثْمِ، فَإِنَّهُمْ مِثْلُ الْحَشِيشِ سَرِيعًا يُقْطَعُونَ، وَمِثْلُ الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ. اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الْأَرْضَ وَارِزْ الْأَمَانَةَ. وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ. سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي، وَيُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بَرِّكَ، وَحَقَّقَ مِثْلَ الظُّلُمَةِ. انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ، وَلَا تَغْرَ مِنَ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَابِدَ. كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَأَثْرَكَ السَّخَطِ، وَلَا تَغْرَ لِفِعْلِ الشَّرِّ، لِأَنَّ غَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرْتُونَ الْأَرْضَ. بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَكُونُ الشَّرِيرُ. تَطْلُعُ فِي مَكَانِهِ فَلَا يَكُونُ. أَمَّا الْوُدْعَاءُ فَيَرْتُونَ الْأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلَامَةِ. الشَّرِيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ الصِّدِّيقِ وَيَحْرِقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ. الرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ! الْأَشْرَارُ قَدْ سَلُّوا السَّيْفَ وَمَدُّوا قَوْسَهُمْ لِرُمِي الْمُسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، لِقَتْلِ الْمُسْتَقِيمِ طَرِيقَهُمْ. سَيُفْهِمُ يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِمْ، وَقَسِيهِمْ تَنْكَبُ. الْقَلِيلُ الَّذِي لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ مِنْ تَرْوَةِ أَشْرَارٍ كَثِيرِينَ. لِأَنَّ سَوَاعِدَ الْأَشْرَارِ تَنْكَبُ، وَعَاضِدُ الصِّدِّيقِينَ الرَّبُّ. الرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ الْكَمَلَةِ، وَمِيمَرَاتِهِمْ إِلَى الْأَبَدِ يَكُونُ. لَا يُخْزَوْنَ فِي زَمَنِ السُّوءِ، وَفِي أَيَّامِ الْجُوعِ يَشْبَعُونَ. لِأَنَّ الْأَشْرَارَ يَهْلِكُونَ، وَأَعْدَاءُ الرَّبِّ كَيْهَاءُ الْمَرَاعِي. فَتُؤَاكَدُ خَانُ فَنُؤَاكَدُ الشَّرِيرُ يَسْتَفْرِضُ وَلَا يَفِي، أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَتَرَأَّفُ وَيُعْطِي. لِأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرْتُونَ الْأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ. مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ تَنْبَتَ خَطَاوَاتُ الْإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرَّ. إِذَا سَقَطَ لَا يَنْطَرِحُ، لِأَنَّ الرَّبَّ مُسَيِّدٌ يَدُهُ. أَيْضًا كُنْتُ قَتِيٌّ وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرِ صِدِّيقًا تُخَلِّي عَنْهُ، وَلَا ذُرِّيَّةَ لَهُ تَلْتَمِسُ خَيْرًا. الْيَوْمَ كُلُّهُ يَتَرَأَّفُ وَيُقْرِضُ، وَنَسَلُهُ لِلْبَرَكَةِ. جَدُّ عَنِ الشَّرِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ، وَاسْكُنْ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ، وَلَا يَتَخَلَّى عَنْ اتَّقِيَانِهِ. إِلَى الْأَبَدِ يُخَفِّظُونَ. أَمَّا نَسْلُ الْأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ. الصِّدِّيقُونَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ." (1-29)

² سورة يس: 43

³ تذكرة:

سنن الله المذكورة في القرآن

(1) ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ (٥٨) وَتِلْكَ الْأَفْرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩). (سورة الكهف: 58-59)

(19) طرق استنباط القضايا الخبرية لسننه تعالى

تذكرة:

نعرف سنة الله بثلاثة طرق:

(ألف) بلزومها لصفاته الكاملة من الحكمة، والرحمة، والعدل، والعلم.

(ب) بما فعل في الأمم الخالية، وأخبر بها في كتبه وبلغنا بالتواتر ونراها الآن.

(ج) مما وعدنا في كتبه.

وهذه الطرق تجتمع في أمور كثيرة، فنوقن بكونها من سنة الله

فمن (ج) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾¹ -----.

- (2) ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^① فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^②. (سورة الأنعام: 44-45)
- (3) ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^③. (سورة الأنعام: 54)
- (4) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ (أي في الدنيا) ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ (أي في توفية أعمالهم في الدنيا) ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾^④. (سورة هود: 15)
- (5) لزوم الابتلاء عمومًا. قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾^⑤ (سورة الملك: 2) وأيضًا قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^⑥. (سورة المائدة: 48)
- (6) ابتلاء المؤمنين خصوصًا. قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَذَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^⑦ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^⑧.³ (سورة العنكبوت: 2-3)

¹ سورة المائدة: 66

(20) تصرف الملكوت بالإنسان إجمالاً

يذكر من القرآن أصولاً لجريان حكم الله في أمور الإنسان مثلاً:

1. إعطاؤه العقل وإلهامه الخير والشر.
2. إعطاؤه الاختيار والخلافة.
3. إرساله الوحي تكميماً للعقول كإرساله المطر.
4. أخذهم بالحسنات والسيئات ليرجعوا إليه.
5. نصره الحق وإبطاله الباطل.
6. إرساله النتائج للخير والشر، من الأمن والبأس والنور والظلمة.
7. تكميله النور والظلمة حتى يتفرقا.
8. بعد تمام الظلمة إمهال الكفرة، ثم إهلاكهم، ثم تحويلهم إلى مشيئة هو أعلم بها.
9. ربط الآثار بأمثالها. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾¹ ومثله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾² خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ³ فإن الكفر هو التغطية، ولما كانت نعم الله ظاهرة على جميع المشاعر فمن كفر بها فقد تغافل وتعامى وتصامم، فهذا من جهة العقل، ثم هو قد هدم بناء الأخلاق وهو الشكر، فيعذب عذاباً عظيماً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾³ الميثاق أجل ما يخاف من العصيان فيه، وأكبر ما يحافظ على كلماته

¹ سورة الصف: 5

² سورة البقرة: 6-7

³ سورة المائدة: 13

ويحافظ على ذكره، ثم هو أقرب منزلة للعبد، فإنه عند الميثاق صار كأنه صاحب حق على ربه، والرب تعالى جعله مخصوصاً بنعمة خاصة وفضله على سائر الناس. واللعنة هو الطرد، فإذا نقض الميثاق استحق اللعنة. وجملة الكلام أن للسيئات كلها مناسبات مما يجلبها من المعاصي، مناسبة حقيقية صادقة (أعاذنا الله ربنا منها) -----.

(21) الآيات الدالة على ما ذكرنا

تذكرة:

- (1) ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.¹
- (2) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.² ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.³ وهذا أعم يشمل الخير والشر بحسب اللفظ.
- (3) ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تُمِرُّ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.⁴
- (4) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.⁵
- (5) ﴿وَأْمُرِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.⁶

¹ سورة البقرة: 85

² سورة الأنفال: 53

³ سورة الرعد: 11

⁴ سورة الانفطار: 19

⁵ سورة الانفطار: 10-12

⁶ سورة القلم: 45

(22) تصرف المملوك بالإنسان من الظاهر إلى الباطن وبالعكس

(ما جعل من التعلق بين الأحوال الدينية والدنيوية)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ (أي اصبروا) ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ²،³ فعلق الفلاح بالصبر وذكر الله كثيرًا، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁴، وقال تعالى في الصبر: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾⁵ ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾⁶.

وهذا التعلق مبني على التوكل من العبد، والغيرة من الرب، فإن العبد إذا توكل على ربه وتبرأ من حوله، نصره الرب وأيده بروح منه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾⁷ فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفُضِّلَ لَمْ يَمَسَّ سُهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ⁸ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ⁹،⁵ فقوله "إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ" أي متوكلين بدلالة التضمن والالتزام⁶.

¹ سورة الأنفال: 45-46

² سورة البقرة: 153

³ سورة آل عمران: 125

⁴ سورة آل عمران: 120

⁵ سورة آل عمران: 173-175

⁶ من إفاداته رحمه الله:

إذا كانت الأمة مضطهدة فلها أن تفرغ إلى الصبر والصلاة. كما أمر موسى عليه السلام قومه، وكما أمرنا في أول الإسلام، وكان عيسى عليه السلام كله الصبر والصلاة، لا سيما عند آخر وقته -----.

(23) الصلاة

تذكرة:

في زمان الشدة والفتنة أمر بكثرة الصلاة والصبر كما أمر موسى. وقال صريحاً: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾¹ هكذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾² وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³ والطاعة والمراعاة من أبواب الصبر والتقوى، وأيضاً هي من الصبر. فالصبر أجمع، وكذلك جاء في سورة آل عمران.....

(24) الصبر

تذكرة:

(1) لما كان مجاري القضاء على الحكمة، وهي مبنية على العلم الدقيق الواسع، وعقولنا كثيراً ما تحصر دونها، لا بد من الصبر على ما يرى حسب عقولنا خلافاً للعدل والرحمة. كما رأيت في قصة موسى عليه السلام مع صاحبه الذي لم يستطع معه صبراً، وهذا الصبر العقلي مبني على الإيمان الكلي بعدل الرب تعالى، فالإيمان بعدل الرب ورحمته وحكمته أصل كلي عقلي، وعليه بناء الصبر العقلي. والجزئي محكوم عليه بالكلي.

(2) وكما يجري هذا الأصل في الحوادث، فكذلك يجري في الشرائع. ولكن الشرائع مبنية على مصالحنا، فلم يجعلها الله تعالى بعيدة عن أفهامنا، وقد بيّنها كثيراً ولو بعض الجانب من الحكمة. ومع ذلك ما خفي علينا نحوله إلى علم الرب تعالى ونؤمن بأنها كلها مبنية على الرحمة والعدل.

¹ سورة البقرة: 153

² سورة الأنفال: 45-46

وقد زلت قدم الأشاعرة في أمور القضاء والشرائع كليهما، فقالوا بأن الرب تعالى لا يراعي المصالح والحكمة بل يفعل ما يشاء. نعم أنه تعالى يفعل ما يشاء ولكنه لا يشاء إلا الرحمة والمصالح لعباده.....

(25) إعلان الحرب والهجرة

تذكرة:

ليس للنبي إلا الصبر على الأذى حتى يئس من قومه فحينئذ: إما يهجر دار قوم أرسل إليهم، ثم يأتيه غالبًا. كما جاء إبراهيم عليه السلام حين أغار قومه على ابن أخيه لوط، فهزمهم، وكما جاء محمد ﷺ حين فتح مكة، ولكن النبي لا يقيم ببلدة تركها، فلذلك لم يقم إبراهيم عليه السلام إلا بدار هجرته، وهكذا وقع لنبينا ﷺ. وإما يهجر من أرسل إليهم فيعذبون. كما وقع بقوم لوط، ونوح، وهود وصالح، وشعيب، وموسى، وعيسى عليهم الصلوات.

ثم لا يهجر الرسول إلا وقد أعلن بالحرب وقطع حبله عن حبلهم. كما ترى في أقوالهم، فقال إبراهيم عليه السلام والذين معه: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٥﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦﴾¹ فتأمل في هذه العبارة وكلماتها فإن قول إبراهيم في آيات آخر ليس إلا وجيزاً ولكن فيه بعض هذه الكلمات والقارئ لا يلتفت إليها فلا تظهر له قوتها مثلاً قولهم: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا

¹ سورة الممتحنة: 4-5

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ¹ أَبْلَغَ قَوْلِ الْعِدَاوَةِ مَعَ أَدَبٍ يُلْزِمُ الْكِرَامَ، فَإِنْ إِيْظَاهَارِ الْغَضَبِ مِنْهُمْ لَيْسَ كَمَا تَرَى فِي الْعَامَةِ، وَبِلَاغَةِ هَذَا مَذْكُورَةٌ فِي بَابِهَا، وَهَهُنَا الْمُرَادُ التَّفَاتُكُ إِلَى كَلِمَاتِ الْحَرْبِ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾² وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ فِي ذِكْرِ مَهَاجِرَةِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ أَنْ قَالُوا (اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ): ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٩﴾﴾³ وَهَكَذَا أَعْلَنَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِسُورَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.

وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْذِبُ الْقَوْمَ الْمُهْجُورَ أَوْ يُؤْمِنُوا، فَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ النَّصْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْفُوزَ فِي الدُّنْيَا. وَكَمَا أَنَّ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَصْبِرَ وَيُقَاسِيَ الشَّدَائِدَ قَبْلَ الْمَهْجَرَةِ، فَكَذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْبِرُوا فَيَسْتَحِقُّوا وَعْدَ النَّصْرِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى مَا نَقُولُ آيَاتُ:

فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾⁴ وَفِيهَا ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾⁵ وَفِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿أُذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾⁶ وَفِيهَا ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ

¹ سورة الممتحنة: 4

² سورة الزخرف: 26-28

³ سورة العنكبوت: 26

⁴ سورة النحل: 41

⁵ سورة النحل: 110

⁶ سورة الحج: 39

رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ عَفُورٌ ﴿٦٠﴾¹-----²

¹ سورة الحج: 58-60

² من إفاداته رحمه الله تعالى:

في السياسات

(1) الاشتراكية حسنها بعض الحكماء، مثل لاني كركس مقنن اسبارطه، وفلاطن، ووضعها على أمة ولكنها لم تبق لاختلاف الاستعدادات، وهي الآن أيضا يدعو إليها بعض الدعاة وبتهالك عليها العامة، ولكنها ممقوتة عند الأمراء والأغنياء، فصارت مثارا للتخالف والتشاكس في الأمة، واشرب منها فتنة لا تكاد تطفأ نطاها، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْطَانًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُونَ ﴾ (سورة الزخرف: 32)

(2) الفوضى كانت ممقوتة عند العرب ويعدونها من أمارات الحمق، ولكن الآن قامت لها الدعاة في المغرب واستغفوا بها العامة. وهي كأختها مثار للفتن وهدم للنظام الإنساني، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾² ثم قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى: 38) -----

من إفاداته رحمه الله تعالى:

المساواة خلاف الحكم

(1) إذا كان نظام حكم فلا بد من تابع ومتبوع، فإن تساويا فلا بد أن يكونا تابعين لمن هو أعلى منهما، وذلك بالقسم واليمين، فإنهما بذلك يجعلان الله كفيلا ويدخلان تحت ذمته.

(2) لا تجري الأمور تحت حاكمين، فلا بد في الملك والمدينة والبيت من حاكم منفرد، إلا أن يقسم الأمور ويجعل على الحكام واحد أعلى منهم، وذلك يرجع إلى الأول.

(3) لا يمكن المساواة بين الزوجين. ولا بد أن يكون الواحد قوامة على الآخر، وإلا لم يكن بيت ---

ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي

المكّي بأبي أحمد الأنصاري

جمع وتحقيق: د. أورك زيب الأعظمي¹

في الاستعانة

أَعُوذُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ الْإِفْضَالِ² الْغَافِرِ الدَّنْبِ الشَّدِيدِ الْأَنْكَالِ³
 مِنْ هَمَزَاتِ النَّفْسِ ذَاتِ الْإِغَالِ⁴ وَنَفَثَاتِ⁵ كُلِّ بَاغٍ⁶ مُحْتَالِ⁷

¹ مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي
² الإفضال هو الإعطاء والإحسان
³ يَكُلُّ ج: أَنْكَالٌ وَنُكُولٌ: القيد الشديد من أي شيء كان ولعله أخذ هذا التعبير من قوله تعالى
 (سورة المزمل):

"وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿٣١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿٣٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٣﴾"
⁴ إِيغَالٌ: إِسْرَافٌ وَإِبْعَادٌ، وكذا إدخال شيء في كذا
⁵ نَفْثَةٌ ج: نَفَثَاتٌ: نكز السمّ وسحر الرجل
⁶ قالت هند بنت عتبة تعاضم الخنساء في مصيبتها:

أَبْغَى عَمِيدِ الْأَبْطَحِينَ كَلِمًا وَمَانَعَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يَرِيدُهَا
 ديوان الخنساء، ص 40
 وقالت الخنساء:

أَمِنْ حَدَثِ الدَّهْرِ عَيْنُكَ تَهْمَلُ تَبْغِي عَلَى صَخْرٍ وَفِي الدَّهْرِ مَذْهَلُ
 ديوانها، ص 91
 وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

نَصْرَنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ رَجَالِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
 ديوانه، ص 314

⁷ فاعلٌ احتال احتيالاً: أتى بالحيلة واستعملها

وَسَطَوَاتِ كُلِّ طَاغٍ مُحْتَالٍ¹ وَفِتْنَةُ الْجُبَيْنِ وَبَلْبَالِ² الْبَالِ
وَفِتْنَةُ الْجَرِصِ وَطُولِ الْأَمَالِ وَفِتْنَةُ الْأَهْلِ وَمَالِ مَيَّالٍ³
وَفِتْنَةُ الدُّنْيَا كَرَفَرَاكِ⁴ الْأَلِ⁵ وَفِتْنَةُ الْعِلْمِ وَزَيْغِ⁶ الْأَقْوَالِ
وَفِتْنَةُ الْجَهْلِ⁷ وَسُوءِ الْأَعْمَالِ وَفِتْنَةُ الشَّيْطَانِ رَأْسِ الضَّلَالِ

¹ فاعلُ اختال وتخايل: تبتختر وتكبر

² شدة الهم. قال حاتم الطائي:

فلما رآني كبر الله وحده

دیوانه، ص 136

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

منع الرقَادَ بِلَابِلٍ وهموم

دیوانه، ص 289

وقال الكميت الأسدي:

ديارُ اللواتي سرن عنها عشية

دیوانه، ص 376

وقال الراعي النميري:

فأبوك سيدها وأنت أشدها

شعره، ص 143

³ مبالغه مائل: كبير الميل

⁴ ما يتلأأ

⁵ السراب أو ما يشاهد في الضحى كالماء بين الأرض والسماء كأنه يرفع الشخص

⁶ الميل عن الحق

⁷ الجہل هنا خلاف العلم. كما قال السموأل:

سلي إن جلّيت الناس عنا وعنهم

دیوانه، ص 14

وقال حاتم الطائي:

وكان يخالُ الأرض قفراً بريّة

دیوانه، ص 121

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

كنتُ قبل اللقاء منه بجهلٍ

فقد أمسيْتُ قد أصاب فؤادي

وَفِثْنَةُ الْغَاوِي الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَكُلِّ طَاغُوتٍ¹ إِمَامِ الْجَهَّالِ
بِحُرْمَةِ² مُحَمَّدٍ وَالْأَلِ³

ديوانه، ص 135

¹ ولشرح هذه الكلمة ننقل فيما يلي ما كتبه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في تفسيره للقرآن: "طاغوت من طغى على زنة ملكوت وجبروت وهو من يتجاوز الحدود فالشيء الذي قد تجاوز حدّه المناسب له يقال له "طغى" مثل "طغى الماء" أي قد كسر الماء الحدود فالآفة التي أهلكت قوم ثمود سمّيت بالطاغية ومن هنا استخدمت هذه الكلمة لتجاوز حدود العبودية ومن فعل هذا فهو جعل يسعّى بـ"طاغوت" ثم توسع طاقيها حتى جعلت تستخدم كل ما هو السبب من وراء تجاوز الحدود وعلى هذا فيشرحها اللغويون عادة بـ"الطاغوت عبارة عن كل معتدٍ وكل معبود من دون الله".

وقد استخدم القرآن هذه الكلمة في مواضعه المختلفة وذكر في كل منها ما يقابلها من الكلمة وهكذا فقد أشار إلى معانيها المختلفة فمثلاً قال في الآية التي نحن بصدد البحث عنها "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ" (البقرة: 256) فالمراد هنا من "الطاغوت" كل معبود من دون الله، وقال في سورة النحل "أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" (رقم الآية: 36) وهنا كذلك أريد بها كل معبود من دون الله. وقال في سورة النساء "الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ" (رقم الآية: 76) وقال بعدها فوراً "فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ" (76) فتعين أن المراد من الطاغوت الشيطان وكلمة الشيطان تشمل شياطين الإنس والجن كليهما، وكذا استخدمت هذه الكلمة لما دون كتاب الله ورسوله فقال "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا" (سورة النساء: 60-61) فقد أوضح بـ"تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَاللَّهُ وَالْأَرْسُولُ" مقابل "يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ" أن المراد من الطاغوت ما هو خلاف كتاب الله ورسوله.

فقد بدا من هذا التفصيل أن من يخرج عن حدود عبادة الله وطاعته أن أن يكون وسيلة للخروج عنها كل ذلك يشمل هذا المعنى". (تفسير تدبر قرآن، 591/1)

² دَمَة، قال علي بن أبي طالب:

إلهي بحق الهاشمي وآله
بحرمة إبراهيم خلّك أضرع
إلهي فانشرني على دين أحمد
تقيّاً نقيّاً قانئاً لك أخشع

ديوانه، ص 66

³ وكتب تحت هذا المصراع: "عليهم الصلوات" (رواية الأعظمي، ص 1)

في غفلة الإنسان

أَمَّا لِلنَّاسِ أَخْلَامٌ¹ أَهْلُهُمْ فِي السَّكْرِ نَوْمٌ²
وَهُمْ وَرَادُ حَوْضِ الْمَوْتِ تِ³ أَصْرَامٌ⁴ فَأَصْرَامٌ
فَأَبَاءٌ وَأَبْنَاؤُا وَأَخْـوَالٌ وَأَعْمَامٌ
وَأَخْـوَانٌ وَأَخْـلَانٌ⁵ وَأَخْـدَانٌ¹ وَأَخْـلَامٌ²

¹ جمعُ حِلْمٍ: عقل، ويقال "تأمرهم أحلامهم بكذا" أي عقولهم. قالت الخنساء:

ليبيك الخير صخرًا من معدن ذوو أحلامها وذوو نهاها
ديوانها، ص 116

² نائم ج: نَوْمٌ وَنِيَامٌ وَنَوْمٌ

³ هذا التعبير استخدمته الخنساء حينما قالت مخاطبة أخاها صخرًا:

يا صخر، قد كنت بدرًا يستضاء به فقد ثوى، يوم مئ، المجد والجد
فاليوم أمسيت لا يرجوك ذو أمل لما هلك، وحوض الموت مورود
ديوانها، ص 38-39

وكذلك يقال "حوض الموت وارد" كما قال حاتم الطائي:

يا مال، إحدى خطوب الدهر قد طرقت يا مال، ما أنتم عنها بزحزاح
يا مال، جاءت حياض الموت واردةً من بين غمرٍ فخضناه وضحضاح
ديوانه، ص 100

⁴ صِرْمٌ ج: أَصْرَامٌ وَأَصْرَامٌ وَأَصْرَامٌ: الجماعة والصنف. قال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

نقلنا سبيهم صرماً فصراً إلى صرْمٍ كما نُقِلَ النصيبُ
ديوانه، ص 40

⁵ جمعُ خليل كما قال حاتم الطائي مخاطباً زوجته:

وإني لُنَجٍّ للمطبي على الوغى وما أنا من خَلَاتِكِ ابنة عفزرا
ابنة عفزر كنية ماوية زوجة حاتم. ديوانه، ص 107
وكذا يُنسب إليه ما يلي:

أرى الناس خَلَانَ الجواد، ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل

فَخَرَّانَتْهُمْ قَرَابَاتٌ وَأَنَسَابٌ وَأَرْحَامٌ³
وَرَيْبُ الدَّهْرِ يَبْرِيهِمْ⁴ وَثَوِيهِ¹ الْعَظْمِ أَسْقَامُ

ديوانه، ص 145

¹ جمع خِذْن: الحبيب والصاحب للمذكر والمؤنث وقد استخدمت هذه الكلمة في القرآن الكريم حيث قال تعالى:

"وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ" (سورة النساء: 25)

وقال حاتم الطائي:

ربَّ بيضاء فرغها يتثنَّى
لم يكن بي تحرج غير أني
قد دعيتني لوصولها فأبيت
كنتُ خدنًا لزوجها، فاستحيت

ديوانه، ص 99

وقال علي بن أبي طالب مخاطبًا ولده الحسن:

ترد رداء الصبر عند النوائب
وكن صاحبًا للحلم في كل مشهد
تنل من جميل الصبر حسن العواقب
فما الحلم إلا خيرُ خدن وصاحب

ديوانه، ص 15

² وفي رواية الأعظمي (ص 2): "أخلام" وكلاهما يعني الصديق الخالص والعظيم. قال الكميت الأسدي:

إذا ابتسر الحر أخلامها
كشافاً وهيخت الأفحل
ديوانه، ص 307، ويروى "أحلامها" في اللسان.

³ قال تعالى مشيرًا إلى هذه الحالة للناس:

"إِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِيقَتِهِ ۚ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" (سورة عبس: 33-37)

⁴ يرى يبري الشخص: أضعفه. قالت الخنساء:

أسائل كلَّ والهة هبول
براها الدهر كالعظم المهيض

المهيض: الكسير، ديوانها، ص 75

1 من أوهاه ويوهي: أضعفه وجعله واهياً
2 حبلٌ رَمَامٌ وأرمامٌ ورَمَمٌ: بال
3 منهومٌ: مولعٌ بالشئ فيقال "منهومٌ بالمال" أي مولع به لا يشبع منه واليه الإشارة في قوله تعالى: "أَلْهَيْكُمْ الْكَاثِرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾" (سورة التكاثر: 1-2)
4 كوم
5 تهمام بالشئ، على وزن تَفْعَال كترحال وتهمال وتضياف وتطواف وتزوال وتلداغ وتسجال
وتقطار وتمداح: هم شديد به وكذلك هو يعني الضلال كما قالت الخنساء:
وقد أتاني حديثٌ غيرُ ذي طيلٍ من معشرٍ رأيهم قداماً تهايم
ديوانها، ص 105
6 شدة العلاقة بها
7 واليه الإشارة في قوله تعالى في سورة التكاثر (8): "ثُمَّ لَنَسَلْنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾".
8 إسكات بالحجة
9 إيجاع الرجل بإعدامه ما يتعلق به من أهل ومال
10 إقلاق وتعنيف
11 تصيير أحيد خاضعاً وتقطيعه
12 إذلال وتذليل وإكراه

في قلب الأيام بالناس

العَيْشُ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ¹ والدَّهْرُ إِقْبَالٌ² وَإِذْبَارٌ³

¹ إحلأ: تصيير الشيء حلواً وإمرار: جعل الشيء مرّاً. ومنه "ما يمر ولا يحلي" أي لا يتكلم بمر ولا يحلو. قال حاتم الطائي:

فقدتُ الذي من يرى البخل رفعةً إذا حلّ ضيفٌ لا يُمر ولا يحلي

ديوانه، ص 27

² إقبال: جعل أحدٍ أمامه وإدبار: جعل أحد خلفه ويقال "أقبلت زيدا مرةً وأدبرته أخرى". وكذلك إقبال وإدبار يعني بهما "الدهر دول". وقال الكميت الأسدي:

أغشى المكارة أحياناً ويحملني منه على طأة والدهر ذو نوب

طأة: دابة، وذو نوب: ذو مصائب ونوازل، ص ديوانه، ص 97

وقال علي بن أبي طالب:

صرمتُ حبالك بعد وصلك زينبُ والدهر فيه تصرّم وتقلّب

ديوانه، ص 26

وقال الراعي النميري:

ما الدهر إلا مثل واردةٍ إذا قضى عنق منها أتى عنق

شعره، ص 105

ويستعار بالإقبال الغنى والإدبار الفقر كما قال علي بن أبي طالب:

الناس في زمن الإقبال كالشجرة وحولها الناس ما دامت بها الثمرة

حتى إذا ما عرت من حملها انصرفوا عنها عقوقاً وقد كانوا بها برره

ديوانه، ص 46

وله ما يلي وهو أوضح:

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله ما نالها

من لم يواس الناس من فضله عرّض للإدبار إقبالها

فاحذر زوال الفضل يا جابر واعط من دنياك من سألها

ديوانه، ص 81

³ كما قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا:

تبكي خناسٌ على صخرٍ وحقّ لها إذ راها الدهر، إنَّ الدهر ضرار

لا بدّ من ميتة في صرفها عبر والدهر في صرفه حول وأطوار

بَيْنَا الْفَتَى يَرْفُلُ¹ فِي ثَرْوَةٍ إِذْ نَابَهُ² بُؤْسٌ³ وَإِقْتَارٌ⁴
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ مُقِيمٌ إِذَا جَشَّ مَهْ¹ لِلْبَيْنِ أَسْفَارُ

ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت
يومًا بأوجد مني يوم فارقي
ديوانها، ص 45-46

وقال علي بن أبي طالب:

ألم تر أن الدهر يوم وليلة
يكرآن من سبت جديد إلى سبت
ديوانه، ص 30

¹ رَفُلَ يَرْفُلُ: ذِيلُ الثوبِ وتبختر فيه وخطر بيده، وكذلك يعني "خَرَقَ فِي اللباس".

² نَابَهُ: نَزَلَ بِهِ كَمَا قَالَ حَاتِمُ الطائي:

ألم تعلني أني إذا الضيف نابني
وعز القرى، أقري السديف المسرهدا
ديوانه، ص 78

³ جَمْعُهُ أَبُؤْسٌ: الشدة والفقر، وإقتار: حالة قلة المال

⁴ بؤس ضد نعمة كما قالت الخنساء:

وَعُدَّتْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ بؤسِي بِأَنعم
فكلهم تعني به وتواصله
ديوانه، ص 103

ونسب إلى تأبط شراً:

يابس الجنين، من غير بؤس،
وندي الكفين، شحم مُدل
ديوانه، ص 249

وكذلك هي تعني العذاب كما قالت الخنساء:

ليبيكه مقتر أفنى حريبتيه
دهر وحالفه بؤس وإقتار
ديوانها، ص 48 وهنا أريد بها المعنى الثاني.

وقال حاتم الطائي:

ألا أعانُ على جودي بميسرة
فلا يُردُّ ندي كفي إقتاري
ديوانه، ص 41

وأيضاً قال:

وما دارعٌ إلا كآخر حاسرٍ
وما مُقترٌ إلا كآخر ذي وفر
ديوانه، ص 93 فذو وفر ضد مقتر.

وَكَمْ رُحَى الْعَيْشِ فِي قَصْرِهِ
إِذْ رَفَعَ النَّعْشُ لَهُ بَغْتَةً
وَكَمْ قُوَى الْبَطْشِ يَغْنُو⁴ لَهُ
إِذْ سَلِبَ الْمَلِكُ فَلَمْ يُغْنِهِ
مَا بَالَ أَثْرَابٍ⁵ لَنَا قَطَعُوا
عَنَّا حِبَالَ الْوُدِّ إِذْ سَارُوا⁶

¹ جَسَمَهُ: كَلَفَهُ كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كَثُومٍ:

فَذَقَ الَّذِي جَسَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَسِبْ
ديوانه، ص 39

² فَعَمَهُ الطَّيْبُ يَفْعَمُهُ: مَلَأَ خِيَاشِيمَهُ

³ وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي نَفْسِ الْقَصِيدَةِ:

فِي جَوْفٍ لِحَدِّ مَقِيمٍ قَدْ تَضَمَّنَهُ
وَالْمَقْمَطَرَاتُ: صَخُورٌ عِظَامٌ وَأَحْجَارٌ صَغَارٌ. ديوانها، ص 48
⁴ عَنَالَهُ يَعْنُو: خَضَعَ وَذَلَّ

⁵ جَمْعُ تَرْبٍ: مَنْ وَلَدَ مَعَ أَحَدٍ كَمَا قَالَ الْمَسَاوِيرُ بْنُ هَنْدٍ بِنِ زَهِيرٍ:

أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَالَهُ مَتَقَّرَ
وَأَرَى الْغَوَانِي بَعْدَمَا أَوْجَهَنِي
شرح ديوان الحماسة، 1/175

⁶ كَمَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا صَخْرًا:

تَبْكِي خَنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا عِبْرَ
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا اذْكُرْتَ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي

ديوانها، ص 45-46

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ
يَكْرَانُ مِنْ سَبْتٍ جَدِيدٍ إِلَى سَبْتٍ

ديوانه، ص 30

هَلْ شَغِلُوا عَنَّا فَلَمْ يُخْبِرُوا
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ دَارَ بِهِمْ
هَلْ بَلَّغُوا مَا كَانَ مَقْصَدَهُمْ
فَهَلْ أَنَاخُوا¹ فِي ذُرَى² غِبْطَةٍ³
أَرْضَاهُمْ الرَّبُّ فَرَكَّاهُمْ⁴
أَمْ ضَلَّتِ الرِّكْبُ فُحْمٌ⁵ لَهُمْ
فِيْمَنْ مَضَى وَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ
عَنْ نَبَأٍ أَمْ سُدَّ أَخْبَارُ
دَهْرٍ بِأَمْرِ النَّاسِ دَوَارُ
أَمْ عَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ قَدْ جَاوَزُوا
فِيهِمُ ظِلٌّ وَأَنْهَارُ
عَنْ ذُنُوبِهِمْ فَالرَّبُّ غَفَّارُ
وَيْلٌ فَوَادِي الْغَيِّ فَالْنَّارُ⁶
لِلْمَرْءِ تَفَكُّيرٌ وَإِنْ ذَارُ

¹ أناخ بالمكان: أقام به

² الذرى: الملجأ والكنف وفناء الدار

³ غبطة: حسن الحال، ونعمة دائمة

⁴ أي طهرهم عن الذنب

⁵ حُمّ لهم: قُدِّرَ لهم وقُضِيَ عليهم كما قال حسان بن ثابت الأنصاري في يوم بدر:

ألا يا لقوم هل لما حُمّ دافع
وهل ما مضى من صالح العيش راجع
ديوانه، ص 207

⁶ تكرار الفاء هنا للترتيب كما قالت الخنساء:

فقد زاح عنا اللوم إذ تركوا لنا
أرومًا فأرامًا فمَاءً بواردا
ديوانها، ص 33

وقال تأبط شراً:

عفا من سليبي ذو عنان فمُنْشِد
فأجزع مأثول خلاء فَبَدِيد
ديوانه، ص 76

وقال ابن رنابة الجاهلي:

يا لهف نفسي للحارث الـ
صائح فالغانم فالأييب
شرح ديوان الحماسة، 39/1

في نور الحكمة والإيمان¹

"قال أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره في قوله تعالى "مثل نوره كمشكاة فيها

مصباح" مثل نوره في قلب المؤمن".²

مَا أَتْلَعُ الْقُرْآنُ مِنْ دَاخٍ لَوْ كَانَ فِيكُمْ سَامِعٌ وَاعٍ
كَمْ حِكْمَةٍ فِيهِ وَكَمْ مَثَلٍ لِلنُّصُوحِ وَالتَّفَكُّيرِ جَمَاعٍ

¹ قبل أن نقرأ هذه المنظومة يجمل بنا أن نقرأ الآيات التالية من سورة النور (34-46) حيث قال تعالى: "وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۝ اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلَّذِينَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ۝ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ۝ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ۝ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرِئُزُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَلُهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ۝ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَنَفَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ ۝ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾"

² تفسير الطبري، تفسير سورة النور

يُعْمَى بِهِ الْغَاوِي وَيُهْدَى بِهِ	عَبْدٌ عَلَى نَهْجِ الْهُدَى سَاعٍ ¹
كَالْمُزْنِ فِيهِ الْبَرْقُ وَالْوَدْقُ ²	وَالْإِظْلَامُ ³ ضَّرَارٌ وَنَقَاعٍ
فَمَثَلُ الْإِيْمَانِ يَلْمَعُ فِي	قَلْبٍ سَلِيمٍ لِلتَّقَى رَاعٍ
مِثْلَ سِرَاجٍ فِي رُجَاجٍ كَمِثْلِ	الْكَوْكَبِ الدُّرِيِّ ⁴ لَمَاعٍ ⁵
فِي وَسْطِ مِشْكَاةٍ وَيُوقَدُ مِنْ	زَيْتُونَةٍ فِي خَيْرِ أَقْطَاعٍ ⁶
مِنَ الْبِلَادِ لَا بِشَرْقِيَّةٍ	وَلَا بِغَرْبِيَّةٍ أَصْـقَاعٍ ⁷
كَأَدِ يَضِيئُ زَيْتُهَا قَبْلَ أَنْ	تَمْسُوهَ النَّارُ لِإِشْمَاعٍ ⁸
نُورٌ عَلَى نُورٍ وَمَنْ يَهْدِهِ	اللَّهُ لَهُ يَهْتَدِ بِإِسْرَاعٍ
وَمَثَلُ الْكُفَّارِ أَعْمَالُهُمْ	كَيْلَمَعٍ رُقْرِقٍ بِالْقَاعِ ⁹
يَحْسَبُهُ الظُّمَانُ مَاءً قَيًّا	تِيهِ بِإِهْرَاعٍ وَإِيْضَاعٍ ¹⁰

¹ قال الله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾" (سورة البقرة: 26)

² الودق: إِمطار السماء

³ إظلام الليل: صيرورته مظلمًا وإظلام الرجل: دخوله في الظلام

⁴ الدرّي: الكوكب المضيء كالدر

⁵ لماع: مبالغة اللماع

⁶ قِطْعُ ج: أقطاع

⁷ صُقْعُ ج: أصقاع: ناحية

⁸ إشماع السراج: سطوع نوره

⁹ يلمع ج: يلامع: السراب، رُقْرِق: تالًا كالماء، قاع ج: أقواع وأقوع وقيعان: أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والأكام

¹⁰ إهراع: العجلة في الإسراع، إيضاع: الإسراع في السير، قال دريد بن الصمة:

وجناء لا يسأم الإيضاع راكِبها إذا السرابُ اكتساه الحزن والغور

ديوانه، ص 89 وله كذلك:

حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا سَوِيًّا غَيْرَ خَدَاعٍ
وَوَجَدَ اللَّهُ لَدَيْهِ فَوْقَ هُجْرَاءِ الصَّاعِ بِالصَّاعِ
وَمَثَلُ الْكُفْرِ عَمَائِيَّةٌ² غَطَّتْ³ عَلَى قَلْبٍ وَأَسْمَاعِ
كَظَلَمَاتِ الْبَحْرِ هَاجَتْ⁴ بِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ هَوَجَاءِ زَعَزَاعٍ⁵

وَرُبَّتْ غَارَةٌ أَوْضَعْتُ فِيهَا ديوانه، ص 113
وقال الكميت الأسدي:
معكوسة كقعود الشول أنطفها ديوانه، ص 223
الجزء: يستخدم للثواب والعقاب معًا، وهنا للمعنى الثاني كما قال السموأل:
وأصرف عن قوارص تجتذيني ولو أني أشاء بها جزيئ
قوارص: كلمات مكروهة مؤلمة. ديوانه، ص 18
جمع عماية: ظلمة كما قال الراعي النميري:
حتى إذا نطق العصفور وانكشفت عماية الليل عنه وهو معتمد
شعره، ص 49
ومن هنا تستعار للغواية كما قال تأبط شراً:
في حيث لا يعميت الغادي عمائته ولا الظليم به يبغى تهبّاداً
ديوانه، ص 77
وقال شاعر حماسي:
مكانك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتألق
شرح ديوان الحماسة، 138/1
لها معنيان: (1) من غطّ بمعنى صُبّ وعَصِرَ، (2) غطّى بمعنى ستر
هاجت أي اضطربت كما قال حاتم الطائي:
وما هاجني ذكر النساء، وإنني طروب، ولكن غير ذلك ذاكر
ديوانه، ص 114
الهوجاء: الرياح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت، والريح الزعزع والزعزاع: شديدة تزعزع
الأشياء كما قال الكميت الأسدي:
من المَعْصِفَاتِ الْهَوْجِ فِي عَرَصَاتِهَا زعازع يكسون البلى رسمها جفّل
ديوانه، ص 255

يَقْمُصُ بِالْفُلْكِ¹ عَلَى لُجْهِه
فِي لَيْلَةٍ سَحْمَاءٍ² قَدْ غَمَّهَا³
فَالْجَوْ فِي ظَلَمَاءٍ⁴ خَالِكَةٍ⁵
قَدْ مَطَّتِ⁷ الظُّلْمَةُ أَطْرَافَهَا
مَنْ أَخْرَجَ الْكَفَّ لِيَبْصُرَهَا
فَظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ
دَقَّاعٌ مَوْجٍ بَعْدَ دَقَّاعٍ
جُمَّاعٌ غَيْمٍ فَوْقَ جُمَّاعٍ
وَالْقَلْبُ فِي الْغَمَاءِ⁶ وَالْهَاعِ⁶
وَالطَّرْفُ لَا يَمْطُؤُ⁸ مَدَى الْبَاعِ
لَمْ يَرَهَا، مَاذَا يَمْسُطَّاعُ⁹
ضِ طُبَّقَتْ لَيْسَتْ بِشَعْشَاعِ¹⁰

¹ قَمَصَ بالفلك: حركها كأنها بغير يركض

² سحماء: شديدة السواد

³ أي غطاها وعلاها

⁴ أي ليلة ظلماء كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

والليلة الظلماء أدلجها بالقوم في الديمومة القفر

ديوانه، ص 140

⁵ شديدة السواد فهي درجة فوق السواد كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده نزد في سواد وجهه لونَ حالك

ديوانه، ص 237

⁶ الغمَاء: الحزن والكرب والداهية، والهاع: الجزع

⁷ وَسَعَتْ وَمَدَّتْ

⁸ مطا يمتطو: أسرع في السير

⁹ ونفس المعنى أراد حسان بن ثابت الأنصاري في أبياته التالية:

والليلة الظلماء أدلجها بالقوم في الديمومة القفر

ينعى الصدى فيها أخاه كما ينعى المفجع صاحب القبر

وتحول دون الكف ظلمتها حتى تشق على الذي يسري

ديوانه، ص 141

¹⁰ شَعْشَاع: خفيف غير كثيف كما قال تأبط شراً:

على غرة أو جهرة من مكانس أطال نزال الموت حتى تشعشعا

أي حتى أصبح خفيفاً. ديوانه، ص 116

وكذا يعني مضيقاً فالمراد تأكيد الظلمة كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وقد غدوت على الحانوت يصحبني من عاتق مثل عين الديك شَعْشَاع

ديوانه، ص 209

في تناول الطليان على طرابلس

كَيْفَ الْقَرَارُ¹ وَقَدْ نُكِسَ² أَغْلَامُنَا بِطَارَابُلُسْ
كَيْفَ الْقَرَارُ وَحَوْلَنَا الْأَعْدَاءُ تَرْتَقِبُ الْخُلُسَ³
مِنْ كُلِّ⁴ ذَنْبٍ إِنْ رَأَى مِنْ غِرَّةٍ فِينَا اخْتَلَسَ
أَوْ أَفْعُوَانٍ⁵ مُطْـرِقٍ⁶ إِنْ لَمْ نُبَادِرْهُ نَهَسَ⁷
نَبْكِى⁸ عَلَى إِخْوَانِنَا بَيْنَ الْقَتِيلِ وَمَنْ حُسِ
كَمْ مِنْ تَقِيٍّ طَاهِرٍ فِيمَ⁹ وَنَحْرِيرٍ¹⁰ نَدِسَ¹¹
نَبْكِى¹² لِرَبَّاتِ الْخُدُو رِ¹³ شَرَقْنَ¹ بِأَمَاءِ السَّيْلِ²

¹ القرار: الهدوء والاطمئنان كما قال عنتر بن شداد العبسي:

وصبَّ لا يقر له قرارٌ ولا يسلو، ولو طال الرحيل

ديوانه، ص 117

² قُلَيْتُ ظَهراً لبطن كما قال أبو اللحام التغلبي يمدح عبد الله بن عمرو بن كلثوم:

وكانَ طعم مدامة جليّة قد عتقت سنتين لما تُنكس

ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، ص 111

³ سلب الشيء بالمخاطلة والعجلة

⁴ "الكل" لا يوجد في مكاتيب فراهي، ص 77

⁵ ذكر الأفعى

⁶ مستهدف

⁷ نهست ونهست الحية فلاناً: نهشته

⁸ في مكاتيب فراهي (77) "لهفى"

⁹ في مكاتيب فراهي (ص 77) "فهيم"

¹⁰ تحرير ج: نحارير: الحاذق الفطن العاقل

¹¹ الفاهم الكيس

¹² في مكاتيب فراهي (ص 77) "يا بؤس"

¹³ قال عمرو بن كلثوم:

جَرَبَ الْجُؤُفُ عَلَى الْأُلُوْ
هُمُّ أَهْلُنَا وَعَشِيرُنَا
يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ يَا
هَلْ تَنْعَسُونَ⁵ وَخَصْمُكُمْ
هَلْ تَرْتَضُونَ⁷ بِذَلَّةٍ
إِنْ لَا تَهْبُؤُوا الْيَوْمَ فَا
فِ مِنَ الرُّخُوفِ³ وَمَنْ جَلَسَ
أَفِيَّ الْمَوْنِ وَلَا نُجَسَ
أُبْنَاءَ آبَاءِ شُمُسٍ⁴
عَنْ كَيْدِهِ مَا إِنْ نَعَسَ⁶
وَالْأَمْرُ لَيْسَ بِمُلْتَمَسٍ⁸
لِإِسْلَامٍ يَتَعَسُ⁹ بَلْ تَعَسَ

على آثارنا بيض حسان
أخذنا على بعولتهن عهداً
لتستلين أفراساً وبيضاً
ترانا بارزين وكل حي
إذا مارحن يمشين الهويني
يقتن جياننا ويقلن لستم
إذا لم نحمهن فلا بقينا
ظلعائن من بني جشم بن بكر
وما منع الظلعائن مثل ضرب
نحاذر أن تقسّم أو تهوننا
إذا لا قوا كئائب معلمينا
وأسرى في الحديد مقرّينا
قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كما اضطربت متون الشاربينا
بعولتنا إذا لم تمنعوننا
لشيء بعدهن ولا حيننا
خلطن بميسم حسباً ودينا
ترى منه السواعد كالقلينا

ديوانه، ص 86-88

¹ في مكاتيب فراهي (ص 77) "شرفن". شَرِقَ بالشيء: اختلط

² الماء السلس: لِين الانحدار

³ رَحْفٌ ج: رُخُوفٌ الجيش الكثير الذي يزحف (يمشي) إلى العدو

⁴ شُمُوشٌ ج: شُمُسُ: الأبى الغيور

⁵ من نعس ينعس وينعس الرجل: أخذته فترة في حواسه فقارب النوم

⁶ في مكاتيب فراهي (ص 78) "نفس"

⁷ في الأصل "ترضون" ولكن بدون التاء لا يستقيم الوزن

⁸ هذا البيت في مكاتيب فراهي (ص 78)

⁹ في الطبعة الأولى (ص 9) ونسخة الأعظمي (ص 6) "تيعس" وأما في الطبعة الثانية (ص 15)

فهي "تيعس" وهي الصواب. وتيعس يتعس: هلك

قَدْ زُلْزِلَتْ ¹ أَرْكَائُهُ	حَتَّى تَقْعَقَعَتْ ² الْأُسُسُ
فَالْخَصْمُ يَجْهَدُ أَنْ يَرَى	الْإِسْلَامَ فِي بُؤْسٍ بَائِسٍ ³
هَلْ لَا ذِكْرُكُمْ مَا أَصَا	بِ الْمُسْلِمِينَ بَائِسٌ دُلْسُ
سَلْبُوكُمْ شَطْرَ الْبِلَا	دِ وَمَا لَهَا مِنْ مُلْتَمِسِ
أَفْكَالٍ يَوْمٍ يَنْكُصُ ⁴	الْإِسْلَامَ حَتَّى يَنْدَرِسَ
هَذَا وَلَمَّا يَنْكَأ ⁵	الْجُرْحُ الْقَطِيعُ بَائِسٌ دُلْسُ ⁶
هَلْ يَنْذَهُبُ ⁷ الْحَقُّ النَّقْـ	يُ وَيَغْلِبُ الْكِذْبُ الرَّجْسُ ⁸
هَلْ تَرْتَضُّونَ بِذُلِّ دِينِـ	كُكُمْ وَلَيْسَ بِمُلْتَمِسِ
وَاللَّهِ لَا نَرْضَى بِـ	مَا دَامَ فِينَا مِنْ نَفْسِ
فَالْيَوْمَ إِنْ لَمْ تَدْفَعُوا	فَلْيَأْتَيْنِ يَوْمَ نَجْسٍ ⁹
إِنِّي أَرَى فِتْنًا تَمْـ	جُ وَقَدْ ظَهَرْنَ ¹⁰ لِمَنْ حَدَسَ
نَارًا تَأْجُجُ ¹¹ فِي الْبِلَا	دِ وَقَدْ تَلَهَّبَتْ ¹ الْأُطْسُ

¹ في مكاتيب فراهي (ص 78) "هدمت"

² في مكاتيب فراهي (ص 78) "تضعضت" أي تكسرت كما قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يعلم الأقوال أنا تضعضعنا وأنا قد ونينا

ديوانه، ص 78. وتقعقت: اضطربت وتحركت

³ شديد وهذا كمثل قلة قليلة وكثرة كاثرة وظل ظليل.

⁴ من نكص ينكص وينكص: رجع عما كان عليه

⁵ من نكأت تنكأ: قشرت قبل أن تبرأ

⁶ هذا البيت في مكاتيب فراهي (ص 78)

⁷ في مكاتيب فراهي (ص 78) "يدحض"

⁸ الرجس: الشيء القبيح

⁹ يوم نجس: يوم شديد غير سعيد

¹⁰ في مكاتيب فراهي (ص 78) "أبان"

¹¹ تآججت تتأجج: التهب واشتد حرها، قال حسان مجيباً على هجو أمية:

الْخَصْمُ لَيْسَ بِمُؤْتَلٍ ²	حَتَّى يَرَى الْحَقَّ طَمَسٌ ³
يَبْغُونَ قُسْطُنْطِينِيَّ	ةً وَبَعْدَهَا أَرْضَ الْقُدْسِ ⁴
وَاللَّهُ يَأْبَى أَنْ يُدْثَسَ ⁵	قُدْسَهُ الْقَوْمُ النَّجِسُ ⁶
قَدْ صِيحَ فِي حُجْرَاتِهَا	وَلْتَسْمَعَنَّ لَهَا الْجَرَسُ
فَلَنَنْضَحْنَ ⁷ أَوْ نُقْتَلْنَ	عَنْ قُدْسِنَا الْقَوْمِ النَّجِسِ
فَا حَمَوْا ذِمَّارَ ⁸ الْمَلَّةِ ¹	الْبَيْضَاءِ كَالْأُسْدِ الشُّكْسِ ²

بنيت عليك أبنائنا صلابا
مجلالة تعممه شناراً
كأمر الوسق فقص بالشظاظ
مضرة تأجج كالشواظ

ديوانه، ص 199

¹ تلتهب: اتقدت

² مؤتل: مقصر كما قال مسور بن زيادة الحارثي:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب
أذكر بالبقيا على ما أصابني
فإن لم أنل ثاري من اليوم أو غد
رهيئة رمس ذي تراب وجندل
وبقياني أني جاهد غير مؤتلي
بني عمنا فالدهر ذو متطول

شرح ديوان الحماسة، 84-83/1

³ هذا البيت في مكاتيب فراهي (ص 78) وطمس: درس وانمحي

⁴ ويروى هذا البيت في مكاتيب فراهي كما يلي:

فلئن بغوا قسطنطينية
يطالب أرض القدس

مكاتيب فراهي، ص 78

⁵ دثسه يدثس: صيره دنساً

⁶ هذا البيت في مكاتيب فراهي (ص 78)

⁷ من نضح الرجل بالنيل ينضح وينضح: رماه به وكذا دافع

⁸ حماية الذمار: حماية ما يلزمك حفظه من مال وحريم كما قالت الخنساء أخاها صخرًا:

واجرة حرما صاخذ
لتدرك شأوا على قريبه
جعلت رداءك فيها خمارا
وتكسب حمدا وتحمي الذمارا

ديوانها، ص 51

وأيضاً قالت:

يا عين جودي بالدموع الغزار
وابكي على أروغ حامي الذمار

وَاسْتَجْمِعُوا عُودَدًا فَمَا تَجْرِي السَّفِينُ عَلَى الْيُبُسِ
أَغْنِي الْمَرَكَبَ وَالْمَدَا فِعَ وَالْكَتَائِبَ وَالْحَرَسَ
وَتَعْلَمُوا حَيْلَ الْحُرُوتِ بِإِتْغَابُوا³ الْخَصَمَ الشَّرِسَ⁴
فَتَأْهَبُوا⁵ وَتَأْلُبُوا⁶ وَتَلَبُّوا⁷ لِوَعَى⁸ ضَرِسٍ¹

ديوانها، ص 60

وقال حاتم الطائي:

حاشا بني عمرو بن سِنِينِ إِيهِمْ مَنْعُوا ذِمَارَ أَبِيهِمْ أَنْ يَدْنَسُوا
ديوانه، ص 116

وينسب إلى دريد بن الصمة:

ولكنني أحمي الذمار وأنتهي إِلَى سَعِي أَبَاءِ نَمَوْا شَرَفِي قَبْلِي
ديوانه، ص 199

وقال حسان بن ثابت الأنصاري في ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وَمَاءِ بَدْرٍ زَعَمْتُمْ غَيْرَ مُورُودٍ
ديوانه، ص 73

¹ "ذمار الملة" لا يوجد في مكاتيب فراهي (ص 78)

² في مكاتيب فراهي (ص 78) "الكس". أَسَدٌ ج: أُسْدٌ. وَشَكِسٌ ج: شُكْسٌ: صعب الخلق. قال
حاتم الطائي:

والله يعلم لو أتى سُلاَفَهُمْ طَرَفَ الْجَرِيضِ ظِلَّ يَوْمٍ مَشْكَسٍ
ديوانه، ص 117

³ في مكاتيب فراهي (ص 78) "وادفعوا"

⁴ الشرس والشريس: سيء الخلق وشديد الخلاف

⁵ تأهب: تهيأ

⁶ تألب: تجمع وتحشد

⁷ تلب للقتال: تشمر له وتحزم

⁸ الوعى: الصوت والجلبة وهي تكى بالحرب فقال عمرو بن كلثوم:

يُخْلِقُ الْمَالُ فَلَاتَسْتَيْسِي كَرِي الْمَهْرَ عَلَى الْحَيِّ الْحَلَالِ
وابتذالي النفس في يوم الوعى وَطَرَادِي فَوْقَ مُهْرِي وَنَزَالِي

ديوانه، ص 57

وَاسْتَنْصِرُوا اللَّهَ الْمَهِيَّ ————— مِنْ فِي الْعِشِيِّ وَفِي الْغَلَسِ³
 وَلْيَنْصُرْ رَنَّا اللَّهَ مَنَّا ————— يَنْصُرُ رُهُ" فَلْيَخُتَمِ⁴

﴿6﴾

في ذكر هجوم الطليان وظلمهم

يَا عَيْنِي بَكِّي⁵ بِالْهَوَامِغِ¹ لَا تَرْقَأَنَّ² لَكَ الْمَدَامِغِ³

وله كذلك:

والممانعين بناتهم
 ديوانه، ص 96
 وقال قطري بن الفجاءة المازني:
 لا يركنن أحد إلى الإحجام
 شرح ديوان الحماسة، 35/1
 وقال الكميت الأسدي:
 مغاوير أبطال مساعير في الوغى
 ديوانه، ص 75
 إذا الخيل لم تثبت وفرا أربها
 عند الوغى حدباً وبراً

¹ ضرس من الضرس: شديد وقاطع

² في مكاتيب فراهي (ص 78) "المهيد" فحذفت الميم والنون

³ الغلس: ظلام آخر الليل. قال حاتم الطائي:

أقول لأبني وقد سطت يده
 بكلبة لا يزال يجلسها
 أوصيك خيرًا بها، فإن لها
 عندي يدًا لا أزال أحمدها
 تدلّ ضيفي عليّ في غلس اللـ
 يل، إذا النار نام موقدها

ديوانه، ص 106

⁴ احتمس: هاج وقاتل

⁵ من بكى يبكي تبكية. وقد استعملت الخنساء كليهما (بكى يبكي وبكى يبكي) في رثائها فقالت في رثاء صخر:

فبگوا على صخر بن عمرو فإنه
 يسير إذا ما الدهر بالناس أعسرا
 فخنساء تبكي في الظلام حزينة
 وتدعو أخواها لا يجيب معفراً

و"المعفر" الذي التصق الغبار بخده. ديوانها، ص 57

وقالت أيضًا:

قَتَلَنِي طَارِئُ الْبَلَسِ الَّذِي
نُبَكِّي عَلَى إِخْوَانِنَا
دَهَمَتْهُمْ¹ الرُّؤْمُ الْفَوَا
يُنَّ تَطَحَّطَتْ⁴ بِهِمُ الْقَوَارِغُ⁵
أَهْلُ الْمَكَارِمِ وَالْدَّسَائِعِ⁶
تَكُ² بِالْمَرَكَبِ وَالْمَدَافِعِ

فيا عين بكي لامرئ طار ذكره
ديوانها، ص 30
وقالت أيضاً:

فبكي لصخر ولا تنديبي
ديوانها، ص 78 وقالت أيضاً:
يا عين بكي بدمع غير إنزاف
ديوانها، ص 83
وقالت:

فبكيه فقد ولّى حميدا
ديوانها، ص 88
وقالت أيضاً:
فبكي أم عمرو كل يوم
ديوانها، ص 94
وقالت أيضاً:

يا عين بكي على صخر لأشجان
ديوانها، ص 111
وقال حسان بن ثابت الأنصاري:
فبكي رسول الله يا عين عبرة
ديوانه، ص 85

¹ دموع هوامع: سيالة

² رقا الدمع يرقا: جف كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ما بال عينك لا ترقى مدامعها
ديوانه، ص 233

³ جمع مدمع: موضع الدمع ومجراه

⁴ طحطحه وطحطح: كسره

⁵ جمع قارعة: النكبة المهلكة

⁶ في الطبعة الثانية (ص 17) "دسائس"، والدسائس جمع دسيعة: القوة والجفنة الكبيرة

جَاءُوا ³ عَلَى حَرْدٍ ⁴ يَجْمُ	عِيْمَ فَضَّاقَ بِنَا الْمَفَانُ ⁵
دَخَلُوا الْمَدِينَةَ يَفْتُلُو	نَ هَا الْمَشَائِخَ وَالرَّعَارُ ⁶
قَتَلُوا الْمَرَاضِعَ ⁷ فِي الْمَضَا	جِعَ وَالضَّوَارِ ⁸ فِي الشَّوَارِ
وَعَلَّوْا بِطَيِّ زَارَاتِهِمْ	يَتَحَسَّسُونَ ⁹ لَنَا الْمَوَاقِعَ
صَارَتْ تُحْلِقُ فَوْقَنَا	مِثْلَ الْغَرَائِيقِ ¹⁰ الطَّوَالِغَ
يَزُمُونَ مِنْهَا بِالْكِرِينِ	نِ ¹¹ تَمْجُ ¹² بِالزَّهْرِ ¹³ الْقَوَارِ
لِيَبِيدُوا أَفْرَاسَنَا	وَيُحَرِّقُوا مِنَّا الْوَشَائِعَ ¹⁴
لَا دِينَ عَنْهُمْ وَلَا	حِلْمَ ¹⁵ عَنِ الْعُدُونِ وَانْ

¹ دَهْمَهُ وَدَهْمَهُ يَدْمَهُ: غشيه

² الشجاع الجري

³ في الطبعة الثانية (ص 17) "جاروا"

⁴ في نسخة الأعظمي (ص 8): "صرد" وفي الطبعة الثانية (ص 17) "حرد"، والصرد: جيش عظيم، والجرد من الخيل: الذي دبر منه موضع السرج، قال تعالى: "فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۖ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ فَأَنْظَلْنَاهُمْ فِي سُدُورِهِمْ يَتَخَفَتُونَ ۚ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا آلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۚ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرٍ ۚ". (سورة القلم)

⁵ جمع مَفْرَع: الملجأ

⁶ جمع رَعَارَع: حسن الاعتدال وحسن الشباب

⁷ جمع مُرْضِعَة: التي ترضع الصبي

⁸ جمع ضَارِع: نحيف، ضعيف، صغير من كل شيء

⁹ تَحَسَّسَهُ يَتَحَسَّس: تبصر

¹⁰ جمع غُرْنُوقٌ وَغُرْنِيقٌ: جنس زهر من فصيلة الغرنوقيات، مهدد الأصلي إفريقيا الجنوبية، مستحب في جميع البلاد، أزهاره جميلة ومختلفة الألوان

¹¹ كلمة إنجليزية: Crane

¹² مج بالشياء ويمج: رمى به

¹³ في الطبعة الثانية (ص 17) "الزبر"، والزبر: الحجارة، زبرة ج: زبر وزبر: قطعة ضخمة من الحديد

¹⁴ جمع وشيعة: سقف البيت

¹⁵ الحلم هنا ضد الجهل كما قال الفند الزماني:

يُبْدُونَ نَصْرًا رَائِيَةً	زُورًا ¹ وَقَدْ رَفَضُوا الشَّرَائِعَ
بَلْ يَشْمِزُّ ² الْكُفْرُ مِمَّا	يَرْكَبُونَ مِنْ الشَّئِنَاتِ
الْبَغْيِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ	وَالْعَدْرُ سَيْطٌ مِنَ الطَّبَائِعِ
غُرُوا بِأَنَّ الْبُعْدَ بَيْنَ	الْعَرَبِ وَالْأَثَرِ شَاسِعٌ ³
وَبِأَنَّ بَيْنَ قُلُوبِنَا	صَدْعًا ⁴ مِنَ الْأَضْغَانِ وَاسِعٌ
يَا ضَلَّةً ⁵ لَمْ يَعْلَمُوا	أَنَّ الْخِلَافَةَ خَيْرٌ جَامِعٌ
فَلَنَبْذُلَنَّ لَهَا التُّفُو	سَ وَدُونَ حَوَازِيهَا نُدَافِعُ
مَا التُّرْكُ إِلَّا مِثْلُ كَفِّ	فِ الْبَاسِلِ الْعَارِي الْأَشَاجِعِ ⁶
وَالْعَرَبُ مِثْلُ أَصَابِعِ	لَا كَفِّ إِلَّا بِالْأَصَابِعِ

وبعض الحلم عند الجهد	ل للذلة إذعان
شرح ديوان الحماسة، 7/1	
وقال حسان بن ثابت الأنصاري:	
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا	ل وَجْهِ لٍ غَطَّى عَلَيْهِ النِّعِيمِ
ديوانه، ص 308	
وكذلك ضده سفاهة كما قال زهير بن أبي سلمى:	
وَأَنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ	وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
ديوانه، ص 112	
وقال حسان أيضًا:	
فَنَحْنُ كَذَلِكَ الدَّهْرُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا	نَعُودُ عَلَى جَهَالِهِمْ بِالتَّحَلُّمِ
ديوانه، ص 325	
¹ الزُّور: الكذب والباطل	
² اشْمَازٌ من الشيء يشْمِزُ: نفر من الشيء	
³ في الطبعة الثانية (ص 17) "شاشع"	
⁴ الافتراق	
⁵ ضَلَّة: حيرة	
⁶ جمعُ إِشْجَع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف	

في كرة العرب على الطليان

عَدَرْتُ بِنَا الرُّؤْمَ الْقَوَاجِرَ¹ ذَاكَ الَّذِي كُنَّا نُحَاذِرُ²
شَبَبْتُ إِطَالِيَّةَ الْحُرُوفِ بَ³ وَمَا لَهَا فِي النَّاسِ عَاذِرُ⁴
لِنَنَالَ فَخْرًا ثُمَّ دُخْرًا لَوْ أَطَاعَ لَهَا الْمُقَادِرُ
حَثَّتْ لَهَا أَبْنَاءَهَا الرِّجَالُ غَاوِينَ فِي الْهَيْجَا الْمُضَاجِرِ⁵
لِيُدَوِّحُوا⁶ مُلْكًا وَيَنْتَحِرُوا تَهْبُؤُوا الْمَدَائِنَ وَالْعَمَازِرُ

¹ جمعُ فاجرة: التي تنقاد للمعاصي

² من حذِر يحذِر: تحرّز منه

³ أي شَبَّتْ نار الحرب كما قال في مكان آخر من ديوانه:

شَبَّتْ عَلَى بَلْقَانِ نَارَ الْحُرُوبِ
وَهِيَ مِنْ شَبِّ النَّارِ كَمَا قَالَ تَأْبُطْ شَرًّا:

أَشْعَلَهَا بِالْبَغْيِ أَهْلَ الصَّلِيبِ

يَانَا زُشْبَّتْ، فارتفعت لضوئها،
بالجزء من أفتاد، أو من موعل
ديوانه، ص 193

وقال في نفس القصيدة:

إني إذا حمي الوطية

ديوانها، ص 194

وقال رجل من بني

وقال رجل من بني مالك بن حبيب يرثي عمرو بن كلثوم:

أَلَا هَلْكَ ابْنُ كَلْثُومٍ فَبِگَّوَا سَنَا مَكْمَ وَخَيْرُكُمْ نَعَالَا

وفارسكم إذا ما الحرب شبت ومطعمكم إذا هبت شمالا

غياث المقتربين وكان حصنا
وكان لمن تضيّفه ثمالا

ديوان عمرو بن كلثوم، ص 105

⁴ من عَذَرَ الرجلَ يَعِذِرَ الشيءَ: رفع عنه اللوم والذنب

⁵ مضاجر ومضاجير جمعُ مُضْجِرٍ: مسبب الضجر

⁶ دَوَّخٌ وَدَيِّخٌ الْبِلَادَ: قَهَرَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا

فَأَتَوْا طَرَابُلسَ الْبَيْتِ
هَجَمُوا عَلَيْهِ مُفْعِمِي
دَخَلُوا الْمَدِينَةَ يَفْتُلُونَ
لَمْ يَتَّقُوا إِيَّاهُ وَقَدْ
لَا دِينَ عِنْدَهُمْ وَلَا
غُرُؤًا بِأَنَّ السُّرُكَ لَا
وَبِأَنَّ شِدَّةَ وَقْعِهِمْ
غَرَّتْهُمْ الْأَمَالُ مِثْلُ
فَرَأَوْا بِأَلَادَ الْمُسْلِمِينَ
لَا حَتَّ لَهُمْ أَذْنَى الْمَعَايِرِ
نَ الْبَحْرَ بِالسُّفُنِ الْمَوَاجِرِ¹
نَ هَا الْأَكَايِرِ وَالْأَصَاغِرِ
أَلْقُوا عَلَى الشَّرِّ الشَّرَاشِرِ²
جَلَمَ عَنِ الْعُدُوانِ زَاجِرِ³
تَأْتِي إِلَيْهِمْ بِالْعَسَاكِرِ
تُوْهِى مِنَ الْعَرَبِ الْمَرَايِرِ⁴
لَ سَرَابٍ مَعْمَعَةٍ⁵ الْهَوَاجِرِ⁶
نَ كَفَّعَ⁷ قَاعٍ بِالْقَرَايِرِ⁸

¹ من أفعم لإناء يُفعم: ملأه

² جمعُ ماخرة وهي من مخرت السفينة يمحّر ويمحّر: جرت تشقّ الماء مع صوت

³ من "ألقي عليه شرّاه" أي أحبه حتى استهلك في حبه. قال الكميت الأسدي:

وتلقى عليه عند كل عزيمة شرّاه من حيّ نزارٍ والبُبُ

ديوانه، ص 48

وله كذلك:

وعليك إشرافُ النفوس غداً وإلقاءُ الشرّاشر

ديوانه، ص 146

⁴ قال حسان بن ثابت الأنصاري يهجو الحرب بن المجاشعي:

حارِ ابنَ كعبٍ ألا الأحلام تزجركم عنا وأنتم من الجوف الجماخير

ديوانه، ص 175

⁵ جمعُ مريّة: قوة

⁶ شدة الحر كما قال كعب يوم حفر الخندق:

من شرّه ضرب يربّ يرعب بعضه بعضاً كمعمعة الأبياء المخرق

فليأت ماسدة تُسنّ سيوفها بين المذاد وبين جنح الخندق

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 233

⁷ نصف النهار في القيظ

⁸ شدة الحر وكذا البياض. قال الكميت الأسدي:

وَالْكَلْبُ يَجْهَلُ أَنْ يَغُ — ضَ الْعَظْمُ يَنْشَبُ² فِي الْحَنَاجِرِ³
فَإِذَا هُمْ يَتَغَلَّبُو — نَ جَرَى لَهُمْ بِالشُّومِ طَائِرُ
كَرَّتْ عَلَيْهِمْ شَجْعَةٌ⁴ ال — أَثْرَاكَ كَالْأُسْدِ الْهَوَاصِرِ⁵
وَأَتَمَّهُمُ الْأَعْرَابُ تَحُ — طَفُّهُمْ كَعُقْبَانٍ كَوَاسِرِ⁶
فَتَفَلَّلُوا⁷ بَدَدًا⁸ كَمَا — ذَعَرْتُ مِنَ الصِّفْرِ الْغَرَاغِرِ⁹
فَاقْنِي حَيَاءَكَ¹⁰ يَا إَطَا — لِيَهْ الْمُرْغَمَةَ الْمَنَاجِرُ

هل أنت إلا الفقُع فقُع — عُ القاع للحجل النوافر
ديوانه، ص 133

¹ جمع قرقرة: الأرض المطمئنة اللينة. قال الكميت الأسدي:

وإذا ضحك عن العِذا — بلنا المسفقات الشواغر
كان الهل بالتبس — لم لا القهاقه بالقراقر

ديوانه، ص 136

² من نشب العظم ينشَب في حلقه: علة فيه ولم ينفذ

³ جمع حنجرة: الحلقوم

⁴ جمع شجاع: الجريء المقدم وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

فيها أسود بني النجار تقدمهم — شهب الأسنة في معصوب لجب

ديوانه، ص 49

وقال يمدح نفسه:

وكانني ربال غاب ضيغم — يقررو الأماعز بالفجاج الأفيح

ديوانه، ص 66

⁵ هواصر وهواصير جمع هُصُور: الأسود الشديدة التي تفترس وتكسر

⁶ من "عقاب كاسر" أي منقض يكسر جناحيه أو يكسر ما يصيده كسرًا

⁷ تفَلَّل القوم: انكسروا وانهزموا، وتفَلَّل السيف: تنلم

⁸ هذا في الطبعة الثانية وفي الطبعة الأولى (15) "بدؤا" والصحيح ما في الطبعة الثانية

⁹ جمع غُرْغُر: نوع من الدجاج البري من فصيلة التدرجيات ورتبة الدجاجيات. مهده الأصلي إفريقيا

¹⁰ أي استحيي والزمي حيائك كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

لو كنت لا تهوين لم تردي — أو كنت ما تلوين في وكر
لأتيت له لا بد طالبه — فاقني حيائك واقبلي عذري

ديوانه، ص 143

أَوْضَعْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ أَقْفٍ — وَأَمِ كَرَامٍ فِي الْمَقَاخِرِ
وَلَأَنْتَ¹ فِي الدُّوَلِ الْعِظَا — مِ كَمَا مِنَ الْأَيْدِي الْخَنَاصِرِ

﴿8﴾

في عتاب العرب الترك على الصلح بالطلبيان

يَا تُرْكُ لَا تَبْغُوا الْهُونَ² لَا تُنْعِمُوا³ الْحُسَّادَ عَيْنَا
أُتْسَ الْمُونُ الظَّالِمُ — مِنَ الْغَانِمِينَ لِمَا حَمَيْنَا
النَّاهِيْنَ بِلَادِنَا وَالْعَاصِيْنَ لِمَا حَوَيْنَا
أُتْسَ الْمُونُ عَدُونَا وَتَرْكُتُمُونَا بَيْنَ بَيْنَا
هَلْ لَا ذَكْرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمِ — تُمْ أُمُورُكُمْ إِلَيْنَا
كُنْتُمْ لَنَا الْإِخْوَانُ إِذْ — فِي الدِّينِ وَالْوُدِّ اسْتَوَيْنَا
فَنُفُوسُنَا وَنُفُوسُكُمْ خُلِطَتْ مَعًا⁴ التَّقَيْنَا
حَتَّى تَخَالَطَنَا كَأَمْوَا — جِ الْخَلِيجِ إِذَا جَرَيْنَا
نَحْيِي الْخَلَافَةَ بِالسُّيُوفِ — فِي الْبَايِرَاتِ إِذْ انْتَضَيْنَا⁵
فَرَبَّتْ حَدَائِقُ مَجْدِهَا — بِدِمَائِنَا لِمَا سَقَيْنَا
تُنْبِي عِيُونُ⁶ الْكَاشِحِي — مِنَ الْحَاسِدِينَ لِمَا سَعَيْنَا

¹ في الطبعة الثانية (ص 20) "لانت"

² تصغير الهوني: التؤدة والرفق

³ أنعمه عيناً ينعمه: أقر عينه

⁴ في نسخة الأعظمي: "معالم" (ص 12) وهذا خطأ الناسخ والصواب: "معاً لماً" كما في الطبعة الأولى (ص 15)

⁵ انتضى السيف ينتضيه: استلّه من غمده

⁶ يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِينَا — فِي جَنَّةِ تَنْبِي عِيُونِ الْحَسَدِ

أي تبعد عنا عيون الكاشحين. ديوانه، ص 88

أَفْبَعِدَ ذَاكَ تُخَاذِلُو نَ وَتَذْهَبُونَ فَأَيْنَ أَئِنَّا
 إِنَّ الْعَدُوَّ هُمْ هُمْ لَوْ تُبْصِرُونَ كَمَا رَأَيْنَا
 هَلْ تَأْمَنُونَهُمْ فَقَدْ غَرُّكُمْ زَوْرًا وَمَيْنَا¹
 كَالصِّلِ يُطْرِقُ ثُمَّ يَقْطُرُ نَابِهِ سُمًّا وَحَيْنَا²
 فَلَيْنَ بَدَا لَكُمْ مَسَا لَمَّةَ الْعَدُوِّ لَقَدْ أَبَيْنَا
 لَا سِلْمَ بِالطَّلِيَّانِ حَتَّى يَثْرَكُوا بَلَدًا ثَوِينَا
 نَنفِيهِمْ عَنْ أَرْضِنَا لَا نَرْعَوِي³ عَمَّا قَضَيْنَا
 فَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَا ةِ تَحْتَوِي⁴ ذُلًّا وَشَيْنَانَا⁴
 إِنَّا لَأَخْرَارٌ نَعُدُّ الْقَتْلَ لِلْأَخْرَارِ زَيْنَانَا⁵

¹ من مان يمين ميئاً: كذب

² الحين: الموت، قال الكميت الأسدي:

ولَّى مُبَاعِدَةً مِنْهُ وَمُزْرِيَةً من غير مزرى به والحين ذو سبب

ديوانه، ص 87

³ في نسخة الأعظمي (ص 13): "لا ترعوي" والصواب ما هو في الطبعة الأولى (ص 16). وارعوى
 عن كذا: كفَّ عنه

⁴ من شأنه يشين شيئاً: ضدَّ رانه. قال الكميت الأسدي:

وتفنيْدُ قولِ المرءِ شينٌ لرأيه وزينة أخلاق الرجال وظوْبهَا

ديوانه، ص 66

وقال علي بن أبي طالب:

والفقر شين للرجال فإنه يزرى به الشهم الأديب الأنسب

ديوانه، ص 27

ويشمل نفس الفكرة قول قطري بن الفجاءة المازني التالي:

وما للمرء خير في حياة إذا ما عُذَّ من سَقَطِ المتاع

شرح ديوان الحماسة، 25/1

⁵ هذا المعنى شائع في كلام العرب فقال السموأل بن عاديا:

وإنما القومُ لا نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأتَه عامر وسَلول

تسيل على حدّ الظُّبَات نفوسنا
ديوانه، ص 12-13
وقال تأبط شراً:

لكم خصلة، إما فداء ومنة
ديوانه، ص 95 وله ما يلي:
وأجمل موت المرء، إذ كان ميئاً،
وخفّض جأشي أن كل ابن حرّة
وأن سَوام الموت تجري خلاها
ديوانه، ص 84

وقال حسان بن ثابت الأنصاري مخاطباً خبيباً:
صبراً خبيبُ فإن القتل مكرمة
ديوانه، ص 192

وقال قطري بن الفجاءة المازني:
فلقد أراني للرماح درنة
شرح ديوان الحماسة، 35/1
وقال الحريش بن هلال القريني:

نعرّض للسيوف إذا التقينا
شرح ديوان الحماسة، 36/1
وقال علي بن أبي طالب:

وإنّا أناس لا نرى الحرب سبة
ديوانه، ص 57
وقال الأعرج المعني:

الموت أحلى عندنا من العسل
و"بني ضبة" منصوب على المدح والاختصاص. شرح ديوان الحماسة، 104/1
وقال عبد الشارق بن عبد العزى:

شدّنا شدة فقتلُ منهم
وشدّوا شدة أخرى فجرّوا
وكان أخي جَوْناً ذا حفاظ
فأبوا بالرماح مكسّراتٍ
شرح ديوان الحماسة، 172/1

وهذا كثير.

وذلك لأنهم كانوا يحبّون الخوض في الحرب كما قال قريط بن أنيف:

صَبْرًا إِذَا لَجَّ الْوَعَى لَا تَشْتَكِي نُصْبًا وَأَيْنَا²
 مِثْلُ الْجِبَالِ الشَّمِّ نَحْ— تَقَرُّ³ السُّيُولُ إِذَا أَتَيْنَا
 لَا نَرْهَبُ الطَّلِيَّانَ إِنْ— يَسْتَكْثِرُوا فَلَقَدْ كَفَيْتَنَا
 نَلْقَاهُمْ بِهَيْشٍ⁴ نَقْ— رِيهِمْ كَمَا كُنَّا قُرَيْنَا⁵
 يَبْضَا كَشَرَحِمِ الْكُومِ⁶ لَمْ— تَرَ قَوْفَهَا صَدَاءً وَرَيْنَا⁷
 حَتَّى يُقَالَ لَنَا بِحَقِّ— النَّازِلِينَ لَقَدْ وَفَيْنَا
 كَمْ نَابَتْنا حَرْبُ الْمُلُو— لِكَ فَلَمْ نَمْلَ وَلَا وَنَيْنَا⁸

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
 الشر هنا للحرب. شرح ديوان الحماسة، 4/1
 ويقول سوار بن المضرب السعدي:
 وإنني لا أزال أخا حروبٍ إذا لم أجن كنْتُ مجنَّ جاني
 شرح ديوان الحماسة، 34/1
 ويقول الحصين بن الحمام المري الجاهلي:
 فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 شرح ديوان الحماسة، 61/1
¹ قال حسان بن ثابت الأنصاري مشيرًا إلى شجعة الاوس والخزرج:
 صبر يُساقون الكمأة حتوفها يمشون مهيبعة الطريق المنهج
 ديوانه، ص 65
 وقال علي بن أبي طالب يمدح أصحابهم:
 صبرٌ لدى الهيجاء والضراب فسل بذاك معشر الأحزاب
 ديوانه، ص 22

² الأئین: التعب والإعياء

³ في نسخة الأعظمي (ص 14): "تحتقر" وأما في الطبعة الأولى (16) فهي "تحتقر" وفي الطبعة الثانية (22) "تحقتر" وما في الطبعة الأتلى هي أفصح

⁴ الهيش من الرجال: البشوش

⁵ هذا من أسلوب المجانسة

⁶ جمع كُوم: البعير الضخم السنّام

⁷ الرين: الدنس، يقال "غلب عليه الرين".

⁸ من وئى بني وونى يونى: فتر وضعف وكلّ وأعيا

لَمْ يَبْسُطُوا الْأَيْدِيَ إِلَّا مَا كَسَرْنَا أَوْ لَوَيْنَا
لَمْ يَرْفَعُوا الْأَعْنَاقَ إِلَّا مَا قَطَعْنَا أَوْ كَوْنِنَا¹
حَتَّى انْتَنَوْا طَرًّا سَوَى جَمْعٍ قَتَلْنَا أَوْ سَبَيْنَا
لَوْلَا الْحَمَاسَةُ وَالْجَمَا يَهُ قَفَرٌ² لِيُبَا³ مَا امْتَطَيْنَا
فَحَرُّرُهَا وَصُرُجُهَا مِمَّا ارْتَدَيْنَا وَاخْتَدَيْنَا⁴
نَصَلِي بِنَارِ الْحَرْبِ أَجْسَا دَا صَهْرُنَا⁵ وَاشْتَوَيْنَا⁶
لَا نَبْتَغِي الدُّنْيَا وَزُهرَ تَهَا قِيَالَهُ اكْتَفَيْنَا
لَا هَمٌّ فِي تَرْفٍ فَأُسْبَا بَ الْعَوَايَةِ مَا ارْتَضَيْنَا
فَاللَّهُ نَعْبُدُهُ وَعَبَّهَا دَ الصَّلِيلِ فَقَدْ قَلَيْنَا⁷

﴿9﴾

في ثوران الفتنة البلقانية

شُبَّتْ عَلَى بُلْقَانِ نَارُ الْحُرُوبِ⁸ أَشْعَلَهَا بِالْبَغْيِ أَهْلُ الصَّلِيلِ
لَمْ تَبْقَ فِي الْأَفَاقِ أَرْضٌ يَهَا الْإِسْلَامُ إِلَّا نَالَهَا مِنْ لَهَيْبِ

¹ من كوى فلأنا يكويه: أحرق جلده بحديدة أو نحوها

² في نسخة الأعظمي (ص 13): "قصر"

³ جمهورية عربية في إفريقية الجنوبية

⁴ احتدى: انتعل

⁵ من صَهَر الشيء يصهر: أذابه

⁶ من اشتوى اللحم: عَرَضَهُ للنار حتى ينضج

⁷ من قلاه يقلبه قليلاً: ضرب رأسه

⁸ قال حاتم الطائي:

شهدتُ، ودعوانا أميمة أننا بنو الحرب نصلها إذا شبَّ نورُها

ونار ونور مثل دار ودور وساق وسوق، ديوانه، ص 91

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

طحنهم، والله ينفذ أمره، حربٌ يشبَّ سعيها بضرام

ديوانه، ص 294

قَدْ حَزَبَ الشَّيْطَانُ أَحْزَابَهُ
شَتُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ غَارِائِهِمْ
يَا كُرْدُ يَا تَاتَارُ يَا كَابُلُ
فِي مَشْرِقِ الْأَفَاقِ أَوْ مَغْرِبِ
يَدْعُوكُمْ الْإِسْلَامُ جَهْرًا إِلَى
قُومُوا لِنَصْرِ الْحَقِّ مِنْ قُورُكُمْ
مُسْتَنْصِرِينَ اللَّهَ يُنْصِرُكُمْ
كُنْتُمْ سَيُوفَ اللَّهِ مِنْ وَقْعِهَا³
فَالآنَ يَا إِخْوَانُ مَا بَالُكُمْ
مَا بَالُكُمْ لَا تَنْفُرُونَ وَقَدْ
يَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِبَاسِ الْعِدَى
إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ لَا يُخْزِكُمْ
يَا قَوْمَنَا إِنْ تَصِيرُوا يَأْتِيَكُمْ

وَحَتَّمُ لِكُلِّ شَرٍّ وَحُوبٍ¹
يَذْهَلُ فِيهَا عَنْ حَبِيبٍ حَبِيبُ
يَا كُلَّ مَنْ لِلَّهِ عَبْدٌ مُنِيبُ
أَوْ فِي شَمَالِ الْأَرْضِ أَوْ فِي جُنُوبِ
ذَبَّ الْعِدَى عَنْهُ فَهَلْ مِنْ مُجِيبُ
وَاسْتَنْفِرُوا مِنْ كُلِّ مُرْدٍ² وَشَيْبُ
بِنَصْرِهِ الْمُوعُودِ غَيْرِ الْكَذُوبِ
فِي الْكُفْرِ وَالْأَوْثَانِ تَبْقَى نُذُوبُ⁴
قَدْ مَسَّكُمْ مِنَ الْجِهَادِ لُغُوبُ⁵
حَلَّ عَلَى الْإِسْلَامِ يَوْمٌ عَصِيبُ⁶
فَإِنْ أَمَرَ اللَّهُ يَبْلُو الْقُلُوبُ
فَإِنْ لِلَّهِ عَلَيْنَا رَقِيبُ
"نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبُ"

¹ الحوب: الإثم

² جمع أمرد: الشاب طرَّ شاربه ولم تنبت لحيته. يقال "مرد على جرد" أي شباب مرد على خيول جرد. وقال حسان يجمع الكل بعدما ذكر مجموعة من السجايا:

تري ذاك في الشبان والمرد منهم مبيئاً وفي الأطفال منهم وفي الشمط

ديوانه، ص 197

وقال الكميت الأسدي:

رمتني بالآفات من كل جانب وبالذريئاً مُردُ فهِرٍ وشيئها

ديوانه، ص 67

³ في نسخة الأعظمي (ص 15): "من دفعها" والأفصح ما في الطبعة الأولى

⁴ النذبة والنذبة ج: نذَّبَ وجج: نذَّبَ وأنداب: أثر الجرح الباقي على الجلد. قال الكميت الأسدي:

ملأتم حياض الملحمين عليكم وأثاركم فينا تَضَبَّ ندوبها

ديوانه، ص 68

⁵ لُغُوبٌ وَلُغُوبٌ: التعب والإعياء الشديد

⁶ "يومٌ عصيبٌ" أي شديد الحر

في ذكر أشراف الساعة

لَقَدْ لَجَّ بِالرُّومِ إِشْطَاطُهَا¹ فَتَعَدُّوْا إِلَى الْهَلْكِ أَشْوَاطُهَا²
وَكَمْ أَهْلَكَ الْبَغْيُ³ مِنْ أُمَّةٍ وَخَيْرُ الْأُمُورِ لَأَوْسَاطُهَا
فَإِنْ صَعَدَ الرُّومَ رَبُّبُ الدُّهُوِ رَلَنْ يَعْجِزَ اللَّهُ إِهْبَاطُهَا
فَقَدْ خُطَّ⁴ فِي زُبُرِ الْأَوَّلِيْنَ مَنْ أَنْ تُسْقِطَ الرُّومَ خُطَّاطُهَا⁵
فُقْبِلَ الْقِيَامَةُ مِيعَادُهَا فَقَدْ قَرُبَ الْيَوْمَ إِسْقَاطُهَا
فَإِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ أَرْلَقَتْ إِلَيْنَا فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا⁶

¹ الإفراط ومجاورة القدر المحدود والتباعد عن الحق ، وهو من الشطط كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

تلك دار الألوْف أضحتْ خلاءً بعدما قد تحلَّها في نشاط
داؤها إذ تقول ما لابن عمرو لَجَّ من بعد قريبه في شطاط
بلغاها بأنني خيرُ راعٍ للذي حملتْ بغير افتراط

الافتراط: التفريط. ديوانه، ص 194

² الشوط ج: أشواط: الغاية، الجري مرة واحدة إلى الغاية

³ وأشار إلى نفس المعنى حسان بن ثابت الأنصاري قائلاً:

وأنشدكم، والبغي مهلك أهله، إذا الخصم لم يوجد له من يدانعه

يدانعه: يدافعه. ديوانه، ص 215

⁴ أي كُتِبَ

⁵ الساحر لاستعمال الخطوط في السحر

⁶ جمعُ شرط كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ربّ لهوٍ شهده أمّ عمرو بين بيضِ نواعم في الرباط
مع ندامي بيض الوجوه كرام تُهَوِّا بعد خفقة الأشراف

ديوانه، ص 194

وقال الفرزدق في نفس المعنى:

إن القيامة قد دنث أشرافها حتى أمية عن فزارة تنزع

ديوانه، ص 353

فَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ جُهَالَهُمْ	هُدَاةً فَيَخْطِطُ خَبَاطَهَا
فَضَاعَ الْأُمُورُ وَشَاعَ الْفُجُورُ	وَذَاعَ الْخُمُورُ وَإِفْرَاطَهَا
وَقَدْ أَوْرِطَتْ أُمَّةُ الْمُسْ	لِمَيْنَ فِي هُوَّةٍ، شَدَّ إِيرَاطَهَا
وَأَوْقَعَهَا الدَّهْرُ فِي عُقْدَةٍ	تَعَسَّرَ لِلْقَوْمِ إِنْشَاطَهَا
وَقَامَتْ لِتَعْرِيزِ دَيْنِ الْإِلَهِ	مِنْ أَهْلِ سُودَانَ أَقْطَاطَهَا ¹
هَتَافُهُمُ اللَّهُ قَوْلًا بِهِ	جَمَاعُ الْأُمُورِ وَخَوَاطَهَا ²
وَعَادَ الْيَهُودُ إِلَى أَرْضَائِهِمْ	أَخَاطَتْ بِصَمِيمُونَ أَسْبَاطَهَا ³
وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ مُمَرَّقَةً	فَقَدْ جُمِعَ الْيَوْمَ شِمَطَاطَهَا ⁴
وَمَا أَكْثَرَ الرُّومَ فِي الْعَالَمِ	نَ طَبَقَتْ الْأَرْضَ ضَبَّاطَهَا
فَدَبَّتْ عَقَارِيهَا فِي الْبِلَادِ	وَصُبَّتْ عَلَى النَّاسِ أَسْوَاطَهَا
وَمِنْ جَوْرِهَا أَمَمٌ أَهْلَكَتْ	وَشَرُّ مِنَ الْجَوْرِ أَقْسَاطَهَا ⁵
تَدُوسُ الْبَحَارَ كَأَن بُسِطَتْ	عَلَى بَثْجٍ ⁶ الْبَحْرِ أَنْمَاطَهَا ⁷
يَطِيرُ ⁸ لَهَا مَرْكَبٌ فِي السَّمَاءِ	وَأُودِعَتْ الْبَرْقَ أَخْيَاطَهَا
وَمَا بَيْنَ قُدْسٍ وَبَيْنَ الْبَحَا	رِ قَدْ ضَرَبَ الْيَوْمَ فُسْطَاطَهَا ⁹

¹ رجلٌ قَطٌّ وَقَطَّطُ ج: قَطُّون وقطاط وأقطاط وقططون: قصير الشعر جعده

² حَوَاطُ الْأَمْرِ: قِوَامُهُ

³ جَمْعُ سَبْطٍ: وَلَدُ الْوَلَدِ وَيَغْلِبُ عَلَى وَلَدِ الْبَنَتِ مُقَابِلُ الْحَفِيدِ الَّذِي هُوَ وَلَدُ الْإِبْنِ وَمِنَ الْيَهُودِ كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ

⁴ شِمَطَاطُ ج: شِمَاطِيطُ: الْفَرْقَةُ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرُهُمْ فَيُقَالُ "جَاؤُوا شِمَاطِيطُ" أَيِ مُتَفَرِّقِينَ

⁵ فُسْطُ ج: أَقْسَاطُ: الْحَصَةُ وَالنَّصِيبُ

⁶ فِي نَسْخَةِ الْأَعْظَمِيِّ (ص 17): "بَثْجٍ"

⁷ جَمْعُ نَمَطٍ: ثَوْبٌ صَوَفٍ يَطْرَحُ عَلَى الْيَهُودِ

⁸ فِي نَسْخَةِ الْأَعْظَمِيِّ (ص 17): "يَطِرُ". وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ وَهُوَ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى (ص 21)

⁹ فُسْطَاطُ ج: فُسَاطِيطُ: عِلْمٌ لِمَصْرِ الْقَدِيمَةِ

وَضُمَّتْ بِمَا جُوجَ مَا جُوجُهَا
تَحَرَّبَ لِلشَّرِّ أَزْهَاطُهَا
فَأَبْنَاءُ جَوْمَرٍ فِي جَمْعِهَا
وَنَسْلُ تَجْرَمَا وَأَخْلَاطُهَا
كَأَنِّي بِهَا كَأَنِّي الْجِبَا
لِ أَرْسَلَتِ السُّبُلُ إِفْرَاطُهَا
تَرْجُجُ¹ فِي بَعْضِهَا بَعْضُهَا
كَعَطْمَ طَـةٍ² الْبَحْرِ أَلْغَاطُهَا³
فَإِنْ كَانَتْ الشَّامُ مَوْرِدُهَا
فَقَدْ بَلَغَ السَّدَّ فُرَاطُهَا
فَإِنْ بَسَطَتْ بَاعَهَا بَسْطَةً
تَأْبَطَتْ⁴ الْفُـدْسُ أَبَاطُهَا
إِذَا يُنْزِلُ اللَّهُ نَارَ الْعَذَابِ
عَلَيْهَا، فَحَتَّامَ إِسْخَاطُهَا؟

﴿11﴾

في ذكر الملحمة الكبرى

لَقَدْ حَلَّ بِالرُّؤْمِ شَرٌّ شَمِرٌ⁵
فَتَارُ الْحُرُوبِ بِهِمْ تَسْتَعِزُّ
فَهُمْ حَصَبٌ⁶ كَالْهَشِيمِ الْيَبِيدِ
سِ يَصْلَوْنَهَا زُمَرًا فَرُومَرُ
رَحَى الْحَرْبِ⁷ تَطْحَنُهُمُ وَالْدِمَاءُ
تُـدِيرُ الرَّحَى مِثْلَ جَرِي النَّهْرِ

¹ تحرك واضطرب

² مصدر من غطمط البحر: عظمت أمواجه

³ جمع لَغَط: الصوت والجلبة

⁴ من تأبط: وضع الشيء تحت إبطه ومنه "تأبط شرًا".

⁵ "شرٌّ شمرٌ" شديد كما قال علي بن أبي طالب:

لهف نفسي وقليل ما أسرَّ
لم أَرُدْ في الدهر يوماً حرهم
ما أصاب الناس من خير وشر
وهم الساعون في الشر الشمر

ديوانه، ص 47

⁶ كل ما يرمى في النار كالخطب

⁷ رحى الحرب تعبير قديم فقال أبو الهول الطهوي يمدح الفوارس:

فوارس لا يملأون المنايا
إذا دارت رحى الحرب الزبون

شرح ديوان الحماسة، 8/1

فَكَمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَكَمْ مِثْلَهَا قَتِيلٌ وَكَمْ مِثْلَهَا قَدْ أَسِرَ
فَكَمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَكَمْ مِثْلَهَا عَلَى مَوْرِدٍ مَالَهُ مِنْ صَدَرِ
وَكَمَّ بَلَدٍ عَامِرٍ قَدْ خَوَى¹ وَكَمْ هُدًى مِنْ أَطْمٍ² مُشْمَخِرٍ³
فَيَا بُؤْسَ حَرْبٍ لِرُوعَاتِهَا تَرَى كُلَّ مَمْلَكَةٍ تَفْشَعِرُ
جَنَّتْهَا أَرْوَبًا وَلَكَيْتَها إِلَى مُنْتَهَى الشَّرْقِ تَرْمِي الشَّرْرُ
فَهَلْ سَمِعْتَ أَدُنَّ مِثْلَ ذَا لَكِ أَمْ خُطٌّ فِي أَوْلِيَّاتِ الرُّبْرِ
فَمَا هِيَ مِنْ سُنَنِ جَارِيَاتٍ وَلَكَيْتَها هِيَ إِحْدَى الْكُبُرِ⁴
فَإِنَّ إِلَهَهُ يُجَازِي الْعَبَا دَخِيرًا بِخَيْرٍ وَشَرًّا بِشَرِ⁵
وَلَكِنَّهُ يُفْهِمُ الظَّالِمِينَ نَ يَبْلُوهُمْ بِرَهَةٍ مِنْ عُمْرِ⁶

¹ خوى يخوي خواء: سقط وتهدم

² أطم ج: أطام: القصر والحصن المبني بالحجارة وكل بيت مربع مسطح وكل بناء مرتفع وكذا حصن دفاعي مرتجل يصنع من قضبان الحديد وأرومات الشجر وغيرها

³ طويل وجميل وعالي

⁴ هي جمع كبرى

⁵ هذا أسلوب المجانسة كما قال الفند الزماني:

فلمأ صرح الشر فأسمى وهو عربان

ولم يبق سوى العدو دنأهم كما دانوا

شرح ديوان الحماسة، 6/1

وقال حسن بن ثابت الأنصاري:

فكلُّ مَعَدٍّ قد جزينا بصنعه فيؤسى ببؤساها وبالنعم أنعما

ديوانه، ص 302

وقال أبو الهول الطهوي:

هم منعوا حتى الوقى بضربٍ يؤلف بين أشتات المنون

فنگب عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون

شرح ديوان الحماسة، 8/1

⁶ عُمُر وعُمُر: الحياة أو ما طال منها

بِبُؤْسَىٰ وَنُعَىٰ^١ لِكَيِّ يَرْعَوْوَا وَيَزْجُرْهُمْ مَا أَتَتْ^٢ مِنْ نَذْرٍ
فَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا وَلَمْ يَتَّقُوا هُ يَبْطِشُ هُمْ بِطُشَّةِ الْمُقْتَدِرِ
كَذَا الرُّؤْمُ لَمَّا طَعَوْا فِي الْبَلَا دِ، يَعْتُونُ^٣ فِي الْأَرْضِ بَحْرًا وَبَرٍ
أَتَا حَ لُهُمْ رُهُمْ نَقْمَةً وَكَانَتْ قَضَاءً وَأَمْرًا قُدِيرِ
وَكَمْ نَقْمَةٍ تَحْتَهَا نِعْمَةٌ فَقَوْمٌ يَسَارُ^٤ وَقَوْمٌ يَسُرُ^٥
فَأَغْرَىٰ بَنِي أَصْفَرَ الْأَقْوِيَا ءَ لِلْحَرْبِ مِثْلَ الْكِلَابِ الْعُفْرِ

^١ البؤسى هنا للفقر كما أن النعى للنعي فالبؤسى والنعى ضدان. قال حسان بن ثابت الأنصاري في رجل من غسان قتله كسرى:

تناولني كسرى ببؤسى ودونه ففجّعني، لا وفق الله أمره،
ديوانه، ص 317
وله كذلك:

فنحن كذاك الدهر ما هبت الصبا نعود على جهّالهم بالتحلم
فلو فهموا أو وقّقوا رشداً أمرهم لعدنا عليهم بعد بؤسى بأنعم
ديوانه، ص 325
وقال إبراهيم بن كنيف:

فإن تكن الأيام فينا تبذلّت ببؤسى ونعى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
و"قناة صليبة" تعبير عن العزة والقوة. شرح ديوان الحماسة، 89/1

^٢ في نسخة الأعظمي (ص 18): "أنت" والصحيح ما في الطبعة الأولى وهي "أنت" (ص 24)

^٣ عثا يعثو عثوا: بالغ في الفساد أو الكفر أو الكبر

^٤ اليسار: الغنى كما قال الكميت الأسدي:

مجازنغ قفرٍ مداقيغّه مسارفٌ حين يُصِبْنَ اليسارا
ديوانه، ص 178

وقال علي بن أبي طالب:

وإنّ العسر يتبعه يسار وقول الله أصدق كل قيل

ديوانه، ص 78

^٥ يَسُرُّ يَسُرُّ يَسُرُّ: قلّ

لَيْلِسَ لَهُمْ شَيْعًا فَيُزِيقُ ¹	بَعْضًا مِنَ الْبَعْضِ بِأَسَا نَكُرُ ¹
فَصَارَ التَّنَافُسُ يَحْثُوهُمْ ²	مِنَ الْحَقْدِ بَيْنَ الضُّلُوعِ الْأَبْرُ ³
وَكَانُوا دُهَاءً وَلَكِنْ إِذَا	أَتَى قَدَرُ اللَّهِ أَعْمَى الْبَصَرُ
قَبِيلِنَاهُمْ يَجْمَعُونَ الْأَدَا	ةَ يَخْشَوْنَ يَوْمًا لَهُمْ مُكْمَرُ
تَبَادَرُ غُلُومٌ مِنْ بَيْنِهِمْ	يُجَاهِرُ بِالْحَرْبِ مِنْ غَيْرِ سِرِّ
شَدِيدَ الْمَحَالِ شَدِيدَ النَّكَالِ ⁴	حَدِيدَ الْفُؤَادِ حَدِيدَ النَّظَرِ
وَالْمَانُ أَمْتُهُ حَوْلَهُ	وَنَمَسَا حَلِيفًا لَهُ مُسْتَمِرُّ
فَقَامَ يُبَارِزُ أَعْدَاءَهُ	فَرَنْسَا وَرُوسَا وَإِنْ كَلَّتْ رُ
وَكَيْفَ اثْنَتَانِ ⁵ بِحَرْبِ الثَّلَا	ثَ لَكِنَّ أَلْمَانَ قَوْمٌ صُورُ
وَقَدْ جَمَعُوا عُدَّةً مُدَّةً	وَلَمْ يَفْشَ مِنْهُمْ لِقَوْمٍ خَبَرُ
فَصَاغُوا مَدَافِعَ مَا يَكُنْ	لَهَا الْمِثْلُ فِي قُوَّةٍ وَكُفَرُ ⁶
وَزَفْلَيْنِ طَيَّارَةً فِي السَّمَاءِ	ءِ كَالْفُلْكِ مَشْجُونَةً بِالذَّخْرِ

¹ بَكَرَ الْأَمْرُ يُنْكَرُ نَكَارَةً: صَعِبَ وَاشْتَدَّ

² فِي الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ (ص 29) "يَحْشُوهُمْ". وَحَثَا التَّرَابَ يَحْفُوهُ: صَبَّهَ

³ جَمْعُ إِبْرَةٍ: أَدَاةٌ مَعْرُوفَةٌ لِلْخِيَاطَةِ

⁴ الْعُقُوبَةُ الْمِثَالِيَّةُ لِلْجَانِي كَمَا قَالَ أَنَيْفُ بْنُ زَيْدَانَ النَّهْيَانِي:

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كَتَائِبَ يُرِيدِي الْمَقْرِفِينَ نَكَالَهَا

شرح ديوان الحماسة، 48/1

وقال تعالى (سورة النازعات):

"قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٣﴾"

⁵ فِي نَسْخَةِ الْأَعْظَمِيِّ (ص 19): "اعسان" والمناسب "اثنتان" كما هو في الطبعة الأولى (ص 25)

⁶ جَمْعُ كَبْرَى كَمَا قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ:

وَأَقَامَ الْعَرْفِينََا وَالْغَنَى فَلَنَا مِنْهُ عَلَى النَّاسِ الْكُفْرُ

ديوانه، ص 169

وَيَرْمُونَ أَغْدَاءَهُمْ بِالذُّخَا
فَجَاءَ بِهِمْ كَصَيِيرٍ³ الْعَمَا
وَبُلْجِيكَ سَدَّتْ⁴ عَلَيْهِ الطَّرِ
يَوْعَدِ الْكَذَابِ كُلَّمَعِ السَّرَابِ
وَهَظُّوا لَهَا مَوْئِلًا انطُورُ
فَأَصْبَحَ يَزْمِي عَلَى سُورِهَا
فَدَمَّرَهَا⁶ وَسَبَى أَهْلَهَا
فَبُلْجِيكَ صَارَتْ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ
فَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ مَا أَنْزَلْتَ
وَلَمَّا قَضَى النَّحْبَ مِنْهَا اسْتَمَرَ
فَبَيْنَا يُذِيقُ قَرْئَسًا⁸ الْهَوَا
فَكَرَّ إِلَى الشَّرْقِ فَاسْتَعْجَلَتْ

نِ، يَعْي وَيُرْهِقُهُمْ¹ بِالْحَنْزِ²
مِ أَوْ مِثْلَ بَحْرِ إِذَا مَا زَخَرَ
يُقَى إِذْ غَرَّهَا الْخُلَفَاءُ الْخُتَرُ⁵
وَهَظُّوا لَهَا مَوْئِلًا انطُورُ
فَأَصْبَحَ يَزْمِي عَلَى سُورِهَا
فَدَمَّرَهَا⁶ وَسَبَى أَهْلَهَا
فَبُلْجِيكَ صَارَتْ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ
فَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ مَا أَنْزَلْتَ
وَلَمَّا قَضَى النَّحْبَ مِنْهَا اسْتَمَرَ
فَبَيْنَا يُذِيقُ قَرْئَسًا⁸ الْهَوَا
فَكَرَّ إِلَى الشَّرْقِ فَاسْتَعْجَلَتْ

¹ أي يكلفه ما لا يطاق

² هذا في الطبعة الثانية (ص 30) بينما كتب أحد كلمة "الخدر" في مقابل هذا البيت في نسخة الأعظمي (ص 19) . الخدر: تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة. وكذا الكسل والفتور.

والحذر: التحرز من الشيء. والحذر: الحول في العين

³ صبير ج: صبراء: الجبل، ومقدم القوم في الأمور

⁴ في الطبعة الثانية (30) "شدت"

⁵ جمع ختير وهو من ختره يختير: غدره أقيح الغدر. قال حسان بن ثابت الأنصاري لسلامة بن روح بن زباع الجذامي:

ولا ينفك ما عاش ابن زوح جذامي بدمته ختور

ديوانه، ص 180

⁶ في نسخة الأعظمي (ص 20): "قد مرها" والصواب ما في الطبعة الأولى وهي "فدمرها" (ص 25)

⁷ جمع سكير: لهب النار، وأضرم النار: أوقدها وأشعلها وألهمها

⁸ في الطبعة الثانية (ص 30) "الفرنسا"

في ذكرى الأيام¹

أَكْلِمُ دَارًا مَا يَهَا مِنْ أَنْيْسٍ كَأَنَّ جُنُودًا مَسَّنِي بِمَسِينِ²
وَكُنَّا غَرِيرًا³ نَاعِمَ الْعَقْلِ⁴ حَقِيَّةً نَبَيْتُ يَهَا لَيْلًا كَلِيلَ عَرُوسِ
أَغَادِي الصَّبُوحِ عِنْدَ بَيْضَاءِ طِفْلَةٍ⁵ تُعَلِّلِنِي¹ مِنْ خَمَرِهَا بِكُوُوسِ

¹ هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

² مسيس الرجل: تخطئه

³ غرير ج: أغرة: الشاب لا خبرة له، ومنه "عيش غرير" أي عيش أبله مما لا يفزع أهله كما قال الكميت الأسدي:

ويومَ لقيتُ به الغانيات بحيث تباهي الخيامُ القصورا
بدومة فالبيع الشارعات مُبَدَّى أنيقًا وعيشًا غريرا

ديوانه، ص 188

⁴ وفي الطبعة الثانية "العيش"، ص 31 وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

كانوا بدارٍ ناعمين فُبُذِلُوا أيامَ ذي قَرَدٍ وجوة عباد

ديوانه، ص 99 وقال في يوم بدر:

ألا يا لقوم هل لما حُمَّ دافع وهل ما مضى من صالح العيش راجع

ديوانه، ص 207

وأيضًا قال:

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه وأقعد كريماً ناعم البال

ديوانه، ص 260

وقال شاعر حماسي:

ألا قالتِ العصماء يومَ لقيتهما أراك حديثاً ناعم البال أقرعا

شرح ديوان الحماسة، 1/116

وقال الكميت الأسدي:

وكنْتُ أجزَّ الذيلَ ما بين أهلها خليعَ عذارٍ ناعم العيش والبال

ديوانه، ص 376

⁵ طفلة: رخصة ناعمة كما قال عبید بن الأبرص:

وإذ هي حوراء المدامع طفلةً كمثل مهابة حرة أم فرقد

ديوانه، ص 57

تُضِيئُ لَنَا² لَبَائِهَا¹ وَحُلِيِّهَا كَجَمْرِ الغَضَا² شُبَّتْ بِدَبِيرِ مَجُوسٍ

وقال الأعشى الكبير:

لا تلمني فإنني كدثُ أقضي
إثر براقه، خفوقٌ حشاها
مثل شمس النهار أو قمر الليـ

ديوانه، 645/2

وقال البريق الهذلي:

إذا ما الطفلة الحسناء ألقث
ديوان الهذليين، 64/3
وقال الحطيئة:

إلى طفلة الأطراف زتنَ جيدها
ديوانه، ص 82

وقال شاعر آخر:

ولقد لهووث بطفلة مباله
ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 291

¹ علل الرجل: سقاه سقيًا بعد سقي

² أضاء له: تجلّى كما قال تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧٦﴾ ضُمُّ بَعْضٍ غِنًى قَهْمٌ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَصْبِعُهُمْ فِيْ ءَادَانِهِمْ مِنَ الضَّوْعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْهُوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٠﴾" (سورة البقرة: 17-20)

وقد شاع استعماله لهذا المعنى في كلام العرب فقال الأعشى الكبير:

فبات يُضيء لنا نحرهما
من الشندر والندر زيناها
كأن عليه شرار الشغل
تريك معاصم نغمًا غيل

ديوانه، ص 605/2

وقال المزار الفقعي:

آليت لا أخفي إذا الليل جنّني
فيما موقدي ناري أرفعها لعلها
سنى النار عن ساري ولا متنور

شرح ديوان الحماسة، 1009/2

وقالت الخنساء:

وسوف أبكيك ما ناحت مطوقة

وما أضاءت نجوم الليل للسلبي

ديوانها، ص 54

تَدَكَّرْتُ أَنِّي لَوْ سَقِمْتُ بِدَارِهَا فَدَتْنِي، وَمَا ضَنْتُ، بِعَلْقِ نَفِيسٍ³
تَسَرَّلْتُ مِنْ دَائِي بِضُرِّ وَبُؤْسٍ وَ⁴الْبَسْنِي دَهْرِي أَضَرَّ لِبُؤْسٍ⁵
كَأَنِّي بِجِسْمِي مِنْ قُرُوحٍ كَرِهَةٍ قَدْ انْتَشَبْتُ أَظْفَارُ وَرْدٍ⁶ نَهْؤْسٍ⁷

وقال أبو دؤاد الإيادي شاعر جاهلي:

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُودَةً ولاح من الصبح خيطاً أنارا
ديوان الأصمعيات، ص 190
وقال عمر بن أبي ربيعة العامري:
وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتُهُ نَوَّرَ بِدَرِيضِيٍّ لِّلنَّاطِرِنَا
ديوانه، ص 585
وقال الفرزدق:
وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نَوَّرَ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا أَضَاءَ لَنَا فِي الظُّلْمَةِ الْهَبُّ
ديوانه، ص 37

وقال يزيد بن الحذاق الشني شاعر جاهلي:

وَلَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقُ وَأَنْهَجَتْ سَبُلُ الْمَسَالِكِ وَالْهَدَى يُعِيدِي
ديوان المفضليات، ص 294
جمعُ لَبَّة: موضع القلادة من الصدر

² شجر من الأثل خشبة من أصلب الخشب وجسره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفئ
³ الأبيات من "أكلّم درازاً ---" إلى "---- بعلق نفيس" لا توجد في طبعة حيدرآباد. وعلق ج: أعلاق
وعلق: النفيس من كل شيء لتعلق القلب به كما قال شاعر حماسي:
لَمْ يَتْرَكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضَنَ بِهِ إِلَّا اصْطَفَاهُ بِنَايَ أَوْ بِهِجْرَانِ
شرح ديوان الحماسة، 96/1
وفي بعض الأحيان يضاف "نفيس" إلى "علق" لتأكيد المعنى كما قال رجل من بني تميم عن
فرسه سكاب:

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّ سَكَابَ عَلِقُ نَفِيسٌ لَا تُعَارَ وَلَا تُبَاعَ
مَفْدَاةً مَكْرَمَةً عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعَ

شرح ديوان الحماسة، 67/1

⁴ في الطبعة الثانية "و"، ص 31

⁵ لبوس: ما يلبس

⁶ ورد ج: ورود ووراد وأوراد: الأسد

⁷ في طبعة حيدرآباد "لهوس"، ص 48

ظَلَلْتُ بِسُقْمِي فِي عَنَاءٍ مُبَرَّحٍ وَأَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي عِقَابٍ¹ بَيْئِسِ
 أَلَحَّ عَلَيَّ الدَّهْرُ شَرًّا وَغِلْظَةً فَيَا لَكَ مِنْ دَهْرٍ شَرِيرٍ شَرِيسٍ²
 وَلَيْلِي خَدَارِي³ بَهِيمٌ⁴ سُذُؤْلُهُ مَنُوطٌ بِيَوْمٍ قِمَطِيرٍ⁵ عَبُوسٍ
 بَتَارِيحٍ⁶ أَسْقَامٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي دِرَاكًا فَمَا أَبَقْتُ لَنَا مِنْ نَسِيسٍ⁷
 وَتَأْتِي الرِّزَايَا عِنْدَ أُخْرَى كَأَنَّهَا عَلَى خَبَرٍ أَوْ تَهْتَدِي بِجَسِيسٍ⁸
 وَكَيْفَ مَنَاصٍ مِنْ خُطُوبٍ طَوَارِقَ تُسَاوِرُنَا¹⁰ وَمَا لَهَا مِنْ حَسِيسٍ¹¹
 وَأَيْنَ مَحِيصٍ مِنْ سِهَامٍ سَدِيدَةٍ مُقَدَّرَةٍ أَنْبَالُهَا¹² لِلنُّفُوسِ

¹ في طبعة حيدرآباد والطبعة الثانية "عذاب"، ص 32

² شريس: سيء الخلق

³ خداري: مظلم، و"ليل بهيم" لا ضوء فيه إلى الصباح

⁴ بهيم: أسود كما قال حاتم الطائي:

وليلٍ بهيمٍ قد تسربلَتْ هوْلُهُ إذا الليل بالنكس الضعيف تجهمَا

النكس: الضعيف، وتجهم: أظلم. ديوانه، ص 83

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

منع الرقاد بلبلٍ وهموم والليل معتلج الرواق بهيم

ديوانه، ص 289

⁵ "يوم قمطير" شديد من الأيام

⁶ في طبعة حيدرآباد "تاريخ"، ص 48 والطبعة الثانية "تاريخ"، ص 32. والتأريخ: إلقاء

⁷ النسيب: البقية من الشيء وكذا بقية الروح في الجسد. يقال "بلغ منه نسيبه" أي كاد يموت.

وقل الكميت الأسدي:

ولكنّ مني برّ النسيب من أخوطة الحريم وأحي الذمارا

ديوانه، ص 151

⁸ جسيس ج: أجسة: الذي يتجسس الأخبار ثم يأتي بها

⁹ في طبعة حيدرآباد والطبعة الثانية "و"، ص 32

¹⁰ ساوره: وثب عليه

¹¹ صوت خفيف

¹² في طبعة حيدرآباد "بنالها"، ص 48. وفي الطبعتين (الأولى/ 28 والثانية/ 32) "بنالها". ونبال

وأنبال جمع نبال ولعلها سهو الناسخ فأقمناه بـ"أنبالها"، وبدونها لا يستقيم الوزن.

وَمَا النَّاسُ إِلَّا مِثْلُ زَرْعٍ وَشَطِئِهِ¹ سَمَّيْتُ² يَوْمًا كَالْحَصِيدِ الْيَبِيسِ
فَمَا غَانِمٌ إِلَّا كَأَخَرِ خَائِبٍ وَمَا أَمِلٌ إِلَّا كَمِثْلِ يَتُّوسٍ³

(13)

في التهنئة للعلامة شبلي النعماني⁴

(حين تلقّبه بشمس العلماء)

يَا خَيْرَ مَنْ يَسْمُو إِلَى الْعُلَيَّاءِ⁵ كَالشَّمْسِ بَارِغَةً بِوَسْطِ⁶ سَمَاءِ
قَدْ كُنْتَ قَدَمًا⁷ لِلْمَعَالِي سَامِيًا أَوْرُثْتَهُ¹ عَنْ شَيْمَةِ الْآبَاءِ²

¹ في طبعة حيدرآباد "بشطي"، ص 48. والشطء والشطأ ج: أشطاء: ما خرج حول أصول الشجر

² هَمْدَ يَهْمُدُ: يسكن لهيب النار ويموت

³ في طبعة حيدرآباد "بيوس"، ص 48

⁴ هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

⁵ قال حسان بن ثابت الأنصاري في مدح عبد بن عباس:

سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيًا ولا وغلا

ديوانه، ص 288

⁶ قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ترى التيس عندهم كالجواد بل التيس وسطهم أنجب

ديوانه، ص 55

وله كذلك:

إذا قعدوا وسط الندي تجاوبوا تجاوب عدان الربيع السوافد

ديوانه، ص 127

⁷ أي قديمًا كما قال حاتم الطائي:

فمن لم يُوف بالجيران قدمًا فقد أوفت معاوية بن بكر

ديوانه، ص 61 وأيضًا قال:

فقدما عصيت العاذلات وسُلطت على مصطفى مالي أنامي العشر

ديوانه، ص 67

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يهجو أبا جهل:

مشوم لعين كان قدمًا مُبغضًا يبين فيه اللوم من كان يهتدي

فَلَيْنٌ³ سَمَوْتَ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى⁴ فَلَقَدْ نَشَأَتْ¹ بِعَزَّةٍ قَعَسَاءِ

ديوانه، ص 126. وقال يهجو ثقيفًا:	أبوكم أَلَمُ الْآبَاءِ قَدْ مَأْ	وَأَنْتُمْ مَشْهُوهُ عَلَى مِثَالِ
ديوانه، ص 273 وكذا في ديوان الكميث (ص 269)	أَوْ قَدْ مَأْ: الشَّجَاعُ أَوْ الَّذِي يَمْضِي أَمَامَ	
¹ في حيات شبلي للسيد سليمان (طبعة 1999م) "أورسته" (ص 249) ولكن في طبعة 2008م "أورثته" (ص 212) وأورثه إياه: جعله وارثًا لكذا كما قالت الخنساء:	أَيَا عَيْنِي وَيَحْكُمَا اسْتَهْلَا	بَدَمْعٍ غَيْرِ مَنْزُورٍ وَعُغْلَا
	بَدَمْعٍ غَيْرِ دَمْعِكَمَا وَجُودَا	فَقَدْ أَوْرَثْتُمَا حَزْنًا وَدُغْلَا
	عُغْلَا: اتبعنا مرة بعد مرة. ديوانها، ص 93	
	وقالت أيضًا:	
ديوانها، ص 95	غَدَاةٌ غَدَا نَاعٍ لَصْخَرٍ فِرَاعِنِي	وَأَوْرَثْنِي حَزْنًا طَوِيلَ الْبَلَابِلِ
وقال حاتم الطائي:	أَوْرَثْنِي الْمَجْدَ بِنَاءُ الْمَجْدِ	أَبِي وَجَدَيْ حَشْرَجٍ ذُو الْوَفْدِ
ديوانه، ص 102		
² في سيرت شبلي لسهيل "الاباء"، ص 90		
³ في طبعة حيدرآباد "فلين"، ص 49		
⁴ العلى والعللا: العلو. قال السموأل:		
وما قلَّ من كانت بقاياها مثلنا		شَبَابٌ، تَسَامَى لِلْعُلَى، وَكَهُولُ
ديوانه، ص 11 وقال حاتم الطائي:		
كذلك أمور الناس راضٍ دنية		وَسَلَامٌ إِلَى فِرْعَ الْعَلَا مَتَوَرَّدِ
ديوانه، ص 105		
وقال عنترة بن شداد العبسي:		
سموئُ إلى العلى وعلوت حتى		رَأَيْتُ النِّجْمَ تَحْتِي وَهُوَ يَجْرِي
ديوانه، ص 83		
وقال حسان بن ثابت الأنصاري في قريش:		
أهل المكارم والعلى ونداوة النـ		نَادِي وَأَهْلُ لَطِيمَةِ الْجَبَّارِ
ديوانه، ص 166		
ولحسن كذلك:		
سمت هاشمٌ للمكرمات وللعلى		وَعُودِرَتْ فِي كَأْبٍ مِنَ اللُّؤُومِ جَائِمَا

لَا غَرَوْ نَصْلُ² السَّيْفِ إِنْ يَكُ صَارِمًا أَوْ يَسْتَهْلُ³ الْبَرْقُ بِاللَّالَاءِ⁴
فَلَأَنْتَ⁵ بِالْعَزَمَاتِ⁶ سَيْفٌ صَارِمٌ وَلَأَنْتَ⁷ بَرْقٌ لَامِعٌ بِذَكَاءِ⁸
لَأَذَتْ⁹ بِجَانِبِكَ الْعُلُومُ فَإِنَّهَا لَوْ لَمْ¹⁰ تَصْنُهَا آذَنْتَ¹¹ بِفَنَاءِ

ديوانه، ص 336

¹ في طبعة حيدرآباد (49) مجلة "الإصلاح" (418/7/3) وسيرت شبلي لسهيل (90) "نشأت" وحيات شبلي للسيد (1999م) "نشأت" (ص 249) إلا أنها في طبعة 2008م "نشأت" (212)
² في مجلة "الإصلاح" (418/7/3) "نسل" وحيات شبلي للسيد (1999م) "فصل" ولكنها في طبعة 2008م "نصل" (حديقة الرمح والسهم والسكين. وربما يسمي السيف نصلاً). قال تأبط شراً: وقالوا لها: لا تنكحيه فإنه لأول نصلي أن يلاقي مجمعا

ديوانه، ص 112

وقال حاتم الطائي:

وخرق كنصل السيف قد رام مصلي تعسفته بالرمح، والقوم شهدي

ديوانه، ص 75

³ استهل: تبدى كما قال حسان بن ثابت الأنصاري:

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير نزر

ديوانه، ص 156

⁴ في طبعة حيدرآباد (49) ومجلة "الإصلاح" (418/7/3) وسيرت شبلي لسهيل (90) "بالالاء". والالاء: الضوء

⁵ طبعة حيدرآباد (49) ومجلة "الإصلاح" (418/7/3) وسيرت شبلي لسهيل (90) وحيات شبلي للسيد (1999م/249) "فلانت"

⁶ العرب شهوا مضاء العزم بالسيف الصارم كما قال أبو كبير الهذلي الشاعر الصحابي:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المنهل

صعب الكريمة لا يرام جنائبه ماضي العزيمة كالحسام المقصل

شرح ديوان الحماسة، 21/1

⁷ طبعة حيدرآباد (49) ومجلة "الإصلاح" (418/7/3) وسيرت شبلي لسهيل (90) وحيات شبلي للسيد (1999م/249) "ولانت"

⁸ شدة الضوء

⁹ في حيات شبلي للسيد (1999م) "ذت" (ص 250) ولكنها "لاذت" في طبعة 2008م (ص 213)

¹⁰ في حيات شبلي للسيد (2008م) "لولا" ص 213

¹¹ هكذا في طبعة حيدرآباد (49) ومجلة "الإصلاح" (418/7/3) وسيرت شبلي لسهيل (90) والطبعة الأولى (ص 29) ولعلها "لاذت"

قَدْ أُمَحَلَّتْ أَرْضُ الْعُلُومِ وَأَصْبَحَتْ
عَرَصَاتُهَا كَسَمَالِقِ¹ الْبَيْدَاءِ²
لَعِبَتْ بِهَا هُوجُ الرِّيحِ تَنُوبُهَا
مِنْ كُلِّ عَاصِفَةٍ مِنَ النَّكْبَاءِ³
فَجَعَلَتْ⁴ تُمَطِّرُهَا⁵ بِسَحٍّ⁶ وَكَفٍّ⁷
صَوَّبَ⁸ الرَّيْبُ بِدِيمَةٍ⁹ هَطْلَاءِ¹⁰

¹ في مجلة "الإصلاح" (418/7/3) وكل من الطبعين لحيات شبلي للسيد (250/م/1999) و2008/م/213) "سمائق". السمالق جمع سملق: قاع صفصف وأما "السمائق" فهي من سَمَقَ يستمق سموقًا: خلص

² البيداء: الفلاة

³ هذا البيت في حيات شبلي للسيد (250/1999)

⁴ في كل من الطبعين لحيات شبلي للسيد (250/م/1999 و2008/م/213) "فضلت"

⁵ في حيات شبلي للسيد (250/م/1999) "قمطرها"

⁶ سَحٍّ: صَبَّ وسكب، تقول الخنساء:

ما بال عينك منها الدمع مهراق
ديوانها، ص 89
وكذا قالت:

وجودي بدمعك واستعبري
ديوانها، ص 98

وكذا مطر غزير كما قال حاتم الطائي:

سقى الله ربَّ الناس سحًا وديمة
ديوانه، ص 48

⁷ وكف وكف يكف: سال سيلاً قليلاً قليلاً. ومنه قول الخنساء في أخيها صخر:

أهل بها وكف الدماء ورعدها
ديوانها، ص 67 وقالت كذلك:

فدموع العين ميني
ديوانها، ص 85

⁸ الصوب: الانصباب كما قالت الخنساء:

أسقى الإله ضريحه
الرهائم جمعُ رهمة: هو المطر الخفيف الدائم. ديوانها، ص 109

⁹ ديمة هي سحابة دام مطرها. قالت الخنساء:

سقى جدًّا، أكنافُ غمرة دونه،
ديوانها، ص 103

¹⁰ "ديمة هطلاء" نزول المطر المتتابع المتفرق والعظيم القطر

فَرَبَّتْ رِيَاضُ الْعِلْمِ مِنْكَ وَأَنْبَتَتْ¹ مُهْتَزَّةٌ يَغْصُ وَنِيهَا² الْخَضِرَاءُ
كَمْ مُعْضَلَاتٍ³ فِي الْمَسَائِلِ قَدْ أَبَتْ⁴ أَنْ يَكْشِفُوا عَنْهَا ذَوْوُ⁵ الْأَرْءِ
مَرَّقَتْ أَسْتَارًا لَهَا فَتَمَرَّقَتْ كَالْبَرْقِ يَهْتَكَ سَدْفَةٌ⁶ الظَّلْمَاءِ⁷
عَلَّمَتْنَا سُبُلَ الرَّشَادِ وَإِنَّمَا كُنَّا كَخَابِطٍ⁸ لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ⁹

¹ في سيرت شبلي لسهيل (90) "أنبت" بينما هي في مجلة "الإصلاح" (419/7/3) "أنبتت" وفي كل من الطبعتين لحيات شبلي للسيد (1999م/250 و 2008م/213) "ونورت" إلا أن في الثانية لا توجد الواو

² في طبعة حيدرآباد "بغضونها"، ص 49
³ هذا في مجلة "الإصلاح" (419/7/3) "كم معضلات". وفي سيرت شبلي لسهيل (90) "كهم مضلات". والمعضلة من المسائل هي المشكلة المستغلقة التي لا يهتدى لوجهها كما قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا:

خطأب محفلة، فراج مظلمة إن هاب معضلة سئى لها بابا
ديوانها، ص 14 و"سئى" فتح.

⁴ في الأصل "قدايت" الصحيح ما أثبتناه
⁵ هكذا في سيرت شبلي لسهيل والصحيح "ذوو ---" وفي مجلة "الإصلاح" (418/7/3) "ذو -".
⁶ سدفة بفتح السين وضمتها: ظلمة
⁷ ظلماء: ظلام و"ليلة ظلماء" شديدة الظلام. ويقال أيضًا "ليل ظلماء" وهو من الشواذ. قال السموأل:

وجيش في دجى الظلماء مجرٍ يؤم بلاد ملِكٍ قد هديت
ديوانه، ص 18
وقال قيس الخطيم:

كأن الثريا فوق ثغرة نحرها توقد في الظلماء أي توقد
شرح ديوان حسان، ص 108
وقال الكميت الأسدي:

تضيّفه تحت الألاء موهئًا بظلماء فيها الرعد والبرق صيّب
يكلأ من ظلماء ديجور حنّس إذا سار فيها غمبٌ حلّ غمب
ديوانه، ص 549-550

⁸ في حيات شبلي للسيد (2008م) "كخنايط" ص 213
⁹ "ليلة ليلاء" و"ليل لائل" ليل طويل شديد السواد كما قال الكميت الأسدي:
دغ خبط عشواء في ليلاء مظلمة هاجت أفاعي رقصا بين أحجار

كُنَّا بِمَهْجَلَةٍ ¹ يُخَافُ بِهَا الرَّدَى	فَهَدَيْتَنَا لِمَحْجَةٍ ² بَيَضَاءٍ ³
فَلَنَشْكُرَنَّكَ مِنْ صَمِيمٍ قُلُوبِنَا	بشكر الخليل بثنه برداء ⁵⁴
فَلَأَسْأَلَنَّ ⁶ اللَّهَ طُولَ بَقَاءِكُمْ ⁷	فِي كُلِّ بُكْرَتِنَا وَكُلِّ عِشَاءٍ
وَأَهْنِئْنَا نَكْمُ بِمَا أُعْطِينَا	مِنْ خَيْرِ مَا وَجَدُوا مِنَ الْأَسْمَاءِ
إِنْ كَانَ ⁸ تِلْكَ الشَّمْسُ شَمْسَ سَمَاءِهَا	فَلَصِرَتْ شَمْسُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ
إِذْ ⁹ أَنْتَ شَمْسٌ ¹⁰ وَالْعُلُومُ سَمَاوُكُمْ	فَالشَّمْسُ شَمْسِي وَالسَّمَاءُ سَمَائِي

ديوانه، ص 221

وقال علي بن أبي طالب في الحارث بن الصمة بن عمرو الأنصاري:

أقبل في مهامة مهمة في ليلة ليلاء مدلهمة
بين رماح وسيوف جمعة يبغي رسول الله فيها ثمة

ديوانه، ص 92

¹ في حيات شبلي (1999م) "لمهجلة" ص 250. والمهجلة: أرض مطمئنة

² المحجة ج: محاج: جادة الطريق

³ البيتان من "علمتنا ----" إلى "---- لمحجة بيضاء" ذكرا في كل من الطبعتين لحيات شبلي للسيد (1999م/250 و 2008م/213)

⁴ من "كهرم مصلات ----" إلى "---- بثنة برداء" لا توجد في طبعة حيدرآباد والطبعة الأولى والطبعة الثانية وإنها في مجلة "الإصلاح" (419-418/7/3) وسيرت شبلي لسهيل (90)

⁵ في مجلة "الإصلاح" (419/7/3) "برداء"

⁶ في كل من الطبعتين لحيات شبلي للسيد (1999م/250 و 2008م/213) "فلأسألن"

⁷ في طبعة حيدرآباد "بقايكم"، ص 49

⁸ في سيرت شبلي لسهيل (90) "كن" ولكنها في مجلة "الإصلاح" (419/7/3) "كان"

⁹ في سيرت شبلي للسيد (1999م) "إذا" ولكنها في مجلة "الإصلاح" (419/7/3) "إذ"

¹⁰ ولقد كثر في الأدب العربي التعبير عن المرء ووجهه بالهلال والبدر والقمر والشمس والشهاب والنجوم والسراج كما قال دريد بن الصمة يرثي أخاه خالدًا:

تقول: هلالٌ خارجٌ من غمامة إذا جاء يجري في شليل وقونس

شليل: غلالة تلبس تحت الدرع وقونس: مقدمة بيضة الحديد. ديوانه، ص 124

وقالت الخنساء عن أخيها:

وابكي أختا كام محمودًا شمائله مثل الهلال منيرًا غير مغمور

والمغمور: حامل الذكر والسيط، ديوانها، ص 59

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

ولا ينفكّ فينا ما بقينا منيرُ الوجه أبيض كالهِلال

دیوانه، ص 267. وقال موسى بن جابر يمدح خاليه:

إذا ذكر ابن العنبرية لم تضق ذراعي وألقى باسته من أفاخر

هالان حمّالان في كلّ شتوة

شرح ديوان الحماسة، 139/1

وقالت الخنساء:

أَغْرَ، أَزْهَرَ، مِثْلَ الْبَدْرِ صَوْرَتَهُ صَافٍ، عَتِيقٌ، فَمَا فِي وَجْهِهِ نَدَبٌ

دیوانها، ص 17. و قالت:

يا صخر، قد كنت بدرًا يستضاء به
فقد ثوى، يوم متّ، المجد والجود

ديوانها، ص 38. ولها مايلي:

ضخم الدسيعة ماجدًا أعراقه
كالبدر أوفى طلعة كالأسعد

دیوانہا، ص 40. و قالت:

جَمَّ فَوَاضِلَهُ، تَنَدَّى أَنَامِلُهُ
كَالْبَدْرِ يَجْلُو، وَلَا يَخْفَى عَلَى السَّارِي

ديوانها، ص 64 وقال أبو اللحام التغلبي يمدح عبد الله بن عمرو بن كلثوم:

طلق يراح إلى الندى متبلج كالبدرا لا فة ولا متعبس

ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، ص 112

وقال عمرو بن معديكرب:

وبدلت لمیسر

وَبَدْتُ مُحَاسِنَهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا

ديوان الحماسة، 51/1

وقال الكميت الأسدي:

أَغْرَّكَ الْبَدْرُ يَسْتَسْ

4، ص 99

وقالت الخنساء:

إِذَا نَجَمٌ تَغَوَّرَ كَلَفْتَنِي
خَوَالِدٌ مَا تَوُّوبٌ إِلَى مَا بَ

ها، ص 17

ولها كذلك:

کُنَاکَا

ها، ص 63.

وقالت عن أخويها

قمران في النادي رفيعا مح

في الرجوع إلى العقل¹

سِرْ مَعَ الْعَقْلِ أَيْنَمَا سَارَا² دُرْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُمَا دَارَا
لَا تَهْوُلْنِكَ لَيْلَةٌ عَكِرَتْ³ إِنَّ بَعْدَ الظَّلَامِ أَنْوَارَا
إِنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي الشَّمْسِ وَالنَّيِّرَاتِ تَذْكَارَا
رَاكِعَاتٍ مُسَبِّحَاتٍ يَدُ غُونَنَا لِلْسَّجُودِ أَسْحَارَا

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد:

وقريش تلوذ منالوإذا لم يقيموا وخفّ منها الحلووم
لم تُطِيقْ حملة العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم
وأراد بالنجوم الأشراف المعرفين. ديوانه، ص 310
وقال الكميت الأسدي:

ونحن أولئك أنجم كل ليلٍ يؤمّ بها وأبحر مظمتينا
يؤمّ بها: يهتدى بها. ديوانه، ص 429

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يمدح النبي ﷺ:

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كمالاح الصقيل المهتد
ديوانه، ص 72

وقال في الرسول ﷺ أيضاً:

رسولٌ صدّق ما جاءه من الوحي كان سراجاً منيراً
ديوانه، ص 174

وقال حسان بن ثابت الأنصاري في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم:

وافٍ وماضي شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأماجيد
ديوانه، ص 73

¹ هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

² وكذا "صار" كما قال الراعي النميري:

هو الرجل الذي نسبت قريش فصار المجد منه حيث صار
شعره، ص 81

³ من عكّر الماء يعكّر عكراً: ضد صفا فالليلة العكرة: هي الليلة المظلمة، وقالت الخنساء عن أخيها:

إنني تذكّرته والليل معتكر ففي فؤادي صدعٌ غير مشعوب
ديوانها، ص 18

في التحذير عن الدنيا¹

يَا بُؤْسُ² لِلدُّنْيَا شَقِيًّا سَعِيدُهَا فَبَا وَيْلُ مَنْ يَسْعَى لَهَا يَسْتَزِيدُهَا
فَلَا يَرْجِعُنْ إِلَّا إِلَى الضَّرِّ نَفْعُهَا وَلَا يَرْجِعُنْ إِلَّا إِلَى الشَّحِّ جُودُهَا
فَسَيَّانِ³ عِنْدِي عَدَمُهَا وَوُجُودُهَا وَصِنَوَانِ¹ عِنْدِي وَصْلُهَا وَصُدُودُهَا

¹ هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

² هذا الأسلوب عام للتعجب من الشيء فقال علي بن أبي طالب:

يَا بُؤْسُ لِلدَّهْرِ النَّذِي مَا زَالَ مُخْتَلَفًا طَبَاعُهُ

ديوانه، ص 65

³ سيّان: صنوان. قال زهير بن أبي سلمى:

جَوَارِ شَاهِدٍ عَدَلٍ عَلَيْكُمْ وَسَيَّانِ الْكَفَالَةِ وَالْتِلاءِ

ديوانه، ص 18

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

وَقَالَ مَا شِئْتُمْ: سَيَّانِ سَيَّرَكُمْ وَأَنْ تَقِيمُوا بِهِ وَاغَابَرْتُ السَّوْحَ

ديوان الهذليين، 1/107

وقال الكميت الأسدي:

سُئِلْتُ فَلَمْ تَمْنَعْ وَلَمْ تُعْطِ نَائِلًا فَسَيَّانِ لَا ذَمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ

ديوانه، ص 118

وقال علي بن أبي طالب:

وَمَا سَيَّانِ ذُو خُبْرٍ بِصِيرٍ وَأَخْرَجَاهُ لَيْسَ سِوَاءَ

ديوانه، ص 8. وله ما يلي:

وَمَا سَيَّانِ مَنْ هُوَ فِي جَحِيمٍ يَكُونُ شَرَابُهُ فِيهَا صَدِيدًا

وحديث مرتّل غير جافي عَلَيْهِ الرِّزْقُ مَغْتَبَطًا حَمِيدًا

ديوانه، ص 40

وقال الراعي النميري:

ضَافِي الْعَطِيَّةِ رَاجِيهِ وَسَائِلُهُ سَيَّانِ أَفْلَحَ مَنْ يَعْطِي وَمَنْ يَعْدُ

شعره، ص 55

وقال أبي بن حنبل العبسي:

وَسَيَّانِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى كَعَضَّ الرِّجَالِ يُوْطِنُونَ الْمُخَازِبَ

شرح ديوان الحماسة، 1/158

في التهنئة للعلامة شبلي النعماني²

(حين تلقّبه بشمس العلماء)

لَدَى الْعَقْلِ شَمْسٌ غَيْرُ مَا هُوَ لِلْجَسِّ فَإِنَّكَ شَمْسُ الْعَقْلِ يَا لَكَ مِنْ شَمْسٍ
فَمِنْ ضَوْءِ تِلْكَ الشَّمْسِ تَجَلَّى عُيُونُنَا وَنُورُكَ مِنْهُ تَنْجِلِي ظُلْمَةَ النَّفْسِ
وَمَا الشَّمْسُ إِلَّا كُلَّ يَوْمٍ كَمَا بَدَتْ وَإِنَّكَ كُلَّ الْيَوْمِ أَنْهَى مِنَ الْأَمْسِ
لَقَدْ سُعِدْتُ أَيَّامُنَا كُلَّهَا بِكُمْ وَلِلشَّمْسِ أَيَّامٌ مِنَ السَّعْدِ وَالنَّحْسِ
وَيَخْفَى ضِيَاءُ الشَّمْسِ عِنْدَ مَسَائِنَا وَنُورُكَ مَبْسُوطٌ أَنْصَبُحُ أَمْ نُمْسِي³
لَقَدْ كُنْتُ شَمْسًا ثُمَّ سُمِّيتَ بِاسْمِهَا كَذَا الْأَسْمُ بَعْدَ الْعَيْنِ مَا فِيهِ مِنْ بَاسٍ

¹ صنو: قرين كما قالت الخنساء تعاظم هند بنت عتبة في مصيبتها:

وصنوي لا أنسى معاوية الذي له من سرة الحرّتين وفودها
ديوانها، ص 41

وقال الكميت الأسدي:

ولن أعزل العباسَ صنو نبينا وصنوائه ممن أعاد وأندب
ديوانه، ص 543

وقال شاعر حماسي:

ألا أبلغاً أخلّتي راشداً وصنوي قديماً إذما نصل
بأنّ الدقيق بهيج الجليل وأنّ العزيز إذا ساء ذل
إذا ساء: ساء فعله. شرح ديوان الحماسة، 86/1

² هذه المنظومة لا توجد في أي من نسخ وطبعات الديوان. إنما نقلها الدكتور شرف الدين الإصلاحي من لدن الشيخ بدر الدين الإصلاحي.

³ "أ نصبح أم نمسي" تعبير لليوم كله فقالت الخنساء عن أخها صخر:

فبالهفي عليه ولهف أمني أيصبح في الضريح وفيه يمسي؟
ديوانها، ص 72

لِيَهْنَأَكَ هَذَا الْاسْمُ ثُمَّ مُنِحْتُمْ
يَطُولُ بَقَاءُ صَانِهِ اللَّهُ مِنْ بُؤْسِ
وَأُورِثَتْ نُورُ الْعِلْمِ يَمْحُو غِيَابَهُ الْ
جَهَالَاتُ لَا يَمْحُوهُ عَصْرٌ وَلَا يُنْسِي
وَأَبْلَجَ¹ وَجْهَ الدَّهْرِ مِنْ كَلِمَاتِكُمْ
مَدَى الدَّهْرِ مَا خَطَّتْ يَرَاغٌ² عَلَى الطَّرْسِ³

(17)

في الفخرية أستاذة⁴

(هذه نسخة المصنف سؤدها وصححها بيده وهو أستاذي وملاذي صاحب البراعة
واللسن مولانا المولوي فيض الحسن وقد هداني هذا الكتاب وأنا حينئذ كنت
أتعلم الأدب بلاهور)⁵

هَذَا الْكِتَابُ الْفَاقِدُ الْبَذِيذِ⁶ لَا زَالَ أَهْلُ السَّمْعِ لِلتَّخْيِيزِ⁷
قَدْ نِلْتُ مِنْ أَسْتَاذِي الْجَنْذِيذِ⁸ كَفَى هَذَا فَخْرًا لِلتَّلْمِيزِ⁹

¹ بَلَجَ وأبْلَجَ وتَبَلَجَ وابتلج واستبلج للصباح: أشرق وأضاء

² اليراع: قلم

³ ذكر فراهي، ص 134 والطرس ج: أطراس وطروس: الصحيفة عمومًا

⁴ هذه المنظومة لا توجد في أي من نسخ وطبعات الديوان. إنما ذكره الدكتور شرف الدين الإصلاحي.

⁵ كتبه الفراهي على لوح مخطوط "رياض الفيض" لأستاذة العلامة فيض الحسن. السهاري بوري

⁶ بذيد: مثل

⁷ التخييز: قال لأحد حبّضا

⁸ الحنذيد جمعه الحناذيد: فحول الخيل ويستعمل في الشجعان كما قال بعض بني قيس بن ثعلبة:

دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَيَّ فَشَقَرْتُ حَنَاذِيدُ مِنْ سَعْدِ طَوَالِ السَّوَادِ

إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً مِنْ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالْأَنْفُسِ الْمَوَاجِدِ

شرح ديوان الحماسة، 1/191

وكذا الحنذيد كما قال بشر بن أبي حازم:

وَخَنْذِيدُ تَرَى الْغُرْمُولَ مِنْهُ كَطَيِّ الرِّقِّ عَلَقَهُ التَّجَارِ

ديوان المفضليات، ص 344

⁹ ذكر فراهي، ص 99

المصادر والمراجع

(المختارة)

1. إقبال أحمد خان سهيل: سيرت شبلي (تصحيح وترتيب: فضل الرحمن الإصلاحي)، مطبعة معارف، أعظم كره، نوفمبر 2014م
2. الدكتور شرف الدين الإصلاحي والدكتور حمد الله الفراهي (جمع وترتيب): مكاتيب فراهي (مجموعة خطابات ورسائل الإمام الفراهي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1994م
3. ديوان أبي أحمد الأنصاري (في المواعظ والعبرة من الحوادث الحاضرة)، مخطوط في 20 صفحة في مكتبة دار المصنفين بأعظم كره، نسخه: الشيخ عبد الباري الأعظمي في 19 رجب 1365هـ
4. ديوان أعشى همدان، تحقيق: د. حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م
5. ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م
6. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3، د.ت.
7. ديوان الحارث بن حلزة، شرح الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م
8. ديوان الحطيئة، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م
9. ديوان الخرنق أخت طرفة بن العبد، شرح وتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م
10. ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م
11. ديوان السموأل، شرح وتحقيق، علي سابا، مكتبة صادر، بيروت، د.ت.

12. ديوان الشماخ بن ضرار الشيباني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، د.ت.
13. ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربى، بيروت، ط 2، 1996م
14. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987م
15. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط 1، 2000م
16. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط 6، د.ت.
17. ديوان النابغة الجعدي، جمع وتحقيق: د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط 1، 1998م
18. ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، 1996م
19. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، 1996م
20. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
21. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم)، ط 1، 1988م
22. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م
23. ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1984م
24. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
25. ديوان حاتم الطائي، شرح: أبي صالح يحيى بن مدرّك الطائي، دار الكتاب العربى، بيروت، ط 1، 1994م:

26. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، شرح: ضابط بالحربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت
27. ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
28. ديوان ذي الرمة، تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م
29. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار التبع العلمية، بيروت، ط: 1، 1988م
30. ديوان شعر المثقب العبدى، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، 1971م
31. ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، 1979م
32. ديوان عبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م
33. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر. د.ت.
34. ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م
35. ديوان قيس بن الملوّح - مجنون ليلى، دراسة وتعليق: يُسري عبد الغني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م
36. ديوان كعب بن زهير، تحقيق: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م
37. ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.
38. ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري و خليل إبراهيم العقبة، مطبعة دار البصرى، بغداد، ط:1، 1970م
39. سيد سليمان الندوي: حياتِ شبلي، دار المصنفين، أعظم كره، أكتوبر 2008م
40. سيد سليمان الندوي: حياتِ شبلي، دار المصنفين، أعظم كره، 1999م

41. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهرسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
42. شرح ديوان علقمة الفحل للسيد أحمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط1، 1935م
43. شرح ديوان عنتر بن شداد العبسي للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
44. شعر الراعي النميري وأخباره، جمع وتقديم وتعليق: ناصر الحاني، دمشق، 1964م
45. الشيخ أمين أحسن الإصلاحي: تدبر قرآن، تاج كمبني، دلهي، 1989م
46. عبد الحميد الفراهي: ديوان حميد (باعثاء: محمد إبراهيم خان الأكبر ابادي)، مطبعة شمسي، حيدرآباد، الدكن، 1903م
47. قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م
48. كتاب الأشباه والنظائر للخالدين، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
49. كتاب الوحشيات، أبو تمام الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزيادة: محمود محمد شاكر، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968م
50. مجلة "الإصلاح" الشهرية الصادرة عن الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره
51. المعلم عبد الحميد الفراهي: ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي (جمع: بدر الدين الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ط2، 1989م
52. المعلم عبد الحميد الفراهي: ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي (جمع: بدر الدين الإصلاحي)، المطبعة الحميدية ومكتبتها، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1967م

حكمة بعض الشرائع المتعلقة بفرائض الزوجين

(أرسلت به إلى أستاذنا العلامة لما سألني عن هذه المسألة)

- الإمام عبد الحميد الفراهي¹

المقدمة الأولى في ما فرض الله على المسلمين في معاشرتهم بأزواجهم

قد فرض الله تعالى عمومًا على المسلمين القيام بالقسط، والإحسان، والتطهر عن الفواحش والفساد، كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ---﴾²، وفي ذلك آيات كثيرة.

ومن مواقع العدل والإحسان، معاشرة الزوجين، ففرض عليهم الإحسان، والإصلاح وتقوى الله، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا ---﴾³، وبقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا ---﴾⁴، فذلك مقصود بالذات، ولأجلها فرض الاكتفاء بواحدة، بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ---﴾⁵، والوعظ والهجر في المضاجع إلى مدة قليلة، بقوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُطَلَّاتِ ---﴾⁶، والضرب غير المبرح كما بينه الحديث، ويفهم ذلك أيضًا من القرآن، فإن الضرب المبرح خلاف الصلح والقسط، وبعث الحكيم من أهله وأهلها، وهذه الطرق الخمس المذكورة في آية 34، 35 من سورة النساء،

¹ الشخصية التي يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد² سورة النحل: 90.³ سورة النساء: 128.⁴ نفس السورة: 129.⁵ نفس السورة: 3.⁶ نفس السورة: 129.

والتفرق بعد استيفاء جميع طرق التوفيق والمصالحة كما ذكر في آية 130 من سورة النساء، وقد فرض عليهم الاكتفاء بالتربع في كل حال، فكل ذلك ليعلموا ويقمن على حدود الله، ويجتنبوا الفواحش والبغى والفساد، وبالجمله فعلى المرء المداراة والشفقة وعلى المرأة الطاعة وحفظ الغيب، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ---﴾¹

المقدمة الثانية: في الفرق بين الأحكام المقصودة لذاتها والمقصود لغيرها

مما ذكرنا يظهر أن من الأحكام ما ليس مقصودًا بالذات، بل لإصلاح مفسدة ناشئة من حكم جامع للنفع والضرر فإن أكثر الأشياء محتملة للمنافع والمضار، والإفراط والتفريط فأنزل الله الشرائع، لتصالح المضار بالمنافع، وتركب الأحكام بعضها ببعض حتى يستقيم السبيل. ومن هذا الباب كل ما ذكرنا من الأمور الستة التي رخص لها بالنساء من الضرب والهجر وغيرهما، فإن في النكاح مصالح لا تخفى ولا تحصى ومع ذلك فيه جمع الطبائع المختلفة والمشائات المتباعدة، لاسيما عند كثرة الزوجات، وقد رخص لها لمصالح معلومة من التعفف، والقسط باليتامى وكفالة النساء جميعهن، فلا بد من تشريع ما يصلح مفايدها.

المقدمة الثالثة: في الفرق بين الأحكام المقصود إنفاذها والمقصود محض تشريعها

الأحكام التي لم تقصد لذاتها، أيضًا قسمان: (1) قسم قصد العمل به كتعدد الأرواح للقسط باليتامى، وكحرمة الزيادة على الأربع، وكالقتال في سبيل الله وغير ذلك. (2) وقسم جُلّ مقصوده أن يعلم الناس تشريعه، فيكون المحض العلم به سببًا للتعقوى، كما شرع ردّ اليمين باليمين، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالْشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ---﴾²

¹ نفس السورة: 34.

² سورة المائدة: 108.

ومن هذا الباب تشريع القصاص، وتشريع كل تعزير، فإن جلّ نفعه تخويف الناس، ومنه تشريع الطلاق والخلع، فإن الزوجين إذا علما بأن لكل منهما مفرغاً ومتنفساً إلى التفريق، بقيا على حريتهما وطيب أنفسهما، وتعاشرا بالمدارة والمجاملة، خوفاً من إضاعة خيرات الزواج، وتطرق المعرة إلى المرء من الخلع، وإلى المرأة من الطلاق. فأصل المصلحة ليس في إيقاع الطلاق والخلع، بل في علم الرخصة بهما، فإننا نرى الأمم التي أيقنت بأن لا طلاق ولا خلع، فهم إما يحيفون نساءهم كالهنود، فأبطلوا لهن كلّ استقلال، وإما تحيفهم نساؤهم كالنصارى، حتى أنهم يفزعون إلى الافتراق مع احتمال كفالتهم على رغم أنوفهم، أو يقرعون باباً واحداً من الطلاق الذي بقي لهم، وهو أشنع أبوابه، فيشيعون الفاحشة. وقد لزمتهم لتحريمهم الزيادة على الواحدة، ومن هذا الباب رخصة الضرب والهجر في المضاجع، لكيلا يفضي النشوز إلى حد التفرق، فإن المقصود ليس أن ينفذوا ذلك، بل محض أن تعلم المرأة أنّ الواجب عليها الطاعة. فإن أسخطت زوجها تعدّت حدود الله، واستحقت الوعيد الشديد.

المقدمة الرابعة: في أثر الأحكام بعضها على بعض

بعدما ذكرنا أنّ الشريعة وجدت المنافع والمضار مخلوطة، فركبت بعضها ببعض لتصلح الأمر، لا يخفى أنّ أحكام الشريعة إذا بدّل بعضها، ربما تضطرب لأجله أحكام آخر، فيحوج ذلك إلى تبديلات آخر. ولا تتبين مصالح هذه التبديلات إلا بالنظر في مصالح ومضار ما وقع بينهما التبديل، وما يتعلق بهما من أحكام آخر، مثلاً بعدما أنزل الله تعالى أحكام الإرث، احتيج إلى نهي الوصية للورثة، وقصر الوصايا إلى ثلث المال. وبعدهما خفف بعض أحكام التوراة الشديدة، كالرجم، فرض نكاح امرأة الأخ الميّت الذي لم يترك ولداً، جبر مصالحها بأحكام آخر كالحكم بعقاب الطغاة، والندب إلى نكاح الأيامى، وذكر تخويفات كثيرة، بعذاب الآخرة وتصوير شدته، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ

مِثْلَهَا---¹ أي في ما نسوها لكفرهم، فنسب الله الإنساء إلى ذاته، ليدل على كونه عذاباً من الله كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ---²﴾.

تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمًا³﴾

بعد تمهيد هذه المقدمات، نقول إن الله تعالى لما جعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، وحرم عليهم نكاحهن، وبذلك سدّ باب الطلاق، وكذلك لما عرض عليهن أن يسرحهن، فاخترن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما انسد باب الخلع، انسد باب التفرق، وانسد منافع هذه الرخصة أيضاً، كما مرّ في المقدمات، وكذلك انسد كل ما رخص فيه من الضرب، وهجر البعض، وبعث الحكم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أطوع لمرضات أزواجه، لغاية رأفته بالضعفاء، فلم يكن لهن خوف من ضرب أو غلظة، ولا من أن يهجر من نشزت، فإنه جعل على نفسه التسوية في قسمتهن، ثم لما حرم الله على المسلمين الزيادة على الأربع، عزل النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وهن سودة، وجويرة، وصفية، وأمّ حبيبة، وميمونة، فحرمهن على نفسه من غير تحريم من الله، بل لشدة تقواه (وأوى منهن عائشة، وأمّ سلمة، وحفصة، وزينب) فكان ذلك باباً من الرهبانية ابتداءً، وكان مع ذلك حيقاً على المعزولات، فلما وقعت هذه الأمور، وبعضها كانت من عند الله وبعضها من رأي النبي صلى الله عليه وسلم وتشدده على نفسه، احتيج إلى كشف الأمر فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ⁴﴾، فذكر جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أرى ذلك

¹ سورة البقرة: 106.

² سورة الصف: 5.

³ سورة الأحزاب: 50-51.

⁴ سورة الأحزاب: 50.

إلا تفصيل أزواجه اللاني صرن له من قبل، ولا أراه رخصة لما نكحهن بعد ذلك، وقد اضطرب في هذا الموضع أقوال المفسرين. فمفهوم هذه الجملة عندي أن الله تعالى رفع بها تحريم المعزولات وأتبعها ما يكون بياناً لمصلحة التحليل، فقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾¹، فأشار به إلى جميع ما يصلح أمرهم فيما يتعلق بتعايشهم بأزواجهم، مما مرّ في المقدمة الأولى، أي كل ما جعلنا على المسلمين كان بعلمي، فإننا بها فرضنا عليهم، رفعنا عنهم كل حرج، وكذلك ترفع عنك الحرج بما أحللنا لك هذه الأرواح، فليس عليك أن تعزل بعضهم، فتظلم نفسك وأنفسهم، وكل ما فعلت فلا يؤاخذك الله به فإنه غفور رحيم يحب الرحمة، وقد علم أنك لم تفعل ذلك إلا من التقوى والرحمة. وأنزل لمزيد البيان قوله: ﴿تُزْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾²، فأول هذه الجملة تشير إلى أنك كنت تراعي القسمة، فإذا ساءك أمر من بعضهم، كنت إما تغمض على القذى وتكظم على الشحى، وإما تترك جميعهم، لكيلا تتهم بالميل إلى بعضهم وبترك العدل التام، فما عليك هذا التشدد، بل الإرجاء والإيواء محول إلى مشيئتك. والتحويل إلى مشيئة الحكيم لا يفهم منه إلا رعاية غاية العدل، كما حوّل الله المغفرة والعذاب كثيراً إلى مشيئته، ولا يراد منه أنه يفعل خلاف العدل، فإنه تعالى نفى ذلك صريحاً في كثير من الآيات، فلا يراد من هذه المشيئة إلا أنه ليس في حكمه رعاية الوجوه وقبول الرشوة، وكذا حوّل إذن من أراد الذهاب عن أمر جامع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَدِينُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَدْنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³، أي ائذن لهم حسب فهمك من المصلحة والخير. فذلك المراد من

¹ نفس السورة: 50

² نفس السورة: 51.

³ سورة النور: 62.

هذا التخيير في حق النبي صلى الله عليه وسلم ليس إلا أن تنتفع أزواجه بعلمه حسب ما ذكر في المقدمة الثالثة. ونفصل ذلك النفع عن قريب.

ويؤيد ما قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل بعد التخيير يراعي القسمة، فلو كان المراد إنفاذه، لأنفذه، فهو بريء مما يتوهم أحد أنه جعل هذا التخيير لهوى نفسه. وأما قوله: ﴿وَمَنْ أَبْتَغَيْتْ...﴾، تصريح بما ذكر من التحليل، أي أن عزلك هذا لا تحرم عليك شيئاً، فإننا أحللنا لك جميع أزواجك. وبعد ذكر ما حكم الله به بين مصلحة الحكم، فقال: ﴿ذَلِكَ أَذُنِي أَنْ تَقْرَأَ عَنْهُمْ﴾،¹ أي هذا الحكم لم يكن حيقاً على أزواجك بل فيه مصالح:

الأول: أن تقر أعين المعزولات منهن، فإنهن وإن رضين بأن تبقي في عداد أزواجك، فإذا ضممتن إلى غير المعزولات زدن قرة أعين.

والثاني: رفع الحزن من إطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن بهما إلا إرضاءه ومع ذلك يجمال النبي صلى الله عليه وسلم كلهن سواء، ويهجرها إن هجر من أراد إصلاحها ببعض الإعراض، كما وقع حين هجر كلهن لأجل بعضهن.

والثالث: أن ترضى كلهن، فإنهن إذا علمن أن النبي صلى الله عليه وسلم مخير في ما أتى بعضاً دون بعض، ومع ذلك يراعي كمال التسوية، زادهن رضى وشكراً. فهذه كلها تفصيل منافع هذا التخيير. وإنما جعل الله نفعه في محض تشريعه، ثم لم يخير إلا من علم منه أنه لا يهضم إلا نفسه، وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم بعمله أن ذلك لم يكن للإنفاذ، فكفّ عن استعماله. هذا والعلم عند الله. لم أكن لأرسل النبذة المختلصة من مضايق الفرصة إلى أحد، لأنني لا آمن على نفسي الزلل في ما استعجل به القول، في التفسير له خطر عظيم، ولكني إذا أرسله إلى حضرة الأستاذ، لا أخاف زلاتي لكمال إصابة رأيه وصحة نقده، فيميز السمين من غثه، والمتين من رثه.²

¹ سورة الأحزاب: 51.

² د. شرف الدين الإصلاحي ود. حمد الله الفراهي، مكايب فراهي، الدائرة الحميدية، 1994م، ص 82-88.

تعليقات في تفسير القرآن الكريم للإمام الفراهي، دراسة تحليلية

- أبو سعد الأعظمي¹

كانت شخصية الإمام عبد الحميد الفراهي متعددة الجهات، ولكن اختصاصه كان في القرآن الكريم، حيث نشهد دقة نظره وعمق فكره وروعة بحثه في أوجها وكمالها. فقد كان يحب كتاب الله الذي كان مركزاً لتفكيره ومحوراً لكافة أشغاله وأفكاره. وقد وقف حياته كلها على التدبر والتفكير في هذا الكتاب وجعله هدف حياته. وكل علم وفن مهر فيه، وكل موضوع تحدث عنه لم يرد به سوى أن يمهّد به السبيل إلى فهم القرآن ويسهل به الوصول إلى معارفه وحكمه.

لقد قرأ الفراهي التاريخ بإمعان، وحلّل بدقّة أسباب وعلل تقدم المسلمين وتخلّفهم، وفوق ذلك كان الله قد وهبه، لرغبته في القرآن وتدبره المتواصل، بصيرة خاصة. ولذا قد وصل الفراهي إلى أن الحل الوحيد لإنقاذ المسلمين من الذل والهوان هو أن يرجع المسلمون إلى أصلهم الأول المتين، ولا يشوبهم جانب من العصبية والبغضاء.² وفي هذا الصدد أول عمل كان يريد الفراهي إنجازه نظراً إلى أهميته هو أن يؤلّف تفسيراً لكتاب الله في ضوء الأصول والمبادئ التي وفقه الله لاكتشافها وتدوينها. فإن أصل معظم مساوئ المسلمين هو ابتعادهم عن القرآن وضعف علاقتهم به. ومع أنه لم تسمح له ظروفه بتأليف تفسير كامل على منهجه الخاص إلا أنه كتب تفسير بعض سورته، فأحقّ به فلسفته هذه، علاوة على ذلك كتاباته الأخرى تكفي لإثبات حقيقة هذا المنهج وأهميته في فهم معنى القرآن الصحيح. كما أن تعليقاته في تفسير القرآن الكريم في مجلدين مشتملين على تسعمائة صفحة وتستوعب القرآن الكريم

¹ باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

² العلامة حميد الدين الفراهي، حياته وأفكاره، الدائرة الحميدية، سرائير، أعظم كره،

1992م، ص 13-14

تمامًا وتفيدنا بمعلومات أساسية عن نظم السور وزمن نزولها وعمودها وتفسيرها. وكانت هذه التعليقات قد بقيت في صورة المخطوط منذ مدة طويلة وتوجد مبيضات قلمية لها عند بعض الناس. وقد أشار سلطان أحمد الإصلاحي رحمه الله إلى أهمية هذه التعليقات وقيمتها في مقالته التي نشرت في مجلة علوم القرآن الأردنية الصادرة من مؤسسة علوم القرآن في العقد الأخير من القرن العشرين قائلاً: "ومن أهم أعمال الفراهي التي لا تزال تبقى في صورة المخطوط ولا نجد أي سبيل لنشرها بل نفقد إحساس قيمتها هي تعليقاته في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية، وهي نتيجة لتفكره وتدبره في القرآن الكريم الذي يمتد إلى أكثر من أربعين سنة".¹ وأضاف فيه مؤكداً على إصدارها: "لو أن مؤسسة أو لجنة في الهند تقوم بإصدارها لتكون خدمة عظيمة للقرآن الكريم لا تفوقها أية سعادة، وترفع بها سمعة الهند في العالم العربي وتعتز مكانتها خارج الهند أيضاً".²

والبروفيسور عبید الله الفراهي، حفيد صاحب هذه التعليقات، الذي بذل جهوده المضنية في إصدار بعض أهم مؤلفات الفراهي، هو الذي اعتنى بهذه المخطوطات فقام بجمعها وترتيبها وساهم في هذا العمل الشيخ أمانة الله الإصلاحي وآخرون غيره. فبجهودهم البالغة تم نشر هذه التعليقات بعنوان "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" في جزئين. ونشرته الدائرة الحميدية في سنة 2010م. فخدمتهم العلمية هذه تستحق التقدير والإشادة بكل من يشغف بالقرآنيات عامة ومن ينتهي إلى الفكر الفراهي خاصة.

وليس في وسع الجميع أن يستفيدوا من هذه التعليقات لكونها مخطوطة، فلذلك ليس هنا أي سبيل لإشفاء الغلة التي يحس بها القارئ بعد دراسة تفسير الفراهي الذي لم يمهل أن يكمله، وإن كان تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي قد حاول أن

¹ انظر للتفصيل: تعليقات غير مطبوعة للإمام الفراهي، سلطان أحمد الإصلاحي، مجلة علوم القرآن، يناير-يونيو، 1990م، ص 51-67

² المصدر نفسه

يوفي بهذا الحق بكتابة تفسيره "تدبر قرآن" في تسعة مجلدات، والتزم فيه منهجه العلمي لا سيما في بيان نظم القرآن الكريم. واعترف بصراحة أن كل ما قدّم فيه هو فكرة أستاذه الإمام الفراهي.¹ إلا أن القراء ما زالوا في اشتياق بمعرفة آراء الفراهي التفسيرية مباشرة، وهذه التعليقات تمثل مصدرًا موثقًا لمعرفة آرائه وشفاء الغلة التي يدركها القارئ بعد دراسة تفسيره. وإن هذه التعليقات هي عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له في أثناء تدبر القرآن الكريم، قيدها تذكراً لنفسه لا للنشر، وقد وضع بين كل ورقتين من مصحفه ورقة بيضاء أو أكثر، يدون فيها تأملاته بقلم الرصاص كعادته. وقد يكون رجع عن بعض أقواله الواردة فيها، ولعل بعض أقوال المفسرين التي ذكر فيها لا لموافقتها لهم فيها، بل لنقدها، أو حاجة أخرى في نفسه، ومن ثم لم يكن تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله يحبذ نشرها.

وأشار الدكتور عبيد الله الفراهي في كلمة الجامع: "ويبدو أن ثلاثة مصاحف كهذا كانت عنده، هذه المصاحف ليست بين أيدينا، فإن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله قد أخذها معه عندما انتقل إلى باكستان، وقد نسخ زميله الشيخ أختار أحسن الإصلاحي رحمه الله تلك التعليقات من مصاحف شيخه مميّزاً بين المتقدمة منها والمتأخرة. هذه النسخة عندنا، ونسخة أخرى بخط المدير السابق للدائرة الحميدية الشيخ بدر الدين الإصلاحي رحمه الله. على هاتين النسختين اعتمدنا في إخراج هذه التعليقات للراغبين في تدبر كتاب الله، محافظين على ترتيبها فيهما، فقدمنا التعليقة الأولى، ونهنا على غيرها في الهامش بأنها من التعليقة الثانية أو الثالثة. ثم ضمنا إليها من القسم الثاني ما كان مختصراً جداً، فإنه لم يكتب في تفسير بعض السور إلا فصلاً أو فصلين، فرأيناه أليق بهذه المجموعة، وقد نهنا في آخر هذه الفصول بأنها "من تفسيراته". وقد وجدنا دفتراً فيه تفسير آيات من سور مختلفة، فوضعنا تفسير كل آية منها في موضعه بين

¹ انظر للتفصيل: تدبر قرآن، أمين أحسن الإصلاحي، فاران فاؤندينشن لاهور، الطبعة الثانية،

حاصرتين، مع التنبيه في الهامش على أنها "من إشارات تحت الآية". وعلاوة على ذلك، أضفنا إلى هذه التعليقات كل ما وجدنا في كتب المؤلف المطبوعة أو المخطوطة من كلام أو تذكرة أو إشارة في تفسير آية من الآيات، فزدناه في الموضوع المناسب بين حاصرتين مع الإحالة على مصدره في الهامش¹. وقد أصبحت هذه التعليقات مصدرًا موثقًا لمعرفة آراء الفراهي التفسيرية حول معظم الآيات القرآنية وتشفي الغلة التي يدركها القارئ بعد قراءة تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي لم يوفق إكماله في حياته.

ويتضح من خلال هذه التعليقات منهج الإمام الفراهي وفلسفته في النظم، ففيها قام بتعيين عمود السور وعرض تحقيق المفردات في ضوء كلام العرب وأشار إلى التراكيب النحوية والجوانب البلاغية واستعرض تسامحات أعلام الفن في هذا الصدد ونقدها. ولا يخفى على أحد أهمية معرفة كلام العرب وذلك لكي يصل إلى مفهوم صحيح للكلام وربما يقع الإنسان في أخطاء فاحشة بسبب عدم معرفته بأساليب كلام العرب، وركز الفراهي عنايته بهذا الجانب أيضًا، وقدّم نماذج من أساليب كلام العرب في مواضع عديدة. ونرى في بعض المناسبات تفسيرًا مؤثرًا للآيات الكريمة وربما اكتفى بالإشارات ووعد أن يفصل القول في تفسيره في موضع آخر، كما أنه نقل الأحاديث النبوية وآثار الصحابة تأييدًا للمفهوم المستنبط من الآيات الكريمة وتشرحها وذكر أمهات الكتب التفسيرية أيضًا. له نظر عميق في الصحف السماوية وقد تعلم اللغة العبرانية وتمهر فيها حتى كان يتمكن من استفادة النسخة العبرانية مباشرة، واستفاد منها كمأخذ ثانوي في تفسير القرآن الكريم واستند في هذه التعليقات أيضًا إلى الصحف السماوية. وبالإيجاز لو نقوم بإعداد مفهرس المباحث الواردة في هذه التعليقات للفراهي، يمكن لنا إلقاء الضوء على هذه العناوين التالية:

¹ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، الإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، الطبعة الأولى، 2010م، 6-4/1

تفسير القرآن بالقرآن، الاستفادة من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، الاستفادة من أمهات كتب التفسير والإشارة إلى بعض التسامحات الواردة في تفاسيرهم لعدم عنايتهم بكلام العرب وأساليب كلامهم ولعدم رعاية النظم، تحقيق المفردات والاستشهاد بكلام العرب لتوضيح أساليب الكلام، الاستفادة من الصحف السماوية والمقارنة بين القرآن والصحف السماوية في صدد القصص الواردة فيهما، نماذج التراكيب النحوية والنقد على أصول أعلام النحويين.

وفي السطور التالية نحاول تقديم دراسة تحليلية لهذا الكتاب. فيعرف كل منا أنّ الفراهي له منهج خاص في التفسير، وقد أكمل تفسير بعض السور القصار حسب منهجه وشرع في تفسير سور كثيرة منها البقرة وآل عمران ولكنه لم يتم، فنرى منهجه يسود في هذه التعليقات إلى حد. وسيتضح منهج تفسيره بكل وضوح بدراسة هذه التعليقات.

تفسير القرآن بالقرآن: قد اتفق جميع المفسرين أنّ تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن طرق التفسير، لأن القرآن يفسّر بعضه بعضًا. وأشار ابن تيمية إلى أهمية تفسير القرآن بالقرآن بقوله: "فإن قال قائل ما أحسن طرق التفسير فالجواب أنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان، فقد بسط في موضع آخر، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له".¹ وقد التزم الفراهي كتفسيره المطبوع في هذه التعليقات أيضًا أنّ يفسّر القرآن بالقرآن ويقدم حلّ مشكلاته في ضوء القرآن. فمثلاً لتعيين مفهوم أية كلمة، يستوعب الفراهي جميع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة ثم يمعن نظره في محل استعمالها ويعتني الفراهي في هذا الصدد بعمود السورة ونظام الآيات ونظائرها أكثر من غيرها ثم يعين مفهومها. وهذا هو الأساس لمنهج الفراهي. وفيما يلي نقد بعض النماذج:

¹ فتاوى ابن تيمية، عبد الرحمن النجيد الحنبلي، فهد بن عبد العزيز آل سعود، 363/13

جاء في تعليق سورة البقرة: "وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ" الآية 165، نظيرها في سورة الأنبياء قوله تعالى، "لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون" الآية 39. فقولته "إذ يرون العذاب" مثل قوله، "حين لا يكفون" أي لو يعلم الظالمون الآن ما يعلمونه في الآخرة لانتهاوا وتابوا وخافوا، ولكنهم يعلمونه حين لا ينفعهم علمهم بل يكون حسرة عليهم. وهذا على تأويل "حين" إلى المفعولية أو على تقدير المفعول، أي لو يرون أحوالهم حين لا يكفون، ونظائر ذلك كثيرة، فمنها في سورة سبأ قوله تعالى، "ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت" الآية 51. فإن صح ذلك فتأويل الآية مثل ما ذكرنا في نظيرها".¹

وجاء في تعليق سورة النحل الآية 44: "بالبين والذير" يتعلق بقوله تعالى "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم" وذكروا فيه وجوهاً خمسة. والبيانات معناها الذكر، كما قال "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ" (الأنبياء: 105) وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الذكر هو التوراة. وقال "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين" فأظن، والعلم عند الله، أن الكتاب والذكر والتوراة واحد، والمراد به الأحكام من التوحيد والشرائع. وتقابله الحكمة أي النصائح والزبور أي النغم الإلهية. لتبين للناس أي أهل الكتاب".²

وجاء في تعليق سورة البقرة الآية 113: "يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ" أي فيما اختلفوا فيه من الدين، لما حبيب إليهم البدع والأهواء، كما جاء كثيراً في القرآن. ومنه قوله تعالى "وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ" (الشورى: 10). و"فَمَا اخْتَلَفْتُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ" (الجاثية: 17). ذكر ابن جرير روايات طويلة باطلة ولم ينبه على سخافتها".³

¹ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 56/1

² المصدر نفسه، 348/1

³ المصدر نفسه، 45/1

ونكتفي بهذه النماذج إذ يمكن من خلالها أن نرى كيف التزم الفراهي تفسير القرآن بالقرآن وقدّم نظائرها من سور أخرى وبين معناها.

الاستفادة من الأحاديث وآثار الصحابة: وأما نظرية الفراهي عن الحديث، فيرى القرآن كأصل والأحاديث كفرع، وذلك بما أن القرآن قطعي الدلالة وأما الأحاديث فهي ظنية الثبوت. يقول في مقدمة نظام القرآن:

"أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبع والفرع فذلك ثلاثة: (1) ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية، (2) وما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم، (3) وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء. ولولا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع".¹

وأضاف فيه: "أول شيء يفسّر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبي ﷺ والذين معه، ولعمري أحبّ التفسير عندي ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم"² ويلقي الضوء على منهج تفسيره قائلاً: "وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتبع، بعدما فسّرت الآيات بأمثالها، لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والملحدّين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل".³ ويرى الفراهي أن تمييز صحيح الأحاديث من سقيمها هو أمر صعب، ووضع أساس الدين على روايات ضعيفة خطيرة جداً. فلذلك أصر على أن يقوم كل أمور الدين على المتون القرآنية. يقول في كتابه "التكميل في أصول التأويل": "وقبل أن تفهم القرآن، تنهافت على الأحاديث، وفيه صحيح وسقيم، فيعلق بقلبك من الآراء ما ليس له في القرآن أصل، وربما يخالف هدى القرآن،

¹ تفسير نظام القرآن، الإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، الطبعة الأولى، 2008م، ص28

² المصدر نفسه، ص23

³ المصدر نفسه، ص24

فتأخذ في تأويل القرآن إلى الحديث ويلبس عليك الحق بالباطل. فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبنى عليه دينك ثم بعد ذلك ننظر في الأحاديث. فإن وجدت ما كان شاردًا عن القرآن حسب بادي النظر، أولته إلى كلام الله، فإن تطابقا فقررت عينك، وإن أعياك فتوقف في أمر الحديث واعمل بالقرآن".¹

وهذا الأصل يشير الفراهي إلى الرواية التي يجدها في تأييد ذلك المفهوم الذي يعينه رعاية بعمود السورة ونظام الآيات ونظائرها، كما أن الألفاظ المذكورة في القرآن لو يجد تشريحها في الأحاديث الصحيحة، فيستند إليها. فلذلك نرى الأحاديث النبوية وأثار الصحابة متبعثرة في هذه التعليقات. وفيما يلي نقدم بعض النماذج:

جاء في تعليق سورة آل عمران الآية 125: فعلمنا أن الصبر والتقوى تثمر النصر. وبين أن من التقوى الإنفاق وبه يتقى من النار كما جاء التصريح به في الآيات التالية. وهكذا قال النبي ﷺ، "اتقوا النار ولو بشق تمرة". فإن الإنفاق عام".²

وجاء في تعليق سورة البقرة الآية 41: "شهيد أي شفيح، لما بدّلوا معنى الشفيح وصاروا يعبدون الشفعاء فأبطل الله ذلك المعنى، فاستعمل كلمة "شهيد". فالشهيد هو الذي يؤذن بالكلام، وبواسطته يغفر لمن شاء الله. فليس لأحد أن يبدأ بالكلام، ثم اعلم أن الأصحاب وصلحاء الأمة شهداء كأنبيا بني إسرائيل، قال الله تعالى "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (البقرة/143). وهذه مرتبة عظيمة للنبي ﷺ. وقد روي³ أن

¹ التكميل في أصول التأويل، العلامة عبد الحميد الفراهي، الطبعة الثانية، 1411هـ، ص 65-66

² تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 113/1

³ وجاءت هذه الرواية في مسند أحمد، 433/1، رقم الحديث: 4118، وألفاظه مختلفة عما ذكر في الكتاب. وفيه عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: اقرء علي القرآن، قلت يا رسول الله، كيف أقرء عليك وإنما أنزل عليك، قال: إني أشتي أن أسمع من غيري، قال: فافتحت سورة النساء، فقرأت عليه، فلما بلغت، "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا" قال: نظرت إليه وعيناه تذرفان.

النبي ﷺ قال لابن مسعود رضي الله عنه، اقرأ القرآن علي، قال فقلت يا رسول الله أنت الذي علمتني، فقال: أحب أن أسمع من غيري، قال ابن مسعود: فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت إلى هذه الآية بكى رسول الله ﷺ فأمسكت عن القراءة".¹

وجاء في تعليق سورة المائدة " مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ....." (الآية 103): "البحيرة التي منع درّها للطواغيت، والسائبة: ما سببها لألّهم، والوصيلة: البكر التي ولدت أنثى ثم أنثى، فيسبونها للآلهة، والحامي: فحل سببها للآلهة بعد ضراب معدود". (هكذا روى البخاري، ونقلته بالمعنى).² ونقل الإمام البخاري هذه الرواية عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسبونها لألّهم فلا يحمل عليه شيء، والوصيلة: الناقة البكر تبكرني أول نتاج الإبل بأنثى ثم ثنى بعد أنثى وكانوا يسبونهم لطواغيتهم، إن وصلت إحدهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأغفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي".³

ونكتفي بهذه، ويتضح مما سلف أن الفراهي لا ينكر الحديث كما يظن بعض الناس، إلا أن له منهجاً خاصاً في التفسير، يلتزمه في تفسيره، فلذلك لا نرى الأحاديث الكثيرة صحيحها وسقيمها كما نرى في تفاسير القدماء مثل الطبري وابن كثير.

الاستفادة من أمهات كتب التفسير والإشارة إلى بعض تسامحاتهم: وربما يلم بأذهاننا أن الفراهي لعله صرف النظر عن أمهات كتب التفسير التي توجد لدى هذه الأمة وذلك بمنهجه الذي التزمه في تفسيره وهو التدبر والتفكر في القرآن

¹ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 127/1

² المصدر نفسه، 164/1

³ الجامع الصحيح للبخاري، كتاب التفسير، باب "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة"، رقم الحديث: 4623

مباشرة. ويوثقه هذا عندما نرى تفسيره المطبوع، فلا يرجع إلى أمهات كتب التفسير إلا قليلاً. وفي الواقع بذل عنايته بجميع هذه التفاسير المهمة المتداولة عبر العصور واستفاد منها ودرسها بغاية الإمعان والدقة إلا أنه لم يقبل أي رأي على أساس أنه رأي مفسر كبير، بل أثر أن يستعرض هذه الآراء وينقدها كجوهري ثم يأخذ منها ما يجده قريباً من ألفاظ القرآن ونظام آياته. ويتضح بعد إطلالة على هذه التعليقات أن الفراهي استفاد خاصة من تفسير الطبري ومفاتيح الغيب للرازي، وذلك بما أننا نرى أنه رجح إلهما في مواضع عديدة، وعلاوة على ذلك، نجد في هذه التعليقات ذكر الكشاف والبيضاوي والدر المنثور والعلامة المهابي وترجمة عبد القادر. وفي هذا الصدد أشار إلى تسامحات بعض المفسرين وانتقدها أيضاً. وفيما يلي بعض النماذج:

نقل الفراهي في شرح آية المائدة "أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ" رأي الإمام الرازي أنه يقول "المراد بالطيبات ههنا الذبائح والعرب تسمى الذبيحة طيباً وتسمى الميتة خبيثاً"¹ ولاحظ ما قاله الرازي في شرح الطيبات "واعلم أن الطيب في اللغة هو المستلد، والحلال المأذون فيه يسمى أيضاً طيباً تشبيهاً بما هو مستلد، لأنهما اجتماعاً في انتفاء المضرة، فلا يمكن أن يكون المراد بالطيبات ههنا المحللات وإلا لصار تقدير الآية، قل أحل لكم المحللات، ومعلوم أن هذا ركيك، فوجب حمل الطيبات على المستلد المشتبه، فصار التقدير، أحل لكم كل ما يستلد ويشتهي".²

وكتب في تعليق آية النساء "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ" (140): "هذه الآية تشير إلى ما ذكرنا من سورة الأنعام حتى أن المفسرين زعموا أن تلك الآية قد نسخت بهذه الآية، كما ذكر ابن جرير رحمه الله ولكن لا

¹ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 146/1

² التفسير الكبير للرازي، الطبعة الثالثة، 142/11

نسخ، فإن هذه الآية إنما تمنعهم عن القعود معهم إذا سمعوا استهزاءهم حتى يخوضوا في حديث غيره".¹

وقال في شرح آية التوبة "أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا....." (الآية 9): أن هذه الآية عند الرازي في أهل الكتاب خلافاً للسلف، واستدل بدليلين، الأول: خصوصية قوله تعالى "أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا" بأهل الكتاب. والثاني: تكرار قوله تعالى "إِلَّا وَلَا ذِمَّةً".² ولاحظ ما قاله الرازي في تفسير هذه الآية "لا يبعد أن تكون طائفة من اليهود أعانوا المشركين على نقض تلك العهود، فكان المراد من هذه الآية ذم أولئك اليهود. وهذا اللفظ في القرآن كالأمر المختص باليهود، ويقوي هذا الوجه بما أن الله تعالى أعاد قوله "لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة". ولو كان المراد منه المشركين لكان هذا تكراراً محضاً، ولو كان المراد منه اليهود لم يكن هذا تكراراً، فكان ذلك أولى".³

وانتقد الفراهي تسامح ابن تيمية رحمه الله في آية آل عمران "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (الآية 110): يقول الفراهي إن نسبة الفعل بصيغة الجمع إلى المجموع من حيث هو مجموع، فلا ينسب إلى كل فرد فرد. فزعم ابن تيمية رحمه الله أن الأمر بالمعروف واجب على كل فرد من هذه الأمة. وعلى هذا أخطأ في قوله تعالى "وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ" (آل عمران: 104) فزعم أن "منكم" ليس للتبعيض، فتمسك بالنادر وترك الكثير الشائع. وهذا مخالف لأصول التأويل، ومخالف للسنّة، ومخالف للحكمة ومخالف للشاهد القريب. فإن بعد هذه الآية بقرب منها جاء قوله تعالى "مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾" (آل عمران: 113) فليس المعنى أن أهل الكتاب كلهم هكذا.⁴ ولا يخفى أن هذا نقد وجيه، لأن الآية تبدأ بقوله تعالى:

¹ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 137/1

² المصدر نفسه، 245/1

³ التفسير الكبير للرازي، 232/15

⁴ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 109-110

"ليسوا سواء" فدل ذلك على أن ما اشتملت عليه الآية من مدح إنما يخص طائفة من أهل الكتاب دون غيرها كما أوضح الفراهي.

نرى في هذه النماذج المذكورة أن الفراهي له نظر عميق في أمهات كتب التفسير، وقد درسها بالإمعان والدقة، فلا يجوز أن نتصور أنه صرف النظر عنها بعدم الإحالة إليها في تفسيره المطبوع وبمنهجه الخاص الذي يقوم على التفكير والتدبر في آيات القرآن مباشرة.

الاستشهاد بكلام العرب: كان الصحابة يلتزمون باستشهاد كلام العرب في شرح الآيات القرآنية وتوضيحها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حفظ أشعاراً كثيرة ويستشهد بها حسب الموقع ومرة خاطب الناس وقال: "يا أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم".¹ وكان ابن عباس أيضاً يستشهد بأشعار العرب عندما يسأل عن القرآن،² ومن قوله: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منك".³ واستمر الاستشهاد بكلام العرب بعد الصحابة في عصر التابعين أيضاً. يقول ابن الأنباري: "قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر".⁴ ونرى أن المفسرين القدامى كالطبري والزمخشري والرازي والقرطبي وغيرهم أيضاً اعتنوا بالاستشهاد بكلام العرب في تفاسيرهم ونقلوا أشعاراً كثيرة.

ويمتاز الفراهي من المفسرين الذين نبغوا في القرن العشرين وذلك بما أنه التزم بتفسير القرآن بالقرآن ونظام القرآن في حل غرائب القرآن وغوامضه ومشكلاته

¹ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، 111/10، في

صدد الآية "أو يأخذهم على تخوف" (سورة النحل: 47)

² الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،

بيروت، 1988م، 55/2

³ المصدر نفسه، 55/2

⁴ المصدر نفسه، 55/2

وأسس أصوله كما وثق نتائج بحثه بعد أن بحث نظائره من كلام العرب. ويقول الفراهي في مقدمة تفسيره تحت عنوان المأخذ اللسانية: "فأما في سائر الألفاظ وأساليب حقيقتها ومجازها، فال مأخذ فيه كلام العرب القديم، والقرآن نفسه. وأما كتب اللغة فمقصرة، فإنها كثيرًا ما لا تأتي بحد تام، ولا تميز بين العربي القح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى، فلا يدري ما الأصل وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله".¹

ويرى الفراهي أن المفسر لا بد له من الاستفادة من كلام العرب في توضيح المفردات اللغوية وذلك بما أنه لا يقبل معنى الألفاظ إلا ما كان عامًا وشائعًا استعمالها عند العرب. وتتبعثر الأشعار العربية في هذه التعليقات كتصانيفه الأخرى. والتزم الفراهي بذلك في أكثر من أربعين موضعًا فاستشهد بكلام العرب في تحقيق المفردات اللغوية وتوضيح أساليب الكلام وتبيين التراكيب النحوية. ونقدم هنا بعض الأمثلة:

كتب الفراهي في شرح كلمة "شهيد" الواردة في سورة المائدة "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ" (الآية 8): "الشهيد كالرسول، ولذلك سعى الله الأنبياء شهداء. ثم الشهيد هو الرقيب والمحافظ كما ترى في آخر هذه السورة. (وهذه إشارة إلى هذه الآية، "وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم") وكما قال الحارث بن حلزة في آخر قصيدته".² واكتفى الفراهي بالإشارة وما نقل الشعر. والشعر هكذا:

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء³

¹ تفسير نظام القرآن، ص32

² تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 1/148

³ ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص30

وكتب في شرح كلمة "الوحي" الواردة في سورة المائدة الآية 111 "الوحي في أصل معناه إلقاء خيال لا بشرط النطق، وهذا هو المعنى المراد في كلام العرب. قال علقمة الجاهلي يصف الظليم يظهر خياله لعمره:

يوحي إليها بأنقاص ونقنقة كما تراطن في أفدائها الروم¹
وكما قال الله تعالى "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً" (النحل: 68) "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ" (الشورى: 51).

وكتب في تعليق الآية "قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ" (هود: 73). "الضمير في "تعجبين"، و"عليكم" لامرأة إبراهيم عليه السلام. وضمير جمع المذكور يستعمل للنساء كثيراً وخاصة إذا عبر عنها بأهل، كما ترى في سورة الأحزاب "يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" (الآية 33). ومن ينظر في أشعار العرب يجد كثيراً من الأمثلة. قال امرؤ القيس:

فلو كان أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقبلاً عندهم ومعرسا²

وقال عمر بن ربيعة القرشي وقد جمع بين الخطابين كما في الآية.

فوالله ما للعيش ما لم ألاقكم وما للهوى إذ ما تزارين من طعم
ألم تعلني ما كنت آليت فيكم وأقسمت لا تخلين ذاكرة باسمي³
ولولا كراهة ذكر الأشعار لسردت كثيراً في هذا الباب. وهكذا في قصة موسى في سورة القصص⁴.

¹ شعراء النصرانية، ص 500

² ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م، ص 111. وفي الديوان "فلو أن" دون "فلو كان".

³ ديوان عمر بن ربيعة، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ص 338-339 وفي الديوان "لا تخلين" دون "لا تخلين".

⁴ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 1/288-289

وأكثر الفراهي من الاستشهاد بكلام العرب في هذه التعليقات أيضًا وذلك لشرح الكلمات أو تعيين معناها أو لبيان أساليب الكلام وغيرها. ونكتفي بهذه الأمثلة.

الاستفادة من الصحف السماوية: كان الفراهي يستدل بما ورد في الصحف السماوية في صدد البحث والتحقيق عن القصص المنقولة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون أن ينقل الأحاديث المأثورة في كتب التفاسير القديمة وذلك ليقوم عليهم حجة. يقول في مقدمة تفسيره، "وبعد التمسك الشديد بالقرآن، آتي بشهادات الكتب التي نزلت من قبلنا، كما آتي بما روي من الأحاديث تبعًا، والغرض كشف ما وافقت فيه الآيات وإقامة الحجة على الأمتين من كتبهم".¹

والصحف السماوية التي أنزلت على الأنبياء السابقين وتوجد في شكل محرف، يعتمد عليها الفراهي كمصدر ثانوي، ويوضح أنه لا يقبل منها إلا ما يكون مؤيدًا للقرآن ومصدقًا لما فيه. يقول: "ومن نظر في الكتب السابقة استبان له فضل تعليم القرآن عليها وإعادة بعض ما نسوه من كتبهم وكشف ما بدّلوه، والذي يهملك ثانيًا هو أن تجعل بين ما نطق به القرآن وبين ما تجد من الفروع سدًا وحاجزًا فلا تخلطهما".²

وقد استدل بالصحف السماوية في تفاسيره المطبوعة وفي هذه التعليقات أيضًا على صحة ما ذهب إليه، فنرى فيها نماذج عديدة من ذلك وحاول المقارنة بينهما. وفيما يلي بعض النماذج:

كتب في تعليق آية آل عمران "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" أي في حق النبيين. وأخذ هذا العهد بالخصوص من اليهود. انظر الخروج: 23-24، والأعداد: 16-17، و24-29، ومن النصارى كما ترى في أواخر يوحنا".³

¹ تفسير نظام القرآن، ص24

² المصدر نفسه، ص29-30

³ تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، 1/101

وكتب في تعليق سورة الكهف الآية 94 "أن ياجوج وماجوج هم أقوام المسيحيين، كما صرح به في التوراة".¹

وكتب في تعليق سورة القصص "خَفَّتْ عَلَيْهِ" (الآية 7) "أي من عذاب فرعون. وهذا يشير إلى القتل وإن لم يكن صريحًا. فإذا كان الأمر هكذا يشكل ما جاء في سورة الأعراف "سنقتل أبناءهم". واختلف المفسرون، فمنهم من قال: كان يفعل ذلك كما فعله ابتداء عند ولادة موسى عليه السلام ومنهم من قال: بل منع منه. واتفق المفسرون على أن هذا التهديد وقع في غير الزمان الأول. (هذا ما قال الرازي رحمه الله هناك). وفي التوراة أن فرعون أمر أن يلقوا أبناء بني إسرائيل في البحر. فلما ولد موسى عليه السلام أخفته أمه ثلاثة شهور، ولما لم يمكن لها أن تخفيه وضعت في سفينة من اليراع وقيرتها وألقته في اليم. فهذا قوله تعالى يشير إلى خوفها من أخذ رجال فرعون إياه".²

نماذج التراكيب النحوية: ويتضمن النحو أيضًا في سبع عناوين التي تحدث عنها الفراهي في تفسيره، وأكد على ضرورة استعراض التصانيف المختلفة بالنحو في ضوء القرآن الكريم، وذلك بما أنها لا تعين في فهم القرآن وأساليبه مع دقة مباحثها وغمض فكرها. ونرى في هذه التعليقات يقوم بحل المشكلات النحوية مع نقده على أعلام النحويين أيضًا. نقدم بعض الأمثلة:

كتب في تعليق سورة الشعراء "فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ" (الآية 4)، هذا من مشكلات النحو. والأقرب أن "فَظَلَّتْ" هاهنا جاءت على الأصل و"خَضِيعِينَ" حال عن الضمير في "أَعْنَقُهُمْ".³

¹ المصدر نفسه، 390/1

² المصدر نفسه، 33/2

³ المصدر نفسه، 14/2

وكتب في تعليق سورة الرحمن "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" (الآية 26) أن ضمير المؤنث راجع إلى الأرض ولم يسبق ذكرها، وهذا شائع في كلام العرب، إذا كان هناك قرينة فها هنا القرينة هي مشابهة الأرض للجوار المنشآت.¹

وكتب في تعليق سورة الزمر الآية 14، "ديني" أقرء "دين" مثل "فاتقون"، وكذلك أقرء في سورة القيامة، "كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق". وقد روي أن النبي ﷺ كان يقف على الآيات. وأخطأ سيبويه حيث قال: هذا يختص بالشعر. هذا أمر شائع. ألا نقول عمرو بن العاص، وألا نقرء "واق"، و"لكم دينكم ولي دين"؟ فحذف ياء المتكلم وياء الناقص شائع في الفواصل وفي الشعر وفي طي الكلام أمثلة أخرى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطَاعُونِ (٥٧) (الذاريات: 56-57).

وقد سبقت الإشارة إلى أن الفراهي كتب هذه التعليقات تذكرة لنفسه لا للنشر، فلذلك اكتفى بالإشارات دون أن يتطرق إلى التفاصيل. وربما أشار إلى بعض تصانيفه وتصانيف القدماء كمعاني القرآن للفراء ولسان العرب لابن منظور والإتقان للسيوطي والسيرة الحلبية والسيرة النبوية وغيرها في صدد التفصيل عن النظام في السور وربط الآيات لما بعدها وقبلها والاستدلال بالقراءات الأخرى وتعريف إجمال السور وغيرها، كما نجد فيها إشارات مفيدة للنظم الذي يعتبره الفراهي أساس فهم القرآن الكريم، وذكر المسائل الفقهية أيضاً في بعض المناسبات وشرح في اللغة الفارسية في بعض المواقع.

وبالجملة إن الأمور التي تحدث عنها الفراهي بعد أن قسم تفسيره إلى سبعة عناوين وهي المقدمة والكلم والنحو والبلاغة والتأويل والتدبر والنظم وقد وعد بإحاطتها في تفسيره، تتضح في هذه التعليقات بكل وضوح. وينشر هذه التعليقات

¹ المصدر نفسه، 313/2

يزول ذلك الإحساس الذي يجده القارئ بعد دراسة تفسيره الذي لم يكتمل، كما يعرف بدراستها آراء الفراهي التفسيرية عن معظم الآيات القرآنية.

وختامًا أود أن أقترح أن هناك بعض الأعمال التي يمكن لنا أن نقوم بها لتحسين هذه التعليقات ولجعلها أكثر فائدة وأعم نفعًا. وهذا على الشاغلين بالقرآنيات والمنتقلين إلى الفكر الفراهي أن يحيلوا إلى المصادر الأصلية بعد أن قاموا بتخريج الأحاديث والأشعار العربية مع ذكر آراء المفسرين وتفسيرهم وأعلام النحويين وأهل البلاغة حيثما جاء ذكرهم في التعليقات، كما يمكننا أن نخدم هذه التعليقات خدمة كبيرة، لو نقوم بإعداد فهرس شامل للمباحث الواردة فيها وذلك لكي نسهل الاستفادة منها لطلاب العلم.

"التكميل في أصول التأويل" - دراسة تحليلية

- الشيخ ضياء الدين الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: د. رضوان أحمد²

تعد رسالة الإمام عبد الحميد الفراهي هذه من الرسائل القيمة ذات المستوى العالي. قد بين فيها أصول التأويل التي تعين في فهم وتعيين معاني القرآن الصحيحة، كما هي تكشف عن حقائق القرآن ومعارفه وتسدّ أبواب الباطل والمعتقدات المضللة.

فيقول الإمام الفراهي إن علم التأويل يفيد في صيانة الإنسان عن الخطأ والزلّة في تأويل القرآن كما يكشف عن الأسرار والحقائق التي يحويها كتاب الله تعالى. واستعجب الفراهي من أن العلماء ذكروا بعض أبواب هذا العلم ضمن جزئيات الفقه وأصوله ولكن لم يهتموا بها عند فهم معاني القرآن، والحال أنها ضرورية في علم التفسير وتحتاج إلى أن نكون منها فئاً مستقلاً.

ويوضّح رأيه هذا فيقول: إن الدين معظمه ترقية النفوس وتربية العقول وإصلاح الأعمال الظاهرة فيمكن القول بأن إصلاح الأخلاق والعقائد والشرائع هو غاية الدين وكل ذلك متصل بعضها ببعض وبجميعها تحصل التزكية وهي غاية الدين ومطلوبه الأصلي. ولهذه الثلاث نشأت ثلاثة علوم وهي علم الأخلاق والمواعظ، وعلم الكلام والعقائد، وعلم الفقه والشرائع وإذ جعل علم التأويل مقصورًا على الفقه والذي نتج عن بناء الأخلاق على حكمة الفلاسفة وتجاربهم حتى على الأحاديث الضعيفة وذلك لظنهم بأنه لا حاجة إلى صحة الاستدلال في

¹ مدير دار المصنفين سابقًا

² متخرج من جامعة الفلاح ببلربا غنج ومترجم حر

الترغيب والترهيب واعتمد على العقل بدلاً من اعتماده على النقل في مجال علم الكلام لإفحام المخالفين حتى أول القرآن خلاف مراده للتجنب عن اعتراضات المخالفين.

إن القرآن فيه آيات متشابهة أيضاً فظن العلماء بأن لا يعتمد على ظاهرها، والسبب في مثل هذه المراوغة والأخيلة الباطلة هو عدم تعيين أصول تأويل القرآن الكريم. يسد علم التأويل أبواب التفسير بالرأي: يذكر الإمام الفراهي أهمية أصول التأويل قائلاً بأنها تسد أبواب التفسير بالرأي، الذي قد حذر عنه العلماء، ولكنهم لم يبينوا تماماً ما هو المراد من التفسير بالرأي؟ وإذ كان المروي في ذلك عن النبي ﷺ والصحابة - رضي الله عنهم - قليلاً للغاية، وسميت أقوال التابعين ومن تبعهم بالروايات، وعلى هذا صنف ابن جرير - رحمه الله - تفسيره. والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى، وقد حث القرآن نفسه على التفكير والتدبر فيه. فلم يمتنع العلماء من البحث عن معارف القرآن وحقائقه بعد ظهور كتاب تفسير ابن جرير - رحمه الله - بل دونوا أفكارهم في تفاسيرهم. ويعتبر تفسير الإمام الرازي - رحمه الله - من أكبر التفاسير التي كتبت على هذه الطريقة وحصل كلاهما على قبول حسن فيما بين المسلمين مع اتفاق العلماء على أن كليهما يحتويان على الرطب واليابس معاً فيحتاجان إلى النقد والغربال.

واختلف الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم - كثيراً في تأويل القرآن مع تقارب خطاهم فلو أخذوا تأويلاتهم عن النبي ﷺ لما اختلفوا. فالحقيقة أنهم اقتصرُوا على اللغة العربية والنظائر القرآنية والسنة النبوية وبصائرهم الذاتية في تفسير القرآن وتأويله. ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل مع الخلاف فيما بينهم فإنهم لم يأولوا القرآن بالرأي المذموم الذي لا مستند له في الكتاب والسنة ولسان العرب. وقد جمع المفسرون معظم أقوال الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - ولكن لم يسع أحد لجمع الأصول التي اعتمدوا عليها في تأويل القرآن الكريم.

التفسير بالرأي: يبدو أن السلف اختلفوا كثيرًا في تأويل القرآن لكونه جامعًا لوجوه كثيرة ولكونهم متفاوتين في مدارج العقول ولكنهم مع ذلك اعتمدوا على أصول راسخة للتأويل فلم يعتمدوا على الرأي المحض وهوى النفس.

وأما من قال من كبار العلماء إن "التفسير الذي لم يكن منقولاً عن السلف فهو التفسير بالرأي" فيقول فيها الإمام الفراهي إن من ترك المنقول أوشك أن يقع في أوهامه فيرى الباطل معقولاً. كما ذكر في الفتاوى بعينه بأن من لم يتقلد السلف وركب رأسه فلا يؤمن إبعاده عن جادة الشريعة كل الإبعاد.

ويحتمل المراد من قول السلف، الأنف الذكر، على احتياج علم أسباب النزول ومواقعه في تأويل القرآن ولا يحمل ذلك على ترك النظر في دلالة القرآن وحمل الآية على نظائرها وشواهدا والجمود على المنقول المحض وعدم الفرق بين الغث والسمين وبين الرطب واليابس. فإن المنقول جله الأحاديث الضعيفة والمتناقض بعضها بعضاً، بل المتناقض لظاهر القرآن فهل يعتمد على هذه الروايات الضعيفة بدون الكشف عنها ويترك القرآن لا يتدبر فيه ولا تفهم معانيه وحقائقه؟

ويرى الإمام الفراهي أنه من الواجب أن ينظر في ما نقل من السلف لأن أهل البدعة وأرباب الباطل حينما جعلوا يأولون القرآن بالهوى ويحملون النصوص حسب أهوائهم تحرج أهل السنة الاشتغال بالأقاويل في التفسير ولا شك أنهم لم يريدوا بذلك إلا سدًا لأبواب الفتنة فإن التأويل إذا لم يؤسس على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل، لم يمنع عن القول بالرأي المحض.

وإذ غلب على أكثر الناس "أن القول بما لم يروا عن السلف هو القول بالرأي" فصار ذلك مانعًا عن التفكير والتدبر. فلا بد من الإيضاح أن النهي عن التفسير بالرأي ليس بدليل على النهي عن التدبر في القرآن والتفكير فيه.

وجوب التدبر في القرآن الكريم: يقول الإمام الفراهي إن التدبر في القرآن واجب وذكر عدة دلائل في وجوبه وهي كما يلي:

- 1- قد صرح به الله تعالى في آيات عديدة.
- 2- قد بين الله تعالى مواقع التدبر والاستدلال والنظر ولم يبين ما يكشف بعد التدبر والتفكر.
- 3- بعث النبي ﷺ معلماً للحكمة كما بعث معلماً للشرائع وقد علمها الناس فلنذكر بعض الأمثلة وهي كما يلي:

(ألف) إن النبي ﷺ كان يلقي المسألة على الناس لكي تنمو فيهم مهارة الاستنباط وملكة الاستدلال. روى البخاري أن النبي ﷺ قال مرة للصحابة "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم" فسألهم: حدثوني ما هي؟ قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- وقع في نفسي أنها النخلة، ولكن تلبثت في الإجابة بسبب التردد ثم سألو رسول الله ﷺ عنها فقال: هي النخلة.

(ب) إن النبي ﷺ كان ينهى عن السؤال لكي يستخدموا النظر والفكر. روى ثابت بن أنس -رضي الله عنه-: نهينا في القرآن أن نسأل النبي ﷺ فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمعه فاتضح أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يشتاقون إلى مجيء الأشخاص العاقلين من أهل البادية فيسألونه عن أمر مهم نافع ويجيبهم النبي ﷺ.

(ج) كان الصحابة يسئل بعضهم البعض عن معاني القرآن ومفاهيمه وسأل عمر -رضي الله عنه- الصحابة مرة ماذا أشير في سورة النصر فسكت الناس إلا عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- وأجاب فصوب قوله عمر -رضي الله عنه-. وفي رواية أنه كان يقيم ابن عباس -رضي الله عنه- ويشجعه لرغبته في فهم القرآن وتفقهه في الدين وكان يعتني به عناية خاصة.

وكان بعض الناس يتوهمون أن العلوم من البيان والمعاني والنظر والاستدلال بدعة ويقدمون الدليل على أن أعلم الصحابة بالدين لم يشتغلوا بتلك العلوم. ولأجل سوء فهمهم هذا يتوهمون أن تأويل القرآن حسب أصول علم البيان والنظر والاستدلال هو التفسير بالرأي ويقولون إن الصحابة لم يعلموا هذه التأويلات.

ورأى الشيخ الفراهي أن استدلالهم ليس بصحيح ويعده من القياس مع الفارق واعترف أن فقهاء الصحابة بل عامتهم كانوا أبصر وأعلم بالقرآن ولم يكن لهم احتياج إلى أصول علم البيان وفروعه ولا حاجة إلى علم النظر والاستدلال بل أغناهم عن ذلك صحة ذوقهم وسلامة عقولهم. ولا يثبت من ذلك عدم الحاجة إلى علوم النظر والاستدلال فإن كثيراً من العلوم المدونة ليست إلا كالأدوية. إن علم العروض والبيان تم تدوينه بعد وجود كثير من الشعراء المجيدين بل إنما أخذت أصولها من كلام نفس الشعراء كما تم تدوين علم النحو من كلام أهل اللسان الذين لم يقرؤوا ولم يكتبوا. وقد برز كبار الفقهاء في هذه الأمة عندما لم يستخرج علم أصول الفقه، فهل يعتبر وضع هذه العلوم وتدوينه باطلاً وبدعة؟

إنما أسس أرسطو علم النظر والاستدلال والمنطق ولكن كان الناس قبله يستخدمونه أيضاً مع عدم التعلم والتمرن بأصول النظر والمنطق. إن المنطق هو قطرة من بحور علم النظر الذي أودعه الله فطرة الإنسان. ويليق بالنظر أن من أوجد هذه العلوم ربما قصر وفرط وزاغ وكذلك من يشتغل بهذه العلوم العقلية والنظرية يكون أسفل من الذين يتصفون بصحة الذوق وسلامة الفطرة من ربه تعالى. إن كثيراً من الصحابة إذا فسروا القرآن كانوا كالبحر الزاخر والسحاب الهائل، ويلقون على تلاميذهم ما كان يملأ صدورهم علماً وحكمة ولكن مع استماعهم إلى علمهم وحكمتهم لم يستطع هذه التلاميذ أن ينقلوه للآخرين كما ألقى أساتذتهم من الصحابة الكرام. وهذه هي حالتنا نحن كذلك أن يمتلأ صدورنا بالاستماع إلى الأشعار والخطب ولكن لا نستطيع إلقاءها على غيرنا ولا يشعر بالسرور الذي نلقي عليه محاسنهم وانطباعاتنا ولا نستطيع إلقاءها على غيرنا وربما تنمحي كثير من الأشياء من صدورنا ولكن يبقى أثرها شيئاً ما. وبناء على هذا لا بد من تأسيس أصول علم النظر والاستدلال.

غاية أصول التأويل وفوائدها: يقول الشيخ الفراهي إن الغاية لأصول التأويل اثنتان:

- المجلد: 8 — العدد: 2 — 436 — أبريل-يونيو 2019

الصريحة. فلا بد من الإيضاح هنا أن القرآن كلام الله فلا يخالف بعضه بعضاً فليأول ما لا يخالفه.

تعريف التأويل وحكمه: قدم الشيخ الفراهي آيتين لإيضاح مفهوم التأويل فالأولى منهما كما يلي:

"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا". (سورة يوسف: 100)، ذكر في ضوءها ثلاثة أمور تالية:

- (أ) أن التأويل ما يكون حقيقة الأمر، أخبر عنه بمتشابه له على طريق تمثيل.
- (ب) وأن الأمر إذا كان تأويله حقاً فهو أيضاً حق فإن يوسف - عليه السلام - رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً أنهم سجدوا له فصارت هذه الرؤيا حقاً بوقوع ما أخبر عنه.
- (ج) وأن الله تعالى يستخدم هذا الطريق لكشف بعض الأمور أو لتبشير أمر أو ذكر حكمته.

والآية الأخرى هي:

"فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٠﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣١﴾ وَتَدَيَّنُهُ أَنْ يَتَأَبَّرَهِيمُ ﴿١٣٢﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾". (سورة الصافات: 102-105)، استنبط الشيخ ثلاثة أمور من هذه الآية كما يلي:

- (ألف) أن إبراهيم - عليه السلام - فهم من رؤياه أنه أمر بذبح ابنه.
- (ب) وأنه لم ينتظر التأويل بل صدق الرؤيا التي رآها ولم يأولها إلى ما يكون أقرب إلى العقل من خلال استخدام رأيه وذلك لأنه قد نذر أن يقف ابنه على خدمة بيت الله ويحصل به على قربه. فلما رأى أنه يذبح ابنه ظن أن الله عز وجل طلب

قربانه فأراد تصديق رؤياه وأخذ بظاهر التأويل فإنه كان أقرب إلى كمال التعبد فأصبح أسوة لأهل الظاهر فكذلك هو أسوة لأهل النظر والاستدلال، والعبد المخلص الطاعة، سواء كان من أهل الظاهر أو أهل النظر، يحفظه الله تعالى من الزيف والضلال.

(ج) وأن الله عز وجل أحب حسن فهمه هذا وعمله بظاهر التأويل وفي الحقيقة كان ذلك ابتلاء كما قال الله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ" (سورة الصافات: 106).

الفرق بين التأويل والتحريف والتفصيل: التأويل هو حمل الكلام على ما يحتمله نقلاً أو عقلاً وبالعكس التحريف هو حمل الكلام على ما لا يحتمله نقلاً وعقلاً والتفصيل هو ذكر أجزاء لا تذكر عند الإجمال لجامع احتمالاتها.

إن تخطيط التأويل بالتفصيل أهون ضرراً من تخطيط التحريف بهما. فإن تخطيط التحريف بالتأويل والتفصيل هو افتراء على الله وهدم لدينه. وقد ضل اليهود والنصارى بتحريف كلام الله عن مواضعه ولعن اليهود خاصة وطعنوا، لأن الذي بدّل النصرانية كان يهودياً عدواً للنصارى، وأيضاً أراد اليهود هذا الكيد الخبيث بالمسلمين ولكن الله عز وجل حفظ المسلمين من شرهم وكيدهم.

أسباب الخطأ في التأويل: هذا من المسلمات أن لا يوجد تضاد ولا تناقض في الحق. فعلى هذا انفتح باب التأويلات التي لا تصح بأن الناس حينما لا يجدون عقائدهم وفق القرآن يأولون القرآن إلى ما اعتقدوه فلا بد من وضع أصول التأويل الصحيحة.

ومن شعار أهل الحق أن يصلحوا عقائدهم وأخيلتهم التي لا توافق القرآن حتى تصير موافقة بالقرآن ويتدبروا القرآن مرة أخرى لعل الله تعالى يهديهم إلى التوفيق أو يتوقفوا. وأما صرف القرآن عن معناه على غير مراعاة أصول القرآن فهو التعرض للتحريف.

التأويل إلى معنى واحد: كان للقرآن تأويل واحد عند الصحابة لعلمهم باللغة العربية وبشأن نزول القرآن ولتقواهم واحتياطهم ولذلك قل منهم السؤال وما زاد حجم تفاسيرهم وعددها. وكان التابعون يعتمدون على أمرين: الأول هو نظائر القرآن والثاني هو أقوال الصحابة. فنقلوا عدة تأويلات لآية واحدة ولكن لما اعتمدوا على الروايات الموضوعة وعلى روايات اليهود وراجت الفلسفة بين المسلمين ظهر الاختلاف في العقائد وتشبثت كل فرقة من الروايات والفلسفة بما أعجبها فكثرت التأويلات لآية واحدة حتى جعلت زيادة الاحتمالات والوجوه الأمر الواضح مشتبهاً. ولكثرة الآراء وتشاجر الروايات ضاع الحكم الفيصل.

إن تفسير الرازي - رحمه الله - يحمل وجوهاً كثيرة واحتمالات عديدة فهو يغادر الإنسان بين سبل متفرقة لا يدري أيها يسلك؟ هنا نورد مثلاً من إكثاره بالوجوه: ذكر عدة احتمالات عن الفتح في آية "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" (سورة النصر: 1) وهي كما يلي:

فتح مكة، فتح طائف، فتح خيبر، فتح الحديبية، فتح العلوم، فتح المعقولات وغيرها. لا سبيل للامتناع عن كثرة الاختلافات والاحتمالات إلا بالتمسك بالقرآن وبالإيمان بأن القرآن لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً وليس لعبارة إلا مدلول واحد. وليس القرآن ظني الدلالة بل هو قطعي الدلالة. فلا بد من النظر إلى أمور عديدة لفهم هذه الحقيقة وهي كما يلي:

1- لا تقنع أكثر الطبائع بالإجمال بل هي تطلب التفصيل. إذا سمعت أن القيامة آتية فسألت: "أي يوم وفي كم مدة؟" ويلتمس بعض الناس حقائق الآخرة ويبحثون في ذات الله وهم لا يعرفون أنفسهم فلو تدبر هؤلاء الناس القرآن الكريم امتنعوا من كثرة الأسئلة وسكتوا. كما قال الله تعالى: "تَقَشَّعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ" (سورة الزمر: 23).

وقال في موضع آخر: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" (سورة الحشر: 21). هذه هي كانت طريقة السلف الصالح.

2- يرغب أكثر الناس في بيان كل أمر مجسماً ومشخصاً فلا تطمئن قلوبهم بعلم أو حكم إلا أن يعرفوها ممثلاً بالاسم والشكل والمكان. مثلاً قولهم في القرآن "مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا" (سورة البقرة: 26). أو عندما أمر موسى عليه السلام - اليهود أن يذبحوا بقرة فقالوا "مَا هِيَ" و"مَا لَوْْنُهَا" وغير ذلك. فجاءت في كتب التفاسير تفاصيل القصص للذين يحملون مثل هذه الطوائع كما أدخل في كتب التفاسير ما لم يذكر في القرآن ثم نشأ الاختلاف في تأويله وتفسيره وظهرت كثرة الأقوال.

3- ودعت الحاجات السياسية والمذهبية أيضاً إلى تأويلات ركيكة وفتحت أبواب البحث والجدال. وكان الناس في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين يقضون بكتاب الله والسنة النبوية ولا ينحرفون عنهما ولو قليلاً فكانت جميع الأصول مبنية على حكم الله فلما توسعت الحاجات فيما بعد لم تبق هذه الصورة مثل التي كانت. فالذين تولّوا مناصب الخلافة كانوا أشبه بالملوك ولا يعرفون شيئاً ما عن الشريعة فلا تبايع أحكام الشريعة التجوّوا إلى العلماء لتدوين جزئيات الأحكام. ولم يسع هؤلاء العلماء أن يجدوا حكماً من عند أنفسهم لأنهم قد عرفوا بأن الله تعالى قد أعلن بإكمال الدين وبأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين قد تمسكوا بالشريعة في كل أمر فاضطر العلماء إلى إعمال الرأي والقياس في القرآن والسنة ولكن فجأهم حمل باهض ومسؤولية مهمة بسبب اختلاف الأحاديث. فاطمأن أكثر المحدثين بالأحاديث بعد النقد واقتنعوا بها لأنهم كانوا يعرفون بأن الأحاديث لا بد أن توافق مع القرآن وهكذا كلام الصحابة مع الأحاديث. ثم وجدوا في الأحاديث سهولة ووسعة فجعلوها أصلاً وأساساً لقلّة الخطر فيها وبدؤوا تفسير القرآن

وتأويله بها، حتى ذهب زمام القرآن إلى أيدي الحديث فقل اعتناؤهم بفهم معاني القرآن ومفاهيمه وأولوه إلى ما يخالف آياته.

وكان يجب على هؤلاء العلماء أن يأولوا الأحاديث حسب القرآن. وهناك كثير من الأحاديث المتضادة بالظاهر إن تأول في ضوء القرآن يرفع تضادها ويتوافق بعضها ببعض. وكان عليهم أن يجعلوا القرآن مركزاً وأصلاً وأن يرجعوا الأحاديث إليه من جهات مختلفة.

واحتاط بعض العلماء ورجحوا التشبث بالقرآن على أخذ الروايات لو هن أسباب الجرح والتعديل كما سلك المجتهدون من الصحابة كعمر، وعائشة، وعبد الله بن مسعود- رضي الله عنهم- وغيرهم. قد بذل هؤلاء العلماء جهودهم في استنباط المسائل من القرآن. وعندما التمسوا في القرآن من الجزئيات التي كانت أوفق بالعدل والقسط ووجدوها ساكتة في هذا الباب فخيّل إليهم من إشارات الكلام أنها تنطبق بالقرآن. وفي الحقيقة هذا ما كان من ضرورة الفتاوى وتأسيس القوانين.

4- ومثل ذلك تم الاستنباط في أحكام العبادات ولكن أولئك العلماء لم يشتدوا على استنباطهم وسامحوا بمخالفهم ولكن شاعت ظلمة متكاثفة لأجل مسامحتهم ورفقهم فصار القرآن عندهم محتملاً لمعانٍ مختلفة لا يقطع بواحد منها.

5- وابتدأ البحث والجدال في الكلاميات أيضاً مثل هذه الاحتياجات ووقعت الأمة المرحومة في شر فتنة حتى تشبثت كل فرقة بآيات تتعلق بهم وأولوا القرآن إلى آراء مختلفة حتى إلى الكفر والزندقة. ولا يمكن التجنب من هوة الهلاك هذه إلا أن يجعل القرآن فوق هذه المزعومات وغيرها ويعتبر قطعي الدلالة ويمتنع عن سوء الظن ويستهدى منه عند الاختلاف.

تأويل المتشابهات: قد صرح الله تعالى في القرآن أنه أحكم كتابه وفصل آياته وبيّنها وقال في موضع آخر إن القرآن مبين وقول فيصل. ومع ذلك أخبر أن فيه آيات متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله. وحسب قول يعلم تأويلها الراسخون في العلم أيضاً ولكن القول الثاني ليس بصحيح. فلا يعني أن المتشابه لا سبيل إلى تأويله عمومًا. ولكن يختلف الناس في تفسير القرآن وترد جماعة أقوال جماعة أخرى فغلب على ظنهم أن القرآن ليس قطعياً في دلالاته وأن ليس له حكم يقيني لبناءه على النقل كما كتب الإمام الرازي تحت آية 6 من سورة آل عمران. وأصبح من دأب الناس أن يجعلوا الآيات الظاهرة متشابهات إذا كانت هي خلاف براهينهم ودلائلهم فتكون الآية الواحدة محكمة عند فرقة ومتشابهة عند فرقة أخرى. وأخبر الإمام الرازي أن هذا موضوع عظيم ومهم وكتب أن كل واحد من أصحاب المذاهب يدعي أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة وأن الآيات الموافقة لقول خصمه متشابهة فيقول المعتزلي: آية "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" (سورة الكهف: 29) آية محكمة وآية "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (سورة التكوين: 29) آية متشابهة. والأمر بالعكس عند أهل السنة فلا بد من قانون يرجع إليه. ثم يذكر الإمام الرازي الدلائل اللغوية لظنية القرآن ويقول: فلهذا التحقيق المتين مذهبنا أنه بعد إقامة الدلائل القطعية على أن حمل اللفظ على الظاهر محال، لا يجوز الخوض في تعيين التأويل. وما أحسن قول الإمام الرازي "إن هذا موضوع عظيم" وقوله "إن الخوض في تعيين التأويل لا يجوز" قول مرضي. وإذا لم يتبين المحكم من المتشابه سيبقى باب الفتنة مفتوحاً. وكم من أمر مذموم ومؤلم بأن آية محكمة لفرقة تكون آية متشابهة لفرقة أخرى حتى أن آية "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (سورة البقرة: 286) من الآيات المتشابهة عند أهل السنة ويكتب الإمام الرازي -رحمه الله: إذا كانت المسألة قطعية ويقينية لا يجوز القول فيها بالدلائل الظنية والضعيفة. ومثاله قوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (سورة البقرة: 286).

يبين الإمام الرازي دليلها القطعي فيكتب: يوجد مثل هذا التكليف ويثبت بهذا أن مراد الله تعالى ليس ما يدل عليه ظاهر هذه الآية.

والذي جعله الإمام الرازي - رحمه الله - قطعياً وبرهاناً هو أمر البحث والنزاع الشديد بنفسه. وكم من أمر عجيب أن الناس يجعلون القرآن غير قطعي ويقطعون عنه الرجاء كله ويكبون على ذلك الدليل والبرهان وهو كالمشروب يزداد شاربهم ظمناً فنبقى في الاختلاف ولا يبعد سوء ظننا بالقرآن حتى بعد خيبة الأمل من هذا البرهان القطعي.

ويناسب لنا أن نحسن ظننا بالقرآن ونؤمن بأنه قطعي في دلالاته وفواصل في حكمه. فالكشف عن حديث المتشابهات هو أول واجب علينا فإن الغلط في تفسيره وتأويله سيملكنا.

الأصول التي تهدي إلى تأويل واحد: قد ذكر الشيخ الفراهي أصولاً للاحتفاظ من تعدد الأقوال وكثرة الاحتمالات في تأويل آيات القرآن وهي كما يلي:

1- إذا كثرت وجوه التأويل في آية وجب التدبر، هل وقع الأمر باشتراك اللفظ؟ وإذا كان الأمر هكذا وجب أن يكون موقع استعماله حاكماً عند اشتراك اللفظ. وهكذا إذا كانت الوجوه مشتركة في آية لا بد من النظر إلى موقع الآية ومن هنا تبرز شدة الحاجة إلى نظم القرآن وفي الحقيقة يسبب عدم المراعاة بنظم القرآن في كثرة الاختلاف ويثبت من ذلك أن العلم بموقع السورة ومحلها يؤدي إلى النور والهدى.

2- ويرفع العلم بخصائص أسلوب القرآن كثرة الاحتمالات فإن لكل شخص أسلوباً خاصاً فإن لا يراعى ويأول حسب العادة فسيقع الخطأ في معناه، مثل الإيجاز فإنه من أساليب القرآن ويجب به الفرق المختلفة بجواب عام لاشترائهم فيه وفي ذلك الأسلوب حكمة وهي أن المرء ينتبه لخطأ غيره ويصلح نفسه. ففي هذا الأسلوب إيجاز وإبلاغ ويوجد مثال ذلك في سورة الأنعام

والزخرف. فخاطب المشركين وأهل الكتاب بكلام يعمهما وكذلك أشرك بين اليهود والنصارى كثيرًا من سورة البقرة.

3- إذا كان اللفظ محتملاً على أكثر من معنى واحد، نظر هل هذا اللفظ أجدر وأنسب بهذا المعنى؟ أو اللفظ الآخر هو أجدر وأحسن وقد تركه القرآن، ونعلم بأن القرآن لا يترك أبين اللفظ وأنسبه فنتركه أيضاً ونؤوله إلى ما هو أصوب له. مثل قوله تعالى: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ" (سورة البقرة: 184) في معنى المستطيع (الذي يقدر على إعطاء الفدية) كما ذهب إليه الشيخ ولي الله رحمه الله فإن الإطاقة تستعمل في القوى الجسمانية كما قالت الخنساء:

وصبراً إن أطقتم ولم تطيقي

وكما قال الله تعالى: "قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (سورة البقرة: 249).

4- وترفع الاحتمالات بالنظر إلى ما يلي:

- (أ) موافقة القرآن بالآيات الأخرى.
- (ب) موافقته بالكتب السماوية.
- (ج) موافقته بالعقل والبرهان.
- (د) موافقته بما ثبت من تاريخ الأمم السابقة وسنة الله تعالى بعباده.
- (هـ) يكون بعض التأويلات منكراً وشاذاً فلا يعتنى به.

فوائد الكتب عند النظر فيها:

- (1) التذكر والانتفاع بالنصائح.
- (2) التمييز بين الحق والباطل وتقوية النقد.
- (3) فهم إشارات القرآن المجملة بالتفصيل.
- (4) توجيه الأمور إلى التأويل الصحيح.
- (5) علم فضيلة الناسخ على المنسوخ.

(6) المؤانسة بعباد الله الصالحين. وهذا هو السبب بأن القرآن قد حث على النظر في هذه الكتب السماوية كما أمر بالإيمان بها.

طريقة الفهم للمعنى المراد: ذكرت طرائق عديدة لفهم معنى القرآن المراد في كتاب "التكميل في أصول التأويل" وهنا نكتفي بأمرين مهمين وهما:

1- يأول القرآن بالقرآن وهو أحسن طريقة لفهم معناه المراد. ويقول العلماء إن القرآن يفسر بعضه بعضاً وذلك بديهي جداً فإن القرآن يذكر الأمور بعبارات مختلفة وربما يذكر مجملاً وربما يذكر مفصلاً فما يترك في موضع أو يذكره مبهمًا يبينه في موضع آخر. وقد صرح القرآن بهذه الصفة في غير موضع منه ولكن قلل أهل الفن استعمال هذا الأصل الراسخ وهو المراد بالتفسير بالنظائر وسيقدم مؤخرًا بالتفصيل.

2- ورعاية نظم الكلام في فهم معناه الصحيح، ويكون في الكلام الاشتراك في الألفاظ والحذف والتقدير والتعريض ويكون الاشتراك أيضًا في الأساليب المختلفة من جهة تعدد دلالتها، مثلًا في الأمر والاستفهام والعطف تكون دلالات مختلفة فيجب إمعان النظر بعد العلم بجميع دلالات الكلمات وأساليب البيان لفهم معناه المراد.

ولتعيين المعنى المقصود والمفهوم الأصلي من المعاني المحتملة في الاشتراك أصول خاصة وكذلك لتعيين المحذوف والمقدر والمعرض به أصول وأجمع هذه الأصول النظم. ويدل نظم الكلام نفسه على ما هو المقدر والمفهوم فإن الكلام ربما يشتمل على ما هو المفهوم إشارة واقتضاء وللمحذوف والمقدر أسباب فمنها تعيين الخطاب وسبب الخطاب. وسيدكر مؤخرًا بالتفصيل.

أصول التأويل: تنقسم أصول التأويل إلى قسمين عند الشيخ الفراهي وهما كما يلي:

(1) الأصول الأولية: لا يبقى الاحتمال لمعان شتى ولتوجيهات مختلفة بعد التمسك بها.

وأنفسهم" ولا "في سبيل الله" ولكن مفهومه واضح ويدل عليه "معكم". وكثرت الأمثلة لذلك في القرآن الكريم.

4- النظر في الخطاب والمخاطب. ويتبين به وجه الكلام ولهجته من التسلية والتثبیت والزجر والتوبيخ والرافة والغضب والوعد والوعيد والاستدلال وغيرها.

الأصول المرجحة: يجدر بالذكر من النقاط ما يلي:

1- إذا كانت وجوه مختلفة رجع ما كان أوفق بالمحل وعمود الكلام. فلكل كلمة أطراف وجهات وهي كالمعاني لها. وكذلك لكل أمر وقصة اعتبارات مختلفة كما أن اللفظ المشترك يأول حسب محله فكذلك لا بد من تأويل الألفاظ والكلمات والأمور والوقائع حسب محلها.

فالنتيجه أن الإشارات والاعتبارات لشيء تلتمس من المحل كما يتعين مفهوم اللفظ المشترك بالمحل فثبت أن الأصل الأول هو النظم الذي يقضي عند الاحتمالات. وينتج من هذا الأصل أن لا يلزم تقصير اللفظ على معنى واحد إذا كان غير مشترك فإن لفظاً يحمل معنى مجازياً وآخر حقيقياً، وثالثاً عامّاً ورابعاً خاصّاً فلمعناه جهات مختلفة ويستخدم في كل ذلك حسب مقتضى المحل.

2- إذا كان الكلام له احتمالات عديدة ترجح منها ما كان لها نظير في القرآن وإذا كان يوجد فيه نظير ولكن يوجد فيه نزاع يترك، مثلاً قوله تعالى "أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (سورة الأنفال: 24). وفيه تأويلان:

1- أن الله عز وجل أعلم بما في قلوبكم منكم.

2- أنه يعوق المرء عن إرادته.

فالمفهوم الأول له نظير في القرآن ثم يؤيده النظم فالنظم يأول إلى ما كان أوفق بالقرآن، فيأتي قوله "تحشرون" في القرآن مع التقوى والتقوى يأتي مع علم الله بكثرة فإذا تدبرنا في ضوئه علمنا بأنه قيل: "اتقوا الله فإنه أعلم بسرائرکم وأنکم تحشرون إليه". ويبني التأويل الثاني على تشابه لفظي فجاء

في القرآن "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ" (سورة سبأ: 54). أي منعوا عن مشتهاهم، فيمكن أيضاً أن يكون هذا أصلاً ولكنه أضعف من الأول فإن اللفظ المشترك يأتي لمعان مختلفة ولا يقضي فيه إلا السياق وصحة المعنى. ومثاله لفظ "أمة" جاء في القرآن: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً" (سورة النحل: 120). فلا يؤخذ هنا معنى الأمة ما أريد به في مواضع أخرى لأنه لم يقتضه السياق وصحة المعنى ولا يبال فيه أيضاً إذا كان المعنى المراد لم يوجد له نظير.

وفي مواضع أخرى من القرآن جاء لفظ "الأمة" معنى مدة من الزمان أو طائفة من الناس أو الطريق. ولكن ينبغي لنا أن نتمسك هنا بالأصل الأول والثاني. فالأصل الأول هو أن لفظ "قائلاً" جاء بعد لفظ "أمة" وهو يفسره. فيكون معنى "الأمة" هنا هو الطائفة بتمامه وهو أوفق بالقائنة.

والأصل الثاني هو نظائر القرآن. وما جاء في القرآن عن صفات إبراهيم وخصائصه تبرز منها الطاعة الكاملة. فيكون هذا المعنى أوفق به.

3- إذا كان المعنى مقتضياً لعبارة لم تذكر في الكلام فيكون ذلك المعنى مرجوحاً. مثلاً سئل الإمام الشافعي -رحمه الله- عن حديث "من لم يتغن بالقرآن" بأن الإمام سفيان بن عيينة أخذه بمعنى "من لم يستغن بالقرآن" فقال إننا أعلم به منه فإن أريد به الاستغناء فقل: "من لم يستغن بالقرآن" وما قيل: "من لم يتغن بالقرآن". فعلمنا بما لا يذكر من أوله لا يراد به.

4- هو الأخذ بأحسن الوجوه. المراد به إذا وجدت احتمالات عديدة أخذ ما كان أولى بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق وأنسب بها وأوضح إلى القلوب وأقرب إليها وأوفق بمحكمات القرآن وأحسن ظناً بالله ورسوله وأظهر بيئاً عن جهة العربية.

لا يتعلق هذا الأصل بالتفسير بالرأي. وسيكون مرجوحاً على الروايات التي هي أقوال أهل التأويل وآراءها دون الحديث. ويأخذ الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- مع اعتنائه وشغفه بالروايات بما يراه أحسن تأويلاً ويترك الرواية، توجد

عدة أمثلة لها في تفسيره. وعند اختيار أحسن الوجوه لا بد من الملاحظة أن يكون خاليًا من التكلف وموافقًا للغة ولمواضع أخرى من القرآن. مثلًا قال عز وجل: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ" (سورة آل عمران: 164)، إن كلمة "أَنفُسِهِمْ" بضم الفاء، ولكن قيل إن "أَنفُسِهِمْ" بفتح الفاء وهو تأويل باطل يدل على معنى شاذ. وتنطق كتب الله بصراحة أن الرسول يكون من قومه وهذا أمر ظاهر حقيقي لا عيب فيه. أما مفهوم "أَنفُسِهِمْ" بفتح الفاء فيقول العرب هكذا.

إذا تدبرنا ظهر أن بعثة النبي ﷺ اعتبرت منة وهي تكون أكبر أهمية وعظمة إذا كان النبي منهم. وذكر نفس الشيء في دعاء إبراهيم - عليه السلام - وكذلك وقع الخطأ في كلمة "الحكمة" وإن كان معناه أخذ من الحديث.

5- الأصل الخامس هو الأخذ بأثبت الوجوه لغة. فإن اللفظ إذا كثر استخدامه في اللغة العربية لمعنى خاص لا ينبغي تركه إلا لصارف قوي، خاصة إذا كانت الوجوه الأخرى متساوية وهو النظم والقاموس والموافقة بالقرآن والعقائد الصريحة وغيرها فأخذ المعنى الشائع والمعروف في كلام العرب.

ومثال هذا كلمة "الشوى" فمعناه لحم الساق واستخدامه معروف في هذا المعنى ولكن أخذها الشاه عبد القادر الدهلوي بمعنى "الكبد" كما أخذها بعض الناس بمعنى "جلد الرأس". والحقيقة أن استخدام هذه الكلمة بهذه المعاني ليس معروفًا فتترك.

وكذلك في قوله تعالى "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝" (الكوثر: 2) أخذ معنى "نحر" بوضع اليد على النحر أو برفع اليدين يخالف تمامًا أسلوب القاموس المعروف فمناسبة ذلك بالصلوة لا يغرن أحدًا فإن الأمر بالأضحية والصلوة أحسن مناسبة وأوسع. وفي الأخير يكتب الشيخ الفراهي عند البحث عن تأويل القرآن بالأحاديث فيقول: كم من آيات القرآن إن تدبرتها وفهمت معناها وجدت من الأحاديث ما جاء موافقًا

له فالحديث لم يزد شيئاً على القرآن ولكن صرح من الآية أمراً غامضاً يكاد يخفى على من لا يتدبر. فمثل هذه الأحاديث تعين في فهم القرآن.

ولكن تظهر الحالة الخطيرة عندما تقدم الأحاديث على القرآن كما يذكره الشيخ الفراهي، ويتهافت الناس على الحديث قبل أن يفهموا القرآن فإنهم يشددون على أن القرآن له أولوية وأهمية دون الأحاديث لأن الأحاديث ربما تكون صحيحة وربما تكون سقيمة.

ويختار المرء من الآراء ما ليس له أصل في القرآن بالنتيجة عن تقديم الأحاديث على القرآن وربما يخالف هدى القرآن ويلبس الحق بالباطل فالسبيل السوي هو أن يؤخذ الهدى من القرآن ويبنى عليه الدين وبعد ذلك ينظر في الأحاديث. فإن وجد حديث خلاف القرآن حسب بادئ النظر فيأول إلى ما يوافق بكلام الله فإن تطابقاً فيجب الأخذ به. وإن صعبت المطابقة بينهما فيجب التوقف في أمر الحديث والعمل بالقرآن لأنه أمرنا أولاً بطاعة الله ثم بطاعة رسوله ولا شك أن الأمرين واحد من جهة النتيجة فإن لم يرد الله أن يقدم كلامه على مرويات الرسول فلا يراد أي معنى بهذا الحكم ولا يقدم طاعته على طاعة الرسول.

وذكر بعض الناس قسمين للتفسير فالأول هو التفسير بالمأثور والثاني هو التفسير بالرأي. أما التفسير الأول فهو المعتمد والمستند وأما الثاني فهو الممنوع والمحذور، وقد استحکم الخيال بأن التفسير بالمأثور يكون مرجحاً ومقدماً مع كونه ضعيفاً وكتب كثير من التفاسير على هذا الأصل مثل تفسير الطبري والبعوي وابن كثير والسيوطي وغيرها من التفاسير.

وإن طلي الحق في قولهم هذا ولكن في طيه أباطيل ولكشفها تذكر أمثلة وهي كما يلي: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُهُ فِي خَرَابِهَا" (سورة البقرة: 114)، ذكر الإمام الطبري ثلاثة أقوال في تفسير هذه الآية:

- 1- المراد من الظالم هو قوم النصارى ومن المسجد هو بيت المقدس وروي هذا عن ابن عباس -رضي الله عنه-.

2- المراد من الظالم هو بخت نصر ومن أعانته من النصارى، الذين حملهم الأعداء اليهود على أن يعاونوا بخت نصر البابلي على تخريب بيت المقدس. وروي هذا القول عن قتادة والسدي.

3- الثالث هو قول ابن زيد والمراد منه عنده المشركون من مكة الذين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة.

وبعد نقل هذه الأقوال بيّن ما هو أولى ومرجح فيكتب:

أولى الأقوال قول من أراد من الظالم النصارى لأنهم هم الذين سعوا في تخريب بيت المقدس وعاونوا بخت نصر على هذا الأمر ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد انصرافه إلى بلاده. والدليل على صحة قولنا أن لا قول في مفهوم هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة. وأريد من المسجد أحد من المسجدين إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام ومن المعلوم أن كفار قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام وإنما قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة وقد ذكر القرآن أنهم شاركوا في بناء المسجد الحرام في الجاهلية وكانوا يفتخرون بعمارته وإن فعلوا فيه بعض الأفعال الشنيعة ضد رضا الله.

والدليل الثاني عندنا هو أن مضى الخبر عن اليهود وذم أفعالهم قبل الآية التي نحن بصدد البحث عنها والتي بعدها جاء بيان ذم النصارى والخبر عن افتراءهم على ربهم ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ولا للمسجد الحرام قبلها. فلا يوجه الكلام في هذه الآية إلى مشركي مكة أو المسجد الحرام فالأولى بالآية أن يوجه الخطاب إلى ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها وكان هو أوفق بالسياق.

ويقول الشيخ حميد الدين الفراهي: الأول هو أن لم يرو حديث في تأويل الآية بل نقلت أقوال الصحابة والتابعين فقط والثاني هو أن الإمام الطبري قد رجح التفسير الذي يوافق بالمحل والسياق ويعاونه نظائر القرآن وحقائقه ووقائعه التاريخية رغم تقديمه بالأقوال على النقل.

ويبين الشيخ عدة أمور أصولية عن ذلك وهي كما يلي:

- 1- من الخيال العام أن الأحاديث مفسرة للقرآن فيأول القرآن بها، واتفق العلماء على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فالتفسير بالقرآن يكون مقدماً على التفسير بالأحاديث.
- 2- إذا تعارض حديثان فيرجح الحديث الصحيح والثابت فلماذا لا يؤخذ ما يصح ويثبت إذا تعارض القرآن والحديث؟
- 3- إذا تساوى الحديثان المتعارضان في السند فيجمع ويوفق بينهما. وهذه حقيقة ناصعة أن القرآن أوثق سنداً فلا يأول الأحاديث بالقرآن.
- 4- ويمكن الاعتماد على التفسير بالحديث الذي يناسب المقام ولكنه مع ذلك ظني فيبقى به إمكان غيره.
- 5- وأحسن شيء أن تؤيد الأحاديث القرآن وتصدقه وتصوبه.

خدمات الإمام عبد الحميد الفراهي في علوم القرآن (في ضوء كتابات الشيخ ضياء الدين الإصلاح)

- د. محمد رضي الإسلام الندوي¹

ترجمة من الأردوية: د. محمد أجمل²

إذا نظرنا في كافة كتابات الشيخ ضياء الدين الإصلاح (1937-2008م) تجلّى منها المباحث والمواضيع في علوم التاريخ والحديث والسير وعلم الاقتصاد والأدب ولكن المجال الحقيقي لها هو القرآن الكريم وعلومه.³ وذلك لأن الشيخ الإصلاح قد التحق بمدرسة الإصلاح في سرائ مير (أعظم كره) وهو كان في العاشر من عمره فانتهم بها فرصة سعيدة لتلقي العلوم والفنون على عباقره العلماء وجهابذة الأفاضل من تلامذة الإمام عبد الحميد الفراهي (ت1930م) من مثل الشيخ أختار أحسن الإصلاح (ت1958م) والشيخ أمين أحسن الإصلاح (ت1997م) بالإضافة إلى الشيخ صدر الدين الإصلاح (ت1998م) والشيخ جليل أحسن الندوي (ت1981م) وغيرهم من الأساتذة المبرزين.

البيئة العلمية لمدرسة الإصلاح وتربية أساتذتها الأجلاء وتعليمهم قد نفخت فيه روح فهم القرآن وتحقيقه إلى حد بعيد. وذلك يظهر من أنه لم يتجاوز عمره

¹ نائب مدير تحرير مجلة "تحقيقات إسلامي" الفصلية الصادرة عن علي كره ومؤلف ومترجم أكثر من خمسين كتاباً في الدراسات الإسلامية.

² أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لعل نهرو، نيو دلهي
³ قد صدق رفيق دار المصنفين الشيخ عمير الصديق الندوي حينما قال بمناسبة وفاته على رسالة تعازيه: "موضوعه الخاص كان تاريخ الحديث والمحدثين ولكن شغفه الأصلي كان دراسة علوم القرآن، وقد تولد فيه هذا الذوق بسبب علاقته بمدرسة الإصلاح وصلته بعلوم الإمام عبد الحميد الفراهي ---". مجلة "معارف" الشهرية (أعظم كره)، مارس 2008م، ص. 2، شذرات، بعنوان: أه! مولانا ضياء الدين الإصلاح.

عشرين سنة إذ انضم بمؤسسة عالمية وهي دار المصنفين التي طار صيتها في أنحاء العالم فعين باحثاً فيها، وقبل ذلك قد نشرت له عشرات من المقالات في علوم القرآن في مختلف المجالات البحثية ذات المعايير العالية آنذاك مثل مجلة "معارف" (بأعظم كره) ومجلة "برهان" (بدلبي). ويمكن أن هذه المقالات قد اعتنى بها أصحاب دار المصنفين وهي بدورها عرفت بشخصيته لهم ومهدت له طريقاً إلى تعيينه كرفيق (باحث) فيها. على كل حال قد حددت هذه المقالات القيمة التي صدرت من قلم هذا الطالب في صغر سنه، جهة حياته العلمية ويتوقع بها مستقبله الزاهر والباهر في مجال العلم والتحقيق.

هناك جوانب مختلفة لخدمات الشيخ ضياء الدين الإصلاحي في علوم القرآن، فتارة قام بتأويل بعض الآيات القرآنية وتفسيرها في مقالاته المختلفة، وتارة أخرى قام بالتحقيق في بعض المواضع القرآنية، بينما قام في بعض مقالاته بتعريف المفسرين المتقدمين والمتأخرين ومنهج تفاسيرهم ونوادير تحقيقاتهم كما اعتنى في بعض مقالاته بتعريف الأفكار القرآنية من الشخصيات البارزة المؤثرة لديه.¹ فكان الشيخ الإصلاحي ملماً بشخصية المولانا أبو الكلام آزاد (ت 1958م) منذ طفولته، كما زاد شغفه هذا انضمامه إلى مؤسسة دار المصنفين وعلاقته مع العلامة سيد سليمان الندوي (ت 1953م)، لذلك فقد قام بتوضيح أفكارهما القرآنية وشرحها شرحاً وافياً،² ولكن يضمن هذه الأعمال قدرٌ كبيرٌ مما قام عن

¹ راجع: تفسير ابن كثير، والتفسير الكبير وتكملته (إيضاح القرآن)، ربط الآيات في التفسير الكبير للإمام الرازي (معارف، يناير وفبراير 1959م) مميزات التفسير الكبير (مجلة "علوم القرآن" نصف الشهرية، علي كره، يوليو-دسمبر 2002م) دراسة تحليلية لمقدمة فتح الرحمن بترجمة القرآن (مجلة "علوم القرآن"، يناير-يونيو 1992م) بعض التفاسير العربية لعلماء الهندود (مجلة "نظام القرآن" الفصلية، سرائ مير، أعظم كره، يوليو-سبتمبر 2007م)

² كتب الشيخ الإصلاحي مقالات عديدة لإيضاح الأفكار القرآنية للمولانا آزاد: مفهوم الربوبية في القرآن والمولانا أبو الكلام آزاد (معارف، سبتمبر 1989م) مفهوم الصفات الإلهية في القرآن (معارف، فبراير 1990م) مفهوم الرحمة الإلهية في القرآن والمولانا أبو الكلام آزاد (معارف، أبريل

طريقها بتعريف خدمات الإمام عبد الحميد الفراهي القرآنية وبيان آرائه وأفكاره، فقد قدّمها الشيخ الإصلاحي بطرق عديدة فبيّن، على سبيل المثال، مكانة الإمام الفراهي، وأوضح أهمية مؤلفاته وخصائصها ولخصّ مباحثه المبعثرة في هذا المجال وعرف بكتبه بعدما علّق عليها بين الأوساط العملية وأيده في تحقيقاته ونظر في مراجعها ومصادرها كذلك فعرف بمنهج تفسيره تعريفاً واضحاً كاملاً. نقوم في السطور التالية بتقديم تفاصيل هذا الموضوع ونحاول لمّا ما تشئت من مباحثه وتحقيقاته.

نبذة عن المجهودات القرآنية للإمام الفراهي: قد عرف الشيخ ضياء الدين الإصلاحي بخدمات الإمام الفراهي القرآنية في كتاباته بصورة إجمالية وأوضح أهمية أعماله وقيمتها سواء كان موضوعها القرآن أو تاريخ العلوم الإسلامية أو الحديث عن قضية تتعلق بتدوين العلوم والفنون وتشكيلهما أو التعليق على كتاب حول الدراسات القرآنية. إنما يذكر في مثل هذه المباحث عن القدر العلمي للإمام الفراهي. ولكن لا يمكن أن نبين جميع ميزات كتاباته وأعماله في هذه الورقة الموجزة ولكن نقدّم بعض الملاحظات عليها كما يلي:

ذكر في إحدى مقالاته بعنوان "نموذج من الأعمال المميزة للإمام الفراهي في علم التفسير والعلوم القرآنية"، في ضوء رأي المولانا أبو الكلام آزاد ما اتصف به الإمام الفراهي من مواهب قرآنية متميزة بفضل من الرب تعالى فقال:

(1992) هذه المقالات يحويها كتابه 'مولانا أبو الكلام آزاد: أفكاره الدينية، الصحافة والكفاح الوطني (طبعة دار المصنفين، أعظم كره). هذه المقالات نشرت لتوضيح الأفكار القرآنية للعلامة السيد سليمان الندوي: نظرة خاطفة على المجلد الثالث عن السيرة النبوية للعلامة السيد سليمان الندوي (معارف، مايو، يوليو 1986م) بعض الاعتراضات والأجوبة عنها على السيرة النبوية للعلامة السيد سليمان الندوي (معارف، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر 1986م) القرآن المجيد والمعجزات - في ضوء السيرة النبوية المجلد الثالث (مجلة "علوم القرآن"، يناير-يونيو 1986م)، بعض المباحث القرآنية للسيرة النبوية، المجلد الخامس (معارف، نوفمبر، ديسمبر 1997م)

"من أولئك الرجال المستثنين كان مفسر القرآن الهندي الشهير في ذلك العصر الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي أيضاً. قد ميّزت استنباطاته عن الشطر العام بسبب الفضل الإلهي ... فقد ترك في حزمة التفسير والدراسات القرآنية نماذج مميزة يمكننا أن نفتخر به قائلاً :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل
تمركزت حياته وتكرس زمانه في القرآن الكريم وخدمته وبسبب هذه العناية المكثفة من قبله شرح الله له حقائقه ودقائقه وأسراره ورموزه".¹

انعقد مؤتمر برعاية مؤسسة علوم القرآن بعلي كره في شهر يوليو 2005م بعنوان "العلوم القرآنية في القرن العشرين" قدّم فيه الشيخ الإصلاحي كلمات رئيسية. فسّط في بدايتها الضوء على تاريخ التفسير في القرن العشرين، وبالأخص في شبه القارة الهندية، وقام بتعريف الأعمال المعاصرة في موضوع التفسير والعلوم القرآنية. في هذا السياق يسلط الضوء على خدمات الإمام الفراهي كما يلي:

"قد ميّز الإمام عبد الحميد الفراهي عن الشطر العام ما وهبه الله من الأعمال الاجتهادية، الإبداع والابتكار، ملامح الحقيقة والدقيقة، الاستنباط والاستخراج والنكات الهامة. والميزة الخاصة التي يمتاز بها الفراهي أنه تذوق فهم القرآن وتدبره وفتح باباً منفرداً للبحث والتحقيق في هذا المضمون فكان يتفرد فكره ونظره من غيره في هذا المجال.

مطمح نظره تفرد الزمان تحرم رموزه طريقه الرشدان

¹ مجلة "علوم القرآن"، يناير-يونيو 1987م، ص 8. المقالة "تفسير الإمام عبد الحميد الفراهي لسورة الهمز". نشرت هذه المقالة في مجلة "علوم إسلامية" بعلي كره ، في 17-2، 1992م بعنوان نموذج مساهمة مميزة في التفسير والعلوم القرآنية للعلامة حميد الدين الفراهي.

يتسع نطاق خدمات الإمام الفراهي للقرآن اتساعاً كبيراً تستحيل إحاطة جميع جوانبه، في فترة، توجه إلى ترجمة القرآن باللغة الأردوية لفترة من الزمن ولكن لم يوفق إتمامها، مع أنه ترجم من سورة القيامة لغاية كتاب الحكيم إلى اللغة الأردوية كما حرر بعضاً من الأفكار الأساسية المهمة التي تتعلق بأصول الترجمة وقواعدها.. فلو ترجم الفراهي القرآن بكامله إلى اللغة الأردوية لكانت ترجمته تتفرد من نوعها وتضيف ثروة غالية للغة الأردوية. في القرن العشرين كان قد قدم الشيخ خدمة هائلة للقرآن الكريم والآن بحاجة أن يتم توسيع تلك المهمة بنفس المنهجية والأسلوب وهذا تفتح أبواب فهم القرآن الكريم. يا ليت قومي يعلمون¹.

نبذة عن مصنفات الفراهي: بعد أن قام الشيخ الإصلاحي بتعريف شخصيته شرع في تعريف مصنفاته بصورة إجمالية، فأوضح المواضيع وأهميتها وناقش فيها الكتب وبين استنباطها واستخراجها وأشار إلى حقائقها ودقائقها. فيكتب في مكان:

"ترجمان القرآن الشيخ عبد الحميد الفراهي كان عالماً متبحراً في علوم القرآن انشغل في اكتناه رموز القرآن طول حياته واختاره موضوعاً له لمعظم مؤلفاته التي كشفت فيها عن حقائق القرآن وأسراره. كان الشيخ الفراهي يكتب تفسيراً مهماً باسم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" باللغة العربية ولكن من الأسف لم يتمكن من إكماله مع أنه ما كتب من تفسير بعض الجوانب المهمة للقرآن وعدة من السور المتفرقة يظهر منه تضلعه في علم التفسير والعلوم القرآنية ومهارته التامة فيهما. ويهم اثنان من مؤلفاته المطبوعة أكثر بكثير وهما "التكميل في أصول

¹ مجلة "علوم القرآن"، عدد خاص، 'العلوم القرآنية في القرن العشرين'، يناير 2004م إلى ديسمبر 2005م، الكلمة الافتتاحية، ص 46 - 53، قد عرّف الشيخ الإصلاحي في مقالته "بعض التفاسير العربية لعلماء الهند" في سياق تفسير نظام القرآن للعلامة الفراهي عنه وعن منهج تفسيره بصورة رائعة. لاحظوا مجلة "نظام القرآن" الفصلية، سرائير، يوليو-سبتمبر 2007م، ص 34-36.

التأويل" و"فاتحة نظام القرآن" وقد بحث فيهما عن أصول التفسير التابع له والذي يوجد فيه توضيح وتفصيل فكرة التأويل عنه. فبدأ واضحاً من رسائل الشيخ الفراهي التفسيرية ومصنفاته القرآنية أنها توفر شوقه بالتحقيق ودراسته الواسعة والعمق في الفكر والدقة في الاستنباط والاستخراج.¹

في كلمة افتتاحية للمؤتمر بعنوان "العلوم القرآنية في القرن العشرين" يعرب عندما يسلط الضوء على ميزات الإمام الفراهي:

"لا يكون غير مناسب إذا قيل إن الشيخ الفراهي كان مجددًا للعلوم الدينية، بل في الواقع كان يريد أن يقوم بتطهير العلوم الإسلامية وتجديدها وأن يجعل القرآن الكريم محورًا لسائر العلوم وفي ضوءها يدون من جديد علوم الحديث والفقه والكلام والعقائد والفلسفة والمنطق والنحو والصرف والمعاني والبلاغة وغيرها من العلوم التطبيقية، فمؤلفاه في هذا الصدد "جمهرة البلاغة" و"القائد إلى عيون العقائد" يدلان على سعيه الجاد، الشيخ الفراهي لم تتح له الفرصة في كتابة تفسير القرآن الكريم، ولكن أجزاء تفسيره "نظام القرآن" التي نشرت هي تفسير البعض من آخر سور القرآن، ما عدا منها ما ترك كتذكارة من المؤلفات في العلوم القرآنية فهي في الواقع مقدمات من تفسيره، على سبيل المثال: "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، "إمعان في أقسام القرآن"، "التكميل في أصول التأويل"، "دلائل النظام"، "أساليب القرآن"، "مفردات القرآن"، "في ملكوت الله"، "حجج القرآن" و"حكمة القرآن" وغيرها فقد قام بكتابة الرسائل الموجزة بشكل مستقل وفي صورة كاملة وغير كاملة لكي لا تعيد مثل هذه المباحث مرارًا وتكرارًا في كل موضع من مواضيع البحث. هذه الرسائل بتمامها وأجزاء التفسير من السور تكتفي بفتح الأبواب الجديدة في فهم القرآن وفي فكره وتدبره وللنظر فيه. جميع مؤلفاته

¹ مجلة "علوم القرآن"، يوليو-سبتمبر 1989م، ص 26-27، المقالة بعنوان "تحليل تفسير سورة الشمس للعلامة عبد الحميد الفراهي".

ورسائله التفسيرية حديقة خزانة العلوم القرآنية ومعارفها وجنيته ذخائرها وحقائقها، ليست له رسالة ومؤلف إلا وهو يدقق الموضوع ويحقق البحث".¹

تلخيصات مؤلفات الفراهي وتيسيراتها: قام الشيخ ضياء الدين الإصلاحي بتسهيل عدة كتب العلامة الفراهي وتلخيصها في مقالاته بأسلوب سهل، سنذكر تلك الكتب كما يلي:

1. أساليب القرآن: في ضوء مباحث هذا الكتاب، نشرت مقالة بعنوان "قرآن كريم ك بعض أساليب" في جريدة فصلية باسم "إسلام اور عصر جديد" (أبريل-يونيو 1982م)، وبحث فيها عن "الالتفات"، "تصريف الآيات"، "القصص"، "الحذف"، "الإيجاز"، "الإجمال بعد التفصيل"، "العود على البدء"، "الجملة المعترضة"، "الأمثال"، "التقابل" وغيرها من الأساليب. وله مقالة أخرى بعنوان: "قرآن مجيد كا طرز تخاطب اور طريقه خطاب" هاتان المقالتان المذكورتان في بداية كتابه "إيضاح القرآن" لا يوجد فيهما تصريح عن العلامة الفراهي، ولكن قام بتصريح نفسه في مقدمة الكتاب:

"تتضمن المقالتان الأوليان على إفادات ترجمان القرآن الشيخ عبد الحميد الفراهي، نوقش فيهما عن بعض أساليب القرآن الكريم الذي يظهر منه مدى الاحتياج إلى معرفة أساليبه في سبيل فهم القرآن، وهما تحتويان على مبادئ الأصول".²

2. التكميل في أصول التأويل: هذا كتاب مهم على موضوع أصول التفسير وقد قام الشيخ الإصلاحي بتلخيصه في إحدى مقالاته ويبدأ المقالة بهذه الجملة: "هذه رسالة مفيدة ذات قيمة بالغة لترجمان القرآن الشيخ عبد الحميد الفراهي وقد كتب فيها عن الأصول لعلم التأويل، التي تعاون في اختيار المعنى الصحيح للقرآن الكريم وتساعد في تعيين مفهومه الأصلي ومطالبه. وتنقشع

¹ مجلة "علوم القرآن"، عدد خاص، يناير 2004م إلى ديسمبر 2005م، ص 47-48.

² إيضاح القرآن، المقدمة، ص 2.

حقائق القرآن من تلك الأصول عنده وتكشف المعاني المكنونة له، كذلك ويسد أبواب الأخيلة الضالة وترد الخراء الباطلة".¹

3. مقدمة تفسير نظام القرآن: هذه رسالة مهمة للإمام الفراهي، في بدايتها ناقش أهمية نظم القرآن في التفسير كذلك سلط الضوء على أهمية تفسير الآيات القرآنية بآياتها. ثم بحث في ظل العناوين الستة عشر (كل عنوان تم تسميته بالمقدمة) عن القضايا المهمة لعلم التفسير. وفي كلمة افتتاحية للمؤتمر بعنوان "العلوم القرآنية في القرن العشرين"، قام الشيخ ضياء الدين الإصلاحي بالتعريف للأعمال القرآنية للفراهي حيث صرح بإيجاز المباحث البدائية لمقدمة التفسير، غير أنه ذكر عناوين المقدمات فقط لا غير.²

4. تفسير سورة اللهب وتفسير سورة الشمس: هاتان الرسالتان للعلامة الفراهي اللتان من أجزاء تفسير "نظام القرآن" له، تم نشرهما على حدة في البداية وقد قام بترجمتهما الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى اللغة الأردوية، ونشرتا على حدة من حين لآخر. قد عرف بهما الشيخ ضياء الدين الإصلاحي في مقالتيه ولخص مباحثهما المختلفة.³

استعراضات لمؤلفات الإمام الفراهي: من قبل كانت تنشر مؤلفات العلامة الفراهي من مطبعة "معارف" بأعظم كره، ثم بعد تأسيس الدائرة الحميدية بدأ نشرها منها. قد علق عليها الشيخ ضياء الدين الإصلاحي في مجلة "معارف" الشهرية في طبعها الأولى وطبعاتها المتتالية، وفي هذه التعليقات أوضح أهمية الكتب وقدرها التي يتم التعليق عليها وعرف بموضوعاتها والمباحث المتعلقة بها. فيما يلي ذكر تلك الكتب:

¹ المصدر نفسه، ص 289.

² مجلة "علوم القرآن"، يناير 2004م، إلى ديسمبر 2005، ص 48-53.

³ راجع: مجلة "علوم القرآن"، يناير-يونيو 1987م، يوليو-ديسمبر 1989م.

1. إمعان في أقسام القرآن: هذا الكتاب للعلامة الفراهي نشر أولاً في عام 1906 م من أصح المطابع بلكناء ثم نشر عام 1911 م من مطبعة أحمد بعلي كره، بعد ذلك قامت دار المصنفين بطبعها من مصر في عام 1930 م/1349 هـ. وحينما نشرت طبعها الجديدة من مطبعة دار القلم بدولة الكويت في عام 1980 م/1400 هـ علّق عليها الشيخ الإصلاحي في مجلة "معارف" قائلاً:

"هذا الكتاب جزء من مقدمة تفسير "نظام القرآن" للعلامة عبد الحميد الفراهي. قد أقسم الله سبحانه وتعالى في عديد من مواضع القرآن الكريم، فكتب العلامة عن هذا الموضوع مباحث أصولية على نحو فريد، كي لا يعيد التكرار لهذه المباحث في تفسيره، وردّ على الشبهات والاعتراضات التي وردت حول أقسام القرآن بالبراهين القاطعة. وقبل الخوض في الموضوع بهذا الخصوص علّق على ردود الإمام الرازي والحافظ ابن القيم بعد ما نقلها، ثم بيّن ضرورة القسم، وتاريخه الموجز واستعماله في الطرق المختلفة باللغة العربية وأثبت أن القرآن يتواجد فيه براهين هدف القسم وشهادته وكذلك استدل أن اختيار أسلوب القسم في تقديم البراهين هو اقتضاء البلاغة في الكتابة. فالرسالة مفيدة فيما يتعلق بالقسم وهي تشتمل على المباحث الأصولية اللازمة مما يتحقق منها بالمعلومات والحقائق الجليلة".¹

2. التكميل في أصول التأويل: هذا الكتاب من أهم مؤلفات الإمام الفراهي. عندما صدرت طبعته الأولى في عام 1968 م/1388 هـ من مطبعة الدائرة الحميدية علّق عليها الشيخ الإصلاحي قائلاً:

"إن المفسرين قد بيّنوا العديد من الأسباب والأقوال والإمكانات المختلفة في تأويل وتفسير معظم الآيات القرآنية بل توجد لبعض الآيات تأويلات متضادة تختلف بعضها من بعض. الإمام عبد الحميد الفراهي الذي كشف الله عليه

¹ مجلة "معارف"، 5/125، مايو 1980 م، ص 398.

والطبعة الثانية لـ"التكميل" نشرتها مطبعة الدائرة الحميدية في عام 1990م/1411هـ فقام العلامة بالتعليق عليها وسلّط فيه الضوء على أهميتها ثم ناقش مباحثها. يناسبنا أن نذكرها هنا:

¹ المصدر نفسه، 3/103، مارس 1969م، ص 238.

التي شرحها في آخره ثلاثة: (الأصلي)، (المرجح) ثم (الظني). فكتب الإمام هذه المباحث وما يتعلق بها في ضمنها بشكل تام ومدقق، ويشعر أحد بحسنها ودقتها بعد أن يقرأها بامعان النظر".¹

3. في ملكوت الله: نشرت مطبعة الدائرة الحميدية هذا الكتاب عام (1971م/1391هـ) لأول مرة، فقام بالتعليق عليه قائلاً:

"هذه الرسالة جزء من مقدمة تفسير "نظام القرآن" للإمام عبد الحميد الفراهي وتشتمل على إيضاح وشرح "ملكوت الله". فقد ثبت فيها وفي ضمنها من المباحث أهمية علم ملكوت الله، تربية النفس وتزكيتها، إصلاح الأعمال، والفوائد بفهم الأمور الدينية وما تتعلق بأمور الدنيا فهي توضحها عقلياً ونقلياً. يعتقد المؤلف بحكم الله والفائدة الهامة في معرفة ملكوت الله وفقاً للحكومة الإلهية فهي تشكل القوانين التي يتشكل منها العالم مهد الأمن والسلامة والخير والبركة. وقد تم التصريح عن الخلافة وصفاته، وأنه متى ولما يعظم الله بها الناس من هذه النعمة ولماذا يسلبها من قوم. هناك مباحث كثيرة توجد في الحواشي والمراجع ما توازي المباحث في النص. ولو أن هذه الرسالة مجموعة أفكار وآراء من مشروع تأليفه الأصلي وما يتعلق بها من الذكريات المنتشرة، ولكنها ذخيرة للحقائق ومعارفها وعصيرة للتدبر في القرآن الكريم للإمام عبد الحميد الفراهي".²

4. تفسير بسم الله وسورة الفاتحة: حين نشرت ترجمة هذه الرسالة من مطبعة الدائرة الحميدية علق عليها الشيخ الإصلاحي في مجلة "معارف" قائلاً:

"في هذه الرسالة قام المؤلف الإمام بتفسير بسم الله وسورة الفاتحة. وأوضح في تفسير بسم الله ملامح علاقتها بسورة الفاتحة وكذلك أوضح مفهوم كلمة

¹ المصدر نفسه، 1/147، يناير 1991م، ص 79-80.

² المصدر نفسه، 5/108، نوفمبر 1971م، ص 399.

"الله" فيه. هناك فصلان في تفسير سورة الفاتحة، في السورة الأولى لها ثلاثة جوانب --- وفي الفصل الثاني قورن بين فاتحة المسيحيين وفاتحة المسلمين. رغم أن هذه الرسالة موجزة ولكنها تتميز عن جميع كتابات المؤلف التفسيرية وتشمل كافة اختصاصاتها وترجمتها سلسلة ورائعة جداً".¹

5. تفسير سورة الزاريات: ترجمة هذا التفسير باللغة الأردية نشرت مرة أولى من مطبعة الدائرة الحميدية، فقام الشيخ بالتعليق عليها قائلاً:

"هذه الرسالة جزء من تفسير "نظام القرآن" للإمام عبد الحميد الفراهي تذخر بالحقائق والمعارف وبالرموز والنكات وبالنواذر والبصائر وتتميز عن جميع تفاسير الإمام الفراهي. فقد أشار فيه المؤلف قبل كل شيء إلى الموضوع المركزي للسورة، وفسر السورة مبيّناً علاقتها بالسور اللاحقة والسابقة وأوضح صلتها وربطها بها. ثم بعدما حلّلها فصل كلمات الآية وتأويل الجملة وربطها بسياق الآيات والتوافق فيما بين الآيات، وقام بشرح البيانات المتواترة المهمة وإيضاح المشاكل القرآنية وبحث عن النكات الفريدة بحكمة ضالة. وفي الحقيقة أن الأماكن التي تركها المفسرون قد جعلها قلم الإمام الفراهي كومات من الدقائق ومجموعة من النكات حتى تحل كثير من المشاكل في فهم القرآن من تلقاء نفسها. وفي هذه السورة بصورة خاصة أشار إلى أن النطق البشري وخلق زوج لكل شيء دليلان على المعاد وأما تأويل الآية "وما خلقت الجن والإنس" فهو يجذب قلوب القراء".²

6. تفسير سورة القيامة: هذا التفسير نشر لأول مرة من مطبعة فيض عام بعلي كره ثم قام الإمام الفراهي بتغييرات. صدرت طبعته الثانية من مطبعة الدائرة الحميدية عام 1983 م فقال الشيخ الإصلاحي:

¹ المصدر نفسه، 2/85، فبراير 1960م، ص 158.

² المصدر نفسه، 3/81، مارس 1958م، ص 237.

"إن سور القرآن الكريم التي قام الإمام عبد الحميد الفراهي بكتابتها من أوائلها تفسير سورة القيامة، لأنه يرى أنّ كل سورة للقرآن يختلف في أجزائها النظم والترتيب مثل القرآن ذاته، وتقتضب هذه السورة في ظاهريتها، لذلك على أساس هذا يمكن القول إنه لا يوجد فيها أي مناسبة أو نظم. وهكذا ألّف تفسيرها كما يناسب لمنهج وأصوله وأثبت بالبراهين أن هذه السورة يرتبط بعضها ببعض من البداية إلى النهاية وتندرج علاقة السور السابقة من السور التي تأتي بعدها بصورة عميقة....، وتناول في هذه السورة بالبحث عمود السورة والارتباط بالسابقة واللاحقة، كما ناقش طريقة الأسلوب والتبرهن فيها وإيضاح الأقسام وانطباق القيامة بالنفس اللوامة وغير ذلك من المظاهر العلمية، بالإضافة إلى شرح بعض الجمل الصعبة والآيات المتشابهة التي يتجلى منها تحقيق الكلمات الصعبة ومحاسن أسلوب الكلام وجمال البلاغة بصورة واضحة. في هذا التفسير موضوعان يهتمان على الأغلب، أولهما هو ردود المنكرين والمتشككين في كيفية جمع الشمس والقمر معاً، والثاني هو جمع القرآن وترتيبه الذي يرى عنه المؤلف الإمام أن القرآن كان قد جمع ورتّب في عهد النبي ﷺ فإنه ردّ على الفكرة الشائعة المشهورة، إن الفرقة الإمامية تقول بعدم صيانة بعض الأجزاء من القرآن الكريم وحفظها، لأنه يخالف ما يرى علماؤها حسبما صرحوا في بياناتهم (ص 26) فهذا الكتاب نتيجة دراسة عميقة للقرآن وبذلك يقاس عن تبرهنه المتين علماً واجتهاداً ونكتة وبصيرة ودقة".¹

7. تفسير سورة الإخلاص والكوثر: تفسير سورة الإخلاص إحدى رسائل الإمام الفراهي التي ألّفها باللغة الأردوية، ونشرتها الدائرة الحميدية للمرة الأولى في عام 1941م، أما بالنسبة لتفسير سورة الكوثر فنشرت ترجمته للمرة الأولى

¹ المصدر نفسه، 2/132، أغسطس 1983م، ص 155-156.

سنة 1937م والطبعة الثانية لكل منهما قامت بنشرهما الدائرة الحميدية عام 1958م، علّق عليها الشيخ الإصلاحي في مجلة "معارف":

"قد تم نشرهما من قبل والآن نشرتا بمزيد الاهتمام والعناية، الأول منهما كتبه الإمام الفراهي بالأردوية وهو ولو يشتمل على بعض المباحث المهمة والمفيدة ولكن يقول المؤلف الفاضل إنه يحتوي على إشارات ومباحث إجمالية وفي بعض الأماكن بقي الفراغ. والثاني منهما نموذج أعلى لتحقيق الإمام الفراهي ويمتاز بطريقة التفسير المميزة ولذا تزداد أهميته ولقد حشا هذا التفسير بالأسرار والمعارف الدقيقة، وهاتان الرسالتان تعينان في فهم القرآن وتجدران أن يدرسهما العلماء وطلاب القرآن ويطالعوهما".¹

8. تفسير نظام القرآن: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي تلميذ الإمام الفراهي كان قد قام بترجمة بعض الأجزاء لتفسير نظام القرآن بطريقة سلسلة وسهلة ورائعة واستمر نشرها من حين لآخر تدريجياً من الدائرة الحميدية ومجموعة ترجماته بعنوان "مجموعة تفاسير للفراهي" كانت قد نشرت من باكستان في الأيام الغابرة وشعر بضرورة نشرها في الهند كذلك، لذلك قامت الدائرة الحميدية بنشر الترجمة تحت عنوان "تفسير نظام القرآن" فعلق الشيخ ضياء الدين عليها وبهذه المناسبة سرد واقعة خدمات الإمام الفراهي القرآنية وعلى تأليف تفسير نظام القرآن غير الكامل وعلى أجزاء ترجمات تفسيره الأردوية ونشرها كما سلط الضوء على منهج تفسير الإمام الفراهي ثم عرّف بمجموعتها. لا يمكن أن يذكر تعليقه الكامل هنا مخافة التطويل فنكتفي بذكر اقتباس وجيز منه:

"القياس على أهمية هذه المجموعة لا يمكن بقيامه إلا بعد دراستها وقد تكررت التعليقات عليها أكثر بكثير والأخص بالذكر للمجموعة هنا مقدمتها التي تظهر منها معلومات مفيدة بالنسبة لأصول تفسير المصنف الإمام المهمة

¹ المصدر نفسه، 4/83، أبريل 1959م، ص 317.

والأصول الأخرى مما يتعلق بفهمه وتدبره. هذه وآية بسم الله وتفسير سورة الفاتحة وإن هي لم تكتمل ولكن دراسة أجزاء التفسير الأخرى لها تهدي طلبة القرآن الكريم على نطاق واسع وستحدث حين العمل عليها جوانب جديدة للحقائق القرآنية وأسرارها المتنوعة في هذا السياق".¹

كما قام بالتعليق على ديوان الإمام الفراهي في مجلة "معارف" (1989م) ولا حاجة إلى ذكره هنا.

مراجع واقتباسات لكتابات الإمام الفراهي: الشيخ ضياء الدين الإصلاحي يشير في مقالاته القرآنية إلى مراجع المفسرين المتقدمين والمتأخرين وينقل اقتباساتهم في تأييدها. فمن هؤلاء المفسرين القدامى أشار إلى الطبري والرازي وابن كثير وأبي حيان والبيضاوي وغيرهم. أما من المفسرون المتأخرون فيشير على وجه الخصوص إلى الشاه ولي الله الدهلوي والشاه عبد القادر والمولانا أبي الكلام آزاد. كذلك وهو يشير إلى ممدوحه الحبيب الإمام الفراهي بالأغلب وينقل اقتباساته لتأييده. ننقل فيما بعض الأمثلة:

1. بخصوص مقالة له بعنوان "إن الصفا والمروة الآية" ذكرت بعض الأمور المهمة المتعلقة بها فينقل فقرة في مكان بخصوص كتاب التكوين للتوراة: "قال الله لإبراهيم: خذ نجلك الفريد الحبيب إسحاق واذبحه في أرض مريا". ثم أشار إلى تحريفين مستدلاً بالإمام الفراهي. أولهما أن إسحاق قيل له ابن إبراهيم الفريد ويكتب في الحاشية حوله:

"هذا تحريف واضح من اليهود ولا شك فيه، لذلك أصبح (إسحاق) بدلاً من إسماعيل. هناك بحث مفصل بهذا الخصوص في رسالة "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" للإمام عبد الحميد الفراهي".²

¹ المصدر نفسه، 1/147، يناير 1991م، ص 78-79.

² إيضاح القرآن، ص 130.

ثم جاءت كلمة "مريا" فيكتب الشيخ الإصلاحي:

"في التوراة جاء ذكر كلمة مروة، مورة وموريا ومريا في أماكن عديدة. ويظهر منه جلياً أن لكلمة مروة أشكاًلاً محرفة عديدة. فقد قال محمدرسول الله ﷺ مشيراً إلى كلمة مروة (هذا المنحر: معناه المكان الأصلي للذبح) فلا شك في أن مكان الذبح هو مروة، وتحدث الإمام الفراهي في رسالته "الرأي الصحيح فيمن هو الذبح" عن هذا الموضوع بالبراهين والأدلة".¹

2. تناولت المقالة في نهاية "بعض أساليب القرآن" بالبحث "الأقسام" وعيها كبلغة للأسلوب وبعد أن يشرحها يصرح قائلاً:

"لا نقصد بحثاً تفصيلياً في أقسام القرآن. فمن يرد ذلك فليقرأ كتاب الإمام عبد الحميد الفراهي "إمعان في أقسام القرآن". وحديثي هنا عن هذا من حيث الأسلوب القرآني فقط".²

3. قد عيّن الشيخ في غضون الحديث عن أساليب القرآن أسلوباً مهماً وهو "تصريف الآيات" مفاده أن القرآن يذكر أمراً من طرق عديدة ومن مختلف جوانبها، يتغير نصه ولكن الغرض منه وغايته سواء - ثم يكتب موضعاً هذا الأسلوب: "خلاصة القول أن تصريح موضوع من حيث الجوانب العديدة لا يعد تكراراً ولا عيب فيه بل هذا يعتبر بلاغة القرآن وإعجازه" ثم يطلق هذا الأسلوب على قصص القرآن: "حتى يوجد تنوع هذا الأسلوب في قصص القرآن أيضاً وكرر ذكر العديد من الأنبياء وأقوامهم ولكن بسبب عدم المعرفة وهذا يعتبر أيضاً من التكرار، ولكن أسلوبه يكون في كل موضع مختلفاً ومتغيراً". وبالتالي قدّم اقتباساً في تأييد الإمام الفراهي من تفسيره لسورة الذاريات.³

¹ المصدر نفسه، ص 131.

² المصدر نفسه، ص 28.

³ المصدر نفسه، ص 10-14.

4. ويكتب في موضع: "إن اليهود أُمر لهم أن يقيموا الصلاة ومع ذلك قيل أن 'اركعوا مع الراكعين' فعلم منه أن اليهود كان قد شطب الركوع الذي هو روح الصلاة وركنها اللازم". وكتب حاشية عليه: "قد نسب مؤلف 'تدبر قرآن' هذا القول للإمام عبد الحميد الفراهي".¹

5. وفي مقالة، يتناول تفسير آية: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ (سورة آل عمران: 33) ويجعل الإمام الفراهي مرجعاً له: "يكتب الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي: إن آل عمران تشمل ذرية إبراهيم، لذلك انتخب آل إبراهيم فقط لنعم الله وآلائه في العالم بأسره، ثم بوسيلة آل إبراهيم وعد الله سبحانه وتعالى نعمه وبركاته لجميع أهالي الأرض". (تفسير سورة الكوثر).²

6. وقد قام بنقل قولين فيما يتعلق بإعراب جزء من سورة الفاتحة 'غير المغضوب عليهم'. الأول إنه يقع وصفاً لـ "الذين" في الجملة 'صراط الذين أنعمت عليهم'. والثاني هو بدل من الـ "الذين" ثم يقول:

"في هذه المسئلة تحقيق الإمام عبد الحميد الفراهي هو الأصح فإنه يكتب في حاشية تفسير القرآن "لعل فيه أسلوباً خاصاً للنفي، وأصله لا يهدنا صراط الذين غضب الله عليهم"، (على الأغلب فإنه أسلوب خاص للنفي، وتقدير أصل الجملة هو: (ربي لا تهدنا سبيل مغضوب عليهم) فطبقاً لهذا التوجيه لا حاجة إلى أن يرجع إلى بيان الوصف أو البديل الذي يبني على تكلف".³

7. للإصلاح مقالة مهمة بعنوان "حدود الحرية في تأويل وتفسير القرآن المجيد". فإنه بعدما ذكر طرق التفسير والتأويل (تفسير القرآن بالقرآن،

¹ مجلة "معارف"، ديسمبر 1976م، ص 443.

² إيضاح القرآن، ص 73.

³ إيضاح القرآن، ص 99-100، أنظر لإقتباس الإمام الفراهي إلى تفسير نظام القرآن، المعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، سرائير، أعظم كره، 2008م، ص 285.

تفسير القرآن بالسنة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة، تفسير القرآن بأقوال التابعين) سلط الضوء الفاضلي على الأول (تفسير القرآن بالقرآن) بين جميع هذه الطرق وقال إن التدبر في القرآن لا يأتي تحت التفسير بالرأي، ثم أعرب عن رأيه بغاية من التفصيل حول "التفسير بالرأي"، وقد قدم آراء الشاطبي، الجصاص، الخويبي، الرازي، ابن تيمية، السيوطي، الماوردي، الأنباري، البغوي، الكواشي، القرطبي، الخازن، الغزالي، أبي الكلام آزاد وثناء الله الأمرتسري رحمهم الله أجمعين وأفكارهم. وفي هذا السياق ذكر في موضعين اقتباسات الإمام الفراهي أيضاً. فيكتب في موضع:

"عند الإمام الفراهي إذا كانت أصول التأويل مترتبة ومنضبطة كان باب التفسير بالرأي مغلقاً. إنه اطلع على أسباب كثرة اختلاف المتقدمين، إن القرآن يحمل الجوانب المتنوعة، مع ذلك عند الصحابة والتابعين أصول راسخة للتأويل ولم يكن رأيهم مقتصرًا على الهوى والاشتهاء".¹

8. في مقالة له قام بالبحث عن المعجزات في ضوء كتاب سيرة النبي (المجلد الثالث) بغاية من التفصيل ويكتب في بدايتها:

"المجلد الثالث من مجلدات سيرة النبي الذي رتبته العلامة السيد سليمان الندوي هو من أهم المجلدات، وفي ترتيبه وتأليفه أعانه الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي، والأخص بالذكر رموز المعراج، المذكرات، الأحكام، البشائر والجزئات (من صفحة رقم 453 إلى صفحة رقم 483) وما كتب مثل هذا بالعناوين الأنفة الذكر فهو في الواقع صدى أفكار الإمام الفراهي. وقد اعترف به العلامة السيد سليمان الندوي في مقدمته: "إننا نحن نشكر من أحسن إلينا في ترتيب هذه الصفحات وتأليفها وساهم في إتمامه ومخدومنا المحترم العلامة عبد الحميد الفراهي قد أفادنا بمشوراته في حل المشاكل

¹ مجلة "فكر ونظر" الفصلية، علي كره، 4/36، 1999م، ص 13.

والصعوبات التي واجهناها عند الترتيب وتأليفه". (سيرة النبي، المجلد الثالث، المقدمة، صفحة 1).¹

تعريف بمنهج تفسير الإمام الفراهي: يعرف الشيخ ضياء الدين الإصلاحي في كتاباته بمذكرات الإمام الفراهي وخدماته مع تحليل تصانيفه والتعليق عليها ومنهج تفسيره. وفي هذا السياق يسلط الضوء على مميزات وخصائص طريقة تفسيره ويشير إلى عدم كفاءة المفسرين الآخرين وأنه يسهل بأصول تفسير الإمام الفراهي كشف الحجب عن حل المشكلات والغوامض للقرآن الكريم:

"طريقة الإمام في التفسير هي أنه أولاً يبين عمود السور والموضوع الأساسي لها وكذلك صلتها بالسور والعلاقة بها مما كان قبلها وما بعدها، ثم يشرح كلمات الأجزاء الطويلة للسور المختلفة وتوضيح الجمل والفقرات الصعبة وعلاقة الأجزاء المختلفة للسور فيما بينها. فضلاً عن هذا، يبحث عن الآيات المسلسلة والحقائق المهمة ومطالبها والاستدلالات والشواهد التي يتم بيانها ويناقشها بتمام التفقه والعمق وذلك بدقة النظر فيها، وبالجمل فلا يوجد تفسير لأية سورة إلا أن الإمام أشار إلى أهم حقائقها ورموزها".²

في إحدى مقالاته قام بتعريف منهج الإمام الفراهي بالتفصيل فقال:

"كان يركز على نظم القرآن وتفسيره بالقرآن وكان يبني مبحثه هذا على اللغة العربية وآدابها، فيرى أن القرآن كتاب منظم ومربوط فيلزم أن يتم تقرير معانيه من السياق ونظائر القرآن وأقوال العرب. رسائله التفسيرية التي تم نشرها تخلص عن القصص والحكايات والروايات التفسيرية التي تمتلئ منها كتب التفاسير الأخرى، ولكن الإمام أولاً يعين عمود السورة ثم يبين كيف تتجلى السورة الكاملة

¹ مجلة "علوم القرآن"، يناير-يونيو 1986م، ص 17، المقالة بعنوان "القرآن المجيد والمعجزات (في ضوء السيرة النبوية، المجلد الثالث).

² مجلة "معارف"، يناير 1971م، ص 78.

1. الآية رقم 102 من سورة البقرة وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ۖ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَذُوتَ وَمُزَوَّتَ ۚ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ يَذْهَبُ الْجُمْهُورُ إِلَىٰ أَنْ فِي "مَا

المجلد: 8 — العدد: 2 — 472 — أبريل - يونيو 2019

ملكين ببابل هاروت وماروت "ما" للموصولة ويراد بـ"ما أنزل" السحر، وهناك أقوال أخرى أيضًا. والشيخ ضياء الدين الإصلاحي ولو هو يقول إن "ما" هنا موصولة ولكن عنده من "ما أنزل" هو مقابل العلوم السلفية للشياطين العلوم العلوية يعني الدعاء والتعاويد وهو يستدل على هذا التأويل بالأمثلة العديدة ومنها النظم، فيقول:

"بالنسبة لنظم الكلام هذا تأويل جيد، لأنه يتبين هنا أن اليهود يطاردون الدنيا وأصبحوا مجانين في حصولها لذلك إنهم يريدون أن يحصلوا عليها على كل حال، ولهذا قُدم المثل من تاريخهم أنهم كانوا يكسبون الدنيا من المال الحرام بمعنى أن العلوم السلفية كانت قد أصبحت سحرًا وكهانة، وهكذا بالطرق المسموحة مختارين بالعلوم العلوية: بدأوا يعملون التعاويد والكهانة. بغض النظر عما كان جائزًا لهم جعلوا غير جائز بسبب سوء نياتهم. فعلم من هذا التفصيل أن نظم الكلام يقتضي أن لا يكتفى بإجراء العلوم السلفية فحسب بل يجب أن يعمل على العلوم العلوية أيضًا".¹

2. والآية رقم 159 من سورة البقرة: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إلى أي جريمة كتمان أشير في هذه الآية؟ فعند عامة المفسرين أريد بها كتمان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول الشيخ: أريد هنا إخفاء اليهود حول بيت الله، فيستدل على هذا بنظم القرآن:

"لا شك عندنا في أن اليهود كانوا ينكرون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك جعل لها عنوان هذه السورة المركزي وفي هذا أُبْخ اليهود وُجُروا بشدة ولكن لمحة الفكر هنا هي أن نظم الآيات يقتضي هنا أن يكون الأمر كذا، وإذا

¹ إيضاح القرآن، ص 120-121.

أريد هذا فلا يتعلق ذلك بسياق الآيات، وبناء على ذلك إذا يتم إيضاحها هكذا فيقلب نظم الكلام بأكمله لذلك حسب فكرتنا يتعلق الكتمان هنا بإخفاء اليهود ببيت الله، حيث إنهم قاموا بإخفاء بيت الله من حيث كونه معبدًا وقبله، وحجبوا على قصة التضحية ومكان الذبح وبدلاً من إسماعيل إنهم عَيَّنوا إسحاق ذبيحاً كما كتموا الصفا والمروة بكونهما شعيرتين لله تعالى. فإذا أمعن النظر في ضوء هذا التفصيل فيظهر نظم الكلام مع كل روائعه وبدائعه".¹

الاستشهاد بكلام العرب: يعطي الإمام عبد الحميد الفراهي كلام العرب أهمية كبرى في فهم القرآن وخصوصاً بكلام الشعراء الجاهليين. فيقول إن القرآن الكريم نزل في لسان العرب الفصيح الخالص، لذلك في خصوص الكلمات والأساليب واستخداماتها يلزم أن يهتم بالكلام الموثوق به لأنه يعين في فهم الآيات القرآنية وتعيين مفاهيمها. الشيخ ضياء الدين الإصلاحي قام باتباع هذا المنهج في مقالاته المتعددة وقدّم الأشعار العربية في تأييد التأويل الذي رجّحه، لنذكر بعض الأمثلة كما يلي:

1. كلمة "الرحمن"، كما يرى البعض، لم تكن عامة ولا معروفة عند العرب ولا كانوا يستعملونها في تسمية الله سبحانه وتعالى، فردّا على هذه الفكرة يقول الشيخ الإصلاحي: الذين لهم إمام بكلام العرب فيعلمون أن هذه الكلمة شائعة في استعمالها" ثم يقدم أبيات امرئ القيس، أعشى بن ميمون، زيد بن عمرو بن نفيل، حاتم الطائي وبعض الشعراء الآخرين.²
2. تعتبر كلمات الحمد والمدح والحمد والشكر ألفاظاً مترادفة ولكن الحقيقة هي أنها ليست كذلك. ويوضحها الشيخ الإصلاحي في ضوء اقتباسات راغب الأصفهاني والزمخشري والرازي فيقول:

¹ المصدر نفسه، ص 145.

² المصدر نفسه، ص 145.

"نرى أن كلمة المدح لا توجد في القرآن ولا في الشعر القديم ولا في اللغة والأدب العربي، اندرج هذا اللفظ في اللغة العربية عندما حضن أهل العجم الشعر العربي ودخلت فيه التكلفات العجمية وتروجت القصيدة، كما لا يوجد استخدام هذا اللفظ لله سبحانه وتعالى في اللغة العربية حتى الشعراء لم يستخدموها لله تعالى بل اختاروا لفظ الحمد له".

ثم يستدل بشعر من كتاب الحماسة.¹

3. ينقل الشيخ الإصلاحي قولين عن "غير" في "غير المغضوب عليهم" ثم يفصل كما يلي:

عندنا القول الثاني هو الأنسب، القول الأول ضعيف ومن حيث النحو، وخلاف استعمالها في اللغة العربية، أما القول الثاني فيوافق عليها حسب استعمالات كلام العرب. يقول شاعر: إنما يجزي الفتى غير الجمل.²

4. في الآية: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ (سورة البقرة: 183) تحدث عن حرف التشبيهية 'كما' يشير الشيخ إلى مختلف استعمالاتها واستعمال كلمة أخرى "مثل" في كلام العرب وقدم الأشعار في استدلالهما.³

5. وفي الآية: وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ (سورة الأعراف: 46) يبين في تحقيق كلمة "أعراف" لغويًا: إن لها معنى "طل" أو مكان عال أيضًا، وفي استدلالها يقدم شعرًا للشماخ بن ضرار، واستعمل هذا اللفظ في ذلك المعنى.⁴

6. وفي الآية: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا (سورة مريم: 71) يكتب حين تحقيق كلمة "ورد" لغويًا: بعد تتبع استعمالاتها في القرآن الكريم وكلام العرب يتم العثور

¹ المصدر نفسه، ص 94-95.

² المصدر نفسه، ص 99.

³ المصدر نفسه، ص 161، 163، 164.

⁴ المصدر نفسه، ص 169، 170.

على معنيين لها فقط، أولهما "الدخول" والثاني "القرب" و"الدنو" و"البلوغ". ثم نقل لإثبات هذين المعنيين الآيات القرآنية من القرآن الكريم وللمعنى الثاني من المعلقات السبع بيتاً لزهير بن أبي سلمى.¹

تحقيقات لغوية: قد أعطى الإمام الفراهي في معنى الآيات القرآنية وفي تعيين مرادها أهمية كبرى للتحقيق اللغوي أيضاً. يقدر تأليفه "مفردات القرآن" على موضوعه تقديرًا بالغًا، وهكذا انتبه الشيخ ضياء الدين الإصلاحي نفسه إلى هذا الجانب، توجد في كتاباته أمثال رائعة لتحقيق مفردات القرآن اللغوي. على سبيل المثال قام بتحقيق كلمات "الله، الرحمن، الرحيم" في مقالته بعنوان "بعض المباحث المهمة لسورة الفاتحة" وذكر بهذا الخصوص المراجع من كتابات الإمام بن جرير الطبري والإمام الرازي،² وهكذا في مقالته بعنوان "أصحاب الأعراف" حقق كلمة "أعراف" لغويًا،³ ويمكن أن توجد في مقالاته الأخرى أمثال أخرى غير هذه.

الاستفادة من الإنجيل: قد أعد الإمام الفراهي في مأخذ التفسير الظنية الصحف السماوية، عنده جوانب عديدة تقتضي أن تقف عن تلك الصحف بلا واسطة، يعني بواسطة هذه يمكن أن تقام الحجة للذين يؤمنون بتلك الصحف، ويمكن أن تتم الإشارة إلى التحريفات ومقابل هذه من الممكن أن تتضح عظمة القرآن وكرامته وأن تفتح التلميحات القرآنية وكذلك نهج الشيخ ضياء الدين الإصلاحي نفس المنهج عن طريق مقالاته وفي مكان راجع الإنجيل.

مقالة له مهمة بعنوان "اليهود والقرآن المجيد" التي قام فيها الشيخ ضياء الدين الإصلاحي بالإعراب عن رأيه حول نعم الله تعالى على اليهود وكفرانهم وتصرفهم عن الأحكام الإلهية، وتحريفهم في كتاب الله تعالى وقتلهم الأنبياء والجرائم الأخرى

¹ المصدر نفسه، ص 190-192.

² المصدر نفسه، ص 79-85.

³ المصدر نفسه، ص 169.

وبتداعيات كل هذه العقوبات الموجهة لهم من الله العزيز الجبار والمواضيع والمباحث الأخرى مع جميع تفاصيلها وكتبت هذه المقالة في ضوء القرآن الكريم ولكنه أحيل فيها إلى مراجع كثيرة من الإنجيل أيضًا والتي تم نقلها في تأييد التصريحات القرآنية أو ليتضح الفرق فيما بينها.

ويقول في بداية مقالته بعنوان "قصة إبراهيم في القرآن واعتراضات المستشرقين": "تم تكرار عظمتهم وتقديسهم وعن كثرة نسلهم وقصة البركة لهم في أماكن متعددة"، ثم ينقل أربعة اقتباسات من كتاب التكوين.¹

المقالة بعنوان "طريقة مخاطبة القرآن وطريقة خطابه" وبالنسبة للمقالة بعنوان: "إن الصفا والمروة اللتان فيما يتعلقان ببعض الأقوال البارعة" فهما توجد المراجع من الإنجيل أيضًا.²

الدراسة والتحليل: التفاصيل التي مضى ذكرها يتضح منها بعض الأمور جليًا:

1. تتعدد خدمات الشيخ ضياء الدين الإصلاحي علمًا وفنًا، ولكن مجاله الخاص كان علم التفسير ودراسة القرآن وعلومه، ولو لم يؤلف في هذا الفن كتابًا مستقلاً (سوى كتابه الوحيد "إيضاح القرآن" الذي نشر في 1984م من باكستان، وهو مجموعة عشرات من مقالاته) ولكن ما ترك من الميراث العلمي في شكل المقالات يحتل أهمية كبرى وقدرًا كبيرًا، فيوجد فيه إصالة فكرية، ويمكن أن يتم نشر مقالاته حول دراسة القرآن في شكل مجموعة، خاصة مقالاته بعنوان "اليهود والقرآن المجيد" الذي نشر في مجلة "معارف" في ثمانية حلقات إنها تحيط بالموضوع بأكمله ونشرها وطبعها سيكون خدمة علمية جلية.
2. الشيخ ضياء الدين الإصلاحي كانت علاقته بالفكر الفراهي منذ نعومة أظفاره، وكان يجب أن يكون هكذا، فقد تعلم في مدرسة الإصلاح واستفاد علمًا وتفقهًا من تلامذة العلامة الفراهي الكبار الذين يحملون لواء فكرته العلمية، ومقالاته

¹ المصدر نفسه، ص 50-51.

² المصدر نفسه، ص 41، 130، 131.

التي يظهر منها ربطه وعلاقته بالفكرة الفراهية قد كتبها في فترة دراسته الأخيرة تلميذاً في مدرسة الإصلاح وتم نشرها في المجلات التي كانت شهرتها عالمية في مجال البحث والتحقيق مثل مجلة "معارف" و"برهان".

3. نذر الشيخ حياته بأكملها في ترويج الفكر الفراهي وترجماته وإشاعته، وكانت مكانته في "الفكر الفراهي" كسفير عالمي، فكل جلسة يشارك فيها تجري المناقشة حول العلوم القرآنية ولم يمكن من أي جانب من جوانبه العلمية إما في كتاباته أو في تصريحاته الخطابية إلا أن يذكر اسم الفراهي فيها. فهو كناطق باسم الفكر الفراهي من الجوانب المختلفة، مثلاً إنه سهل ولخص بعضاً من كتب الإمام الفراهي، وقد علّق على منشوراته العربية والترجمات الأردوية له في مجلة "معارف" كما عرّف في مقالاته بالإمام الفراهي ومنهج تفسيره بالإضافة إلى أنه اتبع منهج تفسيره في تفسير وتأويل الآيات القرآنية وقد نجح في اختيار هذا المسلك.

الملخص: لا يمكن أن يبقى التوازن في البحث إذا لم نشر إلى الأوهام والزلات التي نجدها، وقد كان الفراهي ذاته ينتقد الآخرين من علماء الإسلام وكتّابه. وهذا من الواقع أنّ شخصاً كبيراً كان أو صغيراً ليس من الضروري أن يكون كل بياناته صحيحة ولا تزل قدماء في البحث والتحقيق الذي يخوض فيه، فكل ما قدّمه الشيخ ضياء الدين الإصلاحي من تحقیقات أو توضیحات أو غشارات توجد فيها جوانب يمكن انتقادها، وكانت تقتضي مكانة الشيخ ضياء الدين الإصلاحي العلمية أن يؤدي هذا الواجب ولكن السعادة له والتكلف من جانبه لم يتمكن من أن يقوم بلفت انتباهه إليه كله. على سبيل المثال:

ألف. كتب الإمام الفراهي عن سورة الإخلاص: "هذه السورة لدى المسلمين ثلث القرآن".¹ لا يتوقع ممن كان يمعن النظر في علم الحديث وتاريخه والمحدثين كمثل

¹ تفسير نظام القرآن (ترجمة أردوية)، الدائرة الحميدية، سرائر مير، أعظم كره، 1969م، تفسير سورة الإخلاص، ص 527.

الشيخ ضياء الدين الإصلاحي أن يكرّر هذا في مقالته "بعض المباحث المهمة لسورة الفاتحة"¹ فكان ينبغي له أن يبين أن المسلمين لا يعتقدون هذا بل لم يقله رسول الله ﷺ فقد أذى هذا الواجب الشخص الذي كتب حاشية على كتابه "إيضاح القرآن"، فقال: "في سنن الترمذي ومسلم هذا الحديث مرفوع إن هذه السورة ثلث القرآن".

ب. كتب الإمام الفراهي في تفسير سورة اللمب أن أبا اللمب كان حامل مفتاح بيت الله الكعبة ومتوليًا له،² على أساس ذلك ناقش بالتفصيل، غير أنه لا يثبت تاريخيًا أن أبا اللمب كان يحمل مفتاح الكعبة. من آباء رسول الله قصي بن كلاب كان قد أعطى لعبد الدار من أبنائه الأربعة كل ما يتعلق بمنصب كعبة الله وتنازع فيما بعد بين أبنائه على هذا، واتفق الأمر على أن مناصب الحجابة (حمل مفتاح الكعبة) واللواء (حمل العلم في الحرب) والندوة (إجماع الناس للشورى) يمتلكها بنو عبد الدار وتكون السقاية (سقي الماء للحجاج) والرفادة (إطعام الحجاج) مع بني عبد مناف. وحتى الآن منصب الحجابة مع بني عبد الدار ويستمر هذا الأمر في فرع شبيه بن عثمان.³ كان أبو اللمب من بني عبد مناف فكيف يمكن له أن يكون حامل مفتاح الكعبة؟! الشيخ ضياء الدين الإصلاحي قام بتحليل تفسير سورة اللمب وتعريفه في مقالة له ولكنه لم يشر إلى ذلك الوهم.

ج. ذكر الإمام الفراهي في نهاية تفسير سورة الشمس بعضًا من الإشارات اللطيفة، ومنها أن ثمود كما دعوا عذاب الله بقتل 'ناقة الله' هكذا اليهود فعلوا فعله بقتل عيسى والمسلمون قاموا به بقتل علي رضي الله عنه، كأن بين يهود

¹ إيضاح القرآن، ص 19.

² تفسير نظام القرآن، سورة اللمب، ص 448.

³ راجع للبداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988م، 1/2-194-195. سيرت سرور عالم للشيخ السيد أبي الأعلى المودودي، مركزي مكتبة إسلامي ببلشرز، نيو دلهي، 82-81/2.

عيسى وبين أتباع علي تشابهًا. هذه الإشارات اللطيفة يمكن أن تكون من ضمن "إشارات تفسيرية" للصوفية لكنها لا تتعلق بأية واسطة بتأويل وتفسير الآيات التي يجري بحثها في هذا المبحث. الشيخ ضياء الدين الإصلاحي كتب مقالة في تحليل وتعريف هذا التفسير ولكنه ما انتقد هذا الجانب.

يمكن أن توجد أمثلة متعددة كما سلف ولكن ليس لذلك مجال أوسع مما ذكرت هنا. وبالجمله فقد ترك الشيخ ضياء الدين الإصلاحي أثرًا واضحًا له في العلوم والفنون المختلفة، وموضوع علوم القرآن هو مجال خاص به يتجلى فيه كترجمان حق للفكر الفراهي.

نظرة على الاعتراضات على بعض آراء الإمام عبد الحميد الفراهي

- الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي¹

ترجمة من الأردوية: د. محمد معتصم الأعظمي²

نشرت مقالة لأخيना المكرم محمدرضي الإسلام الندوي حول "تاريخ مناسك الحج" في العدد المزدوج لشهري مايو ويونيو لعام 1987م من مجلة "حيات نو" الشهرية الصادرة عن بلريانجج بمديرية أعظم كره، والهدف من ورائها لم يكن سوى الانتقاد على آراء وبحوث ترجمان القرآن الإمام عبد الحميد الفراهي التي عرضها العلامة الإمام عن السعي بين الصفا والمروة ورؤية إبراهيم عليه السلام عن ذبحه إسماعيل عليه السلام وحقيقة "رمي الجمرات" وغيرها في كتابيه الشهيرين "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" و"تفسير سورة الفيل".

فقرأت هذه الانتقادات باهتمام لكوني طالباً عادياً للقرآن ولعلاقتي الدنيا مع مذهب أفكار الإمام الفراهي، وحينما فكّرت فيما قاله أخي الندوي في ضوء المراجع الأخرى فلم أجد أتفق مع آراء صديقي المكرم، فظننت من المناسب أن أعرض ما للفراهي من أفكار عالية وما للأخ الندوي من سخائف وخزعبلات كي يعرف القارئ ما هو الحق وما هو الباطل.

السعي بين الصفا والمروة: يكتب المعارض المحترم:

"إنّ الرأي الشهير عن السعي بين الصفا والمروة أنه تذكّر واقعة هاجر عليها السلام عندما كانت تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن الماء ---" بينما يقول الإمام الفراهي مشيراً إلى خلفيتها الأخرى:

¹ أستاذ التفسير والحديث بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند

² نائب مدير التحرير ومدرس ضيف، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بردوان، بنغال الغربية

"أما ذرية إسماعيل عليه السلام فلم يزالوا متبعين نسك إبراهيم حين ضحى بابنه، كما يدلّ عليه مناسكهم التي استمرت إلى عهد الإسلام: كالإلهال بـ"لبيك لبيك" إشارة إلى ما جاء في قصة القريّان أن الله امتحن إبراهيم فقال له: يا إبراهيم، فقال: "ها أنا ذا" سبع مرات فإن إبراهيم جاء من الصفا وذهب إلى المروة سعيًا لاهتمامه بالطاعة، فإن السعي يستعمل لطواف العبد على سيده.¹

.... فإنهم افتروا قصة إخراج إسماعيل وأمه عليهما السلام من مسكن إسحاق وأمه عليهما السلام إلى برية فاران، لما أنهما سخطت بهما ولم ترض بأن يرث إسماعيل عليه السلام مع ابنها إسحاق عليه السلام.

والكذب والتناقض في هذه القصة ظاهر لمن ينظر فيما ذكره في صحفهم. وقد اعترف به الناقدون منهم في هذا الزمان.²

والعجب كلّ العجب من الذين أخذوا هذه الأكذوبة من اليهود وذكره في سبب السعي بين الصفا والمروة، أعاذنا الله من كيد الأعداء.³

ويكتب صديقنا ناقدًا على القول المذكور أعلاه للإمام الفراهي:

"ولكن التناقض في أي حدث في الكتب المقدسة الإسرائيلية ليس حجة على سخفه، وقد أثبت الإمام الفراهي بنفسه هذا في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" أن التناقض الكبير عن الذبيح موجود في التوراة ولكنه قدم القول الصحيح بعد تنقيحه بدلًا من إنكاره. فكانت الحاجة هنا أيضًا أن يقدم القول الصحيح عن هذه التقاليد المتناقضة بعد التنقيح.

فالرواية التي يحكم عليها الإمام الفراهي قصة كاذبة فهي مروية في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه وهذا الجزء من الرواية ثابت مرفوعًا بالوضوح (قال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهما)

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي، الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، دار القلم، دمشق، ص 68

² المصدر نفسه، ص 100-101

³ المصدر نفسه، ص 102

ثم حاول لإثبات رأيه من الطرق المختلفة ورواية البخاري التي حاول إثباتها مرفوعة فإنها من الإسرائيلية. فيكتب العلامة السيد سليمان الندوي:

"إن سلسلتها لن تصل إلى الرسول الكريم ﷺ (باستثناء بعض الجمل المكمل) فلذلك هي تتعلق بالإسرائيليات لابن عباس ؓ والشهادة عليها موجودة حتى اليوم فروايته الطويلة المروية في البخاري موجودة بتمامها في "المدرّاش" و"التالخود" إلا ذكر جرهم ومكة".¹

فكلمات رواية البخاري كما يلي:

"قال ابن عباس ؓ: قال النبي ﷺ: فذلك سعى الناس بينهما".²

نرى أنها إضافة الراوي، لأن رواية وجيزة أخرى من نفس السلسلة وردت في نفس الباب قبيل الرواية المذكورة التي ذكر فيها الإمام البخاري قول كثير بن كثير فهو يقول إنه ورفيقه عثمان بن أبي سليمان كانا جالسين عند سعيد بن جبير ؓ (الأخير الذي روى الرواية المذكورة عن ابن عباس ؓ) بينما قال لهم رجل: "أحق ما سمعنا في المقام مقام إبراهيم أن إبراهيم حين جاء في الشام حلف لامرأته أن لا ينزل بمكة..... إلخ".

فرد عليه سعيد بن جبير ؓ كما يلي:

"ما هكذا حدثني ابن عباس ؓ لكن قال: أقبل إبراهيم ؑ بإسماعيل ؑ، أمه فساق الحديث بطوله ولم يرفعه".³

وكلمة "لم يرفعه" دليل واضح على كون الرواية غير مرفوعة لأن المراد منه (فساق الحديث بطوله) الرواية المذكورة آنفاً والتي نحن بصدد نقاشها. ومن

¹ سيد سليمان الندوي، أرض القرآن، 1918م، 49/2

² البخاري، المجلد الأول، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي

³ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، إدارة البحوث العلمية، مكة المكرمة، د.ت. 400/6

الطرق المعروفة عند المحدثين أنهم عندما نقلوا حديثاً وهو يرد من الأسناد المختلفة فهم يصفون بعد كل سند ما هو النقص أو الزيادة فيه وما هو الاختلاف من الألفاظ حذراً إلى أقصاه، فهل لا يكون سخيّاً أن يقال عن بعض الجمل المكمل لرواية بعد أن يحكم على رفعها غير مرفوعة، إذا كان هذا صحيحاً فمن المؤكد أن يكون تفسيره بعد "لم يرفعه" ولكنه ليس كذلك وعلاوة على ذلك قد وردت في صحيح البخاري رواية طويلة أخرى بعد الرواية التي نحن بصدد البحث عنها، وهي مروية عن ابن عباس رضي الله عنه¹ لكن ليست فيها تلك الفقرة، وبالإضافة إلى ذلك لم نجد الفقرة المذكورة أعلاه في الروايات المتابعة الأخرى (في كتب الحديث عن الأحاديث الصحيحة) المروية عن الرواة الآخرين عن ابن عباس رضي الله عنه، إذا وصف الحدث بقدر من التفصيل فما المقصود بكونه عبارة في رواية وليس في رواية أخرى؟

وتبدو حقيقة الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها وخاصة قول ابن عباس رضي الله عنه عن السعي، فإذا سئل عن مشروعية السعي قال ما يختلف عنه وهو مذكور في هذه الرواية فقال إنّ السعي تذكّر إبراهيم عليه السلام وهو ما فعله عند الذهاب بابنه للتضحية، فلاحظ كلمات الرواية:

"أخرج الطبراني والبيهقي عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس رضي الله عنه يزعم قومك أنه ﷺ سعي بين الصفا والمروة وأنه سنة قال صدقوا إن إبراهيم لما أمر بالمناسك اعترض له الشيطان فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب جبريل إلى جمرة العقبة ثم تله للجبين".²

¹ البخاري، المجلد الأول، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي

² الإمام محمد بن محمد سلمان، جمع الفوائد، المطبعة الخيرية، ميرث، 185/1 وجلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 161/1، ووردت هذه الرواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل والمعجم الكبير كما وردت في "الدر المنثور" بطرق مختلفة

وهذه الرواية ترد على الرواية السابقة ويبدو منها أنما أبداه إبراهيم عليه السلام من النشاط الملحوظ عن عملية التضحية أصل السعي حقًا وإننا لا نعدّ الرواية السابقة دليلًا لأنها مثل قصة طويلة يمكن فيها النقص والزيادة والحذف والإضافة من جانب الرواة بينما الجواب الموجز مذكور في تلك الرواية الأخرى خاصة على السؤال عن سبب السعي فلذلك لا يمكن فيها تعديل ولا إضافة، وعلاوة على ذلك تدعمها إشارات الآيات القرآنية فلذلك نعتز هذه الرواية تأييدًا لها.

ويدل على كون الرواية المقدمة من صديقنا المكرم إسرائيلي أن الإمام فخر الدين الرازي مفسر القرآن الشهير قالها (الحكاية المشهورة)¹، وهو يكتب عن تلك الروايات في مكان آخر: "وهنا مباحث تتعلق بالحكايات" كما أضاف قائلاً: "وقال القاضي: أكثر الأمور المذكورة في هذه الحكاية بعيدة".

إذا صحّت هذه الروايات في الحقيقة - كما يعتقد صديقنا المكرم - لم يعدّها الإمام الرازي "الحكاية" ولم ينقل قول القاضي هذا: "أكثر الأمور المذكورة في هذه الحكاية بعيدة" وإذا اشتبهت هذه الروايات فلا يصحّ الإصرار على صحة فقرة معينة أو جزء منها على أنها وردت في صحيح البخاري وفي حالة تردها رواية أخرى وتشير إلى عكسها آيات من القرآن.

وقد شكّ قليلاً في السعي بين الصفا والمروة في عهد النبي صلى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية: **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**² فأزيلت هذه الشكوك كلها.

وقد اعتبرت الصفا والمروة في الآية المذكورة أعلاه "شعائر الله" وأما الشعائر فهو جمع شعيرة ومصدرها شعور، فمعنى الشعور هو الإدراك والإحساس ولذلك يقال

¹ الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 4/158

² سورة البقرة: 158

الشاعر شاعرًا لأنه أشعرُ الناس العاديين بأشياء الكون عمقًا وأوصفُ انطباعاته ومشاعره بطريقة مناسبة وملائمة.

والشعيرة هي الهدايا التي تقطع قليلًا حتى تعرف بتلك العلامة أنها ذبيحة، كما ورد في لسان العرب:

"الشعيرة هي البدنة المهداة سمّيت بذلك لأنه يوثر فيها بالعلامات والجمع شعائر".¹ ويقول شاعر:

لقتلهم جيلًا فجيلًا تراهم شعائر قربان بهم نتقرب²
فالشعيرة تعني العلامة والآية والتذكار.³ فالمراد من اعتبار الصفا والمروة شعائر الله هو مجرد لفت الذهن إلى التذكير بالله من رؤيتهما وتخيلهما وإشعار الإنسان حقًا على الفور بأن الحدث العظيم من دين الله قد وقع بهما وقد ترك إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام وراءه تذكيرًا من واقعة الفدية والذبح لا يوجد لها نظير، فلذلك يستخدم لفظ شعائر الله في الكتاب والحديث في ذكر الحج وتؤمر الأمة بتعظيمهما وتوقيرهما: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ٣٥".

إذا كان هذا المعنى لـ "شعائر" أمام الإنسان فلا يمكن الاطمينان بها أنها تشير إلى حدث سعي هاجر عليها السلام وانفجار ماء زمزم، لأن هذا الحدث قد يكون من الكرامة والعادة الخارقة ولكنه لا يمكن أن يكون ما يذكّر به الله في صورة رضى الإنسان عن التضحية بنفسه على وحي منه، ويمكن أن تكون مثل هذه الحوادث علامة من قدرة الله وفضله ولكنها لا تمتلك غرابة يجب بها أن تعتبر من شعائر الله فيعم ظهور مثل هذه الحوادث من أولياء الله، ومن يعرف العربية جيدًا

¹ ابن المنظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 4/409-410 المادة: ش ع ر

² المصدر نفسه، ص 414

³ المصدر نفسه

سيقول إنه إذا كان المراد من هذه الآية إشارة إلى حدث هاجر عليها السلام وجب أن تستخدم هناك كلمة أخرى غير "شعائر"، ولذا أريد هنا بكلمة "شعائر الله" عندنا أن "واقعة الذبح" قد حدثت هنا. يعني أن المروة هي نفس المكان حيث أمر الله فيه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه الحبيب فقد وافقه على الفور ثم استشار ابنه لكي يشاطره الصبر والرضا فيهتم هذا المكان بأن حدث به واقعة الإسلام وحزب الله والطاعة والصبر مما لا يوجد لها نظير، فتفكروا ما بهذا التأويل من غرابة، ولو يفترض به أن التذكار هنا بسبب جري هاجر عليها السلام لبحثها عن الماء ثم بانفجار ماء زمزم على تضرعها بينما لا ننسى أن وقعت فيها واقعة العبودية والإطاعة التي لا يوجد لها نظير كما ثبت بالروايات، ثم أي وجهة نظر منها يمكن أن تكون أكثر حساسية وأكثر ملاءمة لشعائر الله؟

فقولنا إن الصفا والمروة من شعائر الله لهذا حيث وقعت بها واقعة الذبح ويؤيده أن العلامة شبلي النعماني والعلامة الفراهي والعلامة سيد سليمان الندوي كلهم قد أثبتوا بعد التحقيق أن المروة هي المنحر الحقيقي لإبراهيم عليه السلام.¹

فلا يشك في أن المروة هي المنحر، وقد ناقش العلامة الفراهي في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" بتحقيق كامل وأدى حق التحقيق، ومع ذلك يمكن أن يطرح هذا السؤال: "إذا ثبتت المروة منحراً تاريخياً فلماذا تنحر الهدي بمنى؟" ولماذا يتم السعي بين الصفا والمروة فقط؟ فسند عليه من كتاب الإمام عبد الحميد - إن شاء الله - حين نتحدث عن رمي الجمار.

وقد قال رسول الله ﷺ عند تعليم مناسك الحج بمناسبة حجة الوداع:

"قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام".²

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي، الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، ص 44-56، والعلامة شبلي النعماني، سيرة النبي، 1/139-141، والعلامة سيد سليمان الندوي، سيرة النبي، 5/249-251

² أبوا داود، كتاب المناسك، باب موضع الوقوف بعرفة

فيثبت من هذا أيضًا أن السعي هو تذكار إبراهيم عليه السلام وسنته لا سنة هاجر عليها السلام، هذا هو المبدأ الأساسي والحقيقة المهمة التي غفلنا عنها، الأمر الذي جرّنا إلى أخطاء بعضها فوق بعض وأدركنا قصة حقيقة، فما هي الميزات التي كانت موجودة في هاجر عليها السلام والتي جعلت هذه الواقعة تذكيرًا إلى أبد الآباد، وهي لم تكن نبية بل هي كانت امرأة عفيفة وصابرة وشاكرة ومطبعة لله، فشرّف كون زوجة نبيٍّ أو أمه تحصّلّه العديد من النساء فلا تمتاز امرأة بمثل هذه الصفة، ولنفكر أن هذا العمل من هاجر عليها السلام لا يهتم به. لأنه إذا كانت هناك أيّ أمّ أخرى غير هاجر قد فعلت ما قامت به هاجر عليها السلام بسبب أمومتها فبناءً على ذلك لا يناسب السعي تذكيرًا لتلك الواقعة من هاجر عليها السلام عقليًا، وعلى العكس لو يقرر هذا بتذكّر ما فعله إبراهيم عليه السلام بين الصفا والمروة عند الذهاب بابنه الحبيب للذبح فيتزداد قيمته وأهميته ومعنويته.

فلا يكون غير مناسب لو قلنا إن الإمام الفراهي وتلاميذه لا ينفردون في هذا الرأي بل يوافقهم العلامة ابن جرير الطبري من بين القدامى في هذا الأمر وهو يعترف بأن السعي سنة إبراهيم عليه السلام ولذا فلم ينقل مثل هذه الروايات تمامًا في تفسيره، التي تشير إلى أنها سنة هاجر عليها السلام أم إسماعيل عليه السلام، بينما هو ممتاز في طبقة المفسرين من أنه ينقل جميع أنواع الروايات في ضمن تأويل الآيات وأحكام الآيات ثم يحاكم عليها ويرجح قولًا واحدًا، فيكتب العلامة:

"وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله: "إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ" عباده المؤمنين أن السعي بينهما من مشاعر الحج التي سنّها لهم، وأمر بها خليله إبراهيم عليه السلام إذ سأله أن يريه مناسك الحج..... فإذا كان صحيحًا أن الطواف والسعي بين الصفا والمروة في شعائر الله ومن مناسك الحج فمعلوم أن إبراهيم عليه السلام قد عمل به وسنه لمن بعد، وقد أمر نبينا ﷺ أمته باتباعه."¹

¹ العلامة ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1968م، 44/2

فلاحظ الألفاظ التي تحتها خط، فإنها تدل على القول الذي نقلناه آنفًا في رواية ابن عباس رضي الله عنه والتي رواها أبو الطفيل.

وبعد هذه التصريحات زال الاعتراض والنقد الذي قام به صاحب المقالة على الإمام الفراهي وأما الروايات الإسرائيلية فلا نحتاج إلى تنقيحها لأننا لا ننازع اليهود في هذا الأمر.

وكذا يبدو من الغرض والحكمة التي ذكرت في الأحاديث النبوية بالنسبة لمناسك الحج يبدو أن السعي سنة إبراهيم عليه السلام، فقد جاءت رواية عن ابن عباس رضي الله عنه في النسائي: "إنما سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة ليرى المشركين قوته".¹ وتؤيدها رواية أخرى رويت عن عائشة رضي الله عنها وأخرجها ابن أبي شيبة وأبو داود والحاكم والبيهقي ويقررها الحاكم صحيحة، ونقلها الإمام البيهقي في شعب الإيمان كما يلي:

"عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله لا لغيره".²

فيبدو من تدبر هذه الأحاديث أنه مهما كانت حقيقة طواف بيت الله والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات هدفها الخاص من وراء مناسك الحج هو أن يظاهر بهذه المناسبة جمعيتهم ووحدتهم وطاقاتهم وقوتهم ويرعب بها أعداء الله ويقر أمام الله بالشغف والفدية والإطاعة والتضحية لغلبة الدين وإعلاء كلمة الله، ومن الواضح أنه لا تتولد هذه العاطفة في قلوب الحجاج إذا قرر السعي سنة إبراهيم عليه السلام واعترف بأنه تذكاري ذهابه النشيط بابنه الوحيد للذبح من الصفا إلى المروة مع خالص الطاعة والعبادة. ولو يقرره تذكاري سعي هاجر عليها السلام قلقًا

¹ محمد بن محمد بن سليمان، جمع الفوائد، مطبعة الخيرية، ميراث، 1/182

² الإمام جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 1/161

ونتيجه فلا يقصد بها في هذه الصورة إلا التذلل والخوف كما كتب الإمام فخرالدين الرازي¹ ولا يكون من غير المناسب إذا نقلنا فيما يلي ما ذكره الشيخ صدر الدين الإصلاحي لهدف هذا السعي وحكمته، يقول الشيخ الإصلاحي:

"إن السعي بين الصفا والمروة إظهار العزيمة بأن صراط إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ليكون صراطنا أيضًا وإننا لا نبطئ أقدامنا من فضل المشي على هذا الصراط، فالإسلام ليس أقل أهمية مما قدّمه بعمله على هذه الأرض، والوصول مرة بعد أخرى إلى منحدر المروة يلقّن أنه لتكن نهاية حياتنا منحراً كمثّل هذا".²

حقيقة الذبح:

والاعتراض الثاني في المقالة يتعلق برؤيا إبراهيم عليه السلام عن الذبح، فقد كتب الإمام الفراهي مبادئ عن الرؤيا في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" قبل البحث عن واقعة الذبح، فاستنتج منها صاحب المقالة أن الإمام الفراهي قد رأى أن الرؤيا التي تمت إرائتها لإبراهيم عليه السلام كانت مثلاً لا عيناً وقد أريد بها أن يقف ابنه لخدمة الكعبة ولكن إبراهيم عليه السلام رآها عينية بسبب الخطأ الاجتهادي فلذلك استعد على تعميله بعينه" ثم حاول صاحب المقالة لإثبات أن جمهور العلماء لم يقبلوا هذا الرأي، وينفرد به الإمام الفراهي وهو ليس على حق".

ولنصرح هنا أن صاحب المقالة قد وهم حيث ظنّ أن الإمام الفراهي يرى أنّ إبراهيم عليه السلام لم يفهم تعبير رؤياه، فزعم أنه منفرد به لذا نوّض القضية ونقدّم تفصيل وجهة نظر الفراهي فيها.

ولعل صاحب المقالة لم يراجع من كتب الإمام الفراهي سوى "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" الذي اكتفى فيه الإمام بضبط مبادئ متعلقة بالرؤيا وإلا أنه لم

¹ الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 4/158

² الشيخ صدر الدين الإصلاحي، إسلام ايك نظر مين (لمحة عن الإسلام)، 1960م، ص 137

يكن تعبير رؤيا إبراهيم عليه السلام دقيقاً إلى حد لم يقدر أن يفهمها، فلم يفسرها الإمام الفراهي في أي مؤلفاته ولم يكتب شيئاً عنها، إنه قد ناقش عنها في كتابه "التكميل في أصول التأويل" غير الكامل إلى حد وكتب الشيخ سيد سليمان الندوي عنها في أفضل صورة في تأليف العلامة شبلي النعماني "سيرة النبي" (المجلد الأول) حاشية مطولة،¹ فلنقرأ قول الإمام الفراهي في أدناه، فهو يكتب:

"وإن إبراهيم عليه السلام لم يصبر للتأويل بل صدق الرؤيا التي رآها ولم يعمل رأياً ليأولها إلى ما يكون أقرب إلى العقل وذلك لأنه قد نذر أن يجعل هذا لخدمة الرب ويقربه إليه فلما رأى أنه يذبحه ظن أن الله تعالى تقبل قربانه وأراد تحقيقه فخاف التأويل وأخذ بظاهر التأويل فهو قدوة في الأخذ بالظاهر إذا كان أقرب إلى كمال التعبد فكما هو عليه السلام قدوة لأهل التدبر والنظر والاستدلال والعبد المخلص الطاعة يعصمه ربه من الزيف سواء كان من أهل الظاهر أو أهل النظر وهم العلماء وأن رأس العلم الخشية للرب تعالى..... (بياض في الأصل استحسّن منه هذا الفهم وكان ذلك ابتلاءً عظيماً كما قال تعالى: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٣٦﴾) (بياض)."²

فيبدو منه أن الإمام الفراهي يرى أن إبراهيم عليه السلام لو كان يريد فيقدر على أي تأويل لرؤياه ولكنه لم يتوقف على أيّ حال لمعرفة تأويل رؤياه بل لأنه قد نذر من قبل أن يقف ولده على خدمة الكعبة فيكونه عبداً صديقاً ومطيعاً لم يقم بتعبير وتأويل بل اعتبر منامه حقيقة وقام بنفس الفعل الذي رآه في منامه ووفق قول الشيخ سيد سليمان الندوي "كان هو نتيجة وفور الشوق والإطاعة والحب لله".³

¹ العلامة شبلي النعماني، سيرة النبي، 147/1 (هامش)

² التكميل في أصول التأويل، ص 17

³ العلامة شبلي النعماني، سيرة النبي، 147/1

فالآن حين تبينت الحقيقة تمامًا فالأقوال التي كتبها صاحب المقالة في هذا الصدد هي غير ضرورية فلا نتعرض لها، ولكن ما كتبه ناقدًا على فقرة الشيخ سيد سليمان الندوي فلا بد أن يفكر فيه، فهو يكتب ناقدًا على فقرة الشيخ الندوي: "الأنبياء يعرفون جيدًا تعبير ما يرونه في المنام في صورة تمثيل ولا يستحسن ولو منهم أي عمل قاموا به ولم يأمر به الله بمجرد الشوق والطاعة".

ولو صحَّ عدم استحسان عمل لم يأمر به الله ولكن ذكرت أمثلة عديدة حيث قام الأنبياء بعمل لم يأمرهم به الله لمجرد رغبتهم في الدين والطاعة فمثلاً جاء في القرآن عن موسى عليه السلام عدة مرات أن الله قد دعاه إلى الطور لإعطاء أحكامه وإرشاداته على ميعاد محدد ثلاثين يومًا وذلك لكي تتم تربيته الروحية عن العبادة ليقدّر على تحمل هذا الكتاب ولكنه عليه السلام قد بلغ الطور قبل الميعاد بعشرة أيام لمزيد من الشوق والطاعة، وحينما سأله الله عن هذه العجلة قال: "عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى" ¹. فأحب الله فعله هذا وأجاز له أن ينزل بالطور لمدة أربعين يومًا، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الحدث هكذا: "وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أََرْبَعِينَ لَيْلَةً" ².

وكذلك يصحّ أن العلماء القدامى الذين قبلوا هذا الرأي عددهم قليل ولكن لا يجب أن نطلب من أولي النظر وأصحاب التحقيق والاجتهاد أن يقبلوا آراء الآخرين بدون النظر فيها، ولقد كان الإمام الفراهي محققًا وناقدًا ومجتهدًا ومفسرًا فقد كان له خيار أن يخالف تمامًا الأقوال التي لا تطمئن بها الأنفس، وما كتبه العلامة شبلي النعماني والشيخ سيد سليمان الندوي ليس سوى صدى ما كتبه الإمام الفراهي ولكنهما قدّما فكرته بأساليبهما لما أن فكرته لم تضبط تمامًا فقد استشهد

¹ سورة طه: 84

² سورة الأعراف: 142

العلامة شبلي ببعض كبار الصوفية بينما قال الشيخ سيد سليمان إنه يتبع بعض كبار العلماء، ويبدو من هذا أن هؤلاء العلماء الثلاثة يؤيدهم العلماء الكبار القدامى فنجد في كتب التفاسير المعروفة ما يثبت أن إبراهيم عليه السلام لم يؤمر بالذبح حقًا ولكنه ظنّه هكذا واستعدّ بذبح ابنه، فقد ورد في "فتح القدير" للعلامة الشوكاني و"الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

"وقال بعضهم إن إبراهيم عليه السلام ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو قري الأودار وأنهار الدم وإنا رأينا أنه أضجعه للذبح فتوهم أنه أمر بالذبح الحقيقي".¹ وقد حمل القاضي أبوبكر ابن العربي هذه الرؤيا على الكناية في كتابه "أحكام القرآن"، فهو يكتب:

"فقال إبراهيم لابنه: رأيت أني أذبحك في المنام فأخذ الوالد والولد الرؤيا بظاهرها واسمها وقال له افعل ما تؤمر، إذ هو أمر من قبل الله تعالى لأنهما علما أن رؤيا الأنبياء وحى الله واستسلما لقضاء الله، هذا في قرّة عينه وهذا في نفسه، أعطى ذبحاً فداءً وقيل له هذا فداءك فامتثل فيه ما رأيت فإنه حقيقة ما خاطبناك فيه وهو كناية لا اسم".²

وقد ورد هذا في كثير من كتب التاريخ والتفسير المشهورة بوضوح أن الملائكة حينما بشرُوا إبراهيم بولده الحليم نذر أنذاك أنه سيكون "ذبيح الله" أي يخلص لخدمة بيت الله ولنعلم أن المراد من كلمة "الذبيح" في الملة الإبراهيمية هو النذر في سبيل الله ويوقفه لخدمة بيت الله)،³ ولاحظ نص تفسير "البحر المحيط":

¹ الشوكاني، فتح القدير، 405/4، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 103/15

² القاضي أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 18-16/4

³ راجع إلى كتاب العلامة الفراهي "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، ص 67-68، والشيخ سيد سليمان الندوي، سيرة النبي، 246/5، 136/1

"قيل حين بشرت الملائكة بغلام حليم قال هو إذن ذبيح الله، فلما بلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذكرك".¹

فيبدو من هذا أن المطلوب من رؤيا إبراهيم لم يكن ذبحه بل كان وقفه لخدمة بيت الله، وكل ما كتبه الإمام الفراهي ليس ببذع بل يؤيده شذمة من العلماء في كل عصر ومصر وهذا هو الذي يبدو صائبًا. والله أعلم.

أصل سنة رمي الجمار: وأما الاعتراض الثالث فهو يتعلق بـ"رمي الجمرات". يكتب صاحب المقالة:

"إن القول المشهور في 'رمي الجمار' أن إبراهيم عليه السلام حينما خرج للنحر عرض له الشيطان ليضله فرماه بالحصى، ورمي الجمرات تذكّر لتلك الحادثة بينما يقول الإمام الفراهي إنها تذكّر لما فعله أهل مكة مع أبرهة ورموه بالحصى حينما هجم على قبلتهم. يقول:

"قد دلت الأمارات الكثيرة على أن رمي الجمار بمنى كان تذكرة لرمي أصحاب الفيل"² فإنه قد ذكر فيه دلائل كثيرة لإثبات وجهة نظريته فسنذكرها فيما بعد بالإيجاز وسوف نحللها تحليلًا علميًا".

يجب قبل الرد على هذا الاعتراض أن نوضح أن واقعة الذبح التي يراها المسلمون أنها وقعت في منى ولكنها في الحقيقة وقعت في المروة أو في موضع قريب منها، فقد ذكرت مواضع عديدة في كتب التاريخ والتفسير، فيكتب الإمام الشوكاني في "فتح القدير":

¹ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، ط2، 1983م، 369/7 حسين بن عبد الله الدياد والبكري، تاريخ الخميس، ط1، 1303م، 108/1 وابن الأثير، الكامل، دار صادر، بيروت، 1982م، 111/1

² الإمام عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة الفيل، ص 468

"قد اختلف في موضع الذي أراد ذبحه فيه فقيل مكة في المقام، وقيل في المنحر بمى عند الجمار وقيل على الصخرة التي بأصل جبل بئر وقيل بالشام".¹ كذا ذكرت أسماء الأماكن الأخرى في الكتب الأخرى، ولكن يثبت من التوراة صراحةً ومن القرآن إشارةً أن المنحر الحقيقي لإبراهيم عليه السلام كان عند الكعبة أو نواحيها، ولقد كذب الإمام الفراهي في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" في ضوء التوراة دعوى اليهود الذين زعموا أن واقعة الذبح حدثت في أورشليم أو عند هيكل سليمان عليه السلام أو عند جبل حزيرم"، وأثبت أن المنحر الحقيقي هو "المروة" التي تقع قريباً من بيت الله. وقد اتفق المسلمون وأهل الكتاب على أن المنحر الإبراهيمي كان قريباً من بيت الله "بينما تقع "منى" على بعد حوالي أربعة أو خمسة أميال من بيت الله"² ونلخص فيما يلي ما كتبه الإمام الفراهي: "ذكر مكان الذبح في التوراة "مريه" أو "موريه" أو "موره".... زعمت اليهود أن هذا الموضع هو موضع هيكل سليمان في أورشليم، وزعمت النصارى أنه موضع صلب المسيح عليه السلام حسب معتقدتهم، ولكن المحققين منهم قد أثبتوا أنه باطل محض". ثم قال في تأييد ذلك: "ويذكر إسطانلي المحقق رأيه المنقح هكذا:

"..... لم ذلك ما اختاره اليهود على جبل موريا في يروشلّم. وأبعد من ذلك ما يزعمه المسيحيون بقرب كنيسة القبر المقدس، وأبعد من ذلك ما يزعمه المسلمون على جبل عرفات بمكة، الأشبه أن يلتبس ذلك على جبل جزييم وهو أنسب بالمذبح شكلاً".³

ثم قال الإمام الفراهي إن اللفظ الأصلي هو "مروه" بعد الإجابة عن قول إسطانلي المتعلق بجبل عرفات وبالإضافة إلى الإيضاح عن الوجوه والعلل في ضوء إملاء

¹ الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر، 405/4

² محمد رابع الندوي، جزيرة العرب، مطبعة لكتناؤ بيلشنغ، آفسييت، ص 234

³ الإمام عبد الحميد الفراهي، الرأي الصحيح في من هو الذبيح، ص 44، 54، الملخص

وقواعد اللغة العبرانية التي تغير مروء بناءً عليها في "مريا" ثم "موره" حتى "موريه" وغيرها ثم أوضح بالدلائل أن ميزات هذا الموضع التي تذكر في التوراة هي تنطبق على "المروء" تمامًا بينما لا توافق بأي صورة مع هيكل سليمان وكنيسة القبر المقدس وجبل جزييم.

وقد استدلل الإمام الفراهي بالأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية على قوله المذكور أعلاه، وأجاب أيضًا عن الإشكال "لو أثبت هذا أن المروء هي المنحر الحقيقي تاريخيًا فلماذا يقدم القربان في منى؟" وإليك ملخص البحث:

"وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أشار إلى المروء حين رأى البُدن واقفةً عندها فقال "هذا المنحر وكلّ فجاج مكّة منحر منحر وطرقها منحر"، وقال مرة لمنى: "هو منر: (موطأ)، وبذلك بين أن منى من طرق مكة وانظر كيف سعى النبي ﷺ كل ذلك منحرًا، وأما المروء فسمّاها (المنحر) أي هي المنحر الحقيقي.

ثم على ذلك دلالة من القرآن حيث قال تعالى في أمر البدن: (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [سورة الحج: 33] (هَذَا بَلَدٌ الْكَعْبَةِ) [سورة المائدة: 95] أي لا بدّ للبُدن أن تبلغ الكعبة فإن محلها جانب الكعبة التي هي البيت القديم الذي وُضع لذلك أولًا، كما صرح في موضع آخر.¹

إن المروء تقع بجوار الكعبة وهي المنحر الأول ولكن توسّعت دائرة المنحر الأول بتوسّع دائرة الأمة، وقد تم الاتفاق بيننا وبين أهل الكتاب على أن المنحر الإبراهيمي هو عند بيت الله كما في التكوين (9:12-6).²

¹ المصدر نفسه، ص 55

² المصدر نفسه، وقال العلامة شبلي النعمان والسيد سليمان الندوي إن المنحر الحقيقي هو المروء أيضًا وأجاب عن الاعتراض المذكور أعلاه نفس ما أجابه الإمام، راجع: سيرة النبي،

فلما ثبت أن المنحر الحقيقي هو "المروة" دون "منى" فكل ما يقال عن النحر في منى لا أساس له ولا حقيقة، كما يقول السيد أبو الأعلى المودودي رحمه الله: "يعرف عامة أن عملية رمي الجمار هي في ذكرى تلك الحادثة التي وقعت مع إبراهيم عليه السلام يعني أن الشيطان عرض له عند ذبح إسماعيل عليه السلام وحاول إيقافه فرماه بالحصى نفس الوقت أو حينما أعطي الكبش فدية عن الذبح فهرب فرماه بالحصى ولكن ما وردت رواية في الحديث الصحيح صحيح تبين أن هذا هو السبب الحقيقي لرمي الجمار".¹

وبعد تلك الصراحات تبقى جميع اعتراضات كاتب المقالة باطلة، ولكن مع ذلك يمكن أن ينشأ سوء الفهم عن الإمام الفراهي بمقالته، فلذلك لا بد أن يفكر في نوعية اعتراضاته.

وقد كتب الإمام الفراهي:

"إن الحج ومناسكه كان أمراً قديماً وبقي من عهد إبراهيم عليه السلام وافتدت به العرب كلهم وكثر ذكره في كلامهم قبل الإسلام إجمالاً وتفصيلاً، فذكروا الإحرام، والاستلام، والطواف وطير الحرم، وكون الصفا والمروة من شعائر الله، وسوق الهدي إلى منى، والنحر وزيارة عرفة، والوقوف عند منى ثلاثاً..... وإنما المقصود ههنا أننا لا نجد في كلام العرب قبل الإسلام ذكر رمي الجمرات، فالأقرب إنه أمر جديد ولم يكن إلا بعد واقعة الفيل".²

فيكتب صاحب المقالة ناقدًا على القول المذكور أنقًا للإمام:

¹ الشيخ أبو الأعلى المودودي، خطبات، المطبعة المركزية الإسلامية، دلي، 1974م، 4/40-41، (هامش)

² الإمام عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة الفيل، ص 87-88

"لا يكفي عدم ذكر رمي الجمرات في الكلام الجاهلي دليلاً على تذكّر واقعة الفيل، وإن كانت مناسك الحج الأخرى تجري منذ زمن إبراهيم عليه السلام وأضيف إليها رمي الجمرات بمناسبة خطورة واقعة الفيل، فكان هذا عملاً استثنائياً يجب أن يذكره الشعراء المتأخرون في قصائدهم، ولكننا نرى أن الشعراء الإسلاميين لا يذكرونه ولو في بيت واحد يرمز إلى علاقة رمي الجمرات بواقعة الفيل، حتى لا توجد ولو لمحة خاطفة عنها في نثرهم ورواياتهم التاريخية".

فيبدو من كلام صاحب المقالة كله أن فكرة الإمام الفراهي كلها مبنية على أن رمي الجمرات لم يذكر في الكلام الجاهلي بينما اختاره الإمام الفراهي على القرائن الأخرى المتعددة، ويبدأ الأخ الندوي مقاله بنفسه كما يلي:

"إن القرائن المتعددة تدل على أن رمي الجمرات تذكّر واقعة الفيل، وقد ذكر الفراهي عدة أسباب ودلائل لوجهة نظره..".

ومن هذه الوجوه والقرائن العديدة أنه لم يُذكر في الكلام الجاهلي، بينما ذكرت جميع المناسك الأخرى، وهذا صحيح أنه لا ينحصر إثبات شيء وعدمه في الكلام الجاهلي، ولكن لا يمكن إنكار أهمية أشعار العرب البتة فقد اعتبرت ديوان العرب¹ حتى قال عمر الخطاب رضي الله عنه:

"عن ابن سيرين قال قال عمر بن الخطاب كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه".²

فلذلك نظراً إلى أهمية مناسك الحج التاريخية والدينية لا يمكن الإغماض عن أن مناسك الحج كلها تذكر إلا ركنًا خاصًا فلا يوجد ذكره في أي موضع وأما كون رمي الجمرات تذكّر واقعة الفيل فلا بد أن يذكر من الشعراء اللاحقين، فيوجد ذكره

¹ محمد سلام الجمعي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ص 16

² المصدر نفسه، ص 16

ولكن لا توجد صراحة عن كونه تذكراً لأي شيء؟ لأن كلام الشعراء لا يفصل الأمر إلى هذا الحد فلذلك نرى أن الشعراء العرب يذكرون رمي الجمرات على قبر أبي رغال في أشعارهم ولكن لا يذكرون أي سبب لذلك وكذلك يوجد في النثر والروايات التاريخية أن رمي الجمرات ليس سنة إبراهيم عليه السلام بل أضيف إليه فيما بعد، فسوف نوضحه فيما بعد.

فإن تعليق صاحب المقالة على القول المذكور أعلاه للإمام "لم يذكر رمي الجمرات في الكلام الجاهلي" بأن "بعض الأشعار الجاهلية أيضاً تشير إلى رمي الجمرات" فيبدو منه أن العرب كانوا يقومون برمي الجمرات خلال الحج قبل الإسلام واستشهد على ذلك بما يلي من البيتين:

فأقسم بالذي قد كان ربي وأنصاب لدى الجمرات المغر

لأدركهم شعث النواص كأنهم سوابق حجاج توافي المجرما

أخذ هذان البيتان من كتاب الدكتور جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ولنصرح أن الشعر الأول يتعلق بالعصر الإسلامي فقد كتب رثاءً على قتلى قريش في غزوة بدر، بينما الصراحة موجودة في ابن هشام،¹ فلا يصح الاستدلال به على العصر الجاهلي فيكتب صاحب المقالة نفسه بعد ذكر بعض الأشعار لأبي طالب:

"ولو أن هذه القصيدة تتعلق بالعهد المكي الذي وصل فيه خلاف المشركين إلى غايته فلا يمكن الاستدلال به على العصر الجاهلي".

فلما لا يصح الاستدلال بأشعار أبي طالب خلال العصر المكي فكيف يصح الاستدلال بأشعار ما بعد غزوة بدر في العصر المدني".

¹ ابن هشام، 2/33-35 النسخة الجديدة المحققة

وأما البيت الثاني فيُنسب إلى حذيفة بن أنس الهذلي، كما ورد في لسان العرب وغيره،¹ ولكن حذيفة شاعر مجهول لم أجد ترجمته فلا يصح الاستدلال به، ولو وهبنا أن رمي الجمرات مذكور في الكلام الجاهلي كما يعرف بأشعار "الأصمعيات" وغيرها ولكن لا يرد بها اعتراض خاص لأن هذه العملية كانت جارية عند العرب قبل قرن أو على الأقل قبل أربعين سنة.² فيجب ذكره.

يرد صاحب المقالة قائلاً:

"فلا يصح أن العصر الجاهلي يفقد الدليل على رمي الجمرات فلما نراجع بهذه المناسبة كتب التاريخ فنجد فيها فلذلك صرح بعض المؤرخين أن "رمي الجمرات" كان موجوداً عند العرب الجاهليين.

فنقول إن بعض المؤرخين قد صرحوا عن وجود الدلائل على رمي الجمرات في العصر الجاهلي³ ولكنهم أيضاً صرحوا أن هذا الرمي ليس ذكرى لصورة مشوهة لعصر إبراهيم عليه السلام، بل أسسه عمرو بن لحي قبل أعوام أو قبل قرن من الإسلام، كما يفصل الدكتور جواد علي في كتابه المذكور أعلاه:

"ويرجع أهل الأخبار مبدأ رمي الجمرات إلى عمرو بن لحي، يذكرون أنه جاء بسبعة أصنام فنصبها بمني عند مواضع الحجرات وعلى شفير الوادي ومواضع أخرى. وقسم عليها حصي الجمار إحدى وعشرين حصاة يرمى كل منها ثلاث جمرات".⁴

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 147/4، مادة: ج م ر

² يوجد هذا القول بين الأقوال المختلفة عن واقعة الفيل التي حدثت قبل ستين عاماً من ولادة النبي ﷺ، ولكن المشهور أن هذه الواقعة حدثت في نفس السنة لولادة النبي ﷺ، راجع: العلامة سيد الألوسي، روح المعاني، سورة الفيل

³ قد أشار صاحب المقالة إلى مراجع من "المفصل" للدكتور جواد علي، و"العصر الجاهلي" للدكتور شوقي ضيف، و"الرحلة الحجازية" لمحمد لبيب البتنوني

⁴ الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة النهضة، بغداد، 1980م، 386/6

ونرى أن الدكتور جواد علي هو الذي كتب عن هذا الموضوع أكثر تفصيلاً وتحقيقاً بينما لم يكتب الآخرون إلا إجمالاً أو خطفة،¹ وهذا كله لا يفصل هذا الرمي من العرب، بينما يبدو من تحقيق الدكتور جواد علي أن التصور الراهن لرمي الجمرات مما قد أضيف إلى مناسك الحج فيما بعد، وأما صاحب المقالة فقد رد على هذا القول علماً بأنه لو كان سنة إبراهيمية قديمة أو تذكراً لإحدى سننه القديمة لاهتم بذكره المؤرخون، فلذلك حينما ندرس ما كتب عن تاريخ مناسك الحج فنجد فيها صراحة عن جميع المناسك، وكيف تم أداؤها في ذلك العصر، وما هي الأشياء التي أضيفت إليها مع مرور الزمن وبناء على الاعتقادات الجاهلية، وكيف يراها العرب، ولكن لم يذكر رمي الجمرات في أي موضع منها ولم يجد الكاتب أي تفصيل في مكان ما، وهذا يؤيد القول بأن هذه الأشياء مما أضيفت إليها فيما بعد.

ويؤيد رأينا أن جميع المؤرخين يكتبون عن ظهور عبادة الأوثان في جزيرة العرب وترويجها فيها وأن هذه العبادة ولو بلغت قمته وشوّه الدين الذي دعا إليه إبراهيم ولكن بقيت بعض ذكرياته، وحينما يعدّون تلك الذكريات فلا يذكر أحد منهم رمي الجمرات، فعلى سبيل المثال يكتب العلامة ابن كثير:

"قال ابن إسحاق² واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات..... وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وهدي البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه".³

¹ فلذلك كتب الدكتور شوقي ضيف فقط "وكان من تقاليدهم رمي الجمرات"، ص 793، وكذلك وردت ألفاظ متعددة فقط في الكتب الأخرى، ولم يستطع الكاتب الحصول على كتاب محمد لبيب البتنوني،

² نقلنا رواية ابن إسحاق عمداً لأنه راو ثقة عند خصامنا.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، الطبعة الثالثة، 1979م، ابن هشام، 78-77/1 نسخة جديدة محققة، 188/2

وكذا ذكر الأزرقي في كتاب "تاريخ مكة" روايات تؤيد دعوانا:

"عن ابن خيثم عن أبي الطفيل قال: قلت له: يا أبا الطفيل هذه الجمار ترمي في الجاهلية والإسلام كيف لا تكون هضاباً تسد الطريق؟ قال: سألت عنها ابن عباس فقال: إن الله تعالى وكل بها ملكاً فما تقبل منه رفع، وما لم يتقبل منه ترك".¹

كما طرح السؤال المذكور أعلاه في رواية أخرى ذكرها سعيد بن جبير وابن جريج وهي كما يلي:

"أخبرت أن نفيحاً كان جالساً عند ابن عمر رضي الله عنهما إذ قال له رجل يا أبا عبد الرحمن ما كنا نترأى في الجاهلية من الحصى والمسلمون اليوم أكثر ثم إنه لضحضاح فقال ابن عمر رضي الله عنهما إنه والله ما قبل الله من امرئ حجة إلا رفع حصاه".²

كما سئل في بعض الروايات "هل ابتدئ رمي الجمرات بعد مجيء الإسلام أو قبله؟"³ ولقد صرح الشيخ المودودي رحمه الله أن هذه تذكرة واقعة الفيل، فهو يكتب: "فهو يرمي الجمرات على تلك القواعد الثلاث في اليوم الثاني مرة مرة يقال له "الجمرات" وإنما تذكرة لفشل أصحاب الفيل الذين قدموا بمناسبة الحج في نفس السنة لبعثة النبي ﷺ إلى هدم بيت الله.....".⁴

ولعل رمي الشيطان بالحصى قد عمّ لأن واقعة الفيل حدثت في موسم الحج ولذا يؤدي هذا التقليد في موسم الحج فجعل هذا التقليد يعتبر تذكرة لإبراهيم عليه السلام مثل المناسك الأخرى للحج، ثم قدّم له توجيه خاص.

¹ الإمام أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مطبعة دار الثقافة، مكة، ط4، 1983م، 177/2

² المصدر نفسه، ورد في رواية "في الجاهلية والإسلام" ومن المعلوم أن تلك الرواية غير صحيحة في وجود الروايتين المذكورتين أعلاه أو المراد بـ"الجاهلية" عصر ما بعد واقعة الفيل.

³ العلامة جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 1/1.

⁴ الشيخ سيد أبو الأعلى المودودي، خطبات، مركزي مكتبة إسلامي، نيودلهي، 1974م، 4/5

وقد كتب الإمام الفراهي: "أن أصحاب الفيل رموا بموضع رمي الجمرات"¹ بينما يقول المعارض: لكن لم يثبت أداء سنة الرمي في موضع حدث فيه واقعة رمي الحصى على أصحاب الفيل" فاعترض الأخ الندوي لا يقتضيه عقلنا، فإنه لم يذكر سبب إنكاره لهذا القول بينما كتب الإمام الفراهي بقدر من التفصيل في عديد من الصفحات وأثبت قوله،² وقد شاهد ذلك الموضع بنفسه، وكتب صاحب المقالة أيضًا أقوالاً في ضمنه ولكنها لا يعتنى بها.

يكتب الإمام الفراهي:

"فلو كان أصل الرمي، كما زعموا رمي الشيطان لكان النحر في اليوم الثالث أو الرابع بعد الفراغ عن رمي الجمرات ولكن النحر يقع في اليوم الأول من أيام الرمي، فلماذا يرجع الشيطان في اليوم الثاني أو الثالث؟"³

فيكتب صاحب المقالة بعد نقل الفقرة المذكورة أعلاه:

"ولكن لا يصح هذا القول، فلا يجب لاعتبار سنة الرمي كون تذكرة لإبراهيم عليه السلام الالتزام بالتشابه في جميع الأشياء، ويعرف بأن النحر يؤدي في اليوم الأول بعد الرمي وهذا يكفي لإثبات الواقعة نفسها، بينما يعدّ الإمام الفراهي السعي بين الصفا والمروة تذكرة لما أظهره "إبراهيم عليه السلام من السعي عند الذهاب إلى المروة من الصفا فالاعتراض الذي أثاره هنا ينشأ نفسه ضده أي لما ذهب إبراهيم عليه السلام إلى المروة من الصفا مرة واحدة فلماذا تؤدي سنة السعي بين الصفا والمروة سبع مرات؟"

فإنّ هذا الاعتراض ليس إلا خيالي، بينما يتضح جلياً أن رمي الجمرات يطابق مائة بالمائة واقعة الفيل باعتبار نوعيتها، فلا يصح الإنكار شيئاً بقول "لا يجب التشابه

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة الفيل، ص 88-89

² المصدر نفسه، ص 94-96

³ المصدر نفسه، ص 92

في جميع الأشياء" وأما ما يتعلق من السؤال عن "السعي بين الصفا والمروة" لسبع مرات إلى جانب مرة واحدة فيراد بها إظهار عاطفة وقوة خاصة فقط (كما ذكرنا قول الشيخ صدر الدين الإصلاحي أنفًا عن السعي) ولا يروى غليل العاطفة والشوق بمرة واحدة من الفعل.

وقد استدلل الإمام الفراهي على قوله بذكر ترتيب عملي لرمي الجمرات وحجم العمود الثلاثة والدعاء استقبلاً إلى الكعبة بعد الرمي في اليوم الأول والثاني ولا أداء دعاء بعد الرمي في اليوم الثالث وما إليها، فكتب صاحب المقالة ناقلاً هذه الفقرة للإمام الفراهي "إن هذه الدلائل الثلاثة ليست إلا عقلية وخيالية فلا يمكن إثبات شيء بناءً عليها فنذكر عنه أن الإمام قد كتب سابقاً أنه لا يختار في هذه المسألة إلا طريقة الاستنباط فقط لأنه لا يوجد دليل نقلي صحيح، فهو يكتب:

"هذا ولم أجد في صحاح الأخبار من سبب سنة رمي الجمار، فلو ثبت فيه شيء من طريق الخبر لأخذنا به وقرت به العينان، ولكنه لم يثبت، فعمدنا إلى طريق الاستنباط"¹

وتطابق طريقة الإمام الفراهي طرق الأسلاف، فلذلك نرى الأئمة من الفقهاء يذكرون بعض المسائل ولكنهم إذا لم يجدوا دليلاً عليه اعتبروه أمراً تعبدياً أو أثبتوه بالعقل والاستنباط،² فإن قال الإمام الفراهي قولاً معقولاً فلا بد أن يعرض عليه قولاً معقولاً مثله لإنكاره، ولا يكفي اعتباره "عقلياً" أو "خيالياً" فقط.

وكذلك ورد اعتراض من هذا النوع على معنى "جمرة" فيكتب الإمام الفراهي بعدما نقل معانيها الكثيرة والأقوال المختلفة عنها:

"فهذه الأقوال مع بعض الاختلاف فيها تدل على أن الجمرة اسم الجماعة مستقلة لم تنضم إلى أحد من القبائل لاعتمادها على قوتها وبأسها، فعلى هذا نقول: إن

¹ المصدر نفسه، ص 87

² فيوجد كثير من الأمثلة هكذا في "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" للعلامة ابن الرشد، ويغضب العلامة حينئذ على الذين يقولون مثل هذا.

جيش أبرهة كانت أولى بهذا الاسم، فإنها جاءت مخالفة لجميع العرب ولم تنضم إلى أحد من القبائل، والجمرات عند منى لما كانت علامة لهم سميت بذلك الاسم".¹

ويكتب صاحب المقالة وهو ينتقد رأي الإمام وتحقيقه المذكور أعلاه:

"لا يصح اختيار القول من بين هذه الأقوال، الذي يؤيد رأيه ثم يحاول تأويله إلى ما رآه". فنرد عليه قائلين: إذا ذكرت معان مختلفة لكلمة واحدة، فمن المعروف أن يختار معنى واحدًا فقط حسب اقتضاء الحال وفعل الإمام الفراهي نفس الشيء واختار ما هو كان أكثر ملاءمة ومعقولًا حسب اقتضاء الحال، فلم يقلق فيها ولا تردد ولا أول من عند نفسه، ولو أراد ما ادعاه المعارض لما احتاج إلى ذكر الأقوال الأخرى فقول المعارض ليس سوى نوع من ممارسة الاعتراضات.²

يكتب الإمام الفراهي:

"أنهم يذكرون أن أبا رغال الذي صار دليلًا لأصحاب الفيل كان رومي في هذه الواقعة وهلك، فكانت ترجم قبره..... فهذا نظير لرجم أصحاب الفيل، وحمل الأمور على النظائر أولى وإنما ترك رجم قبر أبي رغال لأن الإسلام ترفع عن رجم القبور، ولأن رمي الجمرات يكفي تذكرا لتلك الواقعة، ذلك، والله تعالى أعلم".³ فكتب صاحب المقالة ناقدًا هذا الرأي أن هذه السلسلة مازالت تستمر بعد الإسلام أيضًا، ثم يستدل على قوله وبعد ذلك يقول:

¹ المصدر نفسه، ص 96

² فالأقوال والأراء التي أخذها الإمام لهذا المعنى تشمل ما ذكر في "لسان العرب": "فمعنى الجمرة" "اجتمعت قبيلة ضد القبائل العدوانية كلها للإقدام فبذلك النواحي من منى من حيث ترمي الجمرات يقال لها "جمرات" ومثل هذه الأقوال المتعددة نقلها الإمام من "لسان العرب" فيمكن أن يقول هنا: إن أصحاب اللغة قد ترددوا".

³ المصدر نفسه، ص 96-97

"ويبدو من هذا التفصيل أن العرب ما زالوا يرمون قبر أبي رغال معبرين عن كراهيتهم ولعنهم عليه، ولكن جعله مشايها لأصحاب الفيل وقوله "إن رمي الجمرات تذكرة واقعة الفيل فلذلك ترك رجم قبر أبي رغال" لا يصح".

فنقول إن صاحب المقالة قد ساء فهمه هنا، فمن الأغلب أن قول الإمام رجم قبر أبي رغال نظير لأن قد أضيف بعد واقعة الفيل موضعان إلى المواضع التي يرمي فيها أهل العرب فيعني قبر أبي رغال والجمرات الثلاث صار هذان نظيرين لواقعة الفيل، ولكن الرجم على قبر خاص خلاف الإسلام فلذلك ترقعه، وأما أمر رمي الجمرات عليه التي مازالت ترمي قبره بعد مجيء الإسلام فكيف يثبت بهذا أن الإسلام يجوز له؟ إنما يفعل الإنسان هكذا لتروي غليل عاطفته كما يفعل الأعمال الأخرى الممنوعة.

وناقش الإمام الفراهي رمي الجمرات وأثرها ونتائجها في مبحثه ثم قال: "من يجد في نفسه عاطفة خلال هذه العملية أنه يرمي الشيطان لا يحسن بداعية قوية خاصة، وأما إذا علم أنه يتذكر برمي هذا نصر الله الذي خصه لأهل هذا البيت وأنه تعالى ضلل كيدهم وبدد جمعهم فإنه يتذكر أمراً عظيماً ويجمع همته...."¹

فيعلق صاحب المقالة على القول المذكور أعلاه للإمام الفراهي كما يلي:

"إن هذه النتائج كلها أيضاً مما ابتكره عقل الفراهي وهي أخذت بناء على واقعة مفروضة سابقاً، فالفراهي لا يجد تأثيراً في سنة رجم الشيطان بينما ذكر العلماء الذين يعرفون أسرار وحكم الإسلام تأثيراً عظيماً فيها".

ثم نقل فقرات الإمام الغزالي والشاه ولي الله رحمهما الله وذكر الآثار والنتائج التي تترتب على الأذهان بتصور رجم الشيطان، إذ يمكن أن ينطبق هنا نفس القول

¹ المصدر نفسه، ص 97-98

الذي قاله في رأي الإمام الفراهي معلقاً عليه "إن هذه النتائج كلها أيضاً مما ابتكره عقل المعترض وهي أخذت بناء على واقعة مفروضة سابقاً".

فالآثار والنتائج التي ذكرها الشاه ولي الله والإمام الغزالي لا تشير إليها القرآن والحديث، بينما يشير حديث عائشة رضي الله عنها —كما ذكرناه آنفاً¹— عدا جميع الأحاديث إلى الآثار والنتائج المذكورة من قبل الإمام الفراهي، فنعيده هنا:

"عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله لا لغيره"².

فمن المعلوم أن إقامة ذكر الله يتمكن بتأويل الإمام الفراهي مع عاطفة خاصة، فكيف يمكن أن توجد تلك العاطفة الخاصة بتصور الشيطان؟ والنتائج التي ذكرها الإمام الفراهي هي قريبة الفهم بكونها دقيقة جداً ويمكن ترتيبها على ذهن شخص بسهولة بينما الآثار والنتائج التي ذكرها الشاه ولي الله والإمام الغزالي لا يمكن ترتيبها على ذهن شخص بسهولة.

¹ في مقالة "السعي بين الصفا والمروة"

² الإمام جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 161/1

الانتقاد على "تاريخ مناسك الحج"

- الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي¹

ترجمة من الأردوية: د. محمد معتمد الأعظمي²

نشرت مقالة للأخ المكرم محمد رضي الإسلام الندوي حول عنوان "تاريخ مناسك الحج" في مجلة "الرشاد" الشهرية (عدد يناير، عام 1990م)، فانتقد فيها مقالتي "نظرة على الاعتراضات على بعض الآراء للإمام عبد الحميد الفراهي" التي نشرت في مجلة "حيات نو" الشهرية الصادرة من بلرباغنج بمديرية أعظم كره قبل سنة ونصف تقريباً في العديدين من شهري يوليو وأغسطس لعام 1988م، فقال إن فيها كثيراً من الأشياء التي لا أساس لها، وبما أن هذا نقاش علمي فيجب عليّ بكوني كاتب المقالة أن أوضح أولاً الاعتراضات الموردة من الأخ الكريم لكي لا يسبب ذلك الانتقاد سوء فهم:

ألف: "ذكرنا في مقالتنا أنّ قول ابن عباس في رواية "قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ فلذلك سعي الناس بينهما" إضافة بناء على أصل من المحدثين فقد ردّها بناءً على ذلك الأصل نفسه من المحدثين قائلاً "إنّ إضافة راوٍ موثوق به تكون موثوقاً بها، حيث وردت هذه الجملة في رواية ليس لها راوٍ غير موثوق به".

فنرد عليه قائلاً: قد أوضحنا في مقالتنا أن هذه الرواية قصة طويلة يمكن فيها النقص والزيادة وإلى جانبه وردت رواية عن "السعي" خاصة بما فيها سئل ابن عباس رضي الله عنهما "ما هو سبب السعي؟" فقال "إن إبراهيم عليه السلام حين ذهب به إسماعيل عليه السلام للذبح فأسرع إلى هذا المكان" (وسنتحدث عن هذه

¹ أستاذ التفسير والحديث بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند

² نائب مدير التحرير ومدرس ضيف، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بردوان، بنغال الغربية

الرواية فيما بعد) فهل يمكن أن يقبل النقص والزيادة بعد هذا التوضيح من ابن عباس رضي الله عنه؟ هل لا يوجد هذا الأصل، حين قال الراوي قولاً يخالف روايته فيقبل قوله دون روايته؟

ب: وقد كتبنا في مقالتنا عن الرواية المتعلقة بواقعة هاجر عليها السلام أن الإمام الرازي اعتبرها "الحكاية المشهورة" فيبدو منها أنها تتعلق بالإسرائيليات كما أنه قد ذكر فقراتهم العديدة من هذا النوع حيث قال إنَّ معظم أجزاء هذه الحكاية باطلة ولا أساس لها وبعيدة عن الحقيقة ومقتضية لإعادة النظر فيها، وكذلك ذكر الإمام الرازي أقوال بعض العلماء الآخرين عنها، فهل يصحّ بعد هذا قول الأخ المكرم التالي:

"لا يثبت من قول الإمام الرازي "الحكاية المشهورة" ضعفها وأنها لا أساس لها أو إشارة إلى كونها من الإسرائيليات ولو كان الأمر كذلك فيرد الإمام الرازي بنفسه أو يشير إليها على الأقل؟ ولكننا نرى أن الأمر على العكس فهو ينقلها بنفسه في مواضع مختلفة ويستدل بها" إنَّ الأخ المكرم زعم استدلال الإمام الرازي بهذه الرواية أن الرواية موثوق بها، بينما لا يوزن هذا القول شيئاً، لأنّه حينما قال الإمام الرازي بنفسه إنَّ معظم أجزاءها باطلة وبعيدة عن الحقيقة ومتطلبة لإعادة النظر فيها ولكنه على الرغم من ذلك يحيل إليها ويستدل بها".

ولقد وهم الأخ الكريم باستدلال الإمام الرازي بهذه الرواية أن هذه الرواية موثوق بها بينما هذا القول لا يوزن شيئاً، لأنه حين أبطل الإمام الرازي بنفسه عديداً من أجزاءها واعتبرها بعيدة ومتطلبة لإعادة النظر فيها فما لم تثبت صحتها أو عدم صحتها لا يمكن أن يصحّ أي استدلال بها وأما استدلال الإمام الرازي بها فلا يصحّ بسبب إثارة الشكوك عليها من جانبه.

ج: "وقد نقلنا في مقالتنا رواية لأبي داود "قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم" تأييداً لأنه يثبت كون "السعي" تذكراً لإبراهيم عليه السلام، فاعترض الأخ

المكرم مشيراً إلى "رمي الجمرات" وقال "إنه قد نسي هذه الرواية في ذلك المكان ويقول إن "رمي الجمرات" تذكّر لواقعة أبرهة".

فالرد عليه أن هذه الرواية ليست بصريحة، فيمكن بها أن يلفظ مثل هذا القول بمناسبة أكثر مناسك الحج، وكذلك لا توجد رواية صريحة موثوق بها تدل على أصل "رمي الجمرات" نفسه كما زعمه الناس، فلذلك قد ذكرنا قول العلامة المودودي عنها لتوضيحه، وإلى جانبه قد نقلنا فقرة الدكتور جواد علي المؤرخ العربي حيث ذكر هذا الرأي من المؤرخين المتقدمين "يرجع أهل الأخبار مبدأ رمي الجمرات إلى عمرو بن لحي" وبجانب هذه الرواية توجد تصريحات متعددة تدل على أن رمي الجمرات لا تتعلق بعصر إبراهيم عليه السلام، فكيف يمكن أن يعتبرها سنة إبراهيم عليه السلام بناء على رواية مجملة فقط؟ وتصريح ابن عباس رضي الله عنه فيه وإشارة القرآن إليه (كما ذكرناها في مقالتنا) موجود بأنه تذكّر إبراهيم عليه السلام فلذلك لا يصح اعتبار الاستدلال هنا بالرواية المذكورة وتركه هناك استدلالاً ثنوياً".

د: وقد نقلنا في مقالتنا رواية صريحة من الظهراني والبيهقي: أن إبراهيم عليه السلام قد أظهر النشاط والتعجل حين ذهابه بابنه للذبح ف"السعي" تذكّر لذلك الفعل.

فكتب الأخ المكرم عن لفظ "مناسك" لتلك الرواية (الذي استخدم هنا لمعنى الذبح) أن هذا اللفظ لا يستخدم لمعنى الذبح، بل يستخدم "منسك" للذبح فيراد بـ"مناسك" مناسك الحج وأضاف قائلاً "إنه لا توجد بهذه الرواية إشارة إلى نية فعل إبراهيم عليه السلام من الذبح.

فالرد عليه أن القول بأن لفظ "منسك" لا يستخدم في معنى الذبح "خاطئ فقد جاء في المنجد: المنسك ج مناسك: شُرعة النسك، النسك نفسه" فننقل هنا تلك الرواية كاملة لكي يتمكن القراء من الحكم على مدى صحة دعوى الأخ المكرم.

"عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس رضي الله عنه يزعم قومك أنه ﷺ سعى بين الصفا والمرة وأنه سنة قال صدقوا إن إبراهيم لما أمر بالمناسك اعترض له الشيطان

فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب جبريل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع ثم تله للجبين وعلى إسماعيل قميص أبيض قال: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفيني فيه غيره فاخلعه حتى تكفيني فيه فعالجه ليخلعه".¹

وجاء في الدر المنثور:

"اعترض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم إلخ".²

ه: وقد نقلنا في مقالتنا عن "السعي" من هاجر عليها السلام في وادي مكة المكرمة ونقلنا عنها إنها نتيجة المحبة الطبيعية فكتبنا "لا يمكن لها من العناية والأهمية ما يجعلها تذكاراً أو أسوة للأنبياء والرسل جميعاً الذين أرسلوا فيما بعد، يلزم اتباعها وتقليدها أيضاً بينما ما كانت هاجر عليها السلام نبية ولا رسولاً.

فزعم الأخ المكرم أن قولنا هذا محاولة لتقليل أهمية واقعة هاجر عليها السلام فهو يكتب "إن هذه الواقعة التاريخية لا يمكن أن تقل أهميتها بسبب محبة الأم الطبيعية"، ثم يمثل مريم عليها السلام قائلاً: "إنها كانت تمر بمرحلة مشكلة حينما تتعرف على حملها، بالرغم على كونها غير ملموسة من رجل... إنه أمر طبعي فهل قلت أهمية تلك الواقعة المتعلقة بـ"مريم عليها السلام" وفكر أن القرآن قد فضلها على جميع نساء العالم مع أنها قد مرت بمرحلة فطرية: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" ³

فنرد عليه أن الأخ المكرم قد وهم أن الآية المذكورة عزاء وبشرى لمريم عليها السلام عند ضيقها وألمها وكرهها. وزعم أن هذه المنزلة العظيمة التي أعطاها الله نتيجة

¹ جمع الفوائد، 1/185

² الدر المنثور، ص 161

³ سورة آل عمران: 42

لألمها وكرهها ومشكلتها، وإن لم تصح تمامًا لأن هذه المنزلة العظيمة قد شرفت بها قبل ثم حدثت واقعة الألم والكرب، فإن هذه الآية حكاية للأمر الذي حدث إذ جاء ملك إلى مريم عليها السلام من الله وتكلم معها قبل أن تمر بهذه المحنة والمشقة، ويتضح جلياً بسياق الآية الكريمة ومشابهة بشري زكريا عليه السلام بأولاده وبشري مريم عليها السلام المذكورة أعلاه، أن هذه الآية تتعلق بزمن مشقة مريم عليها السلام قبلها لا بعدها. فلذا لا يصح ذكر واقعة مريم عليها السلام في المسئلة المذكورة أعلاه تمثيلاً بطريقة ما.

و: وقد نقلنا بعض الأقاويل من كتب الإمام الشوكاني، والقرطبي، ابن العربي وأبي حيان الأندلسي متحدثاً عن الذبح، فكتب عليها الأخ المكرم أن جميع هذه الأقوال بعد القول الراجح مذكورة بـ "قيل أو قال بعضهم" التي تشير إلى ضعفها ومرجوحيتها، ثم أضاف قائلاً: "إنه يدغم وجهة نظره بأنواع من الروايات المهمة وهي لا يحسن الاستدلال بها".

فالرد على قوله أننا نفكر أولاً في القرآن والحديث عند التأويل والتفسير ثم نرى بعد الوصول إلى نتيجة "هل يوافقها قول من أقوال السلف أم لا؟ فإن يوجد القول الموافق لها فيصح وإلا نفكر في رأينا للاطمئنان. والرأي الذي يأتي إليه بعد التفكير نطمئن به لأن رأينا يكون نتيجة أفكارنا دون المستعار، ثم حين يوجد الرأي الموافق فيستحكم أكثر اطمئناناً أن المتقدمين أيضاً اختاروه ولو عبّر ذلك الرأي بكلمات "قيل أو قال بعضهم" فليس منهجنا تقليد الآخرين، فالأقوال التي أخذناها من كتب القرطبي وابن العربي والشوكاني ليست هي مآخذنا بل الهدف وراء ذكرها أن المتقدمين أدلوا بنفس الآراء التي كتبها الإمام الفراهي بل ازدادوا قولاً، فنقل أبو حيان "قيل حين بشرت الملائكة أن إبراهيم عليه السلام بغلام حليم قال هو إذن ذبيح الله" فيعدها صاحب المقالة عدم الاستدلال بها، والمفسرون الذين نقلوها يعدونها قولاً حسناً وراجحاً، وذكر بعض المفسرين الآخرين هذا القول أيضاً دون أبي حيان.

ز: وقد نقل الأخ المكرم بيتين إثباتاً لأن ذكر "رمي الجمرات" موجود في الكلام الجاهلي، وزعمهما شعيرين من الجاهلية وأثبتنا بعد التحقيق أنهما لا يتعلقان بالعصر الجاهلي فلا يصح الاستدلال بهما، فقد نقل الأخ اقتباساً من فقرتنا بالنسبة إلى هذا وأراد بها القول "أنه في جانب يكتب ناقلاً من الأصمعيات أن رمي الجمرات كان رائجاً في الجاهلية وفي جانب آخر ينكر باتاً أن ذكر رمي الجمرات لم يكن موجوداً".

فالدرد عليه أنه لو قرأ أحد مقالتنا الكاملة بإمعان النظر فيها فلا يجد فيها ما يخالف بعضهما البعض، وفقرتنا التي قررها صاحب المقالة من هذا النوع تعني أن ذكر رمي الجمرات لا يوجد في أشعار العرب ولو وجد بها فلا يمكن رد فكرتنا، لأن هذا التقليد كان رائجاً منذ مئة سنة أو أربعين سنة على الأقل، فلما كانت مثل هذه الطريقة رائجة بينهم منذ قرن أو أكثر فلا بد لها أن يوجد ذكرها في الأشعار الجاهلية، وقد كتبنا نقلاً عن الأصمعيات أنه يوجد بعض الإشارات إلى رمي الجمرات ولكنها لم تتضح، فقد زعم صاحب المقالة فقرتنا صراحة وقررها ببياناً مضاداً فنذكر تلك الفقرة فيما يلي، ونخلي القراء يحكموا هم بأنفسهم:

"ولو افترضنا أن "رمي الجمرات" مذكور في الكلام الجاهلي كما يثبت ببعض أبيات الأصمعيات فلا يعترض عليه لأن هذا التقليد كان رائجاً بين العرب منذ مئة سنة أو أربعين سنة فلا بد لها أن تذكر."

ح: ونقلنا رواية من كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" للأزرقي يصرح فيها "أن رمي الجمرات قد ابتدئ مع الإسلام" واتهم صاحب المقالة "أن الرواية التي كانت تساعد أخذت ولكن لم تؤخذ الروايات المتعددة التي كانت تصرح عن كون رمي الجمرات سنة إبراهيم عليه السلام".

فالدرد عليه أننا لم ننكر بوجود الروايات التي تدل على كون رمي الجمرات سنة إبراهيم عليه السلام، ولكن في الحقيقة لا يوثق بمثل هذه الروايات حسب تحقيق الإمام

الفراهي والشيخ المودودي ولا يمكن الاستدلال بها، والأقوال والروايات التي نقلناها في تأييد قولنا بطرق مختلفة تشمل رواية الأُرقي تلك". ولم يهدف منها سوى أن رأي الإمام الفراهي والشيخ المودودي عن حقيقة رمي الجمرات موجود عند المتقدمين أيضًا وتوجد الروايات والأفكار في كتب التاريخ التي توافق رأيهما فلذلك لا يصح القول أننا لم نأخذ من الروايات سوى ما يوافق رأينا وتركنا ما لا توافق.

الدائرة الحميدية

-د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي¹

قد ساهمت الهند في نشر الثقافة الإسلامية وإثرائها مساهمة كبيرة من نواح مختلفة. ومنها أن كثيراً من أمهات الكتب العربية في التفسير والحديث والفقه والتراجم والعربية والفلسفة والمنطق والطب والعلوم طبعت في هذه البلاد. وأكبر من ذلك أن عدداً ملحوظاً من المصادر وذخائر التراث العربي إنما يرجع الفضل في إخراجها إلى النور لأول مرة إلى المؤسسات والمطابع الهندية. وما أمر دائرة المعارف العثمانية بسرّ. ومن يجهل فضلها في إحياء التراث العربي الإسلامي في شتى حقول المعرفة، وقد سبق التعريف بهذه المؤسسة العظيمة في عدد سابق من هذه المجلة.²

واليوم نريد أن نعرف إلى قرائنا دائرة أخرى قديمة للنشر والتوزيع، ومع أن معظم مطبوعاتها باللغة العربية، وتبحث في الدراسات الإسلامية وعلوم العربية، ولكن قلما يعرف عنها العلماء والباحثون في الأقطار العربية وأوساط الاستشراق لأسباب كثيرة نشير إلى بعضها فيما يأتي:

قد أسست هذه الدائرة في أوائل سنة 1936م بعد وفاة الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله صاحب تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" بست سنين. وسمّيت باسمه "الدائرة الحميدية".

كان الإمام الفراهي من العقول الكبيرة المعدودة التي أنجبها الهند، وقل نظيره في العلماء المتأخرين. وكان الرجل الوحيد - من بين علماء عصره - الذي تلقى العلوم القديمة والحديثة بلغاتها من غير واسطة. وقد تتلمذ على ابن عمته العلامة شبلى

¹ محقق هندي كبير له مساهمات جليلة في مجال الدراسات العربية والإسلامية

² انظر: العدد الثاني من المجلد السادس، يونيو 1955م

النعماني- وكان أكبر منه بست سنين - والعلامة فيض الحسن السهارنفوري شارح المعلقات والحماسة، والمستشرق توماس أرنولد. وكان متضلعا من عدة لغات من العربية والفارسية والإنجليزية والعبرية - وقد أخذها عن المستشرق الألماني جوزف هوروفتش الذي استكمل - بدوره - العربية عن الفراهي - مع إمام بالفرنسية والسر بانية. وله شعر رائع بالعربية والفارسية والفهلوية. وكان إماما في التفسير والعربية ومعروفا بعلو كعبه في الفلسفة القديمة والحديثة وعلم الهيئة، واطلاعه الواسع على الصحف القديمة وقد استأثر القرآن الكريم وعلومه بجهوده الفكرية، ووقف نحو أربعين ربيعاً من عمره لتدبر القرآن الكريم والنظر فيه واكتناه أسرار. وقد اكتشف منهجاً جديداً ممتازاً في التفسير كان له تأثير بعيد في التفاسير التي ظهرت فيما بعد باللغة الأردية نحو "ترجمان القرآن" لأبي الكلام آزاد، و "التفسير الماجدي" لعبد الماجد الدرابادي وغيرهما. وتمتاز مؤلفاته كلها بسمه الاجتهاد والابتكار مما جعله نسيج وحده في عصره. وقد لقبه العلامة السيد سليمان الندوي - وهو أعرف بفضله ومكانته - بابن تيمية العصر في كلمة تأييده بمجلة "معارف". وقد لخص العلامة شبلي النعماني نفسه "جمهرة البلاغة" للفراهي باللغة الأردية في مجلة "الندوة"، وهو كتاب قيّم جداً في علم البلاغة، رد فيه المؤلف نظرية المحاكاة لأرسطو رداً قوياً. ودعا إلى تأسيس علم البلاغة على أسس جديدة منبثقة عن دراسة عميقة لكلام العرب. ومما نشر من مؤلفات الإمام في حياته:

1. أجزاء من تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". وهي سور مفترقة من القصار فسرها على منهجه وطبع كل منها على حدة، ومنها تفسير سورة الذاريات، والتحريم، والقيامة، والتين، والفيل، والكوثر وتبت.
2. إمعان في أقسام القرآن.
3. الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.
4. "خردنامه" نظم المؤلف باللهجة الدرية من اللغة الفارسية صحيفة أمثال "سليمان".

5. رسالة بالإنجليزية في الرد على عقيدة الشفاعة والكفارة للنصاري.
6. الترجمة الفارسية لرسالة "بدء الاسلام" للعلامة شبلي النعماني.
7. الترجمة الفارسية لجزء من طبقات ابن سعد قام بها امتثالاً لأمر السير سيد أحمد خان.

8. ديوان حميد. وهو مجموعة شعره الفارسي.

وتوفي الفراهي في شهر نوفمبر 1929م، وخلف آثاره ودراساته القرآنية بين كامل وناقص. وجلّها باللغة العربية.

وما زال أصحاب الإمام وتلامذته يفكرون بعد وفاته في إنشاء مجمع يقوم بتحقيق مؤلفاته ونشرها وترجمتها باللغة الأردية، ودرس القرآن الكريم على منهجه ونشر دراساتهم القرآنية. ولكن من أين لهم الطباعة والنشر، وهم مدرّسون بمدرسة الإصلاح على راتب حقير، وبتعبير أصح على كفاف يقيم الصلب. ومن أين لهم الفراغ وهم يدرّسون الطلاب أكثر من سبع ساعات في النهار ويشغلون في الليل بالمطالعة والدرس. ثم ليست لهذه المؤلفات سوق نافقة في بلاد الهند، فإنها باللغة العربية ولغة المسلمين في الهند الفارسية والأردية. وهي تتسم بالعمق والإيجاز، والتجديد والابتكار، والطبائع مولعة بالتقليد ومعجبة بكل قديم، وهي تتطلب إمعان النظر والتثبت، والناس يؤثرون السهولة والراحة، وقلما يتجشمون السير في طريق غير معبد. فما كان لهذه الكتب أن تلقى رواجاً وقبولاً تستحقه في هذه البلاد.

ومضت أعوام حتى وفقهم الله في أواخر سنة 1936م -بفضل سخاء عدد من سرة المسلمين- فأنشأوا مجلساً سمّوه "الدائرة الحميدية" وعيّن الطبيب الجراح السيد حفيظ الله -وكان الطبيب الخاص للفراهي- الرئيس الأول لهذا المجلس. والأهداف التي قررتها الدائرة الحميدية في أول أمرها قد لخصها سماحة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (تلميذ الفراهي وصاحب تفسير "تدبر قرآن" في ثمانية مجلدات باللغة الأردية) في افتتاحية العدد الأول من مجلة "الإصلاح":

1. نشر المؤلفات العربية للإمام الفراهي، ونقلها إلى اللغة الأردية.
 2. إنشاء جماعة تتدبر القرآن على منهج الإمام، وتنتشر نتاج فكرها في صورة كتب ومقالات.
 3. إصدار مجلة شهرية بالأردية تتضمن دراسات قرآنية رفيعة، وتخدم المسلمين خدمة علمية ودينية.
 4. إصدار صحيفة أسبوعية تقوم بإصلاح المسلمين الديني والخلقي والاجتماعي في أسلوب سهل بسيط وبثمن زهيد.
- وتولى سماحة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي القيام بالشؤون الإدارية للدائرة وتحرير المجلة ونقل مؤلفات الإمام إلى اللغة الأردية. أما تصحيح المخطوطات وترتيبها وإعدادها للنشر فوكل ذلك إلى العلامة المرحوم أختر أحسن الإصلاحي. وهو ثاني اثنين من أخص أصحاب الإمام.
- وأول كتاب نشر للفراهي بعد وفاته هو تفسيره لسورة الفيل الذي أثار نقاشاً في الأوساط العلمية في الهند لأنه قد جاء بتأويل جديد للسورة، وفسر قصة هجوم أبرهة على الكعبة الشريفة وهلاك عسكره تفسيراً لم يسبق إليه.
- وأصدرت الدائرة مجلة "الإصلاح" الشهرية بالأردية، وسرعان ما نالت مكانة مرموقة بين المجلات العلمية في شبه القارة الهندية، وامتازت بالمستوى العلمي الرفيع والطباعة الأنيقة. وقد صدر العدد الأول للمجلة في شهر يناير سنة 1936 م. وفي هذه المجلة نشرت الترجمة الأردية لكتاب "إمعان في أقسام القرآن"، و"الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، و"فاتحة نظام القرآن"، وثلاثة عشر جزءاً من تفسير الفراهي، عدا البحوث والدراسات القيمة حول مشكلات القرآن وعلومه وكانت المجلة تتضمن -كذلك- مقالات مترجمة من مجلة "الهلال" ومجلة "المقتطف" حول علوم الاقتصاد والاجتماع. قد استمر صدور المجلة طوال أربعة أعوام من يناير 1936 م إلى ديسمبر 1939 م، ثم اضطرت الدائرة إلى احتجابها لضيق الموارد.

أما الصحيفة الأسبوعية فلم يمكنها إصدارها للسبب ذاته. ثم ارتحل سماحة الشيخ أمين أحسن إلى الباكستان، فصعقت به الدائرة الحميدية وفقدت لسانها وجارحتها. وانفض ذلك المجلس القرآني الكريم.

نعم، كان العلامة اختر أحسن لا يزال حيًا، وهو أغزر علمًا، وأبعد غورًا وأثقب نظرًا من زميله في الدراسات القرآنية والعلوم العربية، وأحب إلى أستاذه الإمام وأقرب منه في زهده وورعه، ولكن لم يكن له اشتغال قط بالتأليف والتصنيف أو الصحافة والخطابة. وكان - إلى ذلك - يشكو دائمًا من أمراض تلاحقه. فظل يبذل ما يسعه من جهد لنشر كتب الإمام وترجمتها الأردية التي نشرت في مجلة "الإصلاح" إلى أن توفي رحمه الله سنة 1958م.

ومؤلفات الفراهي التي نشرتها الدائرة الحميدية تحت إشراف صاحبيه نذكر أسماءها فيما يلي:

1. تفسير سورة الفيل
2. فاتحة نظام القرآن (مقدمة تفسيره الكبير)
3. مفردات القرآن
4. جمهرة البلاغة
5. أربعة عشر جزءًا من تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان باللغة الأردية
6. الترجمة الأردية لكتاب "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"
7. الترجمة الأردية لكتاب "إمعان في أقسام القرآن". ومما يجدر بالذكر أن الطبعة الثانية للأصل العربي قد صدرت بالقاهرة، وتوفي المؤلف في نفس السنة دون أن يراها. والطبعة الجديدة للكتاب صدرت حاليًا عن دار القرآن الكريم بالكويت.
8. أسباق النحو: كتيب في جزئين في النحو بالأردية على منهج ميسر جديد لتعليم الناشئين.

9. تحفة الإعراب: منظومة في النحو بالأردية.
10. أمثال أصف الحكيم: قد نقلها الفراهي رحمه الله من الإنجليزية إلى العربية في زمن طلبه.

وهناك كتب أعلن في مجلة "الإصلاح" بأن العلامة المرحوم أختار أحسن الإصلاحي قد فرغ من تصحيحها وهي ماثلة للطبع نحو كتاب "دلائل النظام"، و"التكميل في أصول التأويل"، و"أساليب القرآن"، ولكن لم يتمكنوا من نشرها لأسباب مادية. واستخلف العلامة أختار أحسن على هذه المخطوطات تلميذه الشيخ بدر الدين الإصلاحي لخدمة ذكائه وقوة عارضته وشدة حرصه على هذا الكنز العظيم واشتغاله الطويل بنسخ الأصول وتبويضها في حياته. فتولى فضيلته إدارة الدائرة الحميدية بعد وفاة شيخه، وسعى لنشر مخطوطات الإمام واشترى مطبعة جيدة للدائرة. وثبت هنا أسماء المخطوطات التي نشرتها الدائرة تحت إشراف الشيخ بدر الدين الإصلاحي:

1. نواي بهلوي: طبعة جديدة لشعره الفارسي.
2. ديوانه العربي.
3. دلائل النظام (حول فلسفة نظام القرآن عماد منهجه التفسيري)
4. التكميل في أصول التأويل.
5. أساليب القرآن.
6. ملكوت الله.
7. القائد إلى عيون العقائد.

واليوم، إذ تقاربت البلاد المتناحية، وتوثقت العلاقات بين الهند والعالم العربي، وكثرت الجولات والزيارات، كان من المتوقع أن تطلع العلماء والباحثون على هذه الكتب النادرة وتخصصها المجامع العلمية بالبحث والدراسة والنقد والتحليل، وهي تهديها إلى آفاق جديدة من الفكر، ولكن لم يحصل ذلك لبعد هذه الكتب عن متناول الأيدي واختفائها في قرية نائية عن حواضر الهند ومراكزها العلمية الكبيرة

وعدم توفر تسهيلات السفر. ثم يرجع ذلك - إلى حد كبير - إلى تقصير المسؤولين عن صيانة هذه المخطوطات ونشرها أيضاً. ومما يتقطع له القلب أسفاً أن الدائرة الحميدية لم تستطع أن تنشر رسائل المؤلف كاملاً فضلاً عن أن تنشر دراسات أخرى، وقد مضى على وفاة الإمام أكثر من خمسين عاماً. فالنتائج التي توصل إليها، والنظريات التي اكتشفها والمشكلات التي عالجها لا تزال مختفية عن الأنظار. ولو ظهرت لتقدمت الدراسات القرآنية والنحوية والبلاغية والفلسفية، ولم يعد الباحثون يتخبطون في كثير من القضايا المهمة المعقدة المفروغ عنها في مؤلفات الإمام. ومع أن معظم رسائله بقيت ناقصة فلا تحوي إلا فصولاً وأبواباً ولكنها أثقل في ميزان العلم من مجلدات ضخام. فإن الكلام فيها ليس بنقل أو إعادة أو شرح أو تلخيص، وإنما هو تحقيق وتجديد واكتشاف واستدراك وإبداع واجتهاد وإثارة وإنارة. ولا يمكن أن يقوم أحد بدراسة كاملة لأفكار الإمام إلا بعد أن تنشر مؤلفاته ورسائله كلها.

ومن أهم المخطوطات التي لم تنشر بعد كتابه "حجج القرآن" الذي انتقد فيه المنطق والفلسفة والكلام، ثم بين أسس الفلسفة القرآنية و"حكمة القرآن"، وتعليقاته التفسيرية، وتفسير سورة البقرة، و"الرائع في أصول الشرائع"، و"سليقة العروض"، و"القسطاس" في ميزان الحكمة العملية وغيرها من الرسائل. وفضيلة الشيخ بدر الدين الإصلاحي يستحق الشكر من أهل العلم أنه نشر عدة كتب ولكن السير بطيء جداً. والزمان متقدم بخطوات سريعة. والحاجة ماسة إلى التعريف بهذه الكتب القيمة في البلاد العربية والدوائر الاستشرافية. ولا تزال أفكار الفراهي توفر مجالاً بكرة للباحثين سواء في الدراسات القرآنية أو الدراسات الفلسفية. وإنما أثر الإمام اللغة العربية كأداة التعبير عن أفكاره - مع أنه كان يستطيع نيل سمعة كبيرة باختياره اللغة الأردية - لأنه ألف ما ألف لعلماء العالم الإسلامي ولغتهم المشتركة هي لغة القرآن الكريم.

فنرجو من القائمين على الدائرة الحميدية أن يحثوا الخطى، ويبادروا إلى زفّ هذه الذخائر الثمينة إلى أهلها، ويحسنون بذلك إلى العلم والفكر، ويؤدّون أمانة عظيمة في أعناقهم.¹

¹ مجلة ثقافة الهند، 4/ 1/ 31، 1980م، ص 105-115

ببلوغرافيا كتب ورسائل الإمام عبد الحميد الفراهي

- البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: أبو سعد الأعظمي²

قد جمعنا هذه المعلومات للببلوغرافيا عن الإمام عبد الحميد الفراهي من طرق مختلفة، فأخذناها من التراجم والتفاسير ومفهرسات القرآن وكشافات المقالات القرآنية مع مراجعة الكتب والرسائل المتعلقة بهذا مباشرة، كما أعاني فيها من كان لهم عناية خاصة بالفراهي وفكره ومن قام بالبحث والتحقيق عن الإمام الفراهي. فجميع ما أشير إليه في هذه الببلوغرافيا من الكتب والمقالات ما عدا الأطروحات يتعلق بالمواد المطبوعة. ورتبت هذه المواد في ترتيب ألفبائي، والتزمت هذا الترتيب إلا في إيراد الترجمات وتفسير السور المختلفة، فلو حظ في ذلك الترتيب القرآني للسور. وقسمتها في أقسام مختلفة لها أعمدة عديدة وذلك لكي تسهل بها الاستفادة، كما جعلت عموداً في كل قسم اعتباراً بنوعيتها وحيث لم أنجح بتحصيل المعلومات القطعية تركتها خالية. وزودتها بالحواشي والتعليقات لمزيد الفائدة. يرد اسم الفراهي على مطبوعاته بطريقتين بعبد الحميد وبحميد الدين، فاخترت في هذه الببلوغرافيا اسمه حميد الدين الذي يعرف به عامة أصحاب اللغة الأردوية وهي تنقسم إلى أربعة أجزاء تالية:

(الف) في الجزء الأول وقّرت المعلومات عن كتبه المطبوعة والترجمات الأردوية لتفاسيره وكتبه والمقالات والترجمات الأردوية لكتابات العربية في شكل مقالات، والمقالات التي تم نشرها تحت عنوان إفادات الفراهي والرسائل وشعره العربي والفارسي.

¹ بروفيسور متقاعد، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

² باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

(ب) وما أوردته في الجزء الثاني يتعلق بالأطروحات والبحوث التحقيقية غير المطبوعة حول حياة الإمام الفراهي وخدماته وبالكاتب المطبوعة والمقالات والمراثي حول حياته وخدماته.

(ج) وفي الجزء الثالث وقّرت المعلومات الأساسية عن الدراسات المطبوعة في مختلف الرسائل والجرائد حول كتب الفراهي المطبوعة.

(د) وفي الجزء الرابع أشرت إلى تلك المعلومات التي كانت مبعثرة في مختلف الكتب والرسائل حول حياة الإمام الفراهي وخدماته.

وبذلت الجهد في الجزء الأول من هذه البيلوغرافيا على أن توفر معلومات كافة طبعات كتب الفراهي التي تم نشرها مرارًا وتكرارًا وإن لم يحالفني النجاح فيها تمامًا. وقدمت تفاصيل كل طبعة من الكتب إن حصلت على أكثر من طبعة واحدة على حدة كما قدمت تفاصيل النشر للكتب على هذا الترتيب: الناشر، المطبعة، سنة الطباعة، الطبعة، عدد الصفحات، وحاولت أن تكون هذه التفاصيل وفقًا لما درج في تلك الكتب المطبوعة.

وفي الجزء المتعلق بالمقالات حول الفراهي أخذت المعلومات من المجلات الأردنية والعربية والفارسية والإنجليزية ويشملها تلك المقالات من الكتب المختلفة التي توجد في شكل باب مستقل عن الفراهي أو على جانب من جوانب فكره. وقدمت تفاصيل المقالات المطبوعة في الرسائل والمجلات بهذا الترتيب: اسم الرسالة، المجلد والعدد، الشهر والسنة، وعدد الصفحات. ورتّبت تفاصيل الكتب كما سبق ذكرها إلا بتبديل جزئي حيث أن يقدم عدد الصفحات التي تتعلق بالفراهي وخدماته دون أن يذكر جميع الصفحات، كما صرح وقت الإصدار ومكان النشر أيضًا لكل رسالة وجريدة في البداية.

والحصول على مواد الجزء الذي يتعلق بالدراسات على مطبوعات الإمام الفراهي أتعبني كثيرًا وذلك لأن الزمن القديم تعم فيه كتابة مطبوعات جديدة أو كلمات مثلها في محتويات الرسائل والجرائد تحت دراسة ونقد دون ذكر اسم الكتاب، بل

يعم استعمالها إلى الآن في معظم الجرائد الأردنية. وبالرغم من هذه المشكلة يثمر البحث والتفحص وحصلت على مواد هذا الجزء أيضًا والحمد لله على ذلك. وفي هذا الجزء بصدد المعلومات الأساسية أشير إلى من قدّم دراسة تعريفية أو نقدية وعندما وجدت أنه قد نشرت دراسة أكثر من واحدة على أي كتاب، حاولت جمعها ويراعى في إيراداته على حدة أن يكون وفق ترتيب سنة نشره.

وقد رجعت إلى الكتب والمقالات كليهما في جمع المعلومات المبعثرة حول حياة الفراهي وخدماته، وأشير فقط إلى تلك الصفحات التي توجد فيها هذه المعلومات دون أن أذكر عدد جميع الصفحات لهذا الكتاب أو المقالة. وبالإضافة إلى ذلك بيّنت كيفية المعلومات بالإيجاز في هذا الجزء الأخير بعد كل إيراد. ولعل هذه الصراحة تكون مناسبة هنا أن من الممكن أن لا تجد في هذا الجزء بعض مصادر المعلومات معياريًا أو تقل أهميتها وذلك بما أنّ غايتنا من إيرادها هنا، بغض النظر إلى معيارها وأهميتها، أن نوضح أمامكم أن المعلومات المتعلقة بحياة الفراهي وخدماته تنتشر هنا وهناك ونجد ذكره في حلقات مختلفة وعند أناس ينتمون إلى مذاهب شتى.

وتزودنا هذه البيلوغرافيا حول مطبوعات الفراهي والدراسات المطبوعة من حياته وخدماته بمعلومات نادرة ونتائج رائعة. أولاً أنّ الفراهي كان يرجح اللغة العربية لمؤلفاته ولذلك معظم كتبه وخاصة ما يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن هي في اللغة العربية، وأما كتاباته في اللغة الأردنية فهي نادرة. وكذلك يتجلى من هذه البيلوغرافيا أنّ معظم كتب الفراهي قد نشرت، قبل إنشاء الدائرة الحميدية في سنة 1936م، من مطبعة فيض عام بعلي كره ومطبعة معارف بأعظم كره. وتمتاز مديرية علي كره بالأسبقية حيث قامت بنشر أجزاءه التفسيرية العديدة وبعد قيام الدائرة الحميدية ما زالت تنشر كتب الفراهي وترجماتها تحت إشرافها. ونرى في هذه الكتابيات إيرادات حول تفسير بعض السور من أمثال تفسير سورة الحشر وسورة العلق والناس التي لا توجد في مؤلفات الفراهي ولا ندري ما فعل بها الزمان. وقد أخذت

هذه المعلومات عنها من بعض معاجم المطبوعات وبيولوجرافيات ترجمات القرآن وتلاحظ تفاصيلها تحت حاشية إيراد الأجزاء التفسيرية. ويبدو من الإيرادات المتعلقة بالترجمات الأردوية لمطبوعات الإمام الفراهي أنّ تلميذه المبرز أمين أحسن الإصلاحي قد قام بترجمة كتب أستاذه إلى اللغة الأردوية، وقد تسببت هذه الخدمة إلى التعريف بمآثر الفراهي العلمية على أوسع مدى.

وملاحظة إيرادات الكتب المطبوعة حول الفراهي وخدماته تثير شعورنا بشدة وذاك بما أنه لم ينشر، حتى الآن، أيّ كتاب يحيط بجميع أبعاد حياة الفراهي وخدماته¹ وتعجبنا قائمة البحوث التحقيقية عليه رغم قلتها من حيث أنّ الفراهي ومآثره العلمية قد استقطبت عناية الباحثين في الجامعات الهندية وخارجها إلى اختيارها كموضوع للبحث والتحقيق.

وبإمكاننا أن نصل إلى هذه النتيجة بكل سهولة بعد إلقاء نظرة عابرة على تفاصيل المقالات المطبوعة حول الفراهي أنّ سلسلة نشر المقالات عليه قد بدأت عقب وفاته ونشرت مقالات عديدة في ذلك الوقت ويستمر نشرها ولو ببطء إلى الآن. ويدور نشر المقالات حول الفراهي في ذلك الحين إلى غاية ما على أمين حسن الإصلاحي ومن كانوا يتأثرون به في باكستان، وما زالت تنشر هذه المقالات في معظم الأحيان في مجلة "ترجمان القرآن" الشهرية ومجلة "ميثاق" الشهرية. والمجلة الثانية تخص بالذكر من حيث أن نشرت فيها كتابات كثيرة حول عنوان "إفادات فراهي" مع نشر المقالات المستقلة بالذات. ورتب هذه الإفادات خالد مسعود ثم تقوم مجلة "تدبر" مقام "ميثاق" حتى أصبحت فيما بعد ترجماناً للفكر الفراهي في باكستان.

وإطلالة على إيرادات هذا الجزء توضح لنا بكل صراحة أنّ محاولة فهم الفراهي ودراسة مؤلفاته والتعبير عن رأيه حولها قد ازدادت بعد سنة 1970 م. وفي العقد

¹ نشرت كتب عديدة في السنوات الأخيرة تحيط بحياته وأبعاده. (م)

الثامن من القرن المنصرم نرى ازدياد هذا الميلان من قبلها، وما نشر في هذه الفترة حول الإمام الفراهي ليس فقط يعتد به ويحفز عزائمنابل يلفت انتباهنا من حيث أن نرى عناية بعض النقاد بتحليل ونقد كتاباته مع جهود إبراز مآثره العلمية. وازدادت عناية النقاد بفهم آراء الفراهي وأفكاره بعد أن كتب عليها مقالات نقدية تحليلية ثم ترد عليها في مقالات أخرى بل تسببت هذه المقالات إلى نشر مآثر الفراهي العلمية وتعميمها بين الناس. وفي الزمن القريب، كما أشير في حواشي هذه الببلوغرافيا إلى مواضع مختلفة، نشرت مقالات عديدة عنه تحت عنوان "نقد واستدراك". ولا بد من أن نصح هنا أن الدكتور شرف الدين الإصلاحي هو الذي قام بخدمات جليلة أكثر من غيره خلال عشرة أو خمس عشرة سنة الماضية في التعريف بالإمام الفراهي وخدماته بين الناس. وتتجلى هذه بكل صراحة بعد إلقاء نظرة عابرة على المقالات التي كتبها خلال هذه الفترة.

ويبدو كذلك بعد الإطلالة على مكان النشر للمقالات حول الإمام الفراهي أنّ المجلات والجرائد التي أدّت دورًا بارزًا في نشر آراء الفراهي وأفكاره في هذه الفترة تخص منها بالذكر: تدبر (لاهور)، فكر ونظر (إسلام آباد)، معارف (أعظم كره)، تحقيقات إسلامي (علي كره)، علوم القرآن (علي كره)، الرشاد (أعظم كره)، وحيات نو (بلريا غنج). وتميز مجلة "علوم القرآن" نصف السنوية من جميع هذه المجلات لاهتمامها بنشر كلّ ما يتعلق بالفراهي في مختلف أعدادها ولو كان هذا في شكل إعادة النشر لأية كتابة من كتابات الإمام الفراهي أو مقالة حوله أو التقديم أو الدراسة حول كتابه.

ولا بد لي من الاعتراف بأنني بذلت قصارى جهدي في توفير المعلومات لإعداد هذه الببلوغرافيا حول حياته وخدماته ولكن بالرغم منه لا أدعي أن هذه الببلوغرافيا تحيط بجميع التراث المطبوع والمخطوط للإمام الفراهي أو ما كتب حول آرائه وأفكاره وأنه لم يفتني منها أي شيء. وفي الواقع لا يمكن لأحد الادعاء في دراسة ببلوغرافيا حول أي موضوع أنه أحاط بجميع أبعاده واستقصاها، كما لا يمكن له

الإدعاء أن هذه الببلوغرافيا التي أعدها تكون خالية عن الأغلاط والنقائص رغم حذره الشديد في إعدادها وتوفير معلوماتها. فلذلك تستحق هذه الببلوغرافيا بعناية أهل العلم وخاصة من كان لهم شغف شديد بآراء الفراهي وأفكاره. أنا أرجو منهم أن يخبروني عن الأخطاء والنقائص والزلات الواردة فيها ويعينوني في تحسين هذه الببلوغرافيا في المستقبل. إن الله لا يضيع أجر المحسنين. أظن أن هذه المحاولة البدائية لدراسة الببلوغرافيا حول الإمام الفراهي تفيد بتزويد المعلومات وتوفيرها لمن كانوا يشغفون بحياة الفراهي ومآثره العلمية ويقومون بالبحث والتحقيق عن آثاره.

أقدم شكري إلى كل من أعانني وخاصة أصحاب مؤسسة علوم القرآن الذين أعانوني في كل مرحلة من مراحل إعداد هذه الببلوغرافيا فأشكرهم جميعاً. والدكتور محمد أجمل الإصلاحي يستحق الشكر والتقدير بشكل خاص بما أنه أفادني بمعلومات كثيرة نادرة حول هذه الببلوغرافيا وزودنا بالمصادر والمراجع لتكميل بعض إيراداته الناقصة. ويصعب علي إتمام هذه الببلوغرافيا لو أن مكتبة مولانا آزاد (جامعة علي كره الإسلامية) ومكتبة قسم العلوم الإسلامية (جامعة علي كره الإسلامية) ومكتبة دار المعلومات (لمنظمة طلاب مدرسة الإصلاح) ومكتبة دار المصنفين (أعظم كره) لم تسمح لي الاستفادة منها. فلا يسعني أن أشكر مديري هذه المكتبات لإتاحتني الفرصة للاستفادة من هذه المكتبات القيمة. أدعو الله تعالى أن يجعل هذه الكتيب الصغير سبباً لازدياد الشوق والرغبة في دراسة مؤلفات الإمام الفراهي وأن يصبح وسيلة للتقرب إلى القرآن وعلومه، كما أدعو الله تعالى أن يفقّني القرآن ويوفقني لنشر تعاليمه. والله الموفق وهو المستعان.

الجزء الأول

- الكتب المنشورة للإمام الفراهي
- الترجمات الأردوية لكتب الإمام الفراهي
- المقالات المنشورة للإمام الفراهي
- إفادات الفراهي
- الرسائل المنشورة للإمام الفراهي
- الأشعار المطبوعة للإمام الفراهي

الكتب المنشورة للإمام الفراهي

اسم الكتاب	اللغة	الناشر	المطبعة	سنة الطبع	الطبعة	عدد الصفحات
أساليب القرآن	العربية	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره	المطبعة الحميدية، سرائير	1389هـ / 1969م	الأولى	54
أسباق النحو (الجزء الأول)	الأردوية	لم يذكر	مطبعة جامعة علي كره الإسلامية	1341هـ / 1923م	الأولى	لم يذكر

48	الثانية	1346هـ / 1928م	مطبعة جامعة علي كره الإسلامية	لجنة تطوير اللغة الأردنية، حيدرآباد	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الأول)
55	الثانية	1357هـ / 1937م	المطبعة الحميدية، سرائمير	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح سرائمير، أعظم كره	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الأول)
	الثالثة	بدون تاريخ	المطبعة الحميدية، سرائمير	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الأول)
56	الرابعة	1384هـ / 1965م	المطبعة الحميدية، سرائمير	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الأول)
55	الخامسة	1398هـ / 1977م	مطبعة نشاط،	الدائرة الحميدية،	الأردنية	أسباق النحو

			مديرية تانده	مدرسة الإصلاح، سراثمير، أعظم كره		(الجزء الأول)
42	الأولى	1341هـ / 1923م	مطبعة جامعة علي كره الإسلامية		الأردنية	أسباق النحو (الجزء الثاني)
	الثانية	1346هـ / 1928م	مطبعة جامعة علي كره الإسلامية	منظمة تطوير اللغة الأردنية، حيدرآباد	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الثاني)
52		بدون تاريخ	مطبعة معارف، أعظم كره		الأردنية	أسباق النحو (الجزء الثاني)
48	الثالثة	1375هـ / 1955م	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراثمير،	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الثاني)

48	الرابعة	1383هـ / 1963م	مطبعة كوه نور، دهلي	أعظم كره الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي، أعظم كره	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الثاني)
52	الخامسة	1399هـ / 1978م	مطبعة نشاط، مديرية تانده	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي، أعظم كره	الأردنية	أسباق النحو (الجزء الثاني)
38	الأولى	بدون تاريخ ¹	مطبعة أصح المطابع، لكتاؤ		العربية	أقسام القرآن
55	الثانية	1329هـ / 1911م	المطبعة الأحمدية، علي كره		العربية	إمعان ² في أقسام القرآن
68	الثالثة	1349هـ / 1930م	المطبعة السلفية،	دار المصنفين،	العربية	إمعان في أقسام

لم تذكر سنة الطبع في نسخة أقسام القرآن المطبوعة من لكتاؤ، ولكن تتضح جلياً بقول السيد سليمان الندوي أن هذا الكتاب أولاً طبع في سنة 1906م. راجع للتفاصيل: مولانا حميد الدين، سيد سليمان الندوي، معارف، 1/27 يناير 1931م، ص14

² ينبغي أن يكون هذا الاسم فيما بعد وفق ترتيب ألفبائي، ولكن بما أن هذه نسخة مصححة لأقسام القرآن التي نشرت باسم مختلف جزئياً فلذلك أظن من المناسب أن أذكره هناك

القرآن	أعظم كره	القاهرة			
إمعان في أقسام القرآن	العربية	دار القرآن، الكويت	1400هـ / 1980م	الرابعة	75
أمثال أصف الحكيم ¹	العربية	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره	مطبعة ندوة العلماء، لكتناؤ	الثانية	73
أمثال أصف الحكيم	العربية	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره	مطبعة الكوثر، سرائير		69
سلسلة أنساب النبي صلعم	الأردنية	مكتبة المنظمة الإسلامية المركزية	مطبعة أصيلة آفست، دهلي	الأولى	30

¹ إن هذا الكتاب مجموعة القصص ذات العظة والعبر لأصف الحكيم ونقلها الإمام الفراهي من الإنجليزية إلى العربية، ويشمل هذا الكتاب في المقررات الدراسية البدائية للمدارس المختلفة كنص عربي، ولم يمكن لي الحصول على طبعته الأولى.

وأهل الكتاب ¹	دهلي				
تحفة الإعراب (منظوم)	الأردوية الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي، أعظم كره	مطبوعة تامي، لكناف	1375هـ / الثالثة ² 1955م	11	
تحفة الإعراب (منظوم)	الأردوية الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي، أعظم كره	مطبوعة كوه نور، دهلي	1391هـ / الرابعة 1971م	15	
ترجمة فارسية ³ لطبقات محمد بن سعد	الفارسية مدرسة العلوم علي كره	مطبوعة مفيد عام، آغره	1891م الأولى	106	

¹ كانت هذه الرسالة الوجيزة أولاً نشرت كمقالة حول عنوان "نسب نامة نبوي" في مجلة "معارف" وذلك في حلقتين 6/1 ديسمبر 1916 و 7/1 يناير 1917م ثم قام الشيخ محمد فاروق خان بنشرها في صورة الكتاب بغاية من الاهتمام.

² لم يمكن لي الحصول على طبعته الأولى والثانية.

³ هذه الرسالة ترجمة لجزء طبقات ابن سعد الذي يتعلق بالسفراء الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم وبالوفود الذين قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

34	الأولى	بدون تاريخ	المطبعة التجارية، دهلي	مدرسة العلوم علي كره	الفارسية	ترجمة ¹ فارسية للكتيبة بدء الاسلام
120	الأولى	1972م	مطبعة جمال، دهلي	مكتبة الحسنات، رام فور	الأردوية	ترجمة القرآن ² (من سورة القيامة إلى سورة الناس)
30		1357هـ / 1937م	المطبعة الحميدية، سرائيمير		العربية	تفسير آية بسم الله (سورة الفاتحة) ³ مع فاتحة نظام القرآن

¹ ألف شبلي النعماني هذا الكتيب المتعلق بالسيرة النبوية ونقله الأمام الفراهي إلى الفارسية، والترجمة الفارسية لمنتخب طبقات ابن سعد وترجمة هذا الكتيب قد فوضت إليه للمقررات الدراسية لطلاب كلية محمدن انجليو الشرقية.

² قد رتب هذه الترجمة الدكتور حمد الله الفراهي وهو حفيد الأستاذ الفراهي، ولا توجد التراجم الكاملة لبعض السور في مبيضات الفراهي فأكملها المرتب من تفسير "تدبر قرآن" الذي ألفه تلميذ الفراهي المبرز الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

³ هذه الرسالة جزء لمقدمة مجموعة الفراهي التفسيرية المسمى "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وتشتمل هذه المقدمة على 64 صفحة وفي آخرها ثلاثين صفحة في تفسير آية بسم الله وسورة الفاتحة.

47	الأولى	بدون تاريخ	مطبعة معارف، أعظم كره		العربية	تفسير سورة الذاريات
	الأولى	1326هـ/ 1908م	مطبعة فيض عام، علي كره		العربية	تفسير سورة الحشر ¹
27	الأولى	1326هـ/ 1908م	مطبعة فيض عام، علي كره		العربية	تفسير سورة التحريم
21	الأولى	بدون تاريخ	مطبعة فيض عام، علي كره		العربية	تفسير سورة القيامة
45	الأولى	1403هـ/ 1983م	مطبعة الكوثر، سرائير	الدائرة حميدية	العربية	تفسير سورة القيامة
20	الأولى	بدون تاريخ	مطبعة معارف، أعظم كره	سرائير	العربية	تفسير سورة المرسلات
	الأولى	بدون تاريخ	مطبعة معارف، أعظم كره		العربية	تفسير سورة عبس
19	الأولى	1326هـ/	مطبعة فيض		العربية	تفسير

¹ لم يمكن لي الحصول على مصدر تفسير سورة الحشر في موضع إلا في معجم المطبوعات العربية والمعرية، رتها يوسف البان سركيس، مطبعة سركيش مصر 1938م، ولم استطع الحصول على هذا التفسير.

		عام، علي كره	1908م		سورة الشمس
	الأولى	بدون تاريخ	مطبوعة معارف، أعظم كره		تفسير سورة التين العربية
23	الأولى	1326هـ / 1908م	مطبوعة فيض عام، علي كره		تفسير سورة العصر العربية
41	الأولى	1354هـ / 1935م	مطبوعة معارف، أعظم كره		تفسير سورة الفيل العربية
	الأولى	بدون تاريخ ¹	مطبوعة معارف، أعظم كره		تفسير سورة الكوثر العربية
15	الأولى	1326هـ / 1908م	مطبوعة فيض عام، علي كره		تفسير سورة الكافرون العربية
11	الأولى	1325هـ / 1908م	المطبوعة الأحمدية، علي كره		تفسير سورة أبي لهب العربية
29	الأولى	بدون تاريخ	مطبوعة معارف، أعظم كره		تفسير سورة اللهب العربية

¹ ويتضح من نشر إعلان تفسير سورة الكوثر في تفسير سورة الإخلاص التي نشرت في 1931م، أن هذا التفسير قد تم نشره من قبل.

تفسير سورة اخلاص ¹	الأردنية	(تحت إشراف الشيخ مسعود على الندوي)	مطبعة فيض عام، علي كره	1931م	الأولى	38
تفسير سورة اخلاص	الأردنية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرايمير، أعظم كره		1941م	الأولى	
تفسير سورة اخلاص	الأردنية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرايمير، أعظم كره	كوه نور پريس، دهلي	1378هـ/ 1958م	الثانية	42

¹ وهو تفسير وحيد من أجزائه التفسيرية الذي ألفه في اللغة الأردنية. وهذا التفسير يتعلق بالزمن الذي كان فيه الفراهي معلم العربية في مدرسة دار العلوم الواقعة في كراتشي. وقد تم نشر هذا التفسير النادر الأردوي أولاً على طلب أخيه الحاج رشيد الدين تحت إشراف الشيخ مسعود علي الندوي وفيه تقديم وجيز للسيد سليمان الندي أيضاً. وصرح السيد سليمان الندوي أن الفراهي كتب هذا التفسير الأردوي على إلحاح صديق له. وتسامحت المفهرسات العالمية لترجمات القرآن المنشورة في اللغة الإنجليزية من تركيا (مركز بحوث إسلامية، استنبول، 1986م، ص 630، الرقم 1392) في ذكر هذه الرسالة التفسيرية وانتسبها خطأ إلى تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

69	الأولى	1388هـ / 1968م	المطبعة الحميدية، سراييمير	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراييمير، أعظم كره	العربية	التكميل في أصول التأويل
69	الثانية	1411هـ / 1990م	المطبعة الحميدية، سراييمير	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراييمير، أعظم كره	العربية	التكميل في أصول التأويل
88	الأولى	1360هـ / 1941م	مطبعة معارف، أعظم كره	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراييمير، أعظم كره	العربية	جمهرة البلاغة
	الأولى		حيدرآباد		الفارسية	خرد نامه ¹
127	الأولى	1388هـ /	المطبعة	الدائرة	العربية	دلائل

¹ هذه الرسالة المنظومة هي ترجمة من العبرانية إلى الفارسية لنصائح سليمان عليه السلام التي هي في أسفار اليهودية باسم "أمثال سليمان". بدأ الأستاذ الفراهي هذه الترجمة خلال إقامته بالله آباد (1908-1913م) وأتمه خلال قيامه في حيدرآباد (1914-1919م) ونشر منها. ويتضح من الدراسة التي نشرت عليه في مجلة "معارف" في شهر أكتوبر 1916م أن هذه الرسالة قد نشرت قبل 1916م.

النظام		الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره	الحميدية، سرائمير	1968م		
ديوان حميد ¹	العربية	(تحت إشراف محمد إبراهيم خان الأكبر آبادي)	مطبعة شمسي، حيدر آباد	1903م	الأولى	57
ديوان الفيض (رتبه الإمام الفراهي) ²	العربية		مطبعة أختر، حيدر آباد	1937م	الأولى	82
ديوان المعلم عبد	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة	المطبعة الحميدية، سرائمير	1387هـ/ 1967م	الأولى	31

¹ وتوثق لنا عبارة الصفحة الأولى لهذا الديوان أن أخاه الحاج رشيد الدين قد قام بترتيبه.

² وإن لم نجد اسم الفراهي كالمترتب على النسخة المطبوعة لهذا الديوان ولكن يوثق لنا قول السيد سليمان الندوي وبعض الشواهد الأخرى أن الفراهي قد قام بترتيبه. (حيات شبلي، مطبعة معارف أعظم كره، 1970م، ص 80/ مختصر حيات حميد (مرتبه عبد الرحمن ناصر الإصلاح) الدائرة الحميدية، سرائي مير، أعظم كره، 1973م، ص 18.

				الإصلاح، سرائمير، أعظم كره		الحميد فراهي
68	الأولى	1338هـ/ 1919م	مطبوعة معارف، أعظم كره	(باعثاء الشيخ مسعود علي الندوي)	العربية	الرأي الصحيح في من هو الذبيح
				الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره	الإنجليزية	رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة ¹
280	الثانية	1991م		الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره	العربية	رسائل عبد الحميد الفراهي في علوم القرآن

¹ رد الإمام الفراهي في هذا الكتيب الإنجليزي على ما كان يعتقد النصارى من عقيدة الشفاعة والكفارة. وقد ذكره السيد سليمان الندوي في مقدمة كتاب الفراهي "إمعان في أقسام القرآن" (دار القرآن الكريم، الكويت، 1980م، ص8) ولم نجد مصدر هذا الكتيب سوى هذا في أي موضع آخر ولا ندري ما فعل به الزمان.

(المجموع ة الأولى ¹)						
فاتحة تفسير نظام القرآن ²	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرايمير، أعظم كره	المطبعة الحميدية، سرايمير	1357هـ/ 1937م	الأولى	64
في ملكوت الله	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرايمير، أعظم كره	مطبعة الكوثر، سرايمير	1391هـ/ 1971م	الأولى	47
الفايد إلى عيون العقائد	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرايمير،	مطبعة الكوثر، سرايمير	1395هـ/ 1975م	الأولى	208

¹ تشتمل هذه المجموعة على ثلاث رسائل وهي دلائل النظام وأساليب القرآن والتكميل في أصول التأويل. قد تم نشر كل منها من قبل فلذلك تعد هذه المجموعة طبعة ثانية.

² قد بدأ الفراهي كتابة التفسير في اللغة العربية باسم "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" ولكنه توفي قبل أن يكمله والتفاسير المطبوعة لسور مختلفة هي في الواقع جزء منه وقد كتب مقدمة طويلة باسم "فاتحة نظام القرآن" لهذا التفسير وتم نشرها في صورة الكتاب على حدة.

				أعظم كره		
مفردات القرآن ¹	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح ، سرائير ، أعظم كره	المطبعة الحميدية ، سرائير	1358هـ / 1939م	الأولى	74
نواحي بهلوي ² (ديوان فارسي يشمل زمزمه وسرود (پارسی)	الفارسية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح ، سرائير ، أعظم كره	المطبعة الحميدية ، سرائير	1967م	الأولى	56+57
حكمة القرآن ³	العربية	الدائرة الحميدية		2007م	الأولى	120

¹ حصل الدكتور محمد أجمل الإصلاحي على شهادة الدكتوراة من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لکناؤ بدراسة هذا التأليف المهم للفراحي ولم يزل في إعداد طبعة مصححة لهذا الكتاب الذي سيتم نشره بعد تكميله.

² قد رتب الشيخ بدر الدين الإصلاحي من مؤلفات الفراحي أساليب القرآن، التكميل في أصول التأويل، دلائل النظام، في ملكوت الله، القائد إلى عيون العقائد مع ديوانه العربي والفارسي. والكتب التي قد تم نشرها من قبل، قام بتنسيق معظمها وتدوينها وتنسيخها وخاصة أجزاءه التفسيرية تلميذه المبرز الشيخ أخترا أحسن الإصلاحي.

³ من هنا تبتدئ إضافة المترجم للكتب التي تم نشرها فيما بعد. ولم يراع فيه ترتيب ألفبائي أو ترتيب ينوي بل جمع هذه المعلومات كما حصل عليها المترجم (م)

				مدرسة الإصلاح، سرائمير		
450	الأولى	2010م	البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائمير	العربية	تعليقات في تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)
514	الأولى	2010م	البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائمير	العربية	تعليقات في تفسير القرآن الكريم (الجزء الثاني)
296	الأولى	2000م		الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائمير	العربية	تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سورة البقرة
144	الأولى	1994م		دار القلم،	العربية	إمعان في أقسام

القرآن	دمشق				
تفسير سورة الكوثر (منهج جديد ورؤية جديدة)	العربية	دار عمار للشعر والتوزيع	2009م	76	
رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن) المجموعة الثانية	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراييمير	2002م		
جمهرة البلاغة	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراييمير			البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي
أمثال أصف الحكيم	العربية	الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراييمير			البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي

120	الثانية	1994م	البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي	الدائره الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراثمير	العربية	الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح
631	الأولى	2008م	البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي	الدائره الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراثمير	العربية	تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان
682		2009م	البلاغ ببليكيشنز، نيو دهلي	الدائره الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراثمير	الأردنية	تفسير نظام القرآن
496	الأولى	2012م		دار الغرب الإسلامي، تونس	العربية	نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (الجزء الأول)
-499 1001	الأولى	2012م		دار الغرب	العربية	نظام القرآن

				الإسلامي، تونس		وتأويل الفرقان بالبفرقان (الجزء الثاني)
315	الأولى	2009م		الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراشمير	العربية	حجج القرآن
44		1993م		الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراشمير، أعظم كره	الأردنية	رسالة في إصلاح الناس
56		1990م		الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراشمير، أعظم كره	الأردنية	ترجمة القرآن الكريم(د شميل أربعين سورة لآخر القرآن)

الترجمات الأردنية لكتب الإمام الفراهي

اسم الكتاب	المترجم	الناشر	المطبعة	سنة الطبع	الطبعة	عدد الصفحات
أقسام القرآن	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح سرائمير	مطبعة إنشاء لاهور	1941م	الأولى	128
أقسام القرآن	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	مطبعة إنشاء لاهور	1953م	الثانية	128
أقسام القرآن	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	مطبعة كوه نور، دهلي	بدون تاريخ	الثانية	143
تفسير بسم الله، وسوره فاتحة	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	مطبعة كوه نور، دهلي	بدون تاريخ	الأولى	48

48	الثانية	1981م	مطبعة نشاط، تاند	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير بسم الله، سوره فاتحة
143	الأولى	بدون تاريخ	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره ذاريات
72	الثانية ¹	بدون تاريخ	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير تحريم
66	الثانية	بدون تاريخ	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير قيامه
57	الأولى	بدون تاريخ		الدائرة الحميدية،	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير قيامه

¹ لم نستطع الاطلاع على الطبعة الأولى لهذه الترجمة.

				مدرسة الإصلاح، سراثمير		
	الأولى	1938م		الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراثمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير مرسلات
56	الثانية	بدون تاريخ		الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراثمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير مرسلات
75	الأولى	1940م	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراثمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره عبس
70	الثانية	بدون تاريخ	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراثمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره عبس

تفسير الشمس	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	1938م	الأولى	
تفسير الشمس	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	مطبوعة كوه نور، دهلي	بدون تاريخ	الثانية 52
تفسير سوره التين	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	1938م	الأولى	
تفسير سوره التين	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	مطبوعة كوه نور، دهلي	بدون تاريخ	الثانية 71
تفسير سوره والعصر	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح،	مطبوعة كوه نور، دهلي	1937م	الأولى 66

سراشمير						
تفسير سوره والعصر	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراشمير	مطبعة كوه نور، دهلي	بدون تاريخ	الثانية	64
تفسير سوره فيل	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراشمير	مطبعة الإصلاح، سراشمير	1937 م	الأولى	113
تفسير سوره فيل	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراشمير	مطبعة كوه نور، دهلي	بدون تاريخ	الثانية	100
تفسير سوره كوثر	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراشمير	مطبعة الإصلاح، سراشمير	1937 م	الأولى	123
تفسير سوره كوثر	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة	مطبعة كوه نور،	1958 م	الثانية	120

			دهلي	الإصلاح، سرائمير		
48	الأولى	1938م		الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره كافرون
48	الثانية	بدون تاريخ	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره كافرون
74	الثانية	1937م	مطبعة الإصلاح، سرائمير	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره لهب
76	الأولى	بدون تاريخ	مطبعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير سوره لهب
66	الأولى	بدون	مطبعة معارف		أمين أحسن	تفسير سوره علق

والناس ¹	الإصلاحي	اعظم كثره	تاريخ		
تفسير نظام القرآن ²	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرايمير	روبي أفسيث پريس، دبلي	1990م	526
ذبيح كون يه ³	أمين أحسن الإصلاحي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرايمير	كوه نور پريس، دبلي	بدون تاريخ	الأولى 188

¹ عامة لا يوجد ذكر النص العربي أو الترجمة الأردية لهذا التفسير ولم نطلع على أي نسخة لهذا. ولكن نجد إشارة إلى الترجمة الأردية لهاتين السورتين مع النص العربي في المفهرسات العالمية للتراجم القرآنية ص 630، الرقم 2391 وفي بيلوغرافيا باسم "الترجمات الأردية للقرآن الكريم" رتها الدكتور أحمد خان، مقتدره قومي زيان، إسلام آباد، 1987م، ص 176-177 الرقم 616. وذكر في هذين المصدرين وجودهما في مكتبة خدابخش بتنه بدون الإشارة إلى رقمها. ولكن لا يوثقهما من مكتبة خدابخش بتنه. وأدلى برأيه مرتب بيلوغرافيا الترجمات الأردية للقرآن الكريم أن الفراهي ألف هذا التفسير في العربية ثم نقل نفسه إلى الأردية وذكر في هذين المصدرين اسمه سورة العلق والناس ولكن نخلن أنه سورة الفلق والناس.

² هذه نسخة مصححة للترجمة الأردية "مجموعه تفاسير فراهي" ترجمه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي من أجزائه التفسيرية العربية والتي تم نشرها بعد إجراء التعديل باسم تفسير الفراهي العربية.

³ قد تم إعداد الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب من الترجمة الأردية هذه وسيتم نشرها في المستقبل القريب إن شاء الله.

752	الأولى	بدون تاريخ	مطبوعة مركنتال	المكتبة المركزية للمنظمة الإسلامية	أمين أحسن الإصلاحي	مجموعه تفاسير فراهي
536	الثانية	1973م		لجنة خدام القرآن	أمين أحسن الإصلاحي	مجموعه تفاسير فراهي
	الثالثة	1991م	المطبوعة العربية لاهور	فاران فاؤنڈیشن، لاهور	أمين أحسن الإصلاحي	مجموعه تفاسير فراهي
90	الأولى	بدون تاريخ	مطبوعة كوه نور، دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير	أمين أحسن الإصلاحي	مقدمة تفسير نظام القرآن
141		أكتوبر 1995م		فاران فاؤنڈیشن، لاهور، باكستان	خالد مسعود	حكمت قرآن ¹
183		1999م		الدائرة الحميدية، مدرسة	أمين أحسن الإصلاحي	ذبيح كون به

¹ من هنا تبديء إضافة المترجم بدون ترتيب ألفبائي أو ترتيب سنوي. (م)

				الإصلاح، سراشمير		
682		2009م		الدائرة الشميدية، مدرسة الإصلاح، سراشمير	أمين أحسن الإصلاحي	تفسير نظام القرآن
72		2013م		الدائرة الشميدية، مدرسة الإصلاح، سراشمير	ألفاف أحمد الأعظمي	في ملكوت الله
227	الأولى	1999م		مؤسسة تدبر قرآن وحديث، لاهور	خالد مسعود	تفسير قرآن ك اصول
227		2003م		المجمع لترويج تعليم القرآن والسنة	خالد مسعود	تفسير قرآن ك اصول
96		1992م		الدائرة الشميدية، مدرسة الإصلاح،		نظم قرآن ايك تعارف

				سرايمير		
110		م2005		Adam Publisher and Distributer, New Delhi	Aurang Zeb Azmi	Wisdom of the Holy Quran

المقالات المنشورة للإمام الفراهي

المقالة	المأخذ	تفاصيل النشر
استنباط أحكام الرسول من القرآن الكريم (ترجمة: خالد مسعود)	مجلة "تدبر" الشهرية، (لاهور)	رقم السلسلة 13، فبراير 1958م، ص 20-11
أساليب القرآن (ترجمة: خالد مسعود)	مجلة "ميثاق" الشهرية (لاهور)	6.5/31، 1/14، 3، 4، مايو، يوليو، سبتمبر، أكتوبر 1967م، ص 31-26، 40-32، 64-57، 34-26
نموذج ترجمة القرآن الكريم للإمام الفراهي	مجلة "الإصلاح" الشهرية (سرايمير)	3/1، مارس 1936م، ص 15-12
أقسام القرآن (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)	الإصلاح	5/4، 6، 7، 8، 9، 10، 11، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، 1939م، ص 30-15، 29-17، 26-18، 13-24

27.23 ، 31.22 ، 29.20		
1/1 ، يناير 1936م، ص 19.9	الإصلاح	ترتيب ونظام القرآن
19/4، 6، ديسمبر 1914م يناير وفبراير 1942م، ص 254-243	ترجمان القرآن، لاهور	تفسير آية بسم الله (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
3/20 ، 4 أبريل ومايو 1942م، ص 272-265 ، 255-199		تفسير سورة الفاتحة (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
6/4 ، 7، 8، 9، 10، 11، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر 1939م، ص 17-8 ، 23-9، 22-9 ، 21-9 ، 19-9 ، 16-9	الإصلاح	تفسير سوره الذاريات(ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
11/3 ، 11/4 ، 2، 3، 4، 5، نوفمبر 1938م، يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو، 1939م، ص 19-9 ، 17-9 ، 657-649 14-9 ، 20-9	الإصلاح	تفسير سورة التحريم، (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
10، 9، 8، 7، 5، 6/3، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر ، أكتوبر، نوفمبر، 1938م، ص 335-329 ، 274-265 ، 464-457 ، 398-393	الإصلاح	تفسير سورة القيامة (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)

590-585، 528-521		
1/3، 2، 3، 4، يناير، فبراير، مارس، أبريل 1938م، ص 143-137، 84-73، 18-9، 207-201	الإصلاح	تفسير سورة المرسلات (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
9/2، 10، 11، 12 سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1937م، ص 22-9، 22-9، 16-9، 19-9	الإصلاح	تفسير سورة عبس (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
1/4، يناير، يونيو 1989م، ص 38-25	مجلة "علوم القرآن" نصف السنوية، علي كره	تفسير سورة الأعلى، إفادات غير منشورة (ترجمة: محمد فاروق خان)
5/2، 6، 7، 8، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، 1937م، ص 15-9، 20-9، 17-9، 17-9	الإصلاح	تفسير سورة الشمس (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
1/2، 2، 3، 3، يناير، فبراير، مارس، أبريل، 1937م، ص 23-9، 18-15، 9-5، 21-9	الإصلاح	تفسير سورة التين (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
11/1، 12، نوفمبر، ديسمبر 1936م، ص 32-5، 19-9	الإصلاح	تفسير سورة العصر (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
1/1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو،	الإصلاح	تفسير سورة الفيل (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)

الإصلاحي)		يونيو، يوليو 1936م، ص 19-9، 17-5، 19-5، 11-5، 13-5، 12-5، 19-9
تفسير سورة الكوثر) ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)	ترجمان القرآن	1/7، 2، 3، 4، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1935م، ص 64-15، 40-129، 229-215، 302-288
تفسير سورة الكافرون (عربي)	جريدة "جامعة" نصف الشهرية (كولكاتا)	1، 25، شعبان 1342هـ/ مارس 1924م، 9-14
تفسير سورة الكافرون) ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)	الإصلاح	8/1، 9، 10، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، 1936م، ص 17، 16-9، 18-9
جمهرة البلاغة (ترجمة أردوية مع النص العربي)	مجلة "البيان" الشهرية (لكناف)	5/4، 6، 7، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، 1323هـ، ص 3-8، 3-10، 3-11
حكمت قرآن (ترجمة: خالد مسعود)	تدبر	رقم العدد، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30 سبتمبر، ديسمبر، 1987م، مارس، يوليو، أكتوبر 1988م، سبتمبر، ديسمبر 1989م، ص 27، 12-16، 38-44، 25-31، 38-30، 36-30، 47-38

40-28، 35-27		
54/12، 55 يناير-مارس 1986م، ص 7-18،	مجلة "الرشاد" (أعظم كره)	فضائل بيت الله وبني إسماعيل وخصائصهم
25-18، 1/2 فبراير 1936م، ص	الإصلاح	الأفكار الواردة خلال ترجمة القرآن الكريم
مكتبة الحسنات، رامفور، 1972م، ص 43-54		الأفكار الواردة خلال ترجمة القرآن الكريم
11-1/3، يناير، نوفمبر 1938م، 4-1/4، يناير، أبريل 1939م، ص 19-26، 85-93، 144-152، 208-216، 275-282، 336-344، 399-408، 465-471، 529-536، 591-601، 658-668، 18-27، 20-32، 21-29	الإصلاح	ذبيح كون (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
1/9 يوليو 1963م، ص 34-36	ميثاق	شأن النزول (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)
رقم العدد 31، مارچ 1990م، ص 34-41	تدبر	منهج استدلال القرآن، (مستنبط من حجج القرآن) ترجمة: خالد مسعود
1/2، يناير-يونيو 1986م، ص 5-16	علوم القرآن	منهج استدلال القرآن الكريم، (ترجمة محاجة

		الوحي: محمد أجمل (الإصلاحي)
10/1، شوال 1351هـ، /فبراير 1932م، ص 12-4	مجلة "الضياء" الشهرية، لکناؤ	المثل الأعلى (بالعربية)
8/5، 29 ربيع الآخر 1324هـ، ص 246-236	البيان	محاجة الوحي (بالعربية) (مع الترجمة الأردوية بعنوان منهج استدلال القرآن الكريم)
3-1/19، سبتمبر-نوفمبر 1941م، ص 64-9	ترجمان القرآن	مقدمه تفسیر نظام القرآن
		(ترجمة: أمين أحسن (الإصلاحي)
2/12، 13، 3، 4، أغسطس 1966م، مارس، أبريل 1967م، ص 37، 33، 29، 43، 29-25	ميثاق	ملکوت الله، (مستنبط من في ملکوت الله للإمام الفراهي: ترجمة: خالد مسعود)
6/1، ديسمبر 1916م، 7/1 يناير 1917م، ص 40-32، ص 13-12	مجلة "معارف" الشهرية، أعظم كره	سلسلة أنساب النبي صلعم
ص 15-5، 19-5، 19-8، 16-4	مجلة "فکر" ونظر" الفضلية	نظم القرآن (ترجمة: شرف الدين الإصلاحي)
5-13، نوفمبر 1969م، ص 329-327	مجلة "دائجست" الشهرية، عدد خاص حول	نظم القرآن

	القرآن الكريم	
نظم القرآن	مجلة "ذكرى" الشهرية، رامفور	رقم العدد 208 مارس، 1990 م، ص 74-71
نظم القرآن	مجلة "إشراق" الشهرية، لاهور	1/5، يناير-يونيو 1990 م، ص 49-39
نظم القرآن	مجلة "إشراق" الشهرية، لاهور	12/2، ديسمبر 1990 م، ص 28-17
بحث حجاب ¹	علوم القرآن	1/27، يناير-يونيو 2012 م، ص 38-25

إفادات الفراهي²

المضمون	المرتب	المجلة	تفاصيل النشر
الأقسام الثلاثة للإجماع	خالد مسعود	ميثاق	4/9، أكتوبر 1963 م، ص 34-28
مقاصد أحكام الشريعة وأصول توضيحها	خالد مسعود	ميثاق	2/9، 3، أغسطس و ستمبر 1963 م، ص 33، 27
أصول التفسير	خالد مسعود	ميثاق	4/6، 5 أبريل مايو 1963 م، 2-1/7 يوليو-

¹ هي إضافة المترجم (م)

² يشمل هذا الجزء المقالات التي نشرت تحت "إفادات فراهي" في المجلات المختلفة ولكن لا يبدو من هذه المقالات أنها ترجمة لكتابات الفراهي غير المطبوعة أو ألقى الضوء في ضوء أي كتاب الفراهي على الموضوع المتعلق. وأما المقالات المنشورة تحت "إفادات فراهي" التي نجد فيها الصراحة مثل هذا ذكرناها في الأجزاء المتعلقة لهذه البيلوغرافيا وفقاً لها.

أغسطس 1963م، ص 32-24، 38-29 37-29، 31-24 37-29			
رقم العدد 33 أكتوبر 1990م، ص 38-34	تدبر	خالد مسعود	تصور مكافاة الأعمال
4/15 أبريل 1968م، ص 8-7	ميثاق	خالد مسعود	الخلق وغايته
رقم العدد 16 يناير 1986م، ص 48-47	تدبر	خالد مسعود	الخلق وغايته
رقم العدد 32، يوليو 1990م، ص 42-33	تدبر	خالد مسعود	الاستدلال بالقرآن على التوحيد
1/10 يناير 1964م، ص 32-25	ميثاق	خالد مسعود	حكمة الصوم والجهاد
7/15، يوليو 1968م، ص 34-31	ميثاق	خالد مسعود	مسئلة وجود الخير والشر في العالم
10-19/17، أكتوبر 1970م، ص 48-41	ميثاق	خالد مسعود	نظام الدين
3/15 مارس 1968م، ص 40-36	ميثاق	خالد مسعود	صفات الباري تعالى
5/10، 6، 7، مايو، يونيو، يوليو 1964م، ص 42-36	ميثاق	خالد مسعود	عصمة الأنبياء
2/15 فبراير 1968م،	ميثاق	خالد مسعود	الاستدلال بالقرآن

الكريم على العقائد			ص 35-43
عقيدة الشفاعة	خالد مسعود	ميثاق	1/12 يوليو 1966م، ص 37-50
تمثيلات القرآن الكريم	خالد مسعود	ميثاق	3/16 مارس 1969م، ص 15-17
منبع الخير والشر	خالد مسعود	ميثاق	2/13 فبراير، 1967م، ص 31-34
حقيقة المعجزة	خالد مسعود	ميثاق	9/10 سبتمبر 1964م، ص 31-37
حقيقة المعجزة	خالد مسعود	مجلة "الفرقان" الشهرية، لكنائز	4/32، نوفمبر 1964م، ص 36-43
النبي ﷺ ومنصبه رسالته	خالد مسعود	ميثاق	2/10 فبراير 1964م، ص 35-44
منبع الذنوب في النفس	خالد مسعود	ميثاق	4/12 أكتوبر 1966م، ص 31-36
حقيقة الصلاة	خالد مسعود	ميثاق	5/9، 6، نوفمبر ديسمبر 1963م، ص 21-34
حقيقة الوحي	خالد مسعود	ميثاق	3/10، 4، مارس وأبريل 1964م، ص 41-51
الهداية والضلالة	خالد مسعود	ميثاق	10/15 أكتوبر 1968م، ص 41-46

محاضرات (حول فلسفة الأخلاق) ¹	الإمام حميد الدين الفراهي	نظام القرآن	1/1، محرم - ربيع الأول، 1421هـ
أصول التأويل	الإمام حميد الدين الفراهي	نظام القرآن	2/1، ربيع الثاني - جمادى الأخرى 1421هـ
من المسائل الأساسية للعقيدة والعقل	البروفيسور عبيد الله الفراهي	نظام القرآن	1/1، رجب - رمضان، 1421هـ
الإسلام	البروفيسور عبيد الله الفراهي	نظام القرآن	1/1، رجب - رمضان المبارك 1421هـ
المناسبة بين الصلاة والنسك	الإمام الفراهي	نظام القرآن	2/1، شوال - ذو الحجة، 1421هـ
تفسير سورة البقرة (في 30 حلقة)	ترجمة: الدكتور عبيد الله الفراهي	نظام القرآن	1/2 محرم الحرام - ربيع الأول 1422هـ حتى 2/9 ربيع الثاني - جمادى الأخرى 1429هـ
إفادات الفراهي	الشيخ نجم الدين الإصلاحي	نظام القرآن	1/3، محرم الحرام - ربيع الأول 1423هـ
حقيقة رمي الجمار في المنى (مستنبط من سورة الفيل)		نظام القرآن	4/9 شوال - ذو الحجة، 1429هـ

¹ من هنا تبدئ الإضافة من المترجم.

الرسائل المنشورة للإمام الفراهي¹

الأشعار المطبوعة للإمام الفراهي

المرسل	المرسل إليه	التاريخ	المحتوى	تفاصيل النشر
رسالة تعليمية للإمام الفراهي	الدكتور محمد علي شاه	25 أغسطس 1931م	الإجابة على السؤال عن بعض الآيات لسورة البقرة والمائدة والأحزاب	الإصلاح، ½ فبراير 1936م، ص 48-44
رسالة للإمام حميد الدين الفراهي رحمه الله ²	غير معروف	17 أكتوبر 1915م	إدلاء الآراء عن قضية الحجاب	مجلة "نقوش" الشهرية (لاهور) عدد الرسائل 66-65، نوفمبر 1957م، 830/2

¹ لم تذكر تحت هذا العنوان تلك الرسائل التي نشرت دراسة تحليلية وتفصيلية لها في صورة المقالات وتشمل مثل هذه الرسائل في جزء المقالات المطبوعة حول الإمام الفراهي.

² ويحفظ أصل هذه الرسالة في مكتبة مولانا آزاد بجامعة علي كره الإسلامية (ضميمه يونيورسستي كليكشن 167)

العنوان	المجلة	تفاصيل النشر
پیام امید (رسالة الأمل) 1(منظوم أردي)	معارف	4/ يوليو 1919م، ص 77
تبركات حمید (رباعیات فی الأردویة والفارسیة)	معارف	6/29، يونيو 1932م، ص 475
تبركات حمید (الغزلیة فی الأردویة والفارسیة)	مجلة "فاران" الشهریة (بجنور)	2/3 فبراير 1937م، ص 53
چند متفرق أشعار (أبیات متفرقة)	الإصلاح	3/1 مارس 1936م، ص 59
الغزلیة	الإصلاح	6/1 يونيو 1936م، ص 54
الغزلیة	الإصلاح	9/1 سبتمبر 1936م، ص 55
الغزلیة	الإصلاح	21/1، ديسمبر 1936م، ص 58
الغزلیة	الإصلاح	1/2، يناير 1937م، ص 52
الغزلیة	الإصلاح	2/2، فبراير 1937م، ص 57
فی ذکری الملحمة الکبری (قصيدة عربية)	الإصلاح	4/3 ربيع الآخر 1353هـ، ص 147-146
کلید حافظ ² (المنظومة بالفارسیة)	الإصلاح	½ فبراير 1936م، ص 58

¹ وفرضت هذه القصيدة على نموذج قصيدة العلامة إقبال الشهيرة "كبهی ای حقیقت منتظر
نظر آ لباس مجاز مین" ولم يذكر عليه اسم الشاعر ولكن يبدو من ملاحظة مدير المعارف أن
ناظم هذه القصيدة هو الأستاذ الفراهي.

² وذكر الفراهي نفسه سبب نزول هذه الغزلية في بدايتها.

الجزء الثاني

- الكتب المطبوعة حول الإمام الفراهي
- البحوث غير المطبوعة حول الإمام الفراهي
- المقالات المنشورة حول الإمام الفراهي
- المواد المختلفة المنشورة حول الإمام الفراهي

الكتب المطبوعة حول الإمام الفراهي

اسم الكتاب	المصنف/المرتب	الناشر	المطبعة	سنة الطباعة	عدد الصفحات
اسلام كا روحاني نظام اور علامه فراهي (النظام الروحاني للإسلام والإمام الفراهي)	محمد فاروق خان	المكتبة المركزية للمنظمة الإسلامية، دهلي	مطبعة جمال برنتنك	1991م	30
دو عمدہ مضمون فتنہ تکفیر اور کافر گری ¹ (مقالتان رائجتان حول فتنہ التکفیر)	السيد أبو الأعلى المودودي وشودهرى غلام پرويز		مطبعة إصلاح، سرائير	1936م	34

¹ هذا الكتيب يشتمل على المقالتين اللتين كتبنا في الرد على فتوى التكفير للعلامة شبلي النعماني والفراهي.

33	بدون تاريخ		الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائير		علامه حميد الدين فراهي أهل علم ودانش كي نظر مين (آراء العلماء عن الإمام الفراهي) ¹
168	1978 م	مطبعة اسرار كرمي، الله آباد	مكتبة الإصلاح، سرائير	محمد عنايت الله السبحاني	علامه حميد الدين فراهي ايك عظيم مفسر، ايك مايه ناز محقق، ايك بلند پايه مجدد (الإمام الفراهي كمفسر كبير ومحقق عظيم ومجدد عالٍ)
64	1973 م	مطبعة معارف، أعظم كره	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح،	عبد الرحمان ناصر الإصلاحي	مختصر حيات حميد (ترجمة موجزة للفراهي) ²

¹ يحويه المقالة الطويلة للسيد سليمان الندوي حول الفراهي وخلاصة انطباعات العلماء الجيدة ومديرو المجالات المختلفة من معاصريه.

² هذا الكتاب هو مجموعة لمقالة السيد سليمان الندوي والشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

			سرائمير		
ص476	الطبعة الأولى 2002م	بيروت	دار الغرب الإسلامي	تحقيق: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي	مفردات القرآن للإمام الفراهي ¹
948	2003م		دار التذكير، أردو بازار، لاهور	الدكتور شرف الدين الإصلاحي	ذكر فراهي (ترجمة الإمام الفراهي)
840	2001م	البلاغ پبليکیشنز، نيو دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	الدكتور شرف الدين الإصلاحي	ذكر فراهي (ترجمة الإمام الفراهي)
220	2010م		البلاغ پبليکیشنز، نيو دهلي	ألطاف أحمد الأعظمي	مولانا حميد الدين فراهي کے بنيادي افکار (الأفكار الأساسية للإمام الفراهي)
310	2013م	البلاغ پبليکیشنز نئي دهلي	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	عبيد الله الفراهي	إمام فراهي کے قرآنی افکار (الأفكار القرآنية للإمام الفراهي)

¹ من هنا تبتدئ إضافة المترجم بدون رعاية ترتيب ألفبائي أو ترتيب سنوي.

592	1992م	الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرايمير		علامه حميد الدين فراهي، حيات وأفكار- مقالات فراهي سيمينار (الإمام حميد الدين الفراهي- حياته وأفكاره. مجموعة المقالات التي قدّمت في الندوة المنعقدة حول حياة الفراهي وأفكاره)
251	2008م	مركز البحوث القرآنية، كبير كالوني، علي كره	الدكتور أبو سفيان الإصلاحي	مولانا حميد الدين فراهي مفسر ومحقق (الإمام حميد الدين كمفسر ومحقق)
240	2015م	دار الشاكر، ماليزيا	الدكتور محمد فريد راوي	الإمام حميد الدين الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن

214	2010م		مكتبه إسلام نشيمن ماركيت، علي كره	محمد رضي الإسلام الندوي	نقد فراهي
				عارف الإصلاح	مولانا فراهي كي شاعري پر ايک نظر (إطلالة على شعر الإمام الفراهي)
103	1994م		الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير	الدكتور شرف الدين الإصلاحي، الدكتور حمد الله الفراهي	مكاتيب فراهي (رسائل الفراهي)
142	1997م		دار التذكير، أردو بازار، لاهور	الدكتور شرف الدين الإصلاحي	رسائل المشاهير إلى الإمام حميد الدين الفراهي
320	أغسطس 2016م		مجلس مركزيه حزب الأنصار بهيرو، باكستان	علامه خالد مسعود، ترتيب وتدوين: حسان عارف، محسن فاراني	توضيحات فكر فراهي (الجزء الأول)
320	أكتوبر 2016م		مجلس مركزيه حزب الأنصار،	علامه خالد مسعود، ترتيب وتدوين: حسان	توضيحات فكر فراهي (الجزء الثاني)

عارف محسن فاراني	بہارہ، پاکستان				
مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله (الجزء الأول)	مدير التحرير: د. أورنك زيب الأعظمي	مولانا آزاد آنيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية	688	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م	
مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله (الجزء الثاني)	مدير التحرير: د. أورنك زيب الأعظمي	مولانا آزاد آنيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية	730	2-1/7، يناير- يونيو 2018م	
مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله (الجزء الثالث)	مدير التحرير: د. أورنك زيب الأعظمي	مولانا آزاد آنيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية	750	3/7، يوليو- سبتمبر 2018م	
علامة حميد الدين فراهي	الدكتور سكندر علي الإصلاحي	المكتبة الإسلامية	135	2018م	

			المركزية، دهلي		حيات وافكار (العلامة حميد الدين الفراهي، حياته وأفكاره)

البحوث غير المطبوعة حول الإمام الفراهي

عنوان المقالة	الباحث	للحصول على	القسم	الجامعة/المؤسسة	سنة التقديم	عدد الصفحات
الإمام حميد الدين الفراهي ومنهجه في التفسير وآراؤه في مباحث علوم القرآن	أشهد رفيق	الفضيلة	كلية الشريعة	دار العلوم ندوة العلماء، لکناؤ	1984م	111
حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه في تفسير القرآن وأثره ذلك في الهند	سيد سعید أحسن عابدي	الدكتوراه	كلية أصول الدين	الجامع الأزهر، القاهرة	غير مذكور	294
الفراهي وأثره في تفسير القرآن	معین الدين الأعظمي	الدكتوراه	العربية	جامعة علي كره الإسلامية	1968م	322
مفردات القرآن (حميد أجل)	محمد أجل	الدكتوراه	العربية	جامعة لکناؤ، لکناؤ	1982م	276

الدين فراهي) دراسة وتحقيق ¹	الإصلاحي					
عبد الحميد الفراهي حياته ودراسة نقدية تحليلية لأثاره النثرية ²	أبو نافع بن عبد المجيد الإصلاحي	الأطروحة	العربية	جامعة جواهر لعل نهرو، دهلي	1993م	152
مساهمة العلامة حميد الدين الفراهي في الأدب العربي (دراسة تحليلية لأثاره الأدبية)	عرفات ظفر	الأطروحة	العربية	جامعة جواهر لعل نهرو، دهلي	2002م	191
مساهمة عبد الحميد الفراهي في اللغة العربية وأدائها	أبو ذر متين	الدكتوراه	العربية	جامعة علي كره الإسلامية	2006م	281
التفاسير العقلية	محمد قاسم	الدكتوراه	العربية	جامعة جواهر لعل نهرو، دهلي	2012م	267

¹ تشر هذا الكتاب في سنة 2002م باسم مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية) بدار الغرب الإسلامي، بيروت.

² من هنا تبدي إضافة المترجم بدون ترتيب ألفبائي أو ترتيب سنوي.

						للقرآن الكريم في الهند مع إشارة خاصة إلى تفسير نظام القرآن للفراحي
593	2010م	جامعة بنجاب، لاهور	الأردنية	الدكتورة	حافظ أنس نضر	حميد الدين فراحي اور جمہور کے اصول تفسیر: تحقيقي وتقابلي مطالعه (أصول التفسير بين الإمام الفراهي والجمهور- دراسة مقارنة تحقيقية)
132	2008م	دار العلوم ندوة العلماء	كلية الشريعة	الفضيلة	ضياء الرحمن بن عبد المرتضى ركن الدين البهتكلي	الإمام المفسر حميد الدين الفراحي وخدماته في علوم القرآن

الدكتور أورنك زيب الأعظمي	أساليب القرآن للأستاذ الفراحي					
Ph.D Shehzad Saleem	Collection of the Quran: A Critical and Historical Study of Al-Farahi's View	University of Wales Lampeter	2010م	398		
الدكتوراه محمد شوكت أحمد صوفي	مساهمة الشيخ عبد الحميد الفراحي في الدراسات العربية والإسلامية، دراسة تحليلية ونقدية	قسم اللغة العربية والفارسية والأردوية والدراسات الإسلامية جامعة فيسفا- باراتي المركزية	2013م	500		
Ph.D Farhad Shafti	A Comparative Analysis of the Frahi School of	School of Divinity The University of Edinburgh	2016م	338		

						Thought a Case Study Approach

المقالات المنشورة حول الإمام الفراهي¹

مقالات	كاتب المقال	مأخذ	تفاصيل النشر
الافتتاحية (الخدمات القرآنية للإمام الفراهي)	اشتياق أحمد الظلي	علوم القرآن	1/5 يناير- يونيو 1990م، 8-5
أساليب القرآن (توضيح أفكار الإمام الفراهي)	مجيد خان	ميثاق	8/10 أغسطس 1964م، ص 37-45
الإسلام والأمة المسلمة (مأخوذ من مفردات القرآن وتفسير سورة الكوثر والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح)	خالد مسعود	ميثاق	1/4 يناير 1962م، ص 37-45

¹ وتشمل تحت هذا العنوان المقالات التي توجد في كتب مختلفة كباب مستقل إلى جانب المقالات المنشورة في مختلف المجلات والجرائد، كما لم يصرف النظر في هذا الجزء أيضًا عن المقالات التي كتبت من رؤية دراسة نقدية محضة. وفي نفس الجزء تشمل المقالات التحليلية والدراسية حول أي رسالة أو الرسائل للفراهي. ونقل قوسين مختلفين بصدد عناوين المقالات وفي الأول منهما ذكر ما صرح كاتب المقالة نفسه وفي ثانيهما إضافة من صاحب البيلوغرافيا. وأشار إلى المقالات العربية والفارسية في القوسين مع صراحة نوعية المقالة.

كيف نعبّر عنه؟ (دراسة نقدية لمقالة محمد رضي الإسلام الندوي "مولانا فراهي كي إيك تصنيف")	أبو يحيى	مجلة "حيات نو" الشهرية (بلريانج)	4/8، 9، أغسطس، سبتمبر 1989م، ص 3-5
أقسام القرآن-من منظور صحيح (توضيح أفكار الإمام الفراهي)	عبد المجيد خان	الرشاد	3/62، 61، أغسطس، سبتمبر 1976م، ص 6-17
الإمام حميد الدين فراهي (بالعربية)	شير محمد الندوي الإصلاحي (أبو الليث الإصلاحي)	الضياء	27 رجب 1352هـ، ص 252-260
قطعة حول تاريخ الوفاة (للإمام الفراهي)	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	18/5 نوفمبر 1980م، ص 33-35
رسالة علمية (حول حواشي الإمام الفراهي على رياض الفيض، شرح المعلقات السبع للعلامة فيض الحسن السهارنفوري)	محمد أجمل الإصلاحي	فكر ونظر	18/12، يونيو 1981م، ص 64-68
الإيمان (في ضوء مفردات القرآن وسورة الإخلاص)	خالد مسعود	ميثاق	2/6 فبراير 1963م، ص 28-34

والكوثر)			
رسالة غير مطبوعة جديدة لباقيات الإمام الفراهي	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	5/19 نوفمبر ص 51-42
باقيات الفراهي- منظومة عن الصرف العربي	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	3/8 سبتمبر 1980م، ص 44-38
Biographical Sketches of Farahi and Islahi	Mustanir Mir	Themetical and Strutural Coherence in teh Quran: A Study of Islahi's Concept of Nazm	Indianapolis (U.S.A) 1983 pp.6- 9
ساعة مع ترجمان القراهي	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	11/8 مايو 1981م، ص 42-28
ترجمان القرآن مولانا حميد الدين فراهي	شرف الدين الإصلاحي	معارف	21/47، فبراير 1991م ص 109-85

ترجمة المعلم عبد الحميد الفراهي	السيد سليمان الندوي	إمعان في أقسام القرآن	المطبعة السلفية القاهرة 1349 هـ ص 1- ح (مقدمه)
أعمال غير مطبوعة للإمام الفراهي	محمد أجمل الإصلاحي	علوم القرآن	2/5 يوليو - ديسمبر 1990 م ص 119-81
تصحيح واستدراك (على مقالة الدكتور شرف الدين الإصلاحي "المختار من قسم الشعر" منتخب من الشعر العربي المنسوب إلى الفراهي)	محمد أجمل الإصلاحي، عبد المجيد الندوي	فكر ونظر	1/9 يوليو 1981 م، ص 59-58
تفسير سورة الفيل للإمام الفراهي	أبو الليث شير محمد الندوي	ترجمان القرآن	6/6 جمادى الآخرة 1354 هـ ص 478-407
تفسير سوره الفيل (نقد آراء الفراهي وتحقيقاته)	شبير أزهر الميرثي	الرشاد	51/11، 52 أكتوبر، نوفمبر 1985 م، ص 19-6
التكميل في أصول التأويل (دراسة تحليلية)	ضياء الدين الإصلاحي	إيضاح القرآن	يونائيتيد كاربوريشن، كراتشي، (بدون تاريخ)، ص 322-289

تحقيق الإمام الفراهي حول الأحرف المقطعة	أمين أحسن الإصلاحي	مجلة "جامعة" الشهرية، نيو دلهي	1/46 نوفمبر 1961م، ص 15-19
حميد الدين الفراهي	عبيد الله الفلاحي	تاريخ الدعوة والجهاد	هندوستان پبليڪيشنز، دهلي 1984م، ص 265-257
الدائرة الحميدية	محمد أجمل الإصلاحي	ثقافة الهند	3/31، 1980 4م، ص 115-105
تفسير سورة الفيل والإمام الفراهي	محمد عالم آسي الأمرتسري	مجلة "شمس" الإسلام الشهرية (بهيرو، بنجاب)	10/9، 11، أكتوبر، نوفمبر 1938م، ص 7-2
بعض النكات من سورة القيامة (في ضوء تفسير الفراهي)	عبد السلام الندوي	معارف	1/7 يناير 1921م، ص 15-6
منهج التفسير بين الشيخ ابن تيمية والإمام الفراهي - دراسة مقارنة	أشهد رفيق الندوي	علوم القرآن	2/2 يوليو- ديسمبر 1987م، ص 76-58

الصلوة على ترجمان القرآن- آه مولانا حميد الدين [الافتتاحية]	السيد سليمان الندوي	معارف	6/26 نوفمبر ¹ 1930م، ص 324-322
عبد الحميد الفراهي ونظريته في تفسير القرآن (العربية)	احتشام أحمد الندوي	البعث الإسلامي، لكناؤ	7/8 مارس- أبريل 1964م، ص 76-71
بلاغة العرب (توضيح أفكار الفراهي وشرحها)	عبد المجيد الإصلاحي	مجلة "فاران" الشهرية (كراتشي)	11/4 فبراير 1963م، ص 21-14
كتيبات الإمام الفراهي حول النحو العربي	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	3/16 سبتمبر 1978م، 4-18
الإمام حميد الدين الفراهي كمفسر	محمد إدریس الفلاحي	مجلة "زندگي" نو" الشهرية، (نيو دلهي)	2/12 فبراير 1990م، ص 39-29
العلامة الفراهي	عبيد الله الفراهي	مجلة "دوام" الشهرية (تاندہ)	9/2 سبتمبر 1968م، ص 17-11
العلامة الفراهي- ابن تيمية	محمد إدریس	ذكرى	رقم العدد 213، يوليو 1990م، ص

¹ وتسامح مصنفًا " علامه حميد الدين فراهي " و " علامه حميد الدين فراهي hهل علم ودانش كي نظر مين " بصدد ذكر هذه الشذرة فكتبا في صفحة 43-25 لعدد ديسمبر 1930م

القرن العشرين	الفلاحي	68.65
فتنة التكفير (آراء بعض مشاهير العلماء ¹)	الإصلاح	8/1 أغسطس 1936م، ص 61-56
فتنة التكفير (نظرة إلى فتوى التكفير حول العلامة شبلي والإمام الفراهي)	ترجمان القرآن	5/8 جمادى الأولى 1355هـ، ص 441-418
فتنة التكفير (في حلقات)	ترجمان القرآن	6/8 جمادى الأخرى 1355هـ، ص 494-485
فتنة التكفير (دراسة نقدية لفتاوى التكفير حول العلامة شبلي والإمام الفراهي)	ترجمان القرآن	7/1 يوليو 1936م، ص 8-1
الفراهي والترابط الفكري في القرآن [العربية]	البعث الإسلامي	1/23 أبريل، مايو 1988م، ص 79-71
ترجمتان رائعتان للفراهي في اللغة الفارسية، ترجمة بدء الإسلام وطبقات ابن سعد	فكر ونظر	18/12 يونيو 1981م، ص 44-26

¹ انطباعات المولانا أبي الكلام آزاد والشيخ مناظر أحسن الغيلاني ومحمد سجاد وعبد الماجد الدريابادي على فتوى التكفير للعلامة شبلي النعماني والإمام الفراهي.

بعض أهم الميزات لرسائل الفراهي الفكرية (مذاكرة علمية)	أمين أحسن الإصلاحي	تدبر	رقم العدد 3 فبراير 1982 م، ص 46-43
فكر الفراهي	خالد مسعود	تدبر	رقم العدد 23 ديسمبر 1987 م، فبراير 1988 م، ص 6-3
قدمات پرستی کا کیسا جنون ہے یہ (أي جنون هذا لاتباع القدماء؟) [الاستدراك على مقالة التشودري محمد رفيق حول الموضوع واقعة أصحاب الفيل الواردة في القرآن الكريم]	محمد عنايت الله السبحاني	حيات نو	2/4، 3، 4، فبراير، مارس، أبريل 1989 م، ص 41-22، 36-28 50-39
أي جنون هذا لاتباع القدماء	محمد عنايت الله السبحاني	تدبر	رقم العدد 28 و 29 مايو 1989 م، سبتمبر 1989 م، ص 45-36، 48-39
أسلوب الخطاب للقرآن الكريم [التعبير عن آراء الإمام الفراهي]	ضياء الدين الإصلاحي	إيضاح القرآن	المصدر السابق، ص 49-29
أصول التأويل في القرآن الكريم (في ضوء التكميل)	ضياء الدين	مجلة "إسلام اور عصر	2/20 أبريل 1988 م،

في أصول التأويل)	الإصلاحي	جديد" الفصلية (نيو دلهي)	ص 30-5
بعض أساليب القرآن الكريم [توضيح آراء الإمام الفراهي]	ضياء الدين الإصلاحي	إيضاح القرآن	المصدر السابق، ص 28-5
بعض أساليب القرآن الكريم	ضياء الدين الإصلاحي	إسلام اور عصر جديد	2/4 أبريل 1982م، ص 50-32
أقسام القرآن [في ضوء إمعان في أقسام القرآن]	وحيد الدين خان	الفرقان	3/32 أغسطس 1906م، ص 32-22
لماذا أقسم الله تعالى في القرآن الكريم	شبلي النعمان	مجلة "الندوة" الشهرية (لكنائ)	¼ أبريل 1906م، ص 32-22
النظام والترتيب في القرآن الكريم والإمام الفراهي	أشهد رفيق الأعظمي	الرشاد	57/12، 58 أبريل - مايو 1986م، ص 41-30
حدث أصحاب الفيل الوارد في القرآن الكريم [نقد أفكار الفراهي]	الشودمري محمد رفيق	ترجمان القرآن	3/109، 2 أبريل - مايو 1988م، ص 39-33، 19-12
The Quranic Oath: Farahi Interpretation	Mustansir Mir	Quaterly Islamic	XXIX/I spring 1990, pp.5-28

	Studies (Islamabad)		
المختارات من قسم الشعر- المنسوب إلى الإمام الفراهي	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	10/8 أبريل 1981م، ص 37-51
مدرسة الإصلاح والعلامة شبلي والإمام الفراهي	أمين أحسن الإصلاحي	الإصلاح	8/1 أغسطس 1936م، ص 1-8
حياة الإمام الفراهي بالإيجاز	أمين أحسن الإصلاحي	مجموعه تفاسير فراهي	مركزي جماعت إسلامي، لاهور (بدون تاريخ)، ص 21-50 (مقدمة)
المعلم عبد الحميد الفراهي من حيث شاعر فارسي [الفارسية]	سعيد الأنصاري	المقالات الخمس	مطبعة جديد اردو تائب، لاهور (بدون تاريخ) ص 69-84
مفسر القرآن	عبد الماجد الدريابادي	معاصرين	مؤسسة إنشاء ماجدي، كولكاتا، 1979م، ص 121-132
تاريخ مناسك الحج (دراسة نقدية لآراء الإمام الفراهي وتلاميذه)	محمد رضي الإسلام الندوي	حيات نو	5/2، 6 مايو، يونيو، يوليو، 1987م، ص 17-28، 28-42

تاريخ مناسك الحج- نقد الاستدراك ¹	محمد رضي الإسلام الندوي	الرشاد	21/18 يناير 1990م، ص 40-34
منهج ابن تيمية في التفسير ومبدء الشيخ الفراهي	أشهد رفيق الندوي	بحوث الندوة العالمية	الجامعة السلفية، بنارس 1991م، ص 280-277
مولانا حميد الدين	السيد سليمان الندوي	معارف	1/27، 2، يناير 1931م، ص 17-7، 34-85
مولانا حميد الدين	السيد سليمان الندوي	الإصلاح	11/2، 12 نوفمبر وديسمبر 1937م، ص 44-35، 57-47
مولانا حميد الدين الفراهي ²	السيد سليمان الندوي	ياد رفتگان	دار المصنفين، أعظم كره، 1986م، ص 132-110
مولانا حميد الدين الفراهي ¹		الإصلاح	10/1 أكتوبر 1936م، ص 61-53

¹ كان الشيخ نسيم ظهير الإصلاحي قد رد على مقالة الدكتور رضي الإسلام الندوي بعنوان "مناسك حج كي تاريخ-مولانا فراهي اور ان کے افکار کا تنقيدي مطالعة" فهذه المقالة رد على هذا النقذ.

² تشمل افتتاحية السيد سليمان الندوي الذي كتبها على وفاة الإمام الفراهي والمقالة التي نشرها في مجلة "معارف" فيما بعد.

مولانا حميد الدين الفراهي	أمين أحسن الإصلاحي	إشراق	6/3 يونيو 1991م، ص 37-61
مولانا حميد الدين الفراهي	السيد أبو الأعلى المودودي	شخصيات	مكتبه ذكرى، رامفور، 1979م، ص 194-196
مولانا حميد الدين الفراهي	نجم الدين الإصلاحي	مجلة "تذكرة" الشهرية (ديوبند)	8/1، 11، 12، 13، سبتمبر وديسمبر 1959م
مولانا حميد الدين الفراهي	حبيب الرحمان القاسمي	تذكرة علماء أعظم كره	الجامعة الإسلامية، بنارس، 1976م، ص 79-88
مولانا حميد الدين الفراهي	محمد يونس النغرامي	العلماء الهنود للعلوم العربية وفنونها وخدماتهم	مطبعة نامي، لكتناؤ، 1979م، ص 69-75
مولانا حميد الدين الفراهي	عبيد الله فهد الفلاحي	أعلام علي كره وخدماتهم	رقم العدد 24، يناير 1987م، يوليو 1988م، ص 69-75

¹ لخصت في هذه المقالة آراء أعلام العلماء ومديري المجالات عن الإمام الفراهي.

(عدد خاص لمجلة فكر ونظر)			
3 ½، ديسمبر 1976م	جريدة "داعي" نصف الشهرية (مومباي)	عبد الماجد الدريابادي	مولانا حميد الدين الفراهي
7 فبراير 1988م، ص 8-5	جريدة "إيشيا" الأسبوعية (لاهور)	إقبال سهيل	مولانا حميد الدين الفراهي - ذكريات
2/34، فبراير-يوليو 1985م	ميثاق	أسرار أحمد	مولانا حميد الدين الفراهي وحد الرجم
2/49، فبراير 1942م، ص 102-85	معارف	أمين أحسن الإصلاحي	مولانا حميد الدين الفراهي وعلم الحديث
5/10 مايو 1991م، ص 28-20	مجلة "تهذيب الأخلاق" الشهرية (علي كره)	ظفر الإسلام	مولانا حميد الدين الفراهي والعلوم الجديدة
11/6، نوفمبر	مجلة	إقبال	مولانا حميد الدين الفراهي

وعلي كره	سهيل	"تهذيب الأخلاق" الشهرية	1987م، ص 9-13
الشعر الفارسي لمولانا حميد الدين الفراهي	الميرزا إحسان أحمد	مقالات احسان	مطبوعة معارف، أعظم كره 1968م، ص 354-337
قصيدة غير مطبوعة لمولانا حميد الدين الفراهي	شرف الدين الإصلاحي	معارف	4/142، أكتوبر 1988م، ص 311-308
تفسير سورة أبي اللهب للإمام حميد الدين الفراهي	ضياء الدين الإصلاحي	علوم القرآن	1/2 يناير- يونيو 1987م، ص 28-7
تفسير سورة الشمس للإمام حميد الدين الفراهي	ضياء الدين الإصلاحي	علوم القرآن	2/4 يوليو- ديسمبر 1989م، ص 39-26
ضجة التكفير حول العلامة شبلي النعماني والإمام الفراهي	السيد سليمان الندوي	الإصلاح	8/1 أغسطس 1936م، ص 28-25
الإمام حميد الدين الفراهي	السيد عبد الحي الحسني	نزهة الخواطر	دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد 1970م، 230-229/8
الإمام حميد الدين الفراهي	نبي هادي	نوائى فهلوي	المطبعة الحميدية،

[الفارسية]			سرائيمير، 1967م، ص ح-س (المقدمة)
الإمام حميد الدين الفراهي ونسبته "الفراهي"	شرف الدين الإصلاحي	علوم القرآن	1/1 يوليو-ديسمبر 1985م، ص 145-136
الإمام حميد الدين الفراهي والحديث	محمد رضي الإسلام الندوي	مجلة "تحقيقات إسلامي" الفصلية	4/9 أكتوبر- ديسمبر 1990م، ص 57-26
نظرة إلى الفكر القرآني للإمام حميد الدين الفراهي وأمين أحسن الإصلاحي	عطاء الرحمان	تدبر	رقم العدد 23، سبتمبر 1987م، ص 48-42
رسالة غير مطبوعة للإمام حميد الدين الفراهي	شرف الدين الإصلاحي	معارف	3/138 سبتمبر 1986م، ص 225-220
منهج التفسير للإمام حميد الدين الفراهي ¹	نسليم ظهير الإصلاحي	تحقيقات إسلامي	4/8 أكتوبر- ديسمبر 1989م، ص 116-113
منهج التفسير للإمام حميد الدين الفراهي	نسليم ظهير الإصلاحي	إشراق	5/3 مايو 1991م، ص 56-45

¹ قدم فيه دراسة نقدية لمقالة الدكتور رضي الإسلام الندوي التي عنوانها "مولانا فراهي كي تصنيف - أحكام الأصول بأحكام الرسول".

الذوق العربي للإمام حميد الدين الفراهي ¹	السيد أحمد عروج القادري	مجلة "دانش" الشهرية (رامفور)	
الشعر العربي للإمام حميد الدين الفراهي (أصداء آيات القرآن الكريم)	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	7/16 يناير 1979م، ص 27-5
الإمام حميد الدين الفراهي (مظهر قومية الإسلام)	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	8/16 فبراير 1979م، ص 112-100
تصنيف الإمام حميد الدين الفراهي: أحكام الأصول بأحكام الرسول	محمد رضي الإسلام الندوي	الرشاد	90/18 أبريل-يونيو 1989م، ص 38-29
دراسة تحليلية للاعتراضات الواردة على تفسير سورة الفيل للإمام حميد الدين الفراهي ²	نسليم ظهير الإصلاحي	تحقيقات إسلامي	2/6 أبريل-يونيو 1987م، ص 72-48
دراسة تحليلية	نسليم ظهير	تدبر	رقم العدد 23،

¹ قد أشار الشيخ السيد عروج أحمد القادري إلى هذه المقالة في صدد الدراسات حول ديوان الأستاذ الفراهي العربي (نشر في مجلة "زندگي نو"، نوفمبر 1967م).

² كتب هذه المقالة في الرد على مقالة الشيخ شبير أزهري الميرتبي المعنونة "تفسير سورة فيل" (سبق ذكره ص 51).

للاعتراضات الواردة على تفسير سورة الفيل للإمام حميد الدين الفراهي ¹	الإصلاحي		ديسمبر 1987م، ص 41-17
دراسة نقدية لتفسير سورة الفيل للإمام حميد الدين الفراهي ²	محمد رضي الإسلام الندوي	حيات نو	12/2، 13 ديسمبر 1987م، يناير 1988م، ص 20-6، 19-7
تفسير سورة الفيل للإمام حميد الدين الفراهي	محمد رضي الإسلام الندوي	مجلة "حكمة القرآن" الشهرية لاهور	2/7، 3، فبراير، مارس 1988م، ص 44-32، 46-31
الخدمات العلمية للإمام حميد الدين الفراهي	خالد مسعود	تدبر	رقم العدد 33 أكتوبر 1990م، ص 46-39
دراسة للاعتراضات الواردة حول بعض الآراء للإمام حميد الدين الفراهي ¹	نسيم ظهير الإصلاحي	حيات نو	7/3، 8، يوليو، وأغسطس 1988م، ص 20-6، 23-5

¹ كتب هذه المقالة في الرد على مقالة الشيخ شبير أزهر الميرتبي المعنونة "تفسير سورة فيل" (سبق ذكره ص51).

² قدم فيها دراسة نقدية لمقالة الشيخ نسيم ظهير الإصلاحي المذكورة أعلاه بعنوان "مولانا فراهي كي تفسير سورة فيل بر اعتراضات كا جائزه" إلى جانب النقد على تفسير سورة الفيل للفراهي.

أصول التفسير للإمام حميد الدين الفراهي	محمود أحمد لودهي	ميثاق	3/21 مارس 1974 م، ص 74-37
تعليقات غير مطبوعة للإمام حميد الدين الفراهي	سلطان أحمد الإصلاحي	علوم القرآن	51 يناير 1990 م، ص 69-50
التعليقات الخطية للإمام حميد الدين الفراهي على الانتقان في علوم القرآن	محمد أجمل الإصلاحي	علوم القرآن	رقم العدد 1/1 يوليو- ديسمبر 1985 م، ص 124-79
التعليقات الخطية للإمام حميد الدين الفراهي على الانتقان في علوم القرآن	محمد أجمل الإصلاحي	تدبر	رقم العدد 20-18 يوليو ونوفمبر 1986 م، فبراير 1987 م، ص 45-28، 40-29 48-42
نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان	محمد سالم القدوائي	المفسرون الهنود وتفاسيرهم العربية	المكتبة الجامعية، دهلي الجديدة، 1973 م، ص 160-142
نظم القرآن وجمهرة	شبلى	الندوة	1/2 ديسمبر

¹ رد فيها على مقالة الدكتور رضي الإسلام الندوي المعنونة "مناسك حج كي تاريخ-مولانا فراهي اور ان کے تلامذہ کے افکار کا جائزہ".

البلاغة	النعماني		1905م، ص 14-1
نظم القرآن، وجمهرة البلاغة	شبلي النعماني	مقالات شبلي	مطبوعة معارف، 1964م، 28-13/2
Nazm According to Fafahi and Islahi	Mustansi r Mir	Themietica l and Structural Coherence ain the Quran: A study of Islahi Concept of Nazm	Op. Cit, pp.25-26
رسالة ولي عهد نيبال إلى الإمام حميد الدين الفراهي	شرف الدين الإصلاحي	معارف	2/131 فبراير 1983م، 155-243
الإمام العلامة عبد الحميد الفراهي ومنهجه في التفسير ¹	د. محمد يوسف الشرجي	كتاب الواقع الجزء الثاني، الندوة حول "القرآن الكريم	مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ص.497-513

¹ من هنا تبديء إضافة المترجم بدون رعاية ترتيب ألفبائي أو ترتيب سنوي.(م)

	والجهود المبدولة في خدمته من بداية القرى الرابع عشر الهجري إلى اليوم		
		الدكتور مطلوب	جمهرة البلاغة
67 / 21، 2006م	مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت	د. محمد يوسف الشريجي	أصول التأويل بين الراغب الأصفهاني وعبد الحميد الفراهي
ببلي كيشن دوزن اي ايم يو ، علي كره، بدون سنة، ص 126- 161	نقاش إسلامي وأدبي	البروفيسو ر أبو سفيان الإصلاحي	الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي مفسراً وأديباً
ببلي كيشن دوزن اي ايم يو ، علي كره، بدون سنة، ص 162- 176	نقاش إسلامي وأدبي	البروفيسو ر أبو سفيان الإصلاحي	الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي في مجال العلوم الحديثة
ببلي كيشن دوزن اي ايم يو ، علي كره،	نقاش إسلامي	البروفيسو ر أبو	الأستاذ الإمام الفراهي في

رسائل شبلي النعماني	سفيان الإصلاحي (ترجمة: أبوسعد الأعظمي)	وآدي	بدون سنة، ص 177- 202
الأستاذ الإمام عبد الحميد الفراهي وكتابه أساليب القرآن: تعريف موجز	البروفيسو ر أبو سفيان الإصلاحي	نقاش إسلامي وآدي	ببلي كيشن دوزن اي ايم يو ، علي كره، بدون سنة، ص 202- 233
العلامة الفراهي عند العلماء الهنود	عرفات ظفر	البعث الإسلامي	يوليو 2004م، ص 84-73
الأستاذ العلامة حميد الدين الفراهي وآراؤه في النقد والبلاغة	البروفيسو ر محمد راشد الندوي (ترجمة: تسنيم كوثر)	مجلة المجمع العربي الهندي	2-1/17، يونيو 1995م، ص 54-29
المزايا الأسلوبية لكتابات العلامة حميد الدين الفراهي	عرفات ظفر	ثقافة الهند	ج 55، 2004م، ص 42-30
العلامة حميد الدين الفراهي من كبار علماء	عرفات ظفر	مجلة الجامعة،	نوفمبر 2006م، ص 56-51

التفسير في الهند	كيرا لا		
العلامة حميد الدين الفراهي أديبًا ومفسرًا	البعث الإسلامي	عرفات ظفر	يوليو 2008 م، ص 76-81
العلامة حميد الدين الفراهي ومساهمته في الشعر العربي	مجلة المجمع العلمي العربي	عرفات ظفر	جامعة علي كره الإسلامية، ج 27، 2007 م-2008 م، ص 136-160
العلامة الفراهي كما يراه العلماء الهنود والباحثون العرب	مجلة الصحة الإسلامية	عرفات ظفر	حيدرآباد، يونيو 2007 م، ص 80-89
العلامة الفراهي ومساهمته في الأدب العربي	ثقافة الهند	عرفات ظفر	دهلي، 3/63، 2010 م، ص 122- 138
القضايا المعاصرة في شعر عبد الحميد الفراهي	مجلة المظاهر	عرفات ظفر	سهارنפור، نوفمبر- ديسمبر 2008 م، ص 34-41
النظم في القرآن: دراسة مقارنة بين آراء الشيخين النورسي والفراهي	مجلة الشروق	عرفات ظفر	قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة آسام، ج 2، 2014 م، ص 24-33
الإمام عبد الحميد الفراهي وكتابه جمهرة البلاغة	الديبل	الدكتور أورنك زيب الأعظمي	يوليو-ديسمبر 2016 م، ص 1-24

التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور عند الإمام الفراهي	الدكتور أورنك زيب الأعظمي	البعث الإسلامي	10/4، ص 22-32
الجانب الإقتصادي في فكر الإمام الفراهي	الدكتور عبد العظيم الإصلاحي (ترجمة: الدكتور أورنك زيب الأعظمي)	المظاهر	¼، ص 31-38
دراسة الكتب السماوية والعلامة حميد الدين الفراهي	الحكيم محمد أفضل الإصلاحي (ترجمة: الدكتور أورنك زيب الأعظمي)	البعث الإسلامي	10/42، ص 39-47
الإمام عبد الحميد الفراهي وكتابه أساليب القرآن	الدكتور أورنك زيب الأعظمي	مجلة مدرسة الإصلاح	1994م، ص 2-14
الإمام الفراهي ونظريته عن الإنجيل	البروفيسور ر أطفاف	مجلة الهند	4/2، ص 94-113

		أحمد الأعظمي (ترجمة: الدكتور أورنك زيب الأعظمي)	
الإمام حميد الدين الفراهي والتقوى	عرفات ظفر	مجلة دعوة القرآن	لكنّاؤ، أكتوبر-ديسمبر 2011م، ص 40-54
الإمام حميد الدين الفراهي وخطب رسائله وكتبه	أورنك زيب الأعظمي	ترجمان دارالعلوم ديوبند	11/2، ص 49-55
الافتتاحية (الندوة حول خدمات الفراهي- حاجتها وإفاديتها)	البروفيسو ر اشتياق أحمد الظلي	علوم القرآن	5/1، يناير- يونيو 1990م، ص 5-8
الافتتاحية (انطباعات عن الندوة المنعقدة حول لإمام حميد الدين الفراهي)	البروفيسو ر اشتياق أحمد الظلي	علوم القرآن	2-1/6 يناير-ديسمبر 1991م، ص 5-10
الافتتاحية (الفكر الفراهي-خلفيته وأسبابه)	البروفيسو ر اشتياق أحمد	علوم القرآن	1/18، يناير- يونيو 2003م، ص 5-21

الظلي			
الافتتاحية (الفكر الفراهي-المرض والعلاج)	البروفيسو ر اشتياق أحمد الظلي	علوم القرآن	2/18، يوليو -ديسمبر 2003م، ص 4-16
الإمام الفراهي ونظريته عن الإنجيل	البروفيسو ر أطفاف أحمد الأعظمي	علوم القرآن	2/7، يوليو -ديسمبر 1992م، ص 61-67
الحركة الفكرية والإصلاحية لترجمان القرآن الإمام حميد الدين الفراهي	البروفيسو ر اشتياق أحمد الظلي	علوم القرآن	2-1/16، يناير- ديسمبر 1991م، ص 83-96
حكمة القرآن	حميد الدين الفراهي (ترجمة وترتيب: خالد مسعود)	علوم القرآن	2-1/3، يناير-ديسمبر 1988م، ص 14-36
حكمة القرآن	حميد الدين الفراهي (ترجمة)	علوم القرآن	1/6، يناير-يونيو 1989م، ص 9-24

		وترتيب: خالد مسعود)	
2/6 يوليو - ديسمبر 1989م، ص 9-25	علوم القرآن	حميد الدين الفراهي (ترجمة وترتيب: خالد مسعود)	حكمة القرآن
1/5 يناير - يونيو 1990م، ص 9-21	علوم القرآن	حميد الدين الفراهي (ترجمة وترتيب: خالد مسعود)	حكمة القرآن
2-1/6 يناير - ديسمبر 1991م، ص 109-123	علوم القرآن	عبد العظيم الإصلاحي	الجانب الاقتصادي الأساسي في فكر الإمام الفراهي
2/17 يوليو -ديسمبر 2002م، ص 70-99	علوم القرآن	أبو سفيان الإصلاحي	الاستشهاد بكلام العرب في تفسير الإمام حميد الدين الفراهي

الاستشهاد بكلام العرب في تفسير الإمام حميد الدين الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	علوم القرآن	1/18، يناير-يونيو 2003م، ص 73-94
الاستشهاد بكلام العرب في تفسير الإمام حميد الدين الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	علوم القرآن	2/18، يوليو-ديسمبر 2003م، ص 48-65
الإمام حميد الدين الفراهي في علي كراه	أبو سفيان الإصلاحي	أعلام اللغة العربية وآدابها في الهند	قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية 2003م، ص 59-81
الإمام حميد الدين الفراهي والسيد سليمان الندوي	أبو سفيان الإصلاحي	أعلام اللغة العربية وآدابها في الهند	قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، 2003م، ص 83-104
مفردات القرآن-دراسة	أبو سفيان الإصلاحي	بعض أهم المباحث القرآنية	قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، مارس 2002م، ص 11-50
حكمة القرآن-دراسة	أبو سفيان الإصلاحي	بعض أهم المباحث القرآنية	قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، مارس 2002م، ص 51-70

تفسير سورة التين للإمام حميد الدين الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	بعض أهم المباحث القرآنية	قسم اللغة العربية وأدائها، جامعة علي كره الإسلامية، مارس 2002م، ص 71-82
الإمام حميد الدين الفراهي والحديث النبوي	محمد أكرم الندوي	معارف	2/151، فبراير 1993م، ص 85-103
الإمام حميد الدين الفراهي والحديث النبوي	محمد أكرم الندوي	معارف	3/151، مارس 1993م، ص 165-176
رسالتان غير مطبوعتان للإمام حميد الدين الفراهي (إلى الحاج رشيد الدين خا)	ظفرالاسلام م الإصلاحي	معارف	3/183، سبتمبر 2008م، ص 226-232
الندوة حول الإمام حميد الدين الفراهي	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	5/148، نوفمبر 1991م، ص 380-383
الإمام حميد الدين الفراهي - حياته وأفكاره	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	1/151، يناير 1993م، ص 68-76
الإمام حميد الدين الفراهي ونظريته نظم القرآن	محمد راشد الندوي	معارف	2/156، أغسطس 1995م، ص 85-110

تفسير سورة الذاريات للإمام حميد الدين الفراهي	محمد عارف العمري	معارف	6/164، أكتوبر 1999م، ص 284- 300
في ملكوت الله للإمام حميد الدين الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	معارف	4/171، أبريل 2003م، ص 270- 295
البيان الحلفي للإمام حميد الدين الفراهي في المحكمة (20، يونيو 1910م، أعظم كره)	شرف الدين الإصلاحي	معارف	6/148، ديسمبر 1991م، ص 454- 471
في ملكوت الله للإمام حميد الدين الفراهي-دراسة	ألطاف أحمد الأعظمي	معارف	6/185، يونيو 2010م، 466-4.7
في ملكوت الله للإمام حميد الدين الفراهي-دراسة تعريفية	ألطاف أحمد الأعظمي	معارف	1/186، يوليو 2010م، ص 5-25
مفسر القرآن الإمام عبد الحميد الفراهي ونظريته عن الحديث النبوي	سلطان أحمد الإصلاحي	تحقيقات إسلامي	1/13، يناير-مارس 1994م، ص 65-92
مفسر القرآن الإمام عبد الحميد الفراهي ونظريته عن الحديث النبوي	سلطان أحمد الإصلاحي	تحقيقات إسلامي	2/13، أبريل-يونيو 1994م، ص 77-96
منهج الإمام عبد الحميد	كليم	نظام القرآن	2/11، ربيع

الفراهي في تدريس القرآن	صفات الإصلاحي	الثاني-جمادى الأخرى، 1431هـ
الإمام عبد الحميد الفراهي ودار المصنفين	فضل الرحمن الإصلاحي	2/16، مارس - يونيو 2015م، ص 35-45
الإمام عبد الحميد الفراهي في علي كره	أبو سفيان الإصلاحي	1/32، ص 51-65 فكر ونظر، علي كره
حكمة القرآن- دراسة تعريفية	أبو سفيان الإصلاحي	2-1/21، 1994م، ص 67-78 مجلة علوم إسلاميه، علي كره
الإمام عبد الحميد الفراهي والسيد سليمان الندوي	أبو سفيان الإصلاحي	3/36، يناير- مارس 2001م، ص 102- 159 فكر ونظر، إسلام آباد
الإمام عبد الحميد الفراهي- آثاره وأفكاره	أبو سفيان الإصلاحي	8/21، سبتمبر 2004م، ص 23-27 تهذيب كراتشي
نظرية التعليم عند الإمام عبد الحميد الفراهي في ضوء القرآن	أبو سفيان الإصلاحي	نواء أدب مومباي
مباحث سيرة النبي عند الإمام عبد الحميد الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	لجنة السيرة، قسم اللغة العربية وأدائها، 2013م، ص 54-61 ساز حرم
الإمام عبد الحميد الفراهي	أبو سفيان تهذيب	4/32، 2013م، ص

في علي كره	الإصلاحي	الأخلاق	22-7
الإمام عبد الحميد الفراهي- حياته وخدماته	أبو الليث الإصلاحي (ترجمة: محمد راشد الإصلاحي)	علوم القرآن	1/7 يناير- يونيو 1882م، ص 104- 106
تفسير نظام القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي- دراسة تعريفية	عبيد الله فهد الفلاحي	علوم القرآن	2-1/16، يناير -ديسمبر 1991م، ص 97-107
الإمعان في أقسام القرآن- دراسة تعريفية	فخر الإسلام الأعظمي	علوم القرآن	2/8، يوليو-ديسمبر 1993م، ص 26-39
التحقيق اللغوي لألفاظ اليهود والنصارى	حميد الدين فراهي (ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي)	علوم القرآن	2/7 يوليو-ديسمبر 1992م، ص 8-13
نظم القرآن- نظرية الإمام عبد الحميد الفراهي وأبو الأعلى المودودي	مولانا نعيم الدين الإصلاحي	تحقيقات إسلامي	3/28، يوليو -سبتمبر 2009م، ص 98-104

نظم القرآن- نظرية الإمام عبد الحميد الفراهي وأبو الأعلى المودودي	احتشام أحمد الندوي	تحقيقات إسلامي	1/29، يناير-مارس 2010م، ص 105- 108
مصادر فهم القرآن ومبادئها- دراسة لأفكار الإمام عبد الحميد الفراهي	عبيد الله فهد الفلاحي	مجلة علوم إسلاميه	4-1/25-24، 2004-2006م، ص 65-23
الخدمات القرآنية للإمام عبد الحميد الفراهي (في ضوء كتابات الشيخ ضياء الدين الإصلاحي)	محمد رضي الإسلام الندوي	علوم القرآن	1/26 يناير-يونيو 2011م، ص 48-79
منهج التفسير للإمام عبد الحميد الفراهي	الدكتور محمد يوسف الشريجي (ترجمة: أبو سعد نسيم الإصلاحي)	نظام القرآن	أكتوبر-ديسمبر 2011م، ص 54-75
تعليقات في تفسير القرآن الكريم للإمام عبد الحميد الفراهي- دراسة تعريفية	أبو سعد الأعظمي	علوم القرآن	2/28، يوليو -ديسمبر 2013م، ص 85-104
جمهرة البلاغة للإمام عبد الحميد الفراهي	الدكتور مطلوب أحمد	تحقيقات إسلامي	3/35، يوليو -سبتمبر 2016م،

ص 108-83		(ترجمة: أبو سعد الأعظمي)	
2/33، أبريل- يونيو 2014م، ص 96-75	تحقيقات إسلامي	الدكتور محمد يوسف الشربجي (ترجمة: أبو سعد الأعظمي)	أصول التأويل بين الراغب الأصفهاني والإمام الفراهي- دراسة مقارنة
2/30، يوليو -ديسمبر 2015م، ص 119-96	علوم القرآن	أبو سعد الأعظمي	الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن - دراسة وتحليل
1/34، يناير-مارس 2015م، ص 95- 116	تحقيقات إسلامي	عبد الرحمن المعلمي اليمني (ترجمة: الدكتور محمد رضي الإسلام الندوي)	دراسة نقدية لتفسير سورة الفيل للإمام عبد الحميد الفراهي
النادي العربي،	اليقظة	حبيب الله	ديوان المعلم عبد الحميد

الفراهي دراسة تعريفية	الإصلاحي	مجلة سنوية	جامعة علي كره الإسلامية، 2016م، ص 32-35
المعلم عبدالحميد الفراهي وجهوده في الدراسات القرآنية	عمرو الشرقاوي	مجلة الدراسات الدينية	العدد الثالث، ربيع الأول 1437هـ، ص 13-6
المفاهيم القرآنية في قصائد المعلم عبدالحميد الفراهي	د. محمود حافظ عبد الرب مرزا	البعث الإسلامي	6/60، ديسمبر 2014م، ص 42-49
مباحث السيرة النبوية في فكر الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	مسائل السيرة النبوية ومباحثها	مجمع السير سيد، جامعة علي كره الإسلامية 2015م، ص 300-331
الآراء التفسيرية بين السير سيد و الإمام عبد الحميد الفراهي	أبو سفيان الإصلاحي	مطالعة السير سيد	پبلی کیشن دویزن، جامعة علي كره الإسلامية، 2013م، ص ۱۳-۵۱
الإمام عبد الحميد الفراهي، حياته وأعماله	الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ترجمة: محمود	مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي،	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م ، ص 11-30

عاصم)	الجزء الأول		
العلامة سيد سليمان الندوي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 36-31	المعلم عبد الحميد الفراهي
الشيخ شير محمد الإصلاحي الندوي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 47-37	الإمام حميد الدين الفراهي
أ.د. أبو سفيان الإصلاحي (ترجمة: أبو سعد الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 70-48	العلامة حميد الدين الفراهي في علي جراه
د. أشفاق ظفر الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 81-71	المعلم عبد الحميد الفراهي وتلاميذه البارزون
أ.د. ظفر الاسلام الإصلاحي (ترجمة: د. هيفاء	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 90-82	الإمام الفراهي ودار المصنفين

شاكري			
الإمام عبد الحميد الفراهي كما يراه العلماء الهنود والفضلاء العرب	د. عرفات ظفر الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 105-91
ملاحج التجديد في تفسير القرآن الكريم (عند عبد الحميد الفراهي)	د. محمد إقبال فرحات	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 141-106
منهج عبد الحميد الفراهي في دراسة القرآن الكريم	د. أبوذر متين	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 155-142
نظرية الإمام الفراهي في الأصول من خلال (التكميل في أصول التأويل)	د. حسن يشو	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 199-156
منهج الإمام الفراهي لتأويل الآيات	الشيخ محمد عمر الإصلاحي (ترجمة: د. محفوظ الرحمن)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 216-200
التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور عند الإمام الفراهي	الشيخ نسيم ظهير الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 226-217

		(ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي)	
4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 236-227	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	أ.د. أحمد حسن فرحات	إمام العربية والتفسير في شبه القارة الهندية
4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 264-237	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	أ.د. ابوسفیان الإصلاحي	الإمام عبد الحميد الفراهي مفسرًا وأديبًا
4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 275-265	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	الشيخ أفتاب عالم الندوي (ترجمة: محمد عبد القيوم الإصلاحي)	العلامة عبد الحميد الفراهي وتحقيق مفردات القرآن
4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 291-276	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	الشيخ سلطان أحمد الإصلاحي (ترجمة: محمد ياسر)	مفسر القرآن الإمام عبد الحميد الفراهي ونظريته عن الحديث النبوي

د. أوريك زيب الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 292-299	بداية العهد الجديد في تاريخ النحو العربي
البروفيسو ر محمد راشد الندزي (ترجمة: عبد الكريم)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 311-300	الآراء النقدية للعلامة الفراهي في ضوء كتابه جمهرة البلاغة
د. أحمد مطلوب	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 331-312	جمهرة البلاغة
د. أورنك زيب الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 359-332	الإمام عبد الحميد الفراهي وكتابه "جمهرة البلاغة"
د. حمدي عبد الله نافع	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 428-360	الإمام عبد الحميد الفراهي: منهجه وآراؤه في قضايا العقيدة الإلهية
البروفيسو ر أطفاف أحمد الأعظمي (ترجمة: د.)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 451-429	الإمام الفراهي ونظريته عن الإنجيل

أورنك زيب (الأعظمي)			
الموقف السياسي للإمام الفراهي	أبو الأعلى سيد بن محمد عناية الله	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 465-452
الأستاذ عبد الحميد الفراهي والعلوم الحديثة	أ.د. أبو سفيان الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 476-466
الجانب الاقتصادي في فكر الإمام الفراهي	أ.د. عبد العظيم الإصلاحي (ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 485-477
منهج القرآن الكريم في تربية العقول (قراءة في كتاب حجج القرآن للعلامة الفراهي)	د. محي الدين	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 507-486
المزايا الأسلوبية لكتابات العلامة حميد الدين الفراهي	د. عرفات ظفر الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 517-508
الإمام عبد الحميد الفراهي	د. أورنك	مجلة الهند،	4-1/6، يناير-

ومساهمته وخطب رسائله وكتبه	زيب الأعظمي (ترجمة: د. محمد معتصم الأعظمي)	عدد خاص، الجزء الأول	ديسمبر 2017م، ص 527-518
العلامة عبد الحميد الفراهي ومساهمته في الشعر العربي	د. عرفات ظفر الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 552-528
الدائرة الحميدية	د. أورك زيب الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 592-553
لمحات تعريفية عن كتاب "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" للإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله	محمد شفاء الرحمن	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 607-593
إطلالة على "رسائل في علوم القرآن" لحميد الدين الفراهي	د. وارث المظهري (ترجمة: محمد معراج الحق البغدادي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير - ديسمبر 2017م، ص 615-608
قراءة في كتاب "حكمة	د. عظمت	مجلة الهند،	4-1/6، يناير -

القرآن للإمام الفراهي	الله الندوي	عدد خاص، الجزء الأول	ديسمبر 2017م، ص 621-616
الرأي الصحيح في من هو الذبيح	د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 632-622
كتاب "في ملكوت الله" من أهم مؤلفات الشيخ الفراهي رحمه الله تعالى	البروفيسو ر أطفاف أحمد الأعظمي (ترجمة: محمد شفاء الرحمن)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 669-633
فاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان	العلامة سيد سليمان الندوي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 671-670
كتاب دلائل النظام	الشيخ بدر الدين الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 677-672
أساليب القرآن	الشيخ بدر الدين	مجلة الهند، عدد خاص،	4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص

680-678	الجزء الأول	الإصلاحي	
4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 684-681	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي	إمعان في أقسام القرآن
4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 686-685	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	الشيخ بدر الدين الإصلاحي	ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي
4-1/6، يناير- ديسمبر 2017م، ص 687	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الأول	الشيخ عبد الرحمن الكاشغري	ذكرى حميد الدين الفراهي
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 9-10	مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله، الجزء الثاني	العلامة عبد الحي الحسني	مولانا عبد الحميد الفراهي (المعروف بحميد الدين الفراهي)
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 11-25	مجلة الهند، عدد خاص،	العلامة سيد سليمان	الشيخ عبد الحميد الفراهي

	الجزء الثاني	الندوي (ترجمة: د. صنوبر جيلاني)	
إسهامات الشيخ عبد الحميد الفراهي خلال إقامته في مدينة "لؤلؤ" حيدر آباد	د. محمد فضل الله شريف	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 38-26
الأستاذ الإمام الفراهي في رسائل شبلي النعماني	أ.د. أبوسفي ان الإصلاحي (ترجمة: أبو سعد الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 58-39
المعلم عبد الحميد الفراهي وجهوده في الدراسات القرآنية	عمرو الشرقاوي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 67-59
العلامة عبد الحميد الفراهي (إطلالة على مساهمته في الدراسات القرآنية)	د. محمد أشرف حسين	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 75-68
الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلموه دراسة نظرية	د. حسن يشو	مجلة الهند، عدد خاص،	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 76-

186	الجزء الثاني		تحليلية تطبيقية
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 187- 208	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	د.محمد عناية الله أسد سبحاني (ترجمة: د. محمد أجمل)	منهج الفراهي منهج علي متميز
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 209- 241	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	د. محمد يوسف الشربجي	الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 242- 267	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	د. محمد قاسم العادل	منهج الإمام الفراهي في تفسير القرآن كما اتبعه في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 268- 278	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	محمد فاروق خان (ترجمة: د.عرفات ظفر الأعظمي)	الإمام الفراهي يمتلك نظرة ثاقبة
2-1/7، يناير-يونيو	مجلة الهند،	الأستاذ	منهج الإمام الفراهي

لتفسير القرآن الكريم	نسليم ظهير الإصلاحي الغازي (ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي)	عدد خاص، الجزء الثاني 2018م، ص 279- 290
الإمام عبد الحميد الفراهي ونظريته لنظم القرآن	البروفيسو ر أطفاف أحمد الأعظمي (ترجمة: ناياب حسن القاسمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني 2018م، ص 291- 311
شواهد على وجود النظم في القرآن الكريم	البروفيسو ر أطفاف أحمد الأعظمي (ترجمة: د. محمد فضل الله شريف)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني 2018م، ص 312- 333
الإمام الفراهي ومنهجه لتحقيق الحديث والسنة	الشيخ خالد	مجلة الهند، عدد خاص، 2018م، ص 334-

346	الجزء الثاني	مسعود الباكستاني (ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي)	
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 347- 380	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	البروفيسور ر أطفاف أحمد الأعظمي (ترجمة: أصف إقبال)	الشيخ عبد الحميد الفراهي وأراؤه عن الحديث النبوي
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 381- 446	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	د. صالح سعيد الزهراني	سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 447- 481	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	د. محمد إقبال فرحات	منهجية الإمام الفراهي في بحث مسائل العقديّة
2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 482- 493	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	الشيخ نظام الدين الإصلاحي (ترجمة: عمر رضا)	الإمام الفراهي والحكومة الإلهية

الإمام عبد الحميد الفراهي والعلوم الجديدة	أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي (ترجمة: د. محمد معتصم الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 494-504
نظرة تأملية في إنتاجات المعلم عبد الحميد الفراهي الشعرية	د. محمد معتصم الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 505-520
خطبة "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"	المعلم عبد الحميد الفراهي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 521-526
تفسير سورة الإخلاص	المعلم عبد الحميد الفراهي (ترجمة: د. هيفاء شاكري)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 527-548
ترتيب ونظام القرآن الكريم	المعلم عبد الحميد الفراهي (ترجمة: د. أورنك زيب)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 549-554

		الأعظمي	
أفكار أثناء ترجمة معاني القرآن	المعلم عبد الحميد الفراهي (ترجمة: د. أورتك زيب الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 555-561
تعليقات الإمام عبد الحميد الفراهي الخطية على كتاب "الاتقان في علوم القرآن" للسيوطي	د. محمد أجمل الإصلاحي (ترجمة: سميراء أجمل)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 562-594
سلسلة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض المسائل الهامة	المعلم عبد الحميد الفراهي (ترجمة: د. ظفر الإسلام خان)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 595-615
كتاب "مفردات القرآن" للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن	د. محمد أجمل الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 616-664
منهج الإمام الفراهي في	محمد	مجلة الهند،	2-1/7، يناير-يونيو

كتابه "تعليقات في تفسير القرآن الكريم"	شفاء الرحمن	عدد خاص، الجزء الثاني	2018م، ص 665-686
قراءة في رسائل في علوم القرآن (المجموعة الثانية لرسائل الإمام عبد الحميد الفراهي)	د. عرفات ظفر الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 687-700
مع الإمام الفراهي في كتابه: القائد إلى عيون العقائد	د. محمد عناية الله أسد سبحاني	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 701-713
تعليقات في تفسير القرآن الكريم	البروفيسور عبيد الله الفراهي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 714-716
التكميل في أصول التأويل	الشيخ بدر الدين الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 717-718
القائد إلى عيون العقائد	الشيخ بدر الدين الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 719-724
في ملكوت الله	الشيخ بدر الدين الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثاني	2-1/7، يناير-يونيو 2018م، ص 725-726
مقطوعات على وفاة الإمام	أبو	مجلة الهند،	2-1/7، يناير-يونيو

عبد الحميد الفراهي	النعمان عبد الرحمن المثوي	عدد خاص، الجزء الثاني	2018م، ص 730
العلامة عبد الحميد الفراهي	أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي (ترجمة: د.محمد فضل الله شريف)	مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 17-33
أساتذة المعلم عبد الحميد الفراهي	محمود عاصم	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 34-58
الكلمة الافتتاحية (في ندوة دولية حول حياة وأعمال الإمام الفراهي بمدرسة الإصلاح)	العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي (ترجمة: د.محفوظ الرحمن)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 59-67

الشيخ عبد الحميد الفراهي حياته وجهوده في مجال الدراسات القرآنية	د. محمد فريد راوي بن عبدالله	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 68-94
منهج تفسير العلامة عبد الحميد الفراهي	الشيخ جلال الدين أنصر العمري (ترجمة: أبو آدم فريد بن عبد الحفيظ الهندي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 95-103
عبد الحميد الفراهي ونظريته في تفسير القرآن	البروفيسو ر احتشام أحمد الندوي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 104-107
الفراهي والترابط الفكري في القرآن	أ.د. معين الدين الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 108-121
أثر نظام القرآن في بيان مقاصد الأسماء والصفات	أ.د. أحمد حسن فرحات	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 122-151

الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلموه دراسة نظرية تحليلية تطبيقية	د. حسن يشو	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 152- 309
مفهوم الحكمة عند الإمام الفراهي	الشيخ خالد مسعود (ترجمة: محمد غللمان)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 310- 318
مساهمة الإمام عبد الحميد الفراهي والشيخ محمد عبده في مجال التفسير: دراسة مقارنة	د. منظر عالم	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 319- 337
الآراء التفسيرية للسيد أحمد خان والإمام الفراهي- دراسة مقارنة	أ.د. أبوسفیان الإصلاحي (ترجمة: أبو سعد الإصلاحي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 338- 370
آراء الإمام عبد الحميد الفراهي والشاه ولي الله الدهلوي عن المعجزات، دراسة مقارنة	أ.د. سعود عالم القاسمي (ترجمة: د.)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 371- 390

أورنك زيب (الأعظمي)			
النظرات التعليمية للعلامة عبد الحميد الفراهي	السيد مظفر حسين الغزالي (ترجمة: د. زبيبة نيرة)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 391- 399
الشيخ عبد الحميد الفراهي وأسلوبه في تعليم اللغة العربية	د. محفوظ الرحمن	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 400- 411
الإمام عبد الحميد الفراهي نحويا	د. أبوذر متين	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 412- 426
إسهامات عبد الحميد الفراهي في إعراب القرآن	أبو الأعلى السيد بن محمد عناية الله	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 427- 443
دراسة الكتب السماوية والعلامة حميد الدين الفراهي	د. محمد أفضل الإصلاحي (ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 444- 452

الإمام الفراهي الفقيه البارع كما يتجلى في كتابه "الرائع في أصول الشرائع"	د.محي الدين غازي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 453- 468
العلامة الفراهي ونظرية الإسلام في الحكم والخلافة	أ.د. عبيد الله فهد الفلاحي (ترجمة: عمر رضا)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 469- 500
جمهرة البلاغة	أ.د. أحمد حسن فرحات	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 501- 539
المعلم عبد الحميد الفراهي وتفسيره "سورة الفيل" والتعقيب عليه	د. محمد أجمل الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 540- 565
نظرة على الاعتراضات على سورة الفيل للإمام عبد الحميد الفراهي	الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي (ترجمة: د.محمد معتصم الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 566- 587
العلامة الفراهي والشعر	د.سيد عبد الباري	مجلة الهند، عدد خاص،	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 588-

الشرقي	(ترجمة: د. هيفاء شاكري)	الجزء الثالث	602
العلامة حميد الدين الفراهي وشعره العربي	فخر عالم بدر الدين الأعظمي (ترجمة: مرزا نفيس بيك)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 603-611
الشعر الفارسي للإمام عبد الحميد الفراهي	الميرزا إحسان أحمد (ترجمة: د. أورك زيب الأعظمي)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 612-627
إنسأ نرى أم خلقاً جديداً	عمار جاويد القسوري	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 628-652
الشيخ عبد السلام الفراهي (أحد تلاميذ الإمام الفراهي)	د. أورك زيب الأعظمي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 653-662
"ذكر فراهي" دراسة وتعريف	أ.د. أبوسفیان الإصلاحي	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 663-663

678	الجزء الثالث	(ترجمة: أبوسعد الإصلاحي)	
3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 679- 704	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	الشيخ ضياء الدين الإصلاحي (ترجمة: محمد شفاء الرحمن)	تعليقات الشيخ عبد الحميد الفراهي على بعض رسائل العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى
3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 705- 706	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	سيد رشيد رضا	نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان
3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 707- 714	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	د. شكري فيصل	دلائل النظام
3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 715- 726	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	العلامة شلي النعمان (ترجمة: عبد الكريم)	"نظم القرآن" و"جمهرة البلاغة" للشيخ حميد الدين الفراهي
3/7، يوليو-سبتمبر	مجلة الهند،	د. عبيد	"الرسوخ في معرفة الناسخ

مجلة الهند

والمنسوخ" للإمام الفراهي: دراسة نقدية	الرحمن طيب	عدد خاص، الجزء الثالث	2018م، ص 727- 741
"الدائرة الحميدية" بمدرسة الإصلاح مؤسسة علمية للعلوم العربية	أبو أمانة الإصلاحي (ترجمة: مشتاق عالم)	مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث	3/7، يوليو-سبتمبر 2018م، ص 742- 750
Maulana Hamiduddin Farahi: A Great Indian Arabic Scholar	Arfat Zafar	Monthly Al Hidaya	Jaipur, Octobrr 2003
Maulana Hamiduddin Farahi's Wiew on Education	Abu Sufyan Islahi	History of Science Philosophy and Culture in Indian Civilation.	Vol. 11, Part 5, Center for Studies in Civilisation, 11- 383-392

المواد المختلفة المنشورة حول الإمام الفراهي (المراثي)

ذكرى بمناسبة مرور سنتين على وفاته (رثاء في اللغة العربية)	عبد الرحمان الكاشغري الندوي		7/1 رجب 1351هـ/ نوفمبر 1932م، ص 30.29

رثاء في العربية والفارسية حول الإمام حميد الدين الفراهي	أبو نعمان عبد الرحمان الكاشغري	مجلة "آثار" الشهرية (مئو)	2/2 جمادى الأولى 1404هـ/ فبراير ١٩٨4م، ص 39-40
منظومة غي ذكرى الأستاذين الإمامين شبلي النعماني والإمام حميد الدين الفراهي	محمد يعحي	الإصلاح	1/1 يناير 1936م، ص 60-61

الجزء الثالث

استعراضات الكتب المطبوعة للإمام الفراهي

الكتاب	المستعرض	المجلة/الكتب	التفاصيل
أساليب القرآن	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	4/64 أبريل 1970م، ص 286
أساليب القرآن	السيد أحمد عروج القادري	زندگي	2/46 فبراير 1971م، ص 64
أسباق النحو (الجزء الأول)	(مجهول)	ترجمان القرآن	1/10 محرم 1356هـ/ 1936م، ص 80
أسباق النحو (الجزء الأول والثاني)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	4/37 أكتوبر 1956م، ص 255
أسباق النحو (الجزء)	مجيب الله	معارف	6/95 يونيو 1965م، ص

الأول)	الندوي		478
أسباق النحو (الجزء الثاني)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	2/10 صفر 1356هـ/1937م، ص 160
أسباق النحو (الجزء الثاني)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	1/40 يوليو 1937م، ص 80
القائد إلى عيون العقائد	محمد عنايت الله الندوي	إسلام اور عصر جديد (نيو دلهي)	4/9 أكتوبر 1977م، ص 130-99
إمعان في أقسام القرآن (العربية)	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر، إسلام آباد	7/17 يناير 1980م، ص 51-49
الإمعان في أقسام القرآن (العربية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	5/125 مايو 1980م، ص 390-398
أقسام القرآن (ترجمة أردوية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	6/48 ديسمبر 1941م، ص 477-476
أقسام القرآن (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	4/19، 65 ديسمبر 1941م، ويناير، فبراير 1942م، ص 303-302
أقسام القرآن (ترجمة أردوية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	1/182 يناير 1958م، ص 78-77
أقسام القرآن (ترجمة أردوية)	السيد عروج أحمد	زندگي (رامفور)	2/26 فبراير 1961م، ص 61-60

القادري			
أمثال آصف الحكيم	(ص)	ترجمان القرآن	4/12 يونيو 1938 م، ص 320
أمثال آصف الحكيم	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	4/18 أكتوبر 1980 م، 64-62
أمثال آصف الحكيم	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	5/44 مايو 1960 م، ص 317
تفسير بسم الله وسورة الفاتحة (ترجمة أردوية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	2/85 فبراير 1960 م، ص 158
	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	3/82 مارس 1958 م، ص 238-237
تفسير سورة التحريم (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	2/43 أغسطس 1959 م، ص 128-127
تفسير سورة القيامة (العربية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	2/32 أغسطس 1983 م، ص 156-155
تفسير سورة القيامة (العربية)	شرف الدين الإصلاحي	فكر ونظر	7/21 فبراير 1984 م، ص 63-62
تفسير سورة القيامة (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن ¹	
تفسير سورة القيامة	السيد أبو الأعلى	أدبيات	المكتبة المركزية للمنظمة الإسلامية، دهلي،

¹ لم نستطع العثور على التفاصيل الباقية لنشر هذه الدراسة.

351-347 ص 1980م،	المودودي	المودودي	(ترجمة أردوية)
5/14 مايو 1945م، ص 319	برهان	محمد حفظ الرحمان	تفسير سورة القيامة (ترجمة أردوية)
2/43 أغسطس 1959م، ص 128-127	برهان	سعيد أحمد الأكبر آبادي	تفسير سورة القيامة (ترجمة أردوية)
4/19، 5، 6 ديسمبر 1941م، يناير، فبراير، 1942م، ص 302	ترجمان القرآن	السيد أبو الأعلى المودودي	تفسير سورة المرسلات (ترجمة أردوية)
السابق الذكر، ص 355-354	أدبيات المودودي	السيد أبو الأعلى المودودي	تفسير سورة المرسلات (ترجمة أردوية)
2/43 أغسطس، 1959م، ص 128-127	برهان	سعيد أحمد الأكبر آبادي	تفسير سورة المرسلات (ترجمة أردوية)
4/46 أكتوبر 1940م، ص 316-315	معارف	الشاه معين الدين الندوي	تفسير سورة عبس (ترجمة أردوية)
4/5 أكتوبر 1940م، ص 312-311	برهان	سعيد أحمد الأكبر آبادي	تفسير سورة عبس (ترجمة أردوية)
2/43 أغسطس 1959م، ص 128-127	برهان	سعيد أحمد الأكبر آبادي	تفسير سورة عبس (ترجمة أردوية)
5/15 يناير 1940م، ص 392-391	ترجمان القرآن	السيد أبو الأعلى المودودي	تفسير سورة الشمس (ترجمة أردوية)
السابق الذكر، ص 358-356	أدبيات المودودي	السيد أبو الأعلى	تفسير سورة الشمس (ترجمة أردوية)

المودودي			
تفسير سورة الشمس (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	4/2 فبراير 1940م، ص 158
تفسير سورة الشمس (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	2/43 أغسطس 1959م، ص 128-127
تفسير سورة التين (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	1/14 مارس 1939م، ص 73-72
تفسير سورة التين (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	أدبيات المودودي	السابق الذكر، ص 360-359
تفسير سورة التين (ترجمة أردوية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	1/46 يوليو 1940م، ص 76-75
تفسير سورة التين (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	2/43 أغسطس 1959م، ص 128-127
تفسير سورة العصر (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	1/12 محرم 1357هـ، ص 77-76
تفسير سورة العصر (ترجمة أردوية)		مجلة أردو (لجنة تطوير اللغة الأردوية)، أورنغ آباد-	71/18 يوليو 1938م، ص 713-712

	الدكن		
تفسير سورة العصر (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	2/43 أغسطس 1959م، ص 128-127
تفسير سورة الفيل (العربية)	السيد لأبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	6/6 جمادى الأولى 1354هـ، ص 475-476
تفسير سورة الفيل (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	12 محرم الحرام 1357هـ، ص 76
تفسير سورة الفيل (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	أدبيات المودودي	السابق الذكر، ص 362-361
تفسير سورة الفيل (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	2/43 أغسطس 1959م، ص 128-127
تفسير سورة الكوثر (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	1/10 محرم الحرام 1356هـ، ص 79
تفسير سورة الكوثر (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	أدبيات المودودي	السابق الذكر ص 364-363
تفسير سورة الكوثر (ترجمة أردوية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	5/39 مايو 1937م، ص 397-396
تفسير سورة الكوثر (ترجمة أردوية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	4/83 أبريل 1959م، ص 317

تفسير سورة الكوثر (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	5/44 مايو 1960 م، ص 317-316
تفسير سورة الكافرون (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	1/12 محرم الحرام 1357 هـ، ص 78-76
تفسير سورة الكافرون (ترجمة أردوية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	4/14 أبريل 1938 م، ص 316-315
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	1/10 محرم الحرام 1356 هـ، ص 80-79
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)	السيد أبو الأعلى المودودي	أدبيات المودودي	السابق الذكر، ص 366-365
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)	غلام أحمد پرويز	الإصلاح	2/2 فبراير 1937 هـ، ص 128-126
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)	أبو الليث الإصلاحي الندوي	فاران (بجنور)	3/3 مارس 1937 م، ص 62-61
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)		مجلة أردو	66/7، أبريل 1997 م، ص 472-471
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	2/14 فبراير 1938 م، ص 236-235
تفسير سورة اللهب (ترجمة أردوية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	2/43 أغسطس 1959 م، ص 128-127

تفسير نظام القرآن (سورة الذاريات وسورة اللهب- العربية)	مجهول	معارف	8/4 أكتوبر 1921م، ص 319
تفسير سورة إخلاص	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	4/83 أبريل 1959م، ص 317
تفسير سورة إخلاص	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	5/44 مايو، 1960م، ص 317-316
التكميل في أصول التأويل (العربية)	أمين أحسن الإصلاحي	ميثاق	7/15 يوليو، 1968م، ص 57-59
التكميل في أصول التأويل (العربية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	3/103 مارس 1969م، ص 238
التكميل في أصول التأويل (العربية)	السيد عروج أحمد القادري		
التكميل في أصول التأويل (العربية)	السيد عروج أحمد القادري	زندگي	2/43 أغسطس 1969م، ص 61-62
التكميل في أصول التأويل (العربية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	1/147 يناير 1991م، ص 79-80
جمهرة البلاغة (العربية)	السيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن	2/18 أبريل 1941م، ص 160-162
جمهرة البلاغة	السيد أبو	أدبيات	السابق الذكر، ص

440-438	المودودي	الأعلى المودودي	(العربية)
477	معارف	الشاه معين الدين الندوي	جمهرة البلاغة (العربية)
59-58	معارف	السيد سليمان الندوي	خرد نامه (الفارسية)
25-22	ميثاق	أمين أحسن الإصلاحي	دلائل النظام (العربية)
59-57	زندگي	السيد عروج أحمد القادري	دلائل النظام (العربية)
397-393	فكر ونظر	محمد سرور	دلائل النظام (العربية)
915-908	مجمع اللغة العربية	شكري فيصل	دلائل النظام (العربية)
60-59	زندگي	السيد عروج أحمد القادري	ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي (العربية)
59	فاران	ماهر القادري	ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي (العربية)
408	فكر ونظر (راولفندي)	محمد سرور	ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي

(العربية)			
ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي (العربية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	6/44 ديسمبر 1989م، ص 480
من هو الذبيح (ترجمة أردوية)	السيد عروج أحمد القادري	زندگي	6/26 فبراير 1961م، ص 62-61
الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (العربية)	(مجهول)	معارف	5/7، 6، يونيو 1921م، ص 262
فاتحة تفسير نظام القرآن (العربية)	السيد أبو الأعلى المودودي		1/14 مارس 1939م، ص 72-69
فاتحة تفسير نظام القرآن (العربية)	السيد أبو الأعلى المودودي		السابق الذكر، ص 351-347
فاتحة تفسير نظام القرآن (العربية)	الشاه معين الدين الندوي	معارف	1/43، أبريل 1939م، ص 318-317
في ملكوت الله (العربية)	ضياء الدين الإصلاحي	معارف	5/108، نوفمبر 1971م، ص 399
في ملكوت الله (العربية)	السيد عروج أحمد القادري	زندگي	6/47 ديسمبر 1971م، ص 64-63
في ملكوت الله (العربية)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان	3/68 مارس 1972م، ص 213
في ملكوت الله (العربية)	صدر الدين	علوم	1/5 يناير - يونيو

139-135 ص 1990م،	القرآن	الإصلاحي	
5/4، مايو 1940م، ص 392	برهان	"ع"	مفردات القرآن (العربية)
2/18 أبريل 1941م، ص 160	ترجمان القرآن	السيد أبو الأعلى المودودي	مفردات القرآن (العربية)
1/82، يناير 1958م، ص 77	معارف	شاه معين الدين الندوي	مقدمة تفسير نظام القرآن (ترجمة أردوية)
2/12، 29، صفر 1327هـ/ 22 مارس 1909م، ص 136-135	مجلة المنار (مصر)	السيد رشيد رضا	نظام القرآن وتاويل الفرقان بالفرقان ¹ (العربية)
3/41، 4، سبتمبر، أكتوبر 1967م، ص 93-91	ميثاق	م-م--	نواء فيلوي (الفارسية)
3/40 مارس 1968م، ص 55-54	زندگي	السيد أحمد القادري	نواء فيلوي (الفارسية)
10/5 أبريل 1968م، ص 794-793	فكر ونظر	محمد سرور	نواء فيلوي (الفارسية)
3/70، سبتمبر 1947م، ص 164-161	جامعة	شعيب أحمد الأعظمي	نواء فيلوي (الفارسية)
1-2 يناير -ديسمبر 2001م ص 161-141	علوم القرآن	محمد فاروق خان	حكمة القرآن

¹ تتضمن هذه الدراسة تفسير سورة القيامة وتفسير سورة أبي اللمب.

مفردات القرآن (نظرات جديدة...)		علوم القرآن	1/17 يناير - يونيو 2003م، ص 142-138
تعليقات في تفسير القرآن (الجزء الأول)	أبو سعد الأعظمي	علوم القرآن	2/25 يوليو - ديسمبر 2010م، ص 133-132
تعليقات في تفسير القرآن (الجزء الثاني)	أبو سعد الأعظمي	علوم القرآن	1/26 يناير - يونيو 2011م، ص 135-137

المعلومات المبعثرة حول الإمام الفراهي

(ألف: كتب)

الكتب	المصنف/ المرتب	تفاصيل النشر	نوعية المعلومات
آپ بیٹی (السيرة الذاتية)	عبد الماجد الدريا بادي	مكتبة فردوس لکناؤ، 1978م	کر ورعه وزهده وشغفه بال وفضله (ص357)
تذكرة دار العلوم (حيدر آباد)	نصير الدين الهاشمي	حيدر آباد 1362هـ	الأستاذ الفراهي ودار العلوم (ص44-45) إسهاماته في إعداد المقررات الدراسية للجامعة العثمانية (ص73) رئاسة لجنة الأدب (ص94)
التصوف	سيد وحيد أشرف	دائرة المعارف، ديلور (بدون)	محاولة إثبات رؤية وحدة الوجود في ضوء ترجمة الفراهي لسورة الإخلاص (ص108-)

حيات سلطاني (حياة سلطان جهان بيغم نوابة فوبال وخدماتها)	محمد أمين الأزهري المارهوري	مطبعة عزيزي، أغره 1939هـ	تعيين اسعي السيد سليمان الندوي والفراهي لإتمام سيرة النبي من العلامة شبلي النعمانى
حياة شبلي	السيد سليمان الندوي	مطبعة معارف، دار المصنفين، أعظم كره 1970م	استفادته من العلامة شبلي النعمانى (ص97) إشارة إلى الرسائل المختلفة المرسلة إلى الفراهي (188، 189، 321، 373، 491، 685، 686) انعقاد حفلة برعاية لجنة الأدب في كلية محمدين إنجلو الشرقية لمهنة العلامة شبلي النعماني عندما لقب بشمس العلماء وتقديم الفراهي القصيدة العربية بهذه المناسبة (ص249- 151) تدريس كتاب الدروس الأولية حول فلسفة جديدة لطلاب ندوة العلماء (ص431- 433) شغف مولانا أبي الكلام آزاد وحبه العميق بالقرآن الكريم تحت إشراف مجالس الفراهي (ص444) تمكنه من منصب مدير دار العلوم

وإسهاماته الدراسية من هذه الناحية (515-505) تم الاقتراح على قيام جامعة بالمدينة في سنة 1913م وكون الأستاذ الفراهي في الأسماء المقترحة للأساتذة من الهند (ص529) تشكيل لجنة لترجمة إنجليزية موثوق بها للقرآن الكريم في سنة 1910م تحت إشراف ندوة العلماء واختيار الفراهي لإتمام هذا العمل (ص582-584) تأسيس مجلس علم الكلام في سنة 1912م للقضاء والاستيصال على الاعتراضات الباطلة والآراء الفاسدة لأوربا واختيار الفراهي لذلك (584-585) مدرسة الإصلاح والفراهي (ص682- 690) لقاء الفراهي ومولانا عبید الله السندي في كراتشي (ص685) تأسيس مجلس إخوان الصفا بعد وفاة العلامة شبلي النعماني وذاك لإتمام أعماله الناقصة واختيار الفراهي فيه (689) وصية شبلي النعماني قبل وفاته لإعطاء			

المسودات للسيد سليمان الندوي والأستاذ الفراهي (722- 724) علاقة شبلي الوطيدة مع الفراهي وانطباعاته عنه (781) بيعة الفراهي من مولانا وارث حسن خلال أستاذيته في جامعة اله آباد (832).			
تبادل الأفكار والآراء بين الفراهي وأكبر الله آبادي حول الترجمة الأردوية لبعض الألفاظ الإنجليزية (رقم الرسالة 5، ص 48، 49) دراسة تحليلية لرؤية الأستاذ الفراهي حول الحديث (ص 144-145)	نسيم بك دبو، لكناؤ، (بدون تاريخ)	عبد الماجد الدريا بادي	خطوط مشاهير (رسائل المشاهير) (الجزء الأول)
	مجمع سندهم ساغر، لاهور، 1944م	عبيد الله السندهي	شاه ولي الله اور ان كا فلسفه (الشاه ولي الله وفلسفته)
الأستاذ الفراهي والحديث (16)، (17)	مطبعة جيد ترقي، دهلي (بدون تاريخ)	مؤسسة طلوع إسلام دهلي (ترتيب)	الشاه ولي الله والقرآن والحديث (التلخيص المدون للأستاذ عبيد الله السندهي)
ذكر تلامذته المبرزين (ص 40- (41)	مكتبه ذكرى، رامفور	محمد عنایت الله السبحاني	شیدائے قرآن مولانا اختر

أحسن إصلاحي کے مختصر حالات (ترجمة الشيخ أخت أحسن الإصلاحي عالم شغف حبًا بالقرآن)			
قاموس الكتاب اردو	ترتيب: أنجمن ترقی أردو، باكستان، تحت الإشراف الدكتور عبد الحق	أنجمن پریس کراتشي	الترجمات الأردنية لكتب الفراهي وتفسيره العربية (ص39، 40، 47، 48، 112)
قرآن حکیم کے اردو تراجم (الترجمات الأردوية للقرآن الکریم)	صالحة عبد الحکیم، شرف الدين خان	شرف الدين الکتبي وأولاده، مومباي، 1984م	الترجمات الأردنية لتفسير مختلف السور للفراهي (ص138-139)
قرآن کریم کے اردو تراجم	أحمد خاں	مقتدره قومي زبان، اسلام	الترجمات الأردنية لأجزائه التفسيرية (ص176، 178)

	آباد 1987م		(ترجمات القرآن الكريم الأردوية) (بيلوغرافيا)
تحليل آراء الفراهي حول حاكمية الله في ضوء كتابه "في مكوت الله" (344-335)	المكتبة المركزية منظمة إسلامية بدهلي 1988م	السيد حامد علي	قرآني اصطلاحات اور علماء سلف وخلف (المصطلحات القرآنية وعلماء السلف والخلف)
التحليل النقدي لتفسير سورة الفيل للفراهي (ص376، 389)	ندوة المصنفين، دهلي، 1952م	حفظ الرحمان السيوهاروي	قصص القرآن
ذكر استفادة السيد سليمان الندوي ومناظر أحسن الغيلاني وعبد الماجد الدرياآبادي من مؤلفات الفراهي (12، 18، 50)	دار المصنفين، أعظم كره، 1946م	محمد عمران خان الندوي	مشاهير أهل علم كي محسن كتابين (الكتب الروائد لمشاهير العلماء)
التفاسير العربية لمختلف	مطبعة	يوسف اليان	معجم

المطبوعات العربية والمعربة (الجزء الثاني)	سركيس	سركيش، مصر، 1928م	السور وذكر الإيمان في أقسام القرآن (1438)
مكاتيب سليمان (رسائل السيد سليمان الندوي)	مسعود عالم الندوي	مكتبه جراغ، لاهور	طلب مبيضات الفراهي للنشر (رقم الرسالة 12، 25، ص32، 49) اقتراح نشر الإيمان في أقسام القرآن بدلاً عن عدد مجلة الضياء للشهرين (رقم الرسالة 19، ص42) استفسار عن جمهرة البلاغة والرد عليه (رقم الرسالة 105، 106، ص173، 180)
رسائل شبلي (الجزء الثاني)	شبلي النعمانى	دار المصنفين، أعظم كره، 1927م	سبع وسبعون رسالة إلى الفراهي ومعلومات مفيدة عن حياته وتعليمه وأعماله التدرسية ونشاطاته التأليفية (رقم الرسالة 1-77، ص1-55)
رسائل غيلاني	منت الله الرحمانى	دار الإشاعة رحمانى، مونگیر، (بدون تاريخ)	مديرية دار العلوم حيدرآباد وخدماته الإدارية والتعليمية لهذه المؤسسة (ص293، رقم الحاشية 1، ص294، رقم الحاشية 1) خطة الجامعة العثمانية (295، 369)
مكتوبات سليمانى	عبد الماجد الدريابادى	مطبعة شاهي لكناؤ،	الرد على السؤال عن أسباق النحو (ص89) سبب عدم

وجود الترجمة الأردوية لأجزائه التفسيرية العربية في حياته (ص233) مرض الأستاذ الفراهي وعلاجه وذهابه إلى مدينة متهرا للعلاج وذكر وفاته (ص268) الفراهي من حيث الرئيس لأعضاء مجلس دار المصنفين (ص280)	1963م		
ذكر الأستاذ الفراهي من حيث التلميذ البار للعلامة عبد العلي الفرنجي محلي وتلمذه عليه لفترة قصيرة (ص59)	علي كره 1985م	غلام مرسلين	المولانا عبد العلي فرنجي محلي (حياته وخدماته)
ذكر زهد الفراهي وورعه وعلمه وفضله في صدد الوفيات حول السيد سليمان الندوي (ص69)	مجمع مولانا عبد الماجد الدرابادي، لكتناؤ، 1978م	عبد القوى الدرابادي (المرتب)	وفيات ماجدي أو المراثي النثرية
ذكر الترجمات الأردوية للفراهي لمختلف السور القرآنية (الرقم 19-2316، 29-2391، ص615-618، 620)	Istanbul 1986	Ekmeleddin Ishsanoglu	World Bibliography of the Translation of the Meaning of the Holy Quran
ذكر خدمات الفراهي الأدبية	مطبعة	محمد يوسف	هندستان مين

عربي علوم وفنون كـ ممتاز علماء اور ان كي خدمات (أبرز العلماء الهنود في العلوم العربية وفنونها وخدماتهم)	النغرامي	نامي، لكتاؤ، 1979م	مع التعريف الوجيز بكتبه من أمثال آصف الحكيم، جمهرة البلاغة وديوان المعلم الفراهي (ص 227-246)
هندستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت (نظام التعليم والتربية للمسلمين الهنود) (الجزء الثاني)	مناظر أحسن الغيلاني	ندوة المصنفين، دهلي، 1944م	الإمام الفراهي ونظم القرآن في ضوء تفسير نظام القرآن (ص 279، 280)
المسلمون الهنود	السيد أبو الحسن علي الندوي	مجلس تحقيقات ونشریات، لكتاؤ، 1961م	ذكر براعته في العربية والبلاغة (ص 50)
History of the M.A.O. Collage	S.K. Bhatnagar	Aligarh 1969	تعيينه وتدرسه كأستاذ مساعد للغة العربية في كلية محمدن انجلو الشرقية

(ص222) المغادرة إلى كلية ميور			
الله آباد (ص219)			

(ب: المقالات)

المضمون	الكاتب	تفاصيل النشر	نوعية المعلومات
الإصلاح (دراسة)	سعيد أحمد الأكبر آبادي	برهان، 3/1 سبتمبر 1938م	ذوقه القرآني وشغفه الخاص بالعلوم القرآنية (ص228)
الإصلاح (دراسة)	سيد أبو الأعلى المودودي	ترجمان القرآن 1/8 محرم 1355هـ	براعة الإمام الفراهي في التفسير وتعريف الدائرة الحميدية (ص95، 96)
أصول التفسير (دراسة) (مصنفه: محمد مالك الكاندهلوي)	ماهر القادري	فاران، 7/16 أكتوبر 1964م	توضيح نظرية الفراهي عن أقسام القرآن والاستعجاب عن عدم وجوده في الكتاب (ص48)
لجنة المترجمين		علي كره إنستي تيوت كزت، 4، دسمبر 1907م	تأسيس لجنة ترجمة الكتب المفيدة العلمية الإنجليزية إلى الأردوية واختيار الفراهي ووحيد الدين سليم كمديري هذه اللجنة (ص٢)
منظومة تاريخية على وفاة العلامة	شرف الدين الإصلاحي	معارف 2/114 أغسطس 1989م	التاريخ المحدد لتعيين الفراهي في دار العلوم بحيدرآباد 20 يونيو

شيلي النعماني			1914م (ص152)
ببلوغرافيا عالمية لترجمة القرآن الكريم (دراسة)	ظفر الإسلام	علوم القرآن 2/2، يوليو- ديسمبر 1987م	الاستدراك على بعض الزلات لهذا الكتاب عن الترجمات الأردنية لأجزائه التفسيرية (ص142-143)
تطور الشعر العربي في الهند	محمد أسلم الإصلاحي	ثقافة الهند 3/37-4 1986م	التعريف الوجيز لشاعرية الفراحي العربية (ص18-19)
تفسير رجحانات اور نئي تفسير كي ضرورت (الاتجاهات التفسيرية والحاجة إلى تفسير جديد)	معين الدين الأعظمي	برهان 3/69، سبتمبر 1972م	خصائص منهج الفراحي للتفسير (ص192، 193) المقارنة بين منهج الفراحي وبنت الشاطي في التفسير (ص195) نظم القرآن والإمام الفراحي (ص197- 198)
التفسير والمفسرون	يونس النجرامي	البعث الإسلامي، 7/36 ربيع الأول 1412هـ	الدراسة الوجيزة حول حياة الفراحي وخدماته (ص85-90)
رسالة حول تفسير سورة الفيل	هداية الله	دار العلوم 5/2، جمادى الأولى 1360هـ	بيان آرائه حول تفسير سورة الفيل للفراحي (ص9)
جوزف هارويز	ظفر الإسلام	ناموران علي كره، تيسراكاروان، المجلد الثاني (عدد خاص ص34، 35)	تعيين الفراحي كأستاذ مساعد في كلية محمدين انجلو الشرقية وأعماله (ص34، 35)

العبرانية من البروفيسور جوزف هارويز وتعليمه العربية (ص35، 36)	لمجلة فكر ونظر عن كبار المتخرجين في جامعة علي كره الإسلامية) مارس 1991م		
الملاحظة الوجيزة حول مجموعة التفاسير للفراي (ص631، 632)	سياره دائجست (عدد خاص بالقرآن الكريم) 5/13 نوفمبر 1969م (المجلد الثاني)	معروف شاه الشيرازي	من أشهر التفاسير
رؤية الإمام الفراهي عن الأحرف المقطعة المذكورة في القرآن (ص16، 17، رقم الحاشيه 1)	حيات نو 7.6/1، ديسمبر 1986ء يناير 1987م	محمد رضى الإسلام الندوي	حروف مقطعات- دراسة علمية
ذكر كون الفراهي عم الشاعر الأردوي الشهير خليل الرحمن الأعظمي (ص262، 263)	ناموران علي كره، تيسرا كاروان، المجلد الثاني، المصدر السابق	مرزا خليل بيغ	خليل الرحمان أعظمي
معرفة منهج الفراهي لتدبر القرآن (ص78) الفراهي كالمنيع المتوسط للفكر القرآني بين علي كره وديونند (ص120، 121)	مجلة "حكمت" قرآن" الشهرية، (لاهور) 2-1/9 يناير- فبراير 1990م	أسرار أحمد	خلفية حركة دعوة الرجوع إلى القرآن

الملاحظة الوجيزة حول حياة الفراهي وخدماته (ص120، 121، رقم الحاشية 1) الدراسة المقارنة بين أفكار الفراهي وشيلي وأزاد (...) انطباعاته عن الإمام الفراهي (ص138)			
توضيح أفكار الفراهي عن هذا الموضوع في ضوء تفسير سورة القيامة (ص94، 97)	برهان، 2/25 أغسطس، 1950م	نجم الدين الإصلاحي	دلائل القرآن
ذكر رأيه عن المقررات الدراسية للفرسية والنحو والصرف في مدرسة الإصلاح (ص30، 31) دراسة نقدية للمقررات الدراسية للفقهاء التي عينها الفراهي (ص21-32)	فاران، 1/15 أبريل 1963م	أبو علي	ورقة لمذكرة ذاتية
كر استفادة إقبال سهيل من الفراهي ومعلومات مفيدة عن حياة الفراهي في علي كره (ص58-61)	مجلة "أردو أدب" الفصلية (علي كره) سبتمبر 1956م	افتخار الأعظمي	ذكر سهيل
نقد أفكار الفراهي عن عقوبة الرجم (ص9)	الرشاد، 19/17، نوفمبر 1989م	محبب الله الندوي	أفكار المولانا أمين أحسن

الإصلاحي حول الرجم			
العلّة الثانية في علل التعليم في المدارس الإسلامية في الهند	تقي الدين الهلالي	الضياء، 7/1 نوفمبر 1932م	ذكر لقاء الشيخ تقي الدين الهلالي بالإمام الفراهي في قريته "فريها" بأعظم كره سنة 1342هـ ثم لقائه الثاني في رحاب المسجد الحرام، والكتابة الوجيزة للفراهي حول حياته وخدماته إتماماً لرغبته (ص28)
فن أصول التفسير - دراسة تحليلية	عتيق أحمد القاسمي	برهان، 1/76 يناير 1976م	ذكر خدمات الفراهي التأليفية في أصول التفسير (ص36)
التراجم الأردوية للقرآن الكريم وتفاسيره	محمد عالم مختار	سياره دائجست (عدد خاص بالقرآن الكريم) 5/13، نوفمبر 1969م، المجلد الثاني	تفاصيل نشر الترجمات الأردوية لبعض الأجزاء التفسيرية للفراهي (ص935)
مدرسة الإصلاح - مؤسسة تعليمية	شرف الدين الإصلاحي	مقالات مذاكره ملي تعليمات نبوى، (نظرية وفلسفة تعليم	تصور الفراهي في التعليم والمقررات الدراسية التي شكلها (ص131، 132)

	إسلامي) مرتبه حكيم محمد سعيد) همدرد فاؤنديشن كراتشي 1985م (جلد دوم)		
مدرسة الإصلاح	الإصلاح 9/1، سبتمبر 1936م		خلاصة الانطباعات المنشورة في مجلات معارف وفاران ومدينة والجمعية وملت ورساله أردو عن الفراهي ومدرسة الإصلاح (ص56-60)
مراكز المسلمين التعليمي في رغال أعظم كره	محمد نعيم الصادقي ثقافة الهند 4/207، أكتوبر 1970م		خدمات الإمام الفراهي في تطوير مدرسة الإصلاح وخاصة في تشكيل مقرراتها الدراسية (ص57-61)
مسلم ورلد بك ريويو- عدد خاص حول القرآن الكريم (دراسة)	ظفر الإسلام علوم القرآن 2.1/30 يناير-ديسمبر 1988م		الإشارة إلى مطبوعات الفراهي في أصول التفسير ونظم القرآن (ص136)

تلميذ عظيم للعلامة شبلي النعماني (إقبال سهيل)	عبد العلي أصفي	فاران 1/10، أبريل 1985 م	التعريف الوجيز بالفراحي قبل ذكر إقبال سهيل في كلمات بدائية (ص 25)
مولانا عبد الرحمان نغرامي	أبو علي	فاران، 11/13، فبراير 1962 م	أهداف مدرسة الإصلاح (ص 40، 41) الفراحي ولجنة خدام الدين (ص 41)
مولوي فيض الحسن السهارنفوري	شيخ نذير حسين	معارف 3/46، سبتمبر 1990 م	تلمذه للأستاذ فيض الحسن السهارنفوري وترتيب ديوانه العربي (ص 201، 204)
كان للأستاذ أبي الليث الإصلاحي نظر عميق في القرآن والسنة	أبو بكر الإصلاحي	جريدة "رفيق منزل" الشهرية- المولانا أبو الليث الإصلاحي الندوي، عدد خاص (دلهي الجديدة) 11/4، أكتوبر 1991 م	تسليط الضوء على استفادة أبي الليث من الفراحي (ص 157)
الخدمات القرآنية للشيخ أبي الليث	أبو سفيان الإصلاحي	رفيق منزل، المصدر السابق	إسهامات أبي الليث في تعريف الخدمات القرآنية للفراحي (ص 104)

لمحات آخر حياة الشيخ أبي الليث الإصلاحي	نظام الدين الإصلاحي	رفيق منزل، المصدر السابق	ذكر انطباعات مناظر أحسن الغيلاني عن تفسير سورة الفيل للفراحي بواسطة أبي الليث الإصلاحي وتصريح عدم اتفاق أبي الليث بهذا التفسير (ص195)
سبيل النجاة في ضوء سورة العصر	أسرار أحمد	ميثاق، 9/40، سبتمبر 1991م	ذكر أهمية تفسير سورة والعصر للفراحي والاستشهاد بها في مواضع مختلفة (ص10، 11، 23، 26، 29)
نظم القرآن والعلماء الهندود	عبيد الله فهد الفلاحي	حيات نو، ¼ أكتوبر 1986م	نظم القرآن ورؤية الفراحي (ص11-14)
نظم القرآن: تاريخ وتحقيق	أحمد إقبال القاسمي	فكر ونظر 1/25 يوليو، سبتمبر 1987م	نظم القرآن ورؤية الفراحي (ص52-53)
تطور الشعر العربي في الهند	محمد أسلم الإصلاحي	فكر ونظر (علي كره) 4.3/19 يوليو-ديسمبر، 1982م	دراسة وجيزة حول شاعرية الفراحي العربية (ص21-22)

في ذكرى الإمام عبد الحميد الفراهي

-د. أورك زيب الأعظمي¹

لنحمد ربنا حمداً كثيراً
 بأن سؤى لها رجلاً كريماً
 كريماً فاق جُلَّ السابقين
 وقد ربّاه من نُسميه عبداً
 نَعْلَمُ كُلَّ ما ألفاه خيراً
 فقام بحفظِ قرآنٍ كريمٍ
 تَضَلَّعَ بعده بالفارسيّة
 وحتى قام بالقرض البليغ
 وبعد الأخذ من هذي العلوم
 فنال نصيبها الأوفى على مَنْ
 فعَلَّمه ودرّسه فأضحى

فقد أعطى مدينتنا دريرا²
 ضليعاً في العلوم بها قديرا
 ولم يسبقه مَنْ جاء أخيراً
 لرحمن³ نعرّفه خطيرا⁴
 لمدنياه وأخراه ظهيرا
 كتاب الله أسماه قريرا
 فأضحى بالعلوم لها خيرا
 قصيداً فاق شاعرها كبيرا⁵
 توخى علم لغة الضاد سيرا
 يسمّى شَيْلياً⁶ حبراً شهيراً
 حميد الناس، أفضّلهم، أثيراً⁷

¹ مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي² دربر: سراج مضيء³ كان اسم والده عبد الرحيم⁴ رجل شريف⁵ أريد هنا شاعرها الفحل خاقاني الشرواني الذي تتبعه الإمام الفراهي في إحدى قصائده فكتب

قصيدة رائعة في مدح الخليفة العثماني عبد الحميد خان.

⁶ ابن عمته العلامة شبلي النعماني صاحب كتاب "سيرة النبي" عليه أفضل الصلوات والتسليم.⁷ من يترك أثراً كبيراً عظيماً

فقال له: استقي من أهل فنّ
فأهداه إلى لقياء أديبٍ
إلى فيض الحسن² أستاذ جيلٍ
فما ألقى عصاه سوى لديه
فما أروى سوى منه غليلاً
فأصبح بارعاً في كل فنّ
وبعد الشُّبُع من هذي العيون
فالتفت إلى العلم الجديد
والتحق بكرنل غنج⁴ ثم
فأصبح حاوياً كل العلوم
وأضحى خادماً في كلياتٍ
فلاقاهم¹ ولو وقتاً قصيراً
ولغويّ نعرته أميراً
علا في العلم والفن قعيراً
وكان الكلُّ عن هذا خبيراً
وما قال سوى عنه "قديراً"³
وأضحى شاعراً فحلاً كبيراً
توحيّ كسب ما جدّ وزيراً
ونال القسط من هذا وفيراً
بمدرسة بناها السير⁵ سيرا
قليلاً كان أو كان كثيراً
يعلم كل من جاء حسيراً⁶

¹ من أمثال العلامة عبد الحي الفرنجي محلي وفضل الله بن نعمة الله والشيخ إرشاد حسين المجددي.
² علامة الهند وشاعرها المفلح، له مؤلفات جليلة مثل "شرح ديوان الحماسة" و"رياض الفيض" (شرح المعلقات) و"تحفة صديقية" (شرح حديث أم زرع).
³ كتب الإمام الفراهي بيتين عنه على غلاف كتابه "رياض الفيض" الذي أهداه إليه شيخه العلامة:
هذا الكتابُ الفاقدُ البذيد لا زال أهل السمع للتحبيد
قد نلتُ من أستاذي الحنيد كفى هذا فخراً للتلميذ

ذكر فراهي، ص 99

⁴ إشارة إلى ثانوية كرنل غنج في الله آباد (أوترا براديش)

⁵ كلية علي كره التي بناها السير سيد أحمد خان والتي أصبحت الآن جامعة مركزية

⁶ حسير: متلف

يَعْلَمُهُمْ عِلْمًا أَوْ فَنُونًا	كما كان لها وقتًا مديرا
وَأَسْهَمَ فِي بِنَاءِ الْكَلِيَّاتِ	بأرض الدكن أو سرائميرا ¹
وَلَكِنْ لَمْ يَرْغَبْ ذَاتَهُ عَنْ	كتاب الله إن ² وقتًا قصيرا
فَعَلَّمَهُ وَدَرَّسَهُ وَأَلْقَى	خطابًا طال أو كان قصيرا ³
أَشَادَ بِدَرْسِهِ كُلَّ الْإِنْسَانِ	ولو كان مكوثهم يسيرا ⁴
لَهُ سَبْعُونَ تَأْلِيْقًا جَلِيْلًا	يُعْنَوْنَ كُلُّهَا اسْمًا طريرا ⁵
وَلَوْ خَلَّى كِتَابًا أَوْ كِتِيْبًا	ولكن كلَّها يحوي عصيرا
فَدَقَّقَهَا فَأَوْجَزَهَا وَحَشَى	بطون اللفظ مضمونًا كثيرا
وَلَمَّا أَنْ رَأَاهَا الْعُرْبُ يَهْرُوْا	بأسلوب يضاهيهم كثيرا
وَقَدْ إِمْتَازَ عَنْهُمْ فِي حَقْوِلٍ	أوزيها فأحصيها نزيرا
فَأَفْضَلَهَا نِظَامًا ⁶ لِلْكِتَابِ	وقد أمضى له وقتًا وفيرا
وَلَكِنْ قَامَ بِالتَّدْوِينِ فِيهِ	كتابًا ⁷ أثبت فيه جهيرا
بِأَنْ قَدْ نُظِمَ السِّفْرُ الْجَلِيلُ ⁸	نظامًا مُحْكَمًا فتلاً مريرا ⁹

¹ سرائ مير بلدة في محافظة أعظم كره (أوترا براديش) حيث تقع مدرسة الإصلاح التي كان الإمام الفراهي مديراً لها.

² أي ولولوقت قصير

³ درس الإمام الفراهي القرآن الكريم في كل من حيدرآباد ونيو دلهي وبورما وأوترا براديش

⁴ يسير: حقير أي لمدة لا يعبأ بها

⁵ طير: جديد بديع

⁶ فلسفته عن نظام القرآن فلسفة ممتازة

⁷ إشارة إلى كتابه "دلائل النظام"

⁸ أي كتاب الله العزيز

⁹ أي مثل الفتل المبرر

وتم أسس خير الأصول	لتأويل ¹ كتاب الله خيرا
وتأليف ² له يحوي يميناً	وقسم الله مولانا الكبيراً
فأثبت أنه يأتي دليلاً	عزيراً كان أو كان حقيراً
له حجج ³ لتوحيد الإله	فأثبت: ربنا فاق الوزراء
له رأي صحيح ⁴ في الذبيح	وفي الملكوت ⁵ مكتوباً زميراً ⁶
وخالف جلّ علماء الأصول ⁷	فقيماً، نحوياً، فحلاً، كبيراً
وألّف في العقائد ⁸ خير أثرٍ	وجمهرة البلاغة ⁹ ذا خطيراً
وهل تدري عن الأثر الأخير	كتاب رائج فقد النظيراً
له قاموس ألفاظ الكتاب ¹⁰	يدققها، ولو نزرًا يسيراً
وفي طُرُق كلام الله أثر ¹¹	يفصل كل أسلوب عسيراً

¹ إشارة إلى كتابه "التكميل في أصول التأويل"

² إشارة إلى كتابه "إمعان في أقسام القرآن"

³ إشارة إلى كتاب "حجج القرآن"

⁴ إشارة إلى كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"

⁵ إشارة إلى كتابه "في ملكوت الله"

⁶ زمير: حسين

⁷ أراد تدوين الفقه والنحو والعروض والمنطق من جديد فألف "فقه القرآن"، و"الرائع في أصول الشرائع"، و"إحكام الأصول بأحكام الرسول"، و"الدر النضيد في النحو الجديد"، و"سليقة العروض"، و"القسطاس".

⁸ إشارة إلى كتابه "القائد إلى عيون العقائد".

⁹ كتاب قيم ألّفه للكشف عن بلاغة القرآن الكريم

¹⁰ عنوانه "مفردات القرآن"

¹¹ كتاب "أساليب القرآن"

وَذَلَّلَ كُلَّ مَا صَعُبَ مَسِيرًا	فَعَبَّدَ كُلَّ مَنْهَاجٍ وَعَيْرٍ ¹
ضَعِيفًا كَانَ أَوْ كَانَ مَرِيرًا	وَلَكِنْ كُلُّ حَيٍّ لَيْمُوتُنْ
وَأَدْنَتْهُ لِرَبِّ الْعَرْشِ جِيرًا ²	فَأَوْفَتْهُ الْمَنِيَّةَ بِالْإِدْوَامِ
وَقَرَأْنَا يَرْثِلَهُ صَبِيرًا ³	وَكَانَ مَمَاتِهِ مَوْتًا سَعِيدًا
بَحَيْثُ الْكُلِّ يَدْعُوهُ أَثِيرًا	فَفَارَقَ صَحْبَهُ وَالْأَقْرِبَاءَ
وَهَذَا مَنْ نَسَمِيهِ حَبِيرًا	لِيَغْفِرَ رَبُّنَا هَذَا التَّقِيَّ
وَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا ⁴ أَوْ ذَمِيرًا ⁵	فَقَدْ عَاشَ حَمِيدًا فِي الْإِنْسَانِ

¹ إنه قام بإصلاح المنهاج الدراسي للمدارس

² من جأريجأر: أصبح جأراً لأحد

³ توفي الفراهي وهو كان يتلو القرآن الكريم

⁴ قال عنه العلامة سيد سليمان الندوي: عاش حميداً ومات شهيداً" على خيبة العملية الجراحية التي ذهب لها إلى ماثورا فمات فيها.

⁵ ذمير: شجاع